جامعة المنيا
كلية الآداب
قسم التاريخ

أسواق إفريقية خلال العصر الفاطمي وبني زيري

٢٩٦-٤٤٠هـ / ٩٠٨-١٠٥٢م

مقدم من

محمد عبد الظاهر أحمد عبد الناصر

للحصول على درجة الماجستير فى الآداب

تاريخ إسلامى

إشراف

أ.د محمد محمود إدريس

أستاذ التاريخ والحضارة الإسلامية ورئيس قسم

التاريخ بكلية الآداب - جامعة المنيا

١٤٢٠هـ / ٢٠٠٠م

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿يَرْفَعْ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ﴾

صدق الله العظيم

سورة المجادلة الآية ١١

إهـــداء

إلى

أسرتي الغاليـــة

فهرس الموضوعات

تابع فهرس الموضوعات

تابع فهرس الموضوعات

تابع فهرس الموضوعات

المقدمـة

المقدمــة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذى خلق الإنسـان وعلمـه البيان ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد (صلى الله عليه وسلم) وعلى آله الاطهار واصحابه ومن إتبع سنته واهتدى بهديه إلى يوم الدين . وبعـد :

يتناول بحث (أسواق إفريقية خلال العصر الفاطمى وبنى زيرى من سـنة ٢٩٦ – ٤٤٠هـ / ٩٠٨ – ١٠٥٢م) إقليم إفريقية الذى ظل منذ الفتح الإسلامى لـه وحتـى قيـام الخلافة الفاطمية به (٢٩٦هـ / ٩٠٨م) أحد الأقاليم التى تمثل الخلافة الأموية ثم العباسـية بعدها يأتمر بأمرهما وينتهى بنواهيهما ويسير على نهج السياسة الموضوعة له لايحيد عنها.

ومنذ سنة (٢٩٦هـ / ٩٠٨م) بدأت مرحلة جديدة فى حياة هذا الاقليـم الهـام إذ تمتع بالاستقلال التام عن المشرق فى كافة نواحى حياته ، ونزع عن نفسه عبـاءة التبعيـة للمشرق الإسلامى ، فصار له تحت الحكم الفاطمى حدودة المسـتقلة وسياسـته المعروفـة المحددة وذلك لأول مرة فى تاريخه ، وصار لإقليم إفريقية موقفاً مغـايراً تمامـاً للمشـرق الإسلامى فبدأ يعاملة معاملة الند للند والسيد للسيد بل صار أكثر من ذلك حيث بدأ بمد نفوذه إلى مناطق المشرق الإسلامى فارضاً عليها سيطرته وسياسته .

وفى ظل الخلافة الفاطمية وحكم بنى زيرى من بعدهم أخذ هذا الاقليم يجنى ثمـار فوائد هذا الاستقلال وعادت بمردودها على جميع نواحـى الحيـاة بـه سياسـياً واقتصاديـاً وحضارياً . ففى المجال السياسى صارت له حكومة مركزية قوية تقوم برسم سياسته داخلياً وخارجياً ومثل إحدى المناطق المركزية للخلافة الاسلامية . أما فـى المجـال الأقتصـادى فنشأت به الصناعات المختلفة وتقدمت تقدماً ملحوظاً وبدأ الاستغلال المنظم لموارده المعدنية المختلفة ، كما نمت به الزراعة وكثر انتاج المحاصيل الزراعية على اختلافها وزادت الرقعة الزراعية . وفى المجال التجارى بشقيه الداخلى والخارجى فقد انتعشت به انتعاشاً ملحوظـاً وزادت صادراته سواء الزراعية أم المعدنية وصارت اسواق مدنه مكتظة بجميع أنواع السلع والبضائع وغدى قبلة للتجار من كل مكان وبدأ عقد المعاهدات التجارية مع الدول المجاورة له وازدادت ثروة الأهالى به بما انعكس بدوره على نواحى حياتهم المختلفة .

من هنا كانت أهمية هذا البحث " أسواق إفريقية خلال العصر الفاطمى وبنى زيرى ٢٩٦- ٤٤٠هـ / ٩٠٨ – ١٠٥٢ م ، وفى سبيل إعداد وتقديم هذا البحث واجهت البـاحث

صعوبات كثيرة منها قلة وندرة المصادر الخاصة التى تلقى الضوء على الجانب الحضارى لهذا الاقليم فى تلك الفترة ، وبقاء معظم المصادر التى تشير إلى اقليم إفريقية فى صورة مخطوطات لم يحقق الكثير منها ، إلى جانب تبعثر ماكتب عن هذا الاقليم خاصة الجانب الحضارى فى كتب التاريخ والجغرافيا والرحلات فيما بين السطور مما تطلب بذل الجهد والتدقيق من أجل الوصول إليها وجمعها .

لذا فإن موضوع بحث " أسواق إفريقية خلال العصر الفاطمى وبنى زيرى " يمثل جانب هام من جوانب الدراسة الحضارية فى هذا الاقليم ويسهم فى القاء الضوء على التاريخ الحضارى فى فترة تعد الاعظم فى تاريخه على الاطلاق .

ولا أدعى أنه لم تقم دراسات سابقة تناولت هذا الاقليم بالدراسة سياسياً وحضاريا دراسة وافية تضمنتها إصدارات المؤرخين المحدثين إلى جانب الرسائل العلمية ايضا مثل رسالة " مجتمع إفريقية خلال عصر الولاه " للدكتوره نريمان عبدالكريم : تناولت فيها الحياة السياسية والادارية والاقتصادية والاجتماعية لاقليم إفريقية خلال فترة حكم الولاه لها وهى رسالة غير مطبوعه بمكتبه الرسائل بجامعة عين شمس ورسالة " الحياة الاقتصادية والاجتماعية فى مدن المغرب الساحلية " للباحثة فتحيه محمود على تناولت فيها الحياة الاقتصادية والاجتماعية فى ست مدن ساحلية فقط ولم تشر إلى المدن الداخلية أو القرى ، وهى رسالة ماجستير بمكتبة الرسائل بكلية الآداب جامعة المنيا .

وفى سبيل كتابة هذا البحث قام الباحث باتباع المنهج العلمى الذى يقوم على استقصاء الحقائق واستخلاص المادة الدراسية المتأنية وتقديم التفصيلات والتوضيحات والتحليل والتفسير إلى جانب الاستنتاج والربط ، وبفضل من الله وتوفيقه وبما توافر من مادة علمية تمكن الباحث من تقديم هذه الدراسة ، وتم تقسيم البحث إلى اربعة فصول إلى جانب المقدمة والخاتمة التى أوضح فيها الباحث النتائج التى توصلت إليها تلك الدراسة .

الفصل الأول : تناول الباحث فى هذا الفصل حدود إفريقية والاهمية التى حظى بها هذا الاقليم مستعرضا آراء المؤرخين المختلفة حول ماجاء عن حدود إفريقية وأهميتها ، إلى جانب الجانب الزراعى التى تضمنت ذكر أنواع التربة والموارد المائية المختلفة كالانهار والبحيرات والعيون والآبار ، كما أشار الباحث إلى نظم الرى المتبعه فى المناطق المختلفة لإفريقية وأهم المحاصيل الزراعية والفاكهة والثمار والاشجار بالاضافة إلى الصناعة وأهميتها وأهم الموارد المعدنيه ومناطقها وأنواعها من حديد ونحاس وذهب ... الخ ، وأهم

الصناعات والحرف التى قامت عليها والعوامل الطبيعية والبشرية التى ساعدت على قيامها وتقدمها ، ودور الخلفاء الفاطميين وحكام بنى زيرىي فى هذا الشأن .

الفصل الثانى : تناول فيه الباحث التجاره وأهم مراكزها وتقسيمها إلى مراكز تجارية بحرية وبرية داخلية وخارجية ، وتم تعريف كل مركز منها على حده متضمناً تاريخ الفتح وعناصر السكان وأهم ماتتميز به من موارد زراعية وصناعية ... الخ ولم يغفل الباحث بقية المراكز الاخرى فقام بتعريفها فى حواشى البحث ، كما تناول الباحث أيضا التجارة الداخلية وأهميتها بين قرى ومدن الاقليم وأهم الطرق التجارية التى ربطت بينهما وماكان يتم تبادله من سلع وبضائع فيما بينها .

الفصل الثالث : تناول فيه الباحث الاسواق وتنظيمها فعرف معنى السوق وأهم الاسس والقواعد المتبعه فى إقامة الاسواق من حيث الارتفاعات والاتساعات والتقسيمات الداخلية مشيرا إلى مزايا وعيوب هذا التقسيم ، كما أشار الباحث ايضا إلى أماكن اقامة الاسواق وكيفية اختيارها ، وتناول الباحث ايضا فى هذا الفصل أهم الوظائف التى وجدت داخل السوق كالسمسار والدلال والوكيل وعرف كلا منها على حده واهمية تلك الوظائف فى تنشيط العمل التجارى ، والشروط والأداب التى يجب توافرها فيمن يتولى تلك الوظائف ، بالاضافة إلى نظم الاسواق ونظم البيع والاسعار وطوائف التجار وماكانوا يتعرضون له من محن وشدائد .

الفصل الرابع : تناول فيه الباحث نظم الضرائب التجارية وقسمها إلى ضرائب شرعية (العشور) التى فرضت على التجار بمختلف طوائفهم ومقدار تلك العشور وأهم الشروط الواجب توافرها فى متولى العشور ودور ولى الامر فى مراقبة هؤلاء العمال وتقويم ارائهم وفرض العقوبة على المخالفين منهم . إلى جانب الضرائب غير الشرعية (المكوس) وأهم السلع والبضائع التى فرضت عليها ومقدارها وشرعيتها ودور كل مدينة فى دفعها وسياسة الخلفاء الفاطميين وحكام بنى زيرى فى فرض تلك الضرائب ، وتناول الباحث أيضا السكه مستعرضا تاريخ السكه الفاطمية منذ قيام الخلافة الفاطمية واهميتها وحرص هؤلاء الخلفاء ومن تبعهم على جودتها ونقائها . والدور الذى قامت به دور ضرب السكة والعناية التى لاقتها وشروط اختيار المتولى لها ، وتناول الباحث كذلك الموازين والمكاييل المستخدمة داخلة الاقليم فاشار إلى أنواعها واهميتها داخل السوق وأهميه دار العيار التى كان ينوط إليها العمل على صناعة تلك الموازين والمكاييل والارطال ، وأخيراً تناول الباحث الدور الهام الحسبة داخل الاسواق فى ضبط العملة والاسواق وقام بتعريف

الحســبة شرعاً ولغه ؟ واول من أحدثها فى الاسلام ، وتاريخ نشــأتها والقواعــد، والآداب الخاصة التى يجب توافرها فى الشخص الذى توكل إليه وطبيعه الحسبه والوســائل التــى يتخذها لمساعدته فى سبيل القيام بعمله ، وعلاقة الحسبة بوظيفة القضاء والمظالم ومراتــب الحسبة ... الخ إلى جانب الأثر الحسن للنشاط التجارى على مختلف نواحى الحياة داخل اقليم إفريقية خلال العصر الفاطمى وبنى زيرى .

والله ولى التوفيـق ،،

بحث لأهم المصادر
والمراجع

بحث لأهم المصادر
والمراجع

بحث فى أهم المصادر :

ترجع أهمية المصادر التى اعتمدت عليها فى بحثى إلى أن بعض مؤلفيها عاشوا خلال فترة البحث وبعضهم كان على صلة وثيقه بكبار رجال الدولة الفاطمية والزيرية . والبعض الآخر قام بزيارة إقليم إفريقية فى خلال تلك الفترة التى يتناولها البحث وقام بكتابة مارأوه وشاهدوه فكانت من المصادر الاساسية لنا ، ومن ثم غدت أهمية دراسة " أسواق إفريقية خلال العصر الفاطمى وبنى زيرى"

المخطوطات :

اعتمدت فى كتابة هذا البحث على عدد من المخطوطات الهامة التى اثرت البحث بما حوته صفحاتها من معلومات مفيده تخص الجوانب المختلفة للبحث مثل مخطوط ترتيب المدارك وتقريب المسالك للقاضى عياض موسى اليحصبى (المتوفى ٥٤٤هـ-١١٦٤م) وهو مخطوط بدار الكتب المصرية تحت رمز ح رقم ٩٦٧٣٠ فى أربعة أجزاء وهو يحوى معلومات هامة عن الناحية الاقتصادية والاجتماعية خاصة الجزء الأول والثانى منه وقد أفاد البحث فيما تناوله عن الزراعة والصناعة والتجارة والجانب الاجتماعى لإفريقية ، ميكرو فيلم ٣٨٦٠٢،٣٨٥٩٦ . "سيرة الحاكم وحمزة بن على" المؤلف مجهول ، وهو مخطوط بدار الكتب المصرية رمز عقائد تيموريه رقم ٥٧٩ ميكرو فيلم ٣٠٧٣٨ ، وهو يتناول سيرة الخليفة الحاكم بأمر الله وأهم الأعمال التى قامت فى عهده حتى تاريخ وفاته ثم يتناول اعمال حمزه بن على الوزير الأول للخليفة الحاكم وما قام به من اعمال ثم يتناول عنصر الدروز . وقد أفاد البحث كثيراً حول ما جاء عن اعمال الحاكم بأمر الله وتولية الحكم واختفاءه وموته وما قيل عن تاريخ إختفاءه وموته وأسبابها وهو مخطوط هام رغم أن ما به من معلومات عن الحاكم بأمر الله موجوده فى المصادر المطبوعة واعتماد كاتبها على ما كتبه المقريزى وغيره ، ومخطوط "السيرة وأخبار الأئمة" لمؤلفه أبى زكريا يحيى ابن أبى بكر (المتوفى فى النصف الثانى من القرن الرابع الهجرى) ، وهو مخطوط بدار الكتب رمز ح رقم ٩٠٣٠ / ميكروفيلم/ ١٨٤٢٥ وهو يتناول تاريخ الرستميين الاباضية بعد انهيار الدولة الرستمية والعلاقة بينهم وبين الخلافة الفاطمية وغيرها من المعلومات عن علاقة الرستميين بالمدراريين إلى جانب موقف أبى يزيد وثورته ودور الاباضية فى تلك الثورة وترجع أهمية هذا المخطط إلى اعتماده على من سبقه من المؤرخين وربما كان قد عاصر العصر الرستمى الأخير وعاصر الأحداث الأولى للخلافة الفاطمية وقد أفاد هذه المخطوط البحث كثيراً حول ما جاء عن ثورة أبى يزيد ودور الخلفاء الفاطميين مثل المنصور والقائم فى حربه ودور الخلافة الفاطمية فى اسقاط الدولة الرستمية.

"**سير أبى الربيع الوسيانى**" لمؤلفة سليمان بن عبدالسلام ابن حسان بن عبدالله المتوفى سنة ٤١٨هـ ١٠٢٠م وهو من مؤرخى الاباضية وترجع أهمية هذا المخطوط إلى معايشته لفترة هامة من الفترات التى تخص البحث وعايش الاحداث والوقائع . رمزح رقم٩١١٣ ميكروفيلم ٣٢٧١ .

" **سيرة جعفر الحاجب** " لمحمد بن محمد اليمانى الذى توفى فى القرن الرابع الهجرى العاشر الميلادى وهو مخطوط بدار الكتب رمزح تاريخ المخطوط ١٢٦٤هـ رقم ١١٤٩٧ ميكروفيلم ٥٦٠٢، ١٦٤٦ وهو يتناول سيرة الخليفة الفاطمى الأول عبيدالله المهدى وصاحبه جعفر بن على منذ خروجه من سلمية بالشام حتى دخوله إفريقية ودخوله السجن ودور القائد أبى عبدالله الشيعى وحروبه ودوره . وقد افاد البحث كثيراً فيما جاء من معلومات هامة حول الخليفة الفاطمى المهدى ودوره وأعماله ودور أبى عبدالله وفتوحاته فى إفريقية وقيام الخلافة الفاطمية .

"**استتار الأمام**" لأحمد ابن إبراهيم الوسيانى المتوفى أواخر القرن الرابع الهجرى نهاية القرن العاشر الميلادى وهو يتناول حياة الأمام المهدى فى سجلماسة وهو مخطوط بدار الكتب تحت رمزح رقم ١١٤٩٧ ميكروفيلم ١٨٣٩٦ ، ١٦٤٥م وقد أفاد البحث كثيراً حول ما جاء من معلومات عن حياة المهدى ورحلته ووصوله إلى سجلماسة وسجنه بها .

"**رياض النفوس فى طبقات فقهاء مدينة القيروان وتونس**" ، لمؤلفة أبى بكر عبدالله محمد المالكى مخطوط بدار الكتب رمز ح رقم ٦٣٥٠ /ميكروفيلم ٣٨٦٢١ /وهو يتناول طبقات الفقهاء فى إفريقية وقد أفاد البحث فيما جاء به من معلومات عن حياة المهدى الفاطمى ورحلته ووصوله إلى الحكم برقادة مع ما تعرض له من صعاب ودور أبى عبدالله الشيعى فى افتتاح مدن إفريقية المختلفة وقضاءه على الدول القائمة مثل الرستميين والمدراريين والاغالبة.

ثانياً: المصادر المطبوعة :

" **المغرب فى ذكر بلاد إفريقية والمغرب** "وهو جزء من كتاب المسالك والممالك الذى قام بتأليفه أبى عبيد عبدالله بن عبدالعزيز البكرى ت ٤٨٧هـ ١٠٩٩م وهو كتاب يحوى معلومات وفيرة هامة حول إقليم إفريقية من حيث الوصف الدقيق لها وتعريفها ولماذا سميت بهذا الإسم ؟ مع ذكر الآراء المختلفة فى ذلك ، كما حوى معلومات إقتصادية على جانب كبير من الأهمية حول مجال الزراعة والصناعة والتجارة والموارد المائية والطرق إلى جانب الوصف الدقيق لقرى ومدن إفريقيه ومميزات كل منها وأهم ما تشتهر به ، وقد أفاد البحث كثيراً فى التعريف بإفريقية وأهم المراكز التجارية بها وأهم الطرق التجارية والموارد المعدنية الموجودة بها

والموارد المائية ونظم الرى المستخدمة فى إفريقيه ، وترجع أهمية هذا المصدر الى قربة من فترة البحث واعتماده على كتب ومؤلفات من سبقه مثل الليث بن سعد وابن لهيعه ، ومسلمه بن عبدالملك وابن الرقيق .

"**معجم البلدان** " الذى ألفه شهاب الدين أبو عبدالله ياقوت الحموى المتوفى ٦٢٦هـ ــ ١٢٢٩م وهو معجم جغرافى هام يحوى بين جنباته معلومات جغرافية هامة تشمل قرى ومدن العالم الاسلامى المختلفة واصفا إياها وصفاً دقيقاً وأهم ما تتميز به من موارد مختلفة وطرق مواصلاتها وصناعاتها وزراعاتها وأهم تجاراتها ، وقد افاد البحث كثيراً حول كل ما جاء عن مدن إفريقيه المختلفة حيث ذكرها مضبوطه الأسماء وذكر مواقعها والطرق التى ربطت بينها، كما ذكر فى نفس الوقت تعريفا لإفريقية يختلف عما ذكره من قبله من المؤرخين ، وهو يتكون من خمسة أجزاء ، وترجع أهمية هذا المصدر إلى إعتماده على المؤرخين الهامين من أمثال القضاعى والطبرى والبكرى .

"**الكامل فى التاريخ** "لمؤلفة عز الدين بن الأثير المتوفى ٦٣٠هـ ــ ١٢٣٤م وهو من المصادر الهامة الذى يحوى بين طياته معلومات هامة حول العالم الإسلامى وعلاقاته الخارجية والدول المختلفة التى نشات سواء المستقلة أو ما كانت فى كنف الخلافة وترجمات عن أهم الشخصيات الإسلامية وأهم ما قاموا به من أعمال ، وهذا المصدر يعد من أكثر المصادر من حيث غزارة المادة والمعلومات به ولقد أفاد البحث كثيراً حول ما جاء به من معلومات هامة عن إقليم إفريقية وما قامت به من دول غير أن ما يعيب هذا المصدر هو تبعثر المعلومات حول إفريقية فى أجزائه المختلفة وترجع أهمية هذا المصدر الى اعتماده على ما كتبه مؤلفى المشرق والمغرب الذين يفضل رواياتهم عن المشرقيين إلى جانب توافر المصادر والكتابات وكثرة الوثائق حول إفريقية بما جعله ملماً بما يكتب .

"**البيان المغرب فى أخبار الاندلس والمغرب** " الذى قام بتأليفه ابن عذارى المراكشى المتوفى فى نهاية القرن السابع الهجرى الثالث عشر الميلادى،وهو يتكون من ثلاثة أجزاء يحوى كما ذكر مؤلفه:نبذاً ولمعاً من عيون التواريخ والاخبار نحو المغرب العربى على طول تاريخه وما جاوره من أقاليم،وقد اختص ابن عذارى إقليم إفريقيه بالجزء الأول الذى حققه بروفنسال وتناول فى هذا الجزء أخبار إفريقيه منذ الفتح الإسلامى لها ومعرفا حدودها وأهميتها الدينية وأسماء أمراءها والدول التى قامت بها وما قاموا به من أعمال ودخول العرب لها وقضائهم على حضارتها وعمرانها إلى غير ذلك من الاخبار حتى قيام دولة المرابطين.وقد أفاد البحث كثيرا حول تعريف إفريقية وحدودهاوتراجم وأعمال الخلفاء الفاطميين،وحكام بنى زيرى،وتعريف مدن إفريقية المختلفة،وأهم ما تميزت به هذه المدن من معادن وصناعات

وتجارة وزراعة وموارد مائية إلى غير ذلك من المعلومات الهامة فهو يعد أحد الموســـوعات الهامة عن المغرب العربى .

"**العبر وديوان المبتدأ والخبر فى أخبار العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوى السلطان الأكبر**" المسمى "**بتاريخ ابن خلدون** "إختصاراً والذى قام بتأليفه عبدالرحمن بن محمد بن خلدون الحضرمى المتوفى ٨٠٨هـ ١٤٠٥-١٤٠٦م وهو من المصادر الهامة فى تـــاريخ المغرب لكثرة ما به من معلومات غزيره وربما يعبر إسمه عن مضمونه حول كل ما يخـــص العرب والمسلمين ودولهم المختلفة وتراجم أهم الشخصيات الإسلامية سواء الخلفاء والأمـــراء والملوك وعلاقة المسلمين بالدول الأخرى وقد افاد البحث كثيراً حول ما جاء به من معلومات لإقليم إفريقية حول تضاريسه وجغرافيته والخلفاء الفاطميين وحكام بنى زيرى وأهم ما قاموا به من أعمال ، كما استفدت كثيراً من **مقدمة ابن خلدون**، التى حوت الكثير من المعلومات عـــن فضل علم التاريخ وطبيعة العمران والحضر والبدو وأســـباب المعـــاش والتكســـب والعلـــوم والصنائع والحرف والشارات الخاصة بالملك مثل السكة والخاتم والطراز وغيرهـــا والتجـــار ونقل السلع ، وقد أفادت تلك المعلومات البحث كثيراً حول ما جاء بتعريف الســـكة والطـــراز والحرف والصناعات والاسعار ، وترجع أهمية هذا المصدر الى اشتغال ابن خلدون بالسياســـة وقربه من صانعى القرار وإطلاعه على كثير من الوثائق والكتب التى قام بتأليفها مـــن ســـبقه وهو يعد من أغذر المصادر بالمعلومات ولاغنى للباحثين فى المغرب عن هذا المصدر .

واعتمدت على كتب الرحلات مثل كتاب "**رحلة التيجانى** " لمؤلفه أبى عبدالله محمد ابـــن أحمد التيجانى المتوفى سنة ٧١٩هـ ١٣٣١م وهو يعد وثيقه تاريخيه وجغرافية هامة لاقليـــم إفريقية بفضل ما به من معلومات هامة تناول تاريخ الفتح وأهم المدن مع ما تميزت بـــه مـــن الناحية الاقتصادية وذكر أهم المحاصيل والاشجار والثمار والفاكهة وطرق التجارة وقد أفـــاد البحث كثيراً فى المعلومات التى ذكرها عن التجارة والمحاصيل والطـــرق وأهـــم الأشـــجار والفواكه ، وترجع أهمية هذا المصدر إلى إعتماد التيجانى على المؤلفات السابقة إضافة إلى أنه نقل كثير من هذه الملعومات بناء على ماشاهده وعاينه أثناء رحلته التى قام بها لأقليم إفريقيـــة مدة ثلاثة أعوام من ٧٠٦إلى ٧٠٩هـ .

"**صفة المغرب** "المأخوذ من كتاب البلدان والذى قام بكتابته أحمد بن أبـــى يعقـــوب ابـــن واضح المعروف باليعقوبى والمتوفى سنة ٢٨٢هـ ٨٩٤م وهو يحوى كثيرا من المعلومـــات حول مدن إفريقية وتاريخ الفتح وعناصر السكان ومناطق تركزهم قبل قيام الخلافة الفاطميـــة وقد أمد البحث بمعلومات وفيرة حول مدن إفريقية وعناصر السكان بها وتاريخ فتحها إلى غير ذلك من المعلومات عن الزراعة والصناعة والتجارة وطرق المواصلات ، وترجع أهمية هـــذا

المصدر إلى قربه من فترة البحث وأن معلوماته عن مشاهدة عينية نتيجة لترحالـــة وتجوالــه داخل إفريقية كما يعتبر أحد المؤرخيين الشيعة .

"**صورة الأرض**" لأبى القاسم محمد بن حوقل النصيبى المتوفى ٣٨٠هـ ٩٩٢وهو كتاب جغرافى هام يضم بين جوانبه معلومات جغرافية عن الأقاليم الإسلامية مثـل مصـر والشـام والجزيرة والمغرب وغيرها وقد أثرى البحث بما جاء به من معلومات حـول إقليـم إفريقيـة تخص الزراعة والصناعة والتجارة والطرق والمسافات بين مدن الاقليم المختلفة وترجع اهمية هذا المصدر إلى أن ما جاء به من معلومات عن إفريقية كان نتيجة المطالعة والمشاهده حيـث قام بزيارة إفريقية أثناء الحكم الفاطمى لها .

"**أحسن التقاسيم فى معرفة الأقاليم** " تأليف شمس الديـن أبوعبداللـه محمـد المقدسـى المعروف بالبشارى المتوفى ٣٨٧هـ/٩٩٩م وهو مصدر كسابقة يتناول الأقـاليم الإسـلامية المختلفة بما تشتهر به من زراعة وصناعة وتجارة ومسافات وتناول إفريقيـة كـاحد الاقـاليم الواقعة فى المغرب العربى الذى قسمه إلى اقاليم تضم برقه وإفريقيـة وتـاهرت وسجلماسـه وفاس والسوس الأقصى وصقيله والاندلس ، ورغم ما جاء بهـذا المصـدر مـن معلومـات مختصرة عن مدن إفريقية وما أشتهرت به من معادن ومحاصيل وطرق تجارية إلا أنها أفادت البحث كثيراً ، وتعود أهمية هذا المصدر إلى أنه شاهد عيان لكل ما كتبه عن إفريقيه التى قـام بزيارتها وهو من الكتاب المعاصرين للفترة الأولى من سنوات البحث فمعلوماته قيمـه رغـم كونه ليس من أهالى الأقليم .

"**المسالك والممالك** "لأبى أسحق ابراهيم بن محمد الفارسـى الاصطخـرى المعـروف بالكرخى المتوفى سنة ٣٠٩هـ ٩٥١م وهو كتاب يتناول إقليم إفريقية بمدنه المختلفـة معرفـاً اياها وأهم ما تشتهر به،وموقعها وطرق التجارة والمسافات بينهما،رغم قلة معلوماته فهو مـن المصادر الهامة التى افادت البحث حول ما جاء عن مدن إفريقية وما اشتهرت به تلك المـدن من معادن وزروع وغيرها .

"**المعجب فى تلخيص اخبار المغرب** "، الـذى الفـه عبدالواحـد المراكشـى المتوفـى ٦٤٧هـ١٢٥٩م فاعتمدت عليه فى الكثير من المعلومات فهو مصدر يتناول أقـاليم المغـرب والاندلس ذاكر إسم المدينة وموضحاً أهم ما تتميز به حيث قام بذكر مختلف مدن إفريقيه وذكر لمسافات بينها وتناول تعريف إفريقية ، وحدودها العرضية والطوليه وترجع أهمية المصدر إلى اعتماده على ما كتبه الجغرافيون مثل البكرى وابن دقماق وابن خرداذبه والفرغانى وغيرها .

"**فتوح إفريقيا والاندلس** " الذى الفه عبدالرحمن بن عبدالحكم الذى توفى سنة ٢٥٧هـ-٨٦٩م وهو مصدر يتناول تاريخ فتح المغرب وإفريقيه فهو من المصادر الهامة التى تشير إلى قادة الفتح لكل مدينة بافريقية وترجع أهمية هذا المصدر إلى اعتماده على الرواه المشارقة والمغاربة على السواء وهو أقدم المصادر التى تتناول تاريخ فتح إفريقية وذكره لعدد كثير من الروايات التى يتضمنها الحدث الواحد .

"**المؤنس فى أخبار إفريقية وتونس** "والذى قام بتأليفه محمد بن أبى القاسم الرعينى المعروف بابن أبى دينار المتوفى سنة ١٠٩٢هـ-١٧٥٢م وهو كتاب مقسم إلى سبعة أبواب فى تعريف تونس وتعريف إفريقية وكيفية فتحها والدولة الفاطمية والدولة الصنهاجية والدولة الحفصية وأخيرا الدولة العثمانية إلى جانب خاتمة تناول فيها مآثر ومفاخر تونس وما وقع بها من أحداث وما تميزت به دون غيرها وقد أمدنا هذا المصدر رغم تأخره بمعلومات وفيره عن تونس وتراجم عن الخلفاء الفاطميين وحكام بنى زيرى وما قاموا به من اعمال وترجع أهمية هذا المصدر إلى اعتماده على المؤلفات الكثيرة التى الفها المؤرخون والجغرافيون السابقين له.

"**نهاية الرتبة فى طلب الحسبة**" الذى ألفه عبدالرحمن بن نصر الشيذرى المتوفى سنة ٥٨٩هـ-١١٩٣م وهو مصدر هام يحوى إحدى وأربعين باباً وهو يتناول الحسبه والمحتسب وشروط إختياره والموازين والمكاييل والارطال وقد أفادهذا المصدر البحث إفاده هامه فى كل ما يتصل بالحسبه وتعريفها والمحتسب والشروط الخاصة به وأنواع التجار والصناع والحرفيين داخل الأسواق وأساليب الغش وطرق تجنبها وكشفها ، وترجع اهمية هذاالمصدر إلى أنه يعد أول المؤلفات عن الحسبة فى المشرق الإسلامى وهو أحد المصادر التى اعتمد عليها من جاء بعده من الكتاب مثل ابن الأخوه وابن بسام .

"**الاحكام السلطانية والولايات الدينيه**" الذى ألفه أبى الحسن على بن على بن محمد بن حسن البصرى البغدادى الماوردى المتوفى سنة ٤٥٠هـ-١٠٦٢م وهو كتاب يتكون من أربعة أجزاء تحوى عشرون بابا للامامه والوزارة والاماره والحسبه والقضاء والمظالم وأفاد البحث كثيرا فى تعريف المحتسب والحسبه ومراتبها والمعاملات المنكره داخل الأسواق ، وترجع أهمية هذا المصدر إلى أنه يعد من أقدم الكتب التى تناولت الحسبة والأسواق .

"**الأحكام السلطانية** " أبى يعلى محمد بن الحسين الفراء المتوفى ٤٥٨هـ-١٠٧م وهو ككتاب الماوردى وقد افاد البحث كثيرا فيما يختص بالحسبه والمحتسب والشروط الواجب توافرها فى المحتسب وما يقوم بها من أعمال داخل الأسواق .

"**نهاية الأرب فى فنون الأدب**" الذى ألفه شهاب الدين ابن احمد بن عبدالوهاب النويـــرى المتوفى سنة ٧٣٣هـ ١٣٤٥م وهو من كتب الموسوعات ويشتمل على ١٨جزءاً يضـم بيـن جناباته كل ما يمت للحياه بصله إلى جانب الزرع والتاريخ والدول والاسلحة ، وقد امد البحث بمعلومات هامت حول الحسبه والمحتسب .

"**وفيات الاعيان وأنباء أبناء الزمان**" أبى العباسى شمس الدين أحمد بن محمد ابن أبـــى بكر بن خلكان المتوفى سنة ٦٨١هـ ٩٩٣م وهو مصدر يتكون من خمسة أجزاء يحوى تراجم الملوك والخلفاء والامراء والقادة المسلمين فهو من كتب التراجم وقد أمد البحـــث بمعلومـــات وافيه عن الخلفاء الفاطميين وحكام بنى زيرى وغيرهم وأهم أعمالهم وتاريخ ميلادهم ووفاتهم وصفاتهم وغير ذلك كما أوضح معلومات قليله عن مدن إفريقيه .

"**سيرة الاستاذ جوذر**" لمؤلفة أبى على منصور العزيزى الجوذرى المتوفى فـــى القـــرن الرابع الهجرى العاشر الميلادى ويعد هذا المصدر من أهم المصادر التى أفادت البحث نظـــرا لمعاصرة مؤلفه لفترة هامة من فترات البحث خاصة اثناء حكم الخلفاء الأوائل للفاطميين مثـــل المهدى والقائم المنصور والمعز وهو شاهد عيان لما تناوله من معلومـــات حيـــث يعـــد أحـــد الموظفين البارذين فى البلاط الفاطمى وهو يتناول ســـير الخلفـــاء الفـــاطميين واهـــم اعمـــالهم وانشاءاتهم إلى جانب المعلومات الهامة التى تمس جوانب الحياة المختلفة .وقد افاد البحث فـــى المعلومات الهامة الخاصة بالناحية التجارية والصناعية والزراعية .

"**صبح الأعشى فى صناعة الانشاء**" الذى ألفه شهاب الدين أحمد بن علـــى ابـــن احمـــد القلقشندى المتوفى سنة ٨٢١هـ ١٤١٨م وهو من الكتب الموسوعية الضخمة التـــى تحـــوى معلومات متنوعه حول مختلف العلوم والفنون وقد افادنا كثيراً بمعلوماته الهامة عـــن إفريقيـــة وتعريفها وتعريف حدودها ووصف مدنها وما تشتهر به من صناعة وزراعة وتجارة ومـــوارد مائيه إلى جانب ترجمات الخلفاء الفاطميين وحكام بن زيرى وأهم اعمالهم ، وترجع أهمية هذا المصدر إلى اعتماده على مؤلفات من سبقه من الرواه والمؤرخون أمثال بن سعيد إلى جـــانب كثرة المؤلفات فى عهده وتوليته ديوان الانشاء .

"**الخطط المقريزية**" التى الفها تقى الديى احمد بن على بن عبدالقادر بن محمد المعـــروف بالمقريزى المتوفى سنة ٨٤٥هـ ١٤٤١م وهو من الكتب الهامة غزيرة المادة جمـــه الفـــائدة يتكون من أربع أجزاء تناول فيها المقريزى كل ما يخص مصر وما قام بها من دول والمظاهر الاجتماعية والاقتصادية والأسواق والخراج وغيرها .

وقد أفاد البحث حول ما جاء عن الخلفاء الفاطميين وأهم أعمالهم منذ عبيدالله المهدى حتى انهيار الخلافة بمصر وافاد البحث أيضا حول ما جاء بشأن المكوس والعشور والأسواق والحسبه . ونرجع اهميته إلى كثره المصادر التى اعتمد عليها والتى كانت متوافرة فى عهده.

"**اتعاظ الحنفا بأخبار الآئمة الفاطميين الخلفا**" لمؤلفة المقريزى وهو يتكون من أربعة أجزاء وهو تاريخ للخلفاء الفاطميين والدولة الفاطمية منذ بدايتها حتى نهايتها وقد افادنا كثيراً حول تراجم هؤلاء الخلفاء وأهم ما قاموا به من انشاءات واعمال وغيرها .

"**إحياء علوم الدين** "للامام أبى حامد محمد بن محمد الغزالى المتوفى فى سنة ٨٠٦هـ-١٠٥٧م وهو يتكون من أربعة أجزاء ضم فى جوانبه كل ما يتصل بحياة المسلم وتناول تعاليم الاسلام وأقوال الرسول صلى الله عليه وسلم وآداب الكسب والمعاش والحلال والحرام والنكاح والامر بالمعروف والنهى عن المنكر الخ وقد افاد البحث فى الجزء الخاص بالحسبه والمحتسب والشروط الخاصة ومراتب الحسبة ودور المحتسب فى مراقبة الأسواق ومذكراتها ومذكرات الشوارع .

"**الروض المعطار فى خبر الاقطار**" محمد بن عبدالمنعم الحميرى المتوفى سنة ٩٠٠هـ-١١١٢م وهو معجم جغرافى هام تناول فيه مدن العالم الإسلامى موضحاً موقعها وطرق المسالك اليها وأهم ما تشتهر به من موارد زراعيه وصناعية ، وقد أفاد البحث كثيرا حول ما جاء من وصف لمدن إفريقية المختلفة من الناحية الزراعية والمحاصيل والموارد المائية والموارد المعدنية والطرق فيما بينها وترجع أهمية هذا المصدر إلى اعتماده على مؤلفات هامه لمن سبقه من المؤرخين والجغرافيين مثل البكرى وابن حوقل وياقوت والاستبصار .

"**الاستبصار فى عجائب الأمصار**" لمؤلف مغربى مجهول توفى سنة ٥٨٧هـ ١١٩م وهو كتاب يتناول بالدراسة مدن إقليم إفريقية وما تشتهر به كل مدينة من موارد وطرق وقد افاد هذا المصدر البحث كثيراً فى الجانب الزراعى والصناعى والتجارى وموارد المياه وغيرها وترجع اهمية هذا المصدر رغم ورود هذه المعلومات فى كتب من سبقوه ومن أخذ عنهم واعتمد عليهم مثل البكرى وغيره .

ومن قواميس اللغة اعتمدت على :

"**لسان العرب** "لمؤلفه جمال الدين محمد بن مكرم الانصارى المعروف بابن منظور المتوفى سنة ٧١١هـ ١٣٢٣م وهو يتكون من عشرون جزءاً وقد أفاد البحث كثيراً فى تعريفات بعض الأسماء لغوياً مثل السوق والحسبة والطراز والصكوك والمكس والقفيز والسكه .. الخ واعتمدت فى البحث أيضا على "**القاموس المحيط** "لمجد الدين محمد بن يعقوب

الفيروذبادى المتوفى ٨١٧هــ ١٤٢٩م وهو يتكون من أربعة أجزاء ويتناول المصطلحات من حيث اللغة فيعرفها مثل كتاب لسان العرب ، واعتمدت كذلك على "**كتاب المخصص**" لأبى الحسن على بن اسماعيل النحوى اللغوى الاندلسى المعروف بابن سيده المتوفى سنة ٤٥٨هــ١٠٧٠م ، واعتمدت كذلك على "**كتاب المغرب فى ترتيب المعرب** "لأبى الفتح ناصر بن على المطرزى المتوفى سنةى ٦١٦هــ ٩٢٨م .

"**اخبار الدول وآثار الأول فى التاريخ** "الذى قام بتاليفه أحمد ابن يوسف القرمانى المتوفى سنة ١٠١٩هــ ١٦٠١م وهو معجم جغرافى يتناول المدن والبلاد حسب ترتيب الحروف الهجائية فيعرفها ويتناول أهم ما يميزها وما تشتهر به من موارد طبيعية وطرق ومسافات ، وقد أفاد البحث كثيراً فيما يختص بمدن إفريقيه التى تناولها فى كتابة رغم وجود هذه المعلومات فى كتب من سبقه وترجع اهمية هذا المصدر إلى إعتماده على كتب الادريسى والبكرى وياقوت ."**آثار البلاد وأخبار العباد** "لذكر يابن محمد بن محمود القزوينى المتوفى ٦٢٨هــ١٢٣٨م وهو من الكتب الجغرافية التى تتناول بالتعريف المدن المختلفة وأهم ما تشتهر به من موارد طبيعية وزراعة وصناعة وتجارة وغيرها ، وقد أفاد البحث فيما جاء به من معلومات هامه عن مدن إفريقية . "**تقويم البلدان**" وكتاب "**المختصر فى اخبار البشر**" وتاريخ ابى الفداء " المتوفى سنة ٧٣٢هــ١٣٤٤م والأول كتاب جغرافى يتناول بشكل مختصر المدن وأهم ما تتميز به من موارد ومسالك وطرق أما الكتاب الثانى فيتناول تراجم حول الخلفاء والقاده والملوك والسلاطين موضحا أهم ما قاموا به من أعمال وتاريخ الميلاد والوفاه وتولى العرش وغيرها وقد أفادا هذا المصدر البحث كثيراً سواء حول تعريف مدن إفريقيه أم التراجم حول الحلفاء الفاطميين وحكام بنى زيرى وغيرهم وترجع أهمية هذين المصدرين إلى اعتماد مؤلفهما على مؤلفات وكتب من سبقوه من المؤرخين والجغرافيين مثل الادريسى والبكرى وابن سعيد وغيرهم ."**كشف القناع عن تضمين الصناع**" لأبى على الحسن بن رحال المعدانى المتوفى سنة ١١٤٠هــ ١٧٢٨م . وهو كتاب يتناول عملية تضمين الصناع لأعمالهم وصناعاتهم وآراء الفقهاء واختلافهم فى عملية التضمين وقد أفاد البحث كثيرا حول ما جاء عن تضمين الصناع والسمسار والدلال ، وترجع أهمية هذا المصدر إلى إعتمادة على من سبقه مثل البوسى وابومحمد عبدالسلام الفاسى وغيرهم .

كما أعتمدت على كتب المؤرخين المحدثين وبعض الأبحاث المفيده التى أثرت البحث فى مجالات شتى ، واعتمد أيضاً على المراجع الأجنبية والمترجمة التى تناولت جوانب مختلفة تخص البحث وكذلك بعض الدوريات العلمية والرسائل العلمية .

الفصل الأول

الفصل الأول

تعريف إفريقية

- حدود إفريقية .
- إقليم إفريقية وأهميته .
- أهم المحاصيل الزراعية .
- الصناعة فى إفريقية .

حدود إفريقية:

تميزت حدود إفريقية خاصة الطوليه بالتمدد وعدم الثبات، وذلك على مدار تاريخها، لاسيما الجانب الغربى منها، ولم تتفق آراء المؤرخين [(١)] على تحديد من أين تبدأ أو إلى أين تنتهى ، وذلك عكس إتفاقهم على تحديد حدها العرضى . وهذا يرجع إلى وجود حاجزين طبيعيين ، هما البحر المتوسط شمالاً ، والصحراء الكبرى جنوباً . ويبدأ حد إفريقية طولاً من مدينة أنطابلس – برقه – شرقاً حتى مدينة قسطنطينية الهواء غرباً، وهى مسافة تقرب من خمس وخمسين مرحلة ، أما حدها العرضى فيبدأ شمالاً من البحر المتوسط ، وينتهى جنوباً

---

(١) ذكر عبدالرحمن بن عبدالله بن عبد الحكم قولين : أحدهما: ما جاء فى خطاب عمرو بن العاص إلى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب "إن الله قد فتح علينا اطرابلس وليس بينها وبين إفريقيا إلا تسعة أيام "وفى موضع آخر ذكر حدود إفريقية تشمل مدينة طرابلس فقال: وكان مستقر سلطان إفريقيا يومئذ بمدينة يقال لها قرطاجنة وكان عليها ملك يقال له جرجير، كان هرقل قد استخلفه فخلع هرقل وضرب الدنانير على وجهه ، وكان سلطانه ما بين أطرابلس إلى طنجة " فتوح افريقيا والاندلس ، تحقيق عبدالله أنيس الطباع ، الشركه العالميه للكتاب ، بيروت ١٩٨٧ ص ٣٣ –٣٥ فتوح مصر وأخبارها الطبعة الأولى ، مطبعة مدبولى ، القاهرة ١٩٩١م ص ١٨٣ أما المقدسى المعروف بالبشارى فقد جعل إفريقية بدءاً من مدينة صبرة واقتطع منها برقة وطرابلس ، وجعلها كورة قائمة بذاتها فقال: " وأما إفريقية فقصبتها القيروان ، ومن مدنها صبرة : أسفاقس .. الخ ، احسن التقاسيم فى معرفة الأقاليم ، الطبعة الثالثه ، مكتبة مدبولى، القاهرة ص ٢١٦–٢١٧ وذكر أبى عبيد البكرى حدود إفريقية فقال : " وحدود إفريقية طولها من برقة شرقاً إلى طنجة الخضراء غرباً ، وإسم طنجة مورطانية وعرضها من البحر إلى الرمال التى هى أول بلاد السودان ، المغرب فى ذكر بلاد إفريقية والمغرب ، مكتبة المثنى ، بغداد ص ٢١-أما شهاب الدين أبى عبدالله ياقوت بن عبدالله الحموى الرومى البغدادى فقال: " وحد إفريقية من طرابلس الغرب من جهة برقة والاسكندرية إلى بجاية وقيل: الى مليانه فتكون مسافة طولها نحو شهرين ونصف" ، معجم البلدان دار الكتاب العربى ، بيروت ، جـ١ ص ٢٢٨، وذكر ابن عزارى المراكشى،أن إفريقية جزء من المغرب بعد تقسيمه فقال " وقسم من إطرابلس وهى بلاد الجريد ويقال أيضاً بلاد الزاب الاعلى، ويلى هذه البلاد بلاد الذاب الاسفل ، وحدها إلى مدينة تيهرت " البيان المغرب فى أخبار الاندلس والمغرب، تحقيق ج.س كولان وليفى بروفنسال ، دار الثقافة بيروت جـ١ ، ص٥ ،٦، أما محمد ابن أبى القاسم الرعينى القيروانى المعروف بابن أبى دينار : فقد ذكر تعريف البكرى وغيره ثم قال : "إفريقية من بلاد المغرب وعند أهل العلم ان اطلق اسم إفريقية فإنما يعنون به بلد القيروان ، وأما أهل السير فيجعلونه اقليما مستقلاً وله حدود ولهم اختلاف فيه ، وإفريقية اوسط بلاد المغرب ، وخير الأمور أوسطها ، كتاب المؤنس فى أخبار إفريقية وتونس ، الطبعة الأولى ، مطبعة الدولة التونسية بحاضرتها المحميه ١٢٨٦ ، ص ١٥ .

حسب قرب أو بعد الصحراء من المناطق العمرانية (١) . وقد ضمت إفريقيـــة (٢) فـــى عهـــد الفاطميين جميـــع المنـــاطق التـــى خضعـــت للحكـــم الاغلبـــى ، فشـــملت تونـــس الحاليـــة وبرقه،وطرابلس،ومنطقة قسنطينة عدا جبل الأوراس الذى خضع للخوارج ثم منطقة الجريـــد ومنطقة القبائل الصغرى وتاهرت وسجلماسة (٣) .

إقليم إفريقية وأهميته :

حظى إقليم إفريقية بأهمية كبرى فى جميع نواحيه ، ففى الناحية الاقتصادية حوى المواد المعدنيه الهامة مثل الحديد، والنحاس ، والذهب ،والفضه ،والرصـــاص، والرخـــام ، بجـــانب

---

(١) عبـــدالواحد المراكشى : المعجب فى تلخيص أخبار المغرب (من لدن فتح الاندلس ص إلـــى اخـــر عصر الموحدين) (مع ما يتصل من تاريخ هذه الفتره من أخبار الشعراء وأعيـــان الكتـــاب) تعليـــق محمد سعيد العريان ومحمد العربى مطبعة الاستقامة ، القاهرة ، ص ٣٤٩ .

(٢) كما إختلفت آراء المؤرخين فى حدود إفريقية اختلفت آراؤهم بشأن تسميتها بهذا الاسم فالبعض منهـــم ذكر اكثر من رأى فى هذا الأمر فقال البكرى: قال قوم انها إفريقية أى صاحبة السماء ،وقال آخرون سميت إفريقية لان افريقس بن أبرهة بن الرايش غزا نحو الغرب حتى انتهى إلى طنجـــة فـــى ارض بربر، وهو الذى بنى إفريقية وبإسمه سميت ،وقيل : سميت بافريق بن إبراهيم عليـــه الســـلام مـــن زوجتة الثانية قطورى ،وقال قوم : انما سموا الأفارقه وبلادهم إفريقية لأنهم من ولد فارق بن مصريم وقد زعموا أن اسم إفريقية ليبيه سميت ببنت يافوه بن يونش الذى بنى مدينة منفيش بمصـــر، وهـــى التى ملكت ملك إفريقية اجمع فسمى بها. وذكر مثله بن أبى دينار فقال : وقبل انما سميت بإفريقيـــة لانها فرقت بين المشرق والمغرب ، ولايفرق بين الأثنين إلا أحسنهما ، وقيل : سميت إفريقية باســـم أهلها وهم الأفارقة : والافارقة من ولد فاروق بن مصرايم وقال آخرون: الأفارقة من ذرية قوط بـــن حام بن نوح عليه السلام ، وغير ذلك من الآراء ، انظـــر البكـــرى : المغـــرب ، ص٢١ يـــاقوت الحموى : معجم البلدان جـــ١ ص ٢٢٨ . أبى العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبى بكر بـــن خلكان : وفيات الاعيان وأنباء ابناء الزمان ، تحقيق احسان عباس ، دار الثقافة، بيروت جـــــ١ ص٥٥ . وانظر ابن أبى دينار : المؤنس ص ١٥ ، ١٦ وانظر ايفـــر : دائرةالمعـــارف الإســـلاميه النسخه العربية إعداد وتحرير إبراهيم زكى خورشيد وأحمد الشنتاوى ود. عبدالحميد يونـــــس ، دار الشعب ، بدون ، ماده إفريقية جـــ٣ ، ص ٥٨١-٥٨٤ .

(٣) حسين مؤنس : معالم تاريخ المغرب والأندلس ، الطبعة الأولى ، دار ومطابع المستقبل ، القـــاهرة سنة ١٩٨٠ ص ٢٢ وانظر الهادى روجى إدريس : الدولة الصنهاجية تاريخ إفريقية فى عهد بنـــى زيرى من القرن ١٠-١٢م ، ترجمة حمادى الساحلى ، الطبعة الأولى ، دار الغـــرب الإســـلامى ١٩٩٢م جـــ١ ص ٤٠ ، ٤١ . وذكر عماد الدين اسماعيل بن محمد بن عمر المعروف بأبو الفـــدا : صاحب حماة حدود إفريقية فقال" وقصر أحمد آخر حد إفريقية من جهة الشرق واول حدبرقه . ويونة على آخر سلطنه بجاية وأول حد سلطنة إفريقية " (تقويم البلدان ، دار صادر ، بيروت ، ص١٤١ ، ١٤٧.فليشر : دائرة المعارف الإسلاميه بونة جـــ٢ ص ٣٣٨ - ٣٣٩ .

الاحجار الكريمة كاللؤلؤ والمرجان ، وأيضاً الاحجار المستخدمة فى المطاحن ، مما ترتب عليه قيام العديد من الصناعات المعدنية الهامة والتى ساعدت على سد حاجته من المصنوعات المختلفة بل وقام بتصديرها إلى المناطق المجاوره له (١) . كما وجدت بمدنه خامات الصلصال والرمال المستخدمة فى صناعة الزجاج ، مما مهد الطريق لقيام الصناعات الزجاجية والفخاريه حتى نافست منتجات غيرها من البلدان، (٢) وتمتع إقليم إفريقية بوجود ثروة حيوانية ضخمة، ممثلة فى الابقار، والاغنام، والماعز، والخيول، والابل ، والتى كانوا يربونها بأعداد ضخمة، بالاضافة إلى الثروة الداجنة مثل: الدجاج، والحمام، والأوز، والكراكى، وغيرهما من طيور الصيد، (٣) كما اختص هذا الاقليم بثروته الزراعية المتنوعة من المحاصيل المختلفة، مثل القمح، والشعير، والغلات، والبقول، والحمص والبسلا ،وغيرها من الأنواع الأخرى، (٤) إلى جانب كثرة أشجار الفاكهة ،والورود، والتى كانت بعض مدنه تحتوى على الف صنف منها، هذا إلى جانب النباتات الطبية(٥) . ولاننسى شهرته الكبيرة من أصناف التمور المتميزة والتى يضرب بها المثل وكانت أكثر جهاتها إنتاجاً هى منطقة الجريد مما جعل إفريقية اكبر مركز لإنتاج التمور فى شمال أفريقيا بل والعالم الاسلامى (٦) .

كما برزت أهمية إفريقية كإحدى القلاع الحربية الهامة المدافعة عن الاسلام ضد هجمات الغرب ،وعمرت مدنها بدور الصناعة والأربطة مثل مدن سوسة وصفاقس (٧)

---

(١) أبى القاسم ابن حوقل النصيبى : صورة الأرض ، دار مكتبة الحياة ، بيروت ، ص ٧٧ وانظر البكرى : المغرب ص ٣٣ و ص ٨٣ و ص ٨٥ .

(٢) أبى الفدا : تقويم البلدان ص ١٤٧ . وانظر أبى العباس أحمد بن على القلقشندى : صبح الاعشى فى صناعة الانشاء ، الجزء الخامس ، نسخة مصورة عن الطبعه الاميرية ص ١٠٨ وانظر جورج مارسيه : بلاد المغرب وعلاقاتها بالمشرق الإسلامى فى العصور الوسطى ، ترجمة محمود عبدالصمد هيكل ، راجعه واستخرج نصوصه د. مصطفى أبو ضيف أحمد ، منشأة المعارف بالاسكندريه سنة ١٩٩١ ، ص ٢٠٨ .

(٣) ابن حوقل : صورة الارض ص ٨٥ ، ٨٦ ، ٩٥ وانظر القلقشندى : صبح الاعشى جـ٥ ، ص١١٣.

(٤) القلقشندى : صبح الاعشى ، جـ٥ ص ١١٢ .

(٥) البكرى : المغرب ص ٣٢، ٤٠ .

(٦) مجهول : الاستبصار فى عجائب الامصار ، تحقيق دوذى فينا ١٨٥٢ ص ٣٦ ، آدم متز : الحضارة الإسلامية فىالقرن الرابع الهجرى ، لجنة التأليف والترجمه جـ٢ ص ٢٥٩ .

(٧) البكرى : المغرب ٢٣٥ ص ٣٦ ، ٣٨ ، ٥٧ . اليعقوبى : صفة المغرب المأخوذة من كتاب البلدان ، طبعة ليدن ، ص ١١ .

وبنزرت[١] فكانت الركيزة الأساسية التى انطلقت منها الجيوش والأساطيل الإسلامية لغزو بلاد الروم ، والجزر الواقعه فى البحر المتوسط [٢] .

ومثل إقليم إفريقية أهمية كبرى للمشرق الاسلامى خاصة فى البدايات الأولى من الفتح الاسلامى، وذلك عن طريق امداده بأعداد كبيرة من الرقيق الذين إستخدموا فى الزراعة، والوحدات العسكرية، هذا إلى جانب الرقيق من النساء اللائى كان لهن وضعاً ممتازا داخل الدولة الاسلامية ، وإفريقية خلال الحكم الفاطمى وبنى زيرى [٣].

ولم تقتصر أهمية إفريقية على تلك النواحى فقط بل كانت أهميتها الدينية والعلمية لا تقل بحال من الأحوال عن ذلك، [٤] فإفريقية " إقليم عظيم جمع المحاسن الجميلة والفوائد الجليلة، والمدن العظيمة، والمزارع الكريمة ،والمياة العزبة ، والفواكه اليابسة ، والرطبة والمبانى المنيفة، والمعادن الشريفة ، والمسارح المعدة للضرع ، والآثار البديعة للزرع ، وجميع ما يحتاج إليه وتقبل النفوس عليه [٥] .

---

(١) زكريا بن محمد بن محمود القزوينى : آثار البلاد وأخبار العباد ، دار بيروت للطباعة والنشر، ١٩٧٩ ص ١٥٩ .

(٢) ابن عزارى : البيان جـ١ ، ص ١٠٣ . ابن ابى دينار : المؤنس ، ص ٣٥ . إبراهيم على طرخان : المسلمون فى اوربا فى العصور الوسطى ، مؤسسة سجل العرب ، الادارة العامة للثقافة بوزارة التعليم العالى ١٩٦٦م ، ص ٨٧ وما بعدها. جورج مارسيه : بلاد المغرب ص ٧١ وما بعدها . الهادى إدريس : الدولة الصنهاجيه ، جـ١ ٢٠٧ ، ٢١١ .

- Trevor Cairns, Barbarians Chirstians and Muslims, Cambridge University press, New Yourk Newrochelle Melbourn Sedney. Page 74.

(٣) ابن عذارى : البيان ، جـ١ ، ص ٢٧،ص ٤٣ . حسن حسنى عبدالوهاب : شهيرات التونسيات ، المطبعة التونسية ١٣٥٣هـ ص ٣١-٣٢ ، ص ٤٧-٤٩ . جورج مارسيه : بلاد المغرب ، ص٢٧ . أرشيبالد لويس : القوى البحرية والتجارية فى حوض البحر المتوسط ٥٠٠-١١٠٠ ، ترجمة أحمد محمد عيسى ، تقديم محمد شفيق غربال ، مكتبة النهضة المصرية ١٩٦٠ ، ص ٢٥٦.

(٤) أبى عبدالله محمد بن حارث بن أسد الخشنى : قضاة قرطبة وعلماء إفريقية ، نشر السيد عزت العطار الحسينى ، مكتبة الخانجى ، القاهرة ١٩٩٤م ، ص ١٧٧ وما بعدها . البكرى : المغرب ص ٢١-٢٢ . ابن عزارى : البيان ، جـ١ ، ص ٦-٨ . ابوزيد عبدالرحمن محمد الانصارى الاسيدى الدباغ : معالم الايمان فى معرفة اهل القيروان ، تحقيق إبراهيم شبوح ، مكتبة الخانجى ، القاهرة ١٩٦٨ ، جـ١ ، ص ٤-٥ . محمد العروسى المطوى : سيرة القيروان ، الدار العربية للكتاب ، تونس ١٩٨١ ، ص ٤٣-٩٥ .

(٥) ابن أبى دينار: المؤنس ، ص ١٦ .

أرض إفريقية الزراعية :

تنوعت الأرض الزراعية [١] بإفريقية فكـــانت منهـــا : الارض الخصبـــة الممتـــازة ، والجيدة، والرديئة ، ووجدت الأراضى الخصبة حيث توفرت مصادر المياه الدائمة كالأنهـــار ، والتى قامت بإمدادها إلى جانب المياه بالعناصر المغذية للتربة من الطمى والمعادن المختلفـــة ، والتى لا غنى للنبات عنها ، وكانت أكثر أراضى إفريقية تتميز بالخصوبة والجودة فمن المدن التى أشتهرت بخصوبة أرضها مدينة قابس والتى جادت بها زراعة الانـــــواع المختلفـــة مـــن النباتات والمحاصيل[٢] . كما تميزت أراضى مدينة جلولا [٣] بخصوبتها ، وجادت بها زراعـــة البقول ،والفاكهة إلى جانب الانواع الاخرى من الرياحين والاشجار، [٤] أما مدينة تونس فقـــد تكونت لها دلتا عظيمة الخصب جادت بجميع الغلات والفاكهة ، وانتشرت بها البساتين والجنات [٥] ومثلت أراضى مدينة الانصاريين أجود أنواع الأراضى الزراعية ، وزرع بها محصـــــول القمح الذى يعد من أحسن وأجود الانواع بها[٦] ، كما جادت الطبيعة على مدينة بونة فحبتهـــا بأرض زراعية خصبة جعلتها من أنزه مدن الاقليم، [٧] وفى الجنوب حيـــث منطقـــة الجريـــد

---

(١) تعتبر احدى أهم المخترعات والاكتشافات التى وفق اليها الانسان وهى ومرحلة هامة نقلت الانســـان من مرحلة الجمع والالتقاط والرعى وانتاج الحيوان إلى مرحله التوطن والاعتماد على النفس وزراعه ما يهمه من المحاصيل وهى مورداً متجدداً وساعدت على قيام القرى والمـــدن وبنـــاء الحضـــارات، يسرى عبدالرازق الجوهرى : دراسات فى جغرافيـــة المـــوارد الاقتصاديـــه ، منشـــاة المعـــارف بالاسكندرية سنة ١٩٧٣ ص ١٠٥ .

(٢) مجهول : الاستبصار ، صـــ٣ . محمد بن عبدالمنعم الحميرى : الروض المعطار فى خبر الاقطـــار ، تحقيق إحسان عباس ، مكتبة لبنان ، بيروت ١٩٧٤م ، ص ٤٥٠ .

(٣) **مدينة جلولا:** إحدى مدن الإفريقية . وهى قديمة البناء أزليه . قيل إفتتحها عبدالملك بن مروان وقيـــل معاويه بن حديج سنه ٤٥هـــ ٦٥٧م . تكثر بها المياة . وتتميز بخصوبة أرضها ، كمـــا تكـــثر بهـــا البساتين المليئة بالاشجار المثمرة بكافة أنواع الفاكهة والثمار, كما تكثر بها أنواع الازهار والرياحين التى يغلب عليها نوع النرجس والياسمين ، وهى إحدى المناطق التى تعتمد عليها مدينة القيروان فـــى إمدادها بالفاكهة وتشتهر إضافة إلى ذلك بكثرة عسلها وطيبه الذى يضرب به المثـــل . أنظـــر ابـــن عبدالحكم : فتوح إفريقيا ، ص ٤٨ ، فتـــوح مصـــر وأخبارهـــا ، ص ١٩٣-١٩٤ . البكـــرى : المغرب، ص ٣٢ . ، مجهول : الأستبصار ، ص٩ . ياقوت الحموى : معجم البلدان ، جـــ٢ ، ص ١٨١-١٨٢. ابن عزارى : البيان المغرب ، جـــ١ ، ص ١٧ - ١٨ . حسين مؤنس : فتح العـــرب للمغرب ، مكتبة الثقافة الدينية ، القاهرة ، ص ١٢٣-١٢٤ .

(٤) البكرى : المغرب ، ص ٣٢ . مجهول : الاستبصار ، ص ٩.

(٥) ابن حوقل : صورة الأرض ، ص ٧٥ .

(٦) المصدر السابق ، ص٤٧ . جورج مارسيه : بلاد المغرب ، ص ٢٠٥ .

(٧) الحميرى : الروض المعطار ، ص ١١٥ . المراكشى : المعجـــب ، ص٣٥١-٣٥٢ . أبـــو الفـــدا : تقويم البلدان ، ص ١٤١.

وجدت الأراضى الخصبة فى مدينة قفصة التى أنتجت جميع المحـــاصيل الزراعيـــه [١] كمـــا تميزت أراضى مدينة بسكرة بخصوبتها، فأنتجت أنواع مختلفة من الغـــلات والمحـــاصيل [٢] وتميزت أراضى مدينة الغدير بخصوبتها، وذلك لقربها من فحص عجيسة. [٣] وفى الشرق من إفريقية حيث تقع مدينة طرابلس التى تعد أرضها من أخصب الأراضى الزراعيـــة بإفريقيـــة خاصة الجانب الذى يمثله فحص سوبجين حيث ضربت لخصوبته الامثال ، وكان يخرج مـــن الحبوب كميات ضخمة، وكان يصاب للحبه به مائة حبه. [٤] أما أراضى مدينة باجة فتأتى فى المرتبة الأولى كأفضل وأجود الأراضى الخصبة ، فهى سوداء مشـــــققه تجـــود بهـــا جميـــع الزراعات حتى أعتبرت مخزناً للغلال لاقليم إفريقية [٥] .

وأما عن خصوبة اراضى مدينة بنى مزغنى [٦] فقد كانت على غاية ما تكون من ناحية الخصوبة. [٧] كما تميزت بعض الأراضى الجبلية بخصوبتها، لتوفر مصادر الرى الدائم لها ، فجبل أسرو من الجبال التى قامت به المدن الخصبة [٨] .

واشتهرت أيضا مدينة القيروان بجودة أرضها الزراعية وخصوبتهـــا العاليـــة خاصـــة الجزء الغربى منها المعروف عندهم بفحص الدرارة فكان يصاب به للحبه مائه حبة، وهو من

---

(١) مجهول : الاستبصار ، ص٣٦ وما بعدها . أبو الفدا : تقويم البلدان ، ص ١٤٣ .

(٢) المصدر السابق ، ص١١٤ .

(٣) المصدر السابق، ص ٥٤ .

(٤) البكرى : المغرب ، ص ٩ .

(٥) نفس المصدر: ص ٥٦-٥٧ .مجهول :الاستبصار ، ص ٤٧ ، ارشيبالد لويس : القوى البحرية ، ص ٣٢٩ .

(٦) **بنى مزغنى** : جزيرة على شاطىء البحر المتوسط مسورة بها عيون مـــــاء يلجــأ إليهـــا التجـــار، وأصحاب السفن، فى تزويدهم بالمياه العزبة، وهى تواجه من الاندلس جزيرة ميورقة، وبها كثيراً من الآثار مما يدل على عظيم أمرها فى القدم، وهى تتصل بفحص متيجه الكبير المساحة ذو الخصوبـــة العالية ، والقرى الكثيرة ، والانهار، وهو نحو مرحلتين ، وللمدينة مرســـى هـــام مـــأمون الملاحـــة يستخدمه الأهالى والتجار فى سفرهم إلى خارج إفريقية ، انظر المقدسى : أحسن التقاسم ، ص٢٢٨، البكرى : المغرب ، ص ٦٦ . مجهول : الاستبصار ، ص٢٢-٢٣ . أبو الفدا : تقويـــم البلـــدان : ص١٣٧ . القلقشندى : صبح الاعشى ، جـ٥ ص ١٠٩-١١٠.

(٧) ابى اسحق إبراهيم بن محمد الفارسى الاصطخرى المعروف بالكرخى : المسالك والممالك ، تحقيـــق محمد شفيق غربال ، محمد جابر ، وزارة الثقافة والارشاد القومى سنة ١٩٦١ ، ص٣٤ .

(٨) مجهول : الاستبصار ، ص ٥٢.

أفضل الأراضى وأحسنها هواءاً، هذا إلى جانب أراضى الساحل (١) والتى انتشرت به زراعات الزيتون (٢) وكانت أراضى مدينه طبنة تتميز بالخصوبة لتوفر مصدر الرى الدائم لها والـــذى أمدها بها نهر بيطام فساعد على تكوين كثير من الفحوص بها، (٣) وبصفة عامة يمكن القـــول أن إفريقية خلال الحكم الفاطمى وبنى زيرى ظلت محتفظة إن لم تكن فاقت ذلـك - بموقعهـا الهام،من حيث شهرتها كأحدى المناطق الزراعية الهامة ذات الانتاج الوفير،خاصة الحبوب(٤) .

واشتهرت أيضا أراضى مدينتى لربس (٥) وأبه (٦) بالخصوبة إلى جانب كثير من قرى إفريقية (٧) .

---

(١) **الساحل** : سمى بهذا الاسم لكثرة الاشجار المثمرة به من الزيتون والكروم وهو قرى كثـــيرة ظـل موجوداً حتى غزو الأعراب لإفريقية فقضوا على جميع الزراعات به وافسدوه . انظـــر : أبومحمـد عبدالله بن محمد احمد التيجانى : رحلة التيجانى ، تقديم حسنى عبدالوهاب ، المطبعـــة الرســمية بتونس سنة ١٩٥٨م.

(٢) البكرى : المغرب ، ص ٢٤ . جورج مارسيه : بلاد المغرب ، ص ٢٠٥ . لويس : القوى البحرية، ص ٣٢٩ .

(٣) نفس المصدر ، ص ٥١ .

(٤) لويس : القوى البحرية ، ص ٣٢٩ .

(٥) **لربس** : مدينة قريبة من القيروان ، على مسيرة ثلاثة أيام ، مسورة ولها ربض كبير. أرضها تمتاز بالخصوبة وتجود بها الزراعة المختلفة خاصة الزعفران ، كما تعرف ببلد العنـــبر. اســتولى عليهـا الفاطميون سنة ٢٩٦هـ / ٩٠٨م ، وقتل أهلها مع فلول جيش الاغالبة داخل مسجدها حتى قيـــل أن الدماء كانت تسيل من أبوابه كالماء . وهى أسفل جبل يسمى بورغ ، وتكثر حولهـــا الأســـواق بهـا الآبار، وعيون الماء ،منها عين رياح، وعين زياد، وهى من أطيب العيون ،وبها معدن الحديد أيضـــا انظر اليعقوبى : صفة المغرب ، ص١٠ . ابن حوقل : صورة الأرض ، ص ٨٦ . المقدسى : أحسن التقاسيم ، ص ٢٢٦-٢٢٧ . البكرى : المغرب ، ص ٤٦.

(٦) **أبه** : مدينة تبعد عن القيروان نحو ثلاثه أيام وتشتهر بزراعه الفاكهه والزعفران،عبدالرحمن ابن ابى بكر جلال الدين السيوطى : مراصد الاطلاع فى اسماء الامكنة والبقاع ، نسخه بدار الكتب المصرية ١٩٣١، ص ٩ .

(٧) ابن حوقل : صورة الأرض ، ص ٨٦ - ٨٧ .

الموارد المائية :

لم تبخل الطبيعة على إفريقية فحبتها بموارد مائية غزيرة ،ومتنوعة ما بيـــن الانهـــار والآبار، والبحيرات ،والعيون مما أدى إلى قيام الزراعة وتنوع المحـــاصيل وزيـــادة الانتـــاج الزراعى ،ولقد اشتهرت أكثر مدن الإقليم بوجود هذه الموارد فمدينة تونس كان بهانهر بجرده وهو من الانهار الكبيره على طريق المغرب [١] وكان لنفزاوه [٢] نهر جار تزين جانبية أشجار النخيل [٣] .

وتميزت بعض المدن بوجود أكثر من نهر بها مثل مدينة قابس حيث ينزل اليها نهران يخترقان غوطتها من الجبل الواقع جنوبها [٤] وهما ينبعان من عين خراره (جاريه) فى جبل ما بين القبله والمغرب ويظل يجرى حتى يصب فى البحر المتوسط [٥] وفى الشرق مـــن مدينـــة بنزرت [٦] يجرى نهر كبير يشقها، وتقع على جانبيه المنازه والبساتين ، ويصب فـــى البحـــر المتوسط [٧] ولجزائر بنى مزغنى نهر أيضاً يخترق فحصيها، [٨] واشـــتهرت مدينـــة طرفـــة القريبة من مدينة مرسى الخرز بنهرها الكبير، والذى استخدم إلى جانب رى الأراضـــى بأنـــه

---

(١) الاصطخرى : المسالك والممالك ، ص ٣٣ .

(٢) **نفزاوة** : من بلاد الجريد، وقيل انها قطر مثل قسطيلية ، بـــه المـــدن، والقصـــور والعمـــائرالكثيرة المتصله الآهله بالسكان، ومن مدنها طره، وهى مسوره، لها غابة كبيرة كثـــيرة النخـــل، والزيتـــون وجميع الفواكه وعاصمتها تسمى بشره وينزلها العمال ، بها قوم من الأفارقة القدم والبربر، تبعد عن قسطيلية ثلاثة مراحل ، انظر اليعقوبى : صفة المغرب ، ص ١٠ -١١ . مجهـــول : الاســـتبصار ص٤٤-٤٥ . القزوينى : آثار البلاد ، ص ٢٧٨ .

(٣) البكرى : المغرب ، ص ٤٧ .

(٤) القلقشندى : صبح الاعشى ، جـ٥ ص ١١٤ .

(٥) مجهول : الاستبصار ، ص ٣ .

(٦) **بنزرت** : إحدى مدن الاقليم الثالث ، وهى ميناء لمدينةتونس ضمن إقليم وسطفوره الذى يضم أيضـــاً مدن متيجه وابنلونه ، وبنزرت هى عاصمة الاقليم ،افتتحها معاوية بن حديج سنة ٤٥هـــ ولها إلـــى جانب نهرها بحيرة كبيرة ، وهى من اكثر المدن انتاجا للأسماك التى تتعدد أنواعهـــا بعـــدد شـــهور السنة، تكثر بها القلاع والاربطة والحصون للدفاع عن الساحل وتقع على مسيرة يومين مـــن مدينـــة تونس ولها أثار قديمة ويحيط بها سور ضخم قديم ، انظر ابن حوقـــل ، صـــورة الأرض ص ٧٥ البكرى : المغرب ، ص ٥٨ . القزوينى : أثار البلاد ، ص١٥٩ ، ابن أبى دينار : المؤنـــس : ص ٢٥ . القلقشندى : صبح الأعشى ، جـــ٥ ، ص ١٠٥ ، حسين مؤنس : فتح العرب للمغـــرب ، ص ١٢٥ .

(٧) البكرى : المغرب ، ص ٥٨ . مجهول : الاستبصار ، ص ١٥ .

(٨) مجهول : الاستبصار ، ص ٢٣ .

أحد الأنهار التى تستخدمها السفن التجارية وذلك حتى باب المدينة، (١) وكان لمدينتـــى بونـــة وباجة نهر يجرى بينهما (٢). وعلى مسافة ميلين أو أقل من مدينة بجاية يقع نهر كبير تتفرع منه عدة أنهر صغيره تستخدم لرى الأراضى الزراعيه بها (٣). ولمدينة سجلماسة نهر يسمى زيز (٤) .

وتميزت مدن إقليم الجريد (٥) بأنهارها الكثيره فكان بمدينة قفصة نهـــران كبـــيران (٦) ولمدينة توزر (٧) نهر أيضا يستخدم فى الزراعة (٨) ولمدينة المسيلة (٩) نهر كبير يجرى فـــى الجانب الغربى منها ويسمى نهر سهر، أو سهور ، وهو ينبع من عيون ماء داخل مدينة غدير واروا ويستمر فى جريانه حتى يدخل الصحراء ويغوص فيها (١٠) .

---

(١) مجهول : الاستبصار ، ص ١٦ .

(٢) أبو الفدا : تقويم البلدان ، ص ١٤١ .

(٣) البكرى : المغرب ص ٥٠ . مجهول : الاستبصار ص ٢١ .

(٤) اليعقوبى : صفة المغرب ، ص ٢١ .

(٥) **اقليم الجريد** : سمى بهذا الاسم لكثرة زراعة اشجار النخيل به ، وهومدن كثيرة وأقطـــار واســـعه وعمائرمتصله ، كثيرة الخصب وتكثر به زراعة الزيتون والفاكهة أيضا. وجميع الخيرات وهو أخـــر بلادإفريقية على طرف الصحراء ويشتهر بكثرة المياه والعيون .وأول مدن الاقليم على البحر المتوسط مدينة قابس . انظر مجهول : الاستبصار ص ٣٦ .

(٦) البكرى : المغرب ص ٤٧ .

(٧) **توزر** : عاصمة إقليم قسطيلية ، كبيرة قديمة البناء لها سور من الحجارة والطوب ، وتكـــثر حولهـــا الارباض الواسعة ، بها اربعة أبواب وهى أكثر المدن انتاجا للتمر . انظر : مجهول : الاســـتبصار ص ٤١-٤٢ .

(٨) القلقشندى : صبح الاعشى ، جـ٥ ، ص ١٠٦ .

(٩) **المسيلة** : بناها على بن حمدون الاندلسى سنة ٣١٣هـ - ٣١٥هـ / ٩٢٥م - ٩٢٧م فـــى عهـــد عبيدالله المهدى ، فى وسط أرض البربر من بنى برزال وبنى كهلان على مقربة من هـــوارة وهـــى حصينة عليها سوران بينهما جدول ماء يلتف حولها وهى قرب مدينة قديمة تسمى الرمانية يطل عليها جبل الأوراس وهومساكن هواره الخوارج ومستقر الكاهنه كثيرة الماشية والزراعة حولها بربر مـــن بنى برزال وبنى زنداج ، وبالقرب منها مدينتى القباب وبشليقه ، وهى عاصمة إقليم الزاب . انظر : ابن حوقل : صورة الارض ، ص ٨٥ . ابن عزارى : البيان ، جــــ١ ، ص ١٩٠ ، ٢١٤، ٢١٥ . أبو الفدا : تقويم البلدان ، ص ١٣٩ .

(١٠) البكرى : المغرب ، ص ٥٩ - ٦٠ . القلقشندى : صبح الاعشى ، جـ٥ ، ص ١٠٧ .

واشتهرت مدينة مقرة بأنها ذات أنهار [١] كما أشتهرت مدينة طبنـــة [٢] بنهرهـــاالكبير الذى يسمى بيطام، وهومن الانهار الكبيرة ، التى تتميز بفيضانها [٣] وهو يشق غابتها وتتفـــرع منه أنهر صغيره (جداول) كثيرة يعتمد عليها أهلها فى شربهم وفى رى أرضهم الزراعيـــه [٤]. ومن الانهار الكبيرة نهر مدينة بسكره [٥] الذى ينبع من جبال الاوراس [٦] ويبلغ طولـــه ســـته أميال ويخترق قراها وغابتها [٧]. وتعتبر جبال الاوراس أحد الخزانات الهامه للميـــاه بإفريقيـــة وتمد مدن إفريقية بالانهار وهى تبعد عن القيروان مسيرة ستة أيام وعاصمته تسمى شروس[٨].

---

(١) البكرى : المغرب ، ص ٥١ .

(٢) **طبنة** : عاصمة إقليم الزاب ينزلها الولاة واهلها أخلاط من الناس من قريش والعرب والعجم والبربر والروم والافارقه . انظر اليعقوبى : صفة المغرب ، ص ١١ .

(٣) البكرى : المغرب ، ص ٥١ .

(٤) أبو الفدا : تقويم البلدان ، ص ١٣٩ .

(٥) **بسكرة** : إحدى مدن الزاب وقيل انها العاصمه ، تشتهر بانتاجها الضخم مـــن التمـــر ذو الاجنـــاس المختلفة تكثر بها آبار المياه العزبه وهى دار فقه وعلم ، آهله بالسكان ، عليهـــا ســـور وخنـــادق ، وبهامساجد وحمامات كثيرة ، ولها ثلاثة أبواب ، وتشتهر أيضاً بتجارةالملح وبها بربر من مغـــراوة وسدراته وأهلها على مذهب أهل المدينة ومن أبوابها باب المقبره ، باب الحمام وباب ثالث ، وسكانها من المولدون ، وبها كثير من المدن مثل جمونه وطولقه وميليلى وبنطيـــوس . انظـــر : البكـــرى : المغرب ، ص ٥٢ . الحميرى : الروض ، ص ١١٣ . القلقشندى : صبح الاعشـــى ، جـــ٥ ، ص ١٠٧ .

(٦) **جبال الاوراس** : يسمى أيضا جبل المصامده ودرن وجزوله وبايكيست ، وهو موطن الـــبربر مـــن لواته ، كما يسمى أيضاً جبل نفوسة ، يشق بلاد المغرب وإفريقية كما تكثر بها المعادن وكان موطنا للعديد من قبائل البربر مثل اوربه وجراوه وهواره وكتامه ولواته ونغزاوه قبل الفتح الإسلامى وكانت قبائل لواته وضريسه يقيمون فى منطقه الهضاب قرب مدينة باغايه وكانوا يرحلون شتاء للصحـــراء لحماية ابلهم من التقلبات الجوية ومثلت هذه الجبال مكاناً مركزياً لثورات البربر مثل الكاهنة فى عهد حسان بن النعمان وأبى يزيد فى عهد القائم الفاطمى ، ولم يستطع الفاطميون السيطرة على هذا الجبل لمنعته الطبيعية وأرسل المهدى جيوشه فى محاولة منه لغزو نفوسه سنة ٣١٠ هـــ ٩٢٢م لكنها لاقت الهزيمة على يد أهالى نفوسه ثم حاول بعدها فى العام التالى لكنه لاقى الهزيمة للمـــرة الثانيـــة. أبـــو الربيع عبدالسلام الوسيانى : سير أبى الربيع ، مخطوط ورقه ٢٧ . أبو زكريـــا : الســـيرة وأخبـــار الأئمة ، مخطوط ورقه ١١٧ ، البكـــرى : المغـــرب ، ص٩ . مجهـــول : الاســـتبصار ، ص ٥٠ الحميرى : الروض المعطار ، ص ٧٦-٧٧ . عبدالواحد ذنون طه : استيطان القبائل البربريـــة فـــى شمال إفريقية ، حوليات الجامعة التونسية ، تونس ١٩٨٠ ، جـــ ١٨ ، ص ٢٨٩ - ٢٩١ .

(٧) أبو الفدا : تقويم البلدان ، ص ١٣٩ .

(٨) البكرى : المغرب ، ص ١١ .

ولمدينة الخضراء نهر كبير يتميز بالفيضان فى بعض الاوقات ولقريه مجدول غدير يسمى بحيرة مجدول [١] .

ولمدينة تهودة [٢] نهر كبير ينصب اليها من جبال الأوراس [٣].وتعتبر مدينه نفطة [٤] أكثر مدن قسطيلية من حيث كثرة المياه حتى قيل ان جميع شرب قسطيليه يوزن إلا نقطه فإن شربها جزاف بغير وزن [٥] ويعتبر نهر شلف [٦] من أشهر أنهار إفريقية وهو يمد كثيراً من المدن والقرى الواقعة على ضفتيه بحاجتها من المياه [٧] .

---

(١) البكرى : المغرب ، ص ٧٥ .

(٢) **تهوده** : إحدى مدن إفريقية الأهلة بالسكان ، ويطلق عليها مدينة السحر، وهى كثيرة الثمار والنخيل والمزروعات ، قديمة البناء ، تشتهر بالتجارة وكثرة الأموال ، وتكثر حولها الأرباض التى يحيط بها خندق مستدير حول المدينة بها جامع جليل ، ومساجد كثيرة وأسواق وفنادق ، سكانها من العرب وقوم من قريش، كما تكثر حولها البساتين المليئة بأصناف النباتات والثمار، ويلتف حولها أكثر من عشرين قرية ، قريبة من مدينة بسكرة ، رويت عنها أحاديث كثيرة منسوبة إلى النبى صلى الله عليه وسلم والتى نهى فيها عن سكنى هذه أتمدينة وهى المدينة التى استشهد بها عقبة بن نافع مع باقى جيشه على يد كسيله الأوربى عقب عودته من غزو المغرب الأقصى وهى أرض لقبيلة تهوده البربرية . انظر : ابن عبدالحكم : فتوح أفريقيا والأندلس ، ص ٥٨ –٥٩ . أبو العرب محمد بن أحمد بن تميم القيروانى : طبقات علماء إفريقية وتونس ، تحقيق على الشابى ونعيم حسن ، الدار التونسية للنشر ص ٥٩–٦٠ . البكرى : المغرب ، ص٧٢–٧٣ . ابن عذارى : البيان ، جـ١ ، ص ٢٨–٣٠ . صفى الدين عبدالمؤمن عبدالحق البغدادى : مراصد الإطلاع على اسماء الأمكنة والبقاع ، وهو مختصر معجم البلدان لياقوت الحموى ، تحقيق على محمد البجاوى ، دار المعرفة ، بيروت ١٩٥٤جـ١ ، ص ٢٨٣ . حسين مؤنس : فتح العرب ، ص ١٩٩ . احمد صليحه : تونس، منف للنشر والخدمات الإعلامية ، القاهرة ، ص ٥٥ : ٦٠.

(٣) البكرى : المغرب ، ص ٧٢ .

(٤) **نفطة** : إحدى مدن قسطيليه قديمه البناء خصبه تكثر بها الزراعه وأهلها من بقايا الروم انظر مجهول : الاستبصار ، ص ٤٣ .

(٥) البكرى : المغرب ، ص ٧٤–٧٥ .

(٦) **نهر شلف** : نهرصغير يجرى من الجنوب إلى الشمال حتى جنوبى مدينة الجزائر ثم يسير غربا بحزاء الساحل ويصب فى البحر المتوسط قرب مدينة وهران ، وهو ينبع من جبال الأوراس وهو الحد الفاصل بين إفريقية والمغرب الاوسط . انظر :حسين مؤنس : معالم تاريخ المغرب والاندلس، ص ٢٢ ، ٤٨ .

(٧) ابن حوقل : صورة الارض ،ص ٨٩ .

أما نهر تناتين وهو نهر مدينة تنس فيجرى اليها من جبال الأوراس ،على مسيره يـــوم من القبلة، ويدور حولها من ناحية الجوف ،والشرق، ويصب فى البحر المتوسط. (١) ويعتـــبر نهر مدينة متيجه (٢) من الانهار الهامة كثيرة الأستخدام فلا يكتفى أهل المدينة برى ذراعـــاتهم منه فقط ، بل ينشئون عليه الأرحاء ، وتتفرع منه شعبه إلى داخل المدينة حيث يستغلها أهلهـــا فيما يحتاجون.(٣) وعلى الطريق من القيروان إلى قلعة أبى طويل كثيراً من الانهار تعتمد عليها مدينتى تبسا (٤) وسبيبه خاصة نهر ملاق والذى تقع على الضفه الشرقية منه مدينة تبسا(٥) .

كما كثرت الأنهار بإقليم الزاب (٦) الذى يعد أحد الاقسام الثلاثة التى يتكون منها إقليم

---

(١) البكرى : المغرب ، ص ٧٢ .

(٢) **متيجة** : بلد واسع به عدة مدن وحصون ، وهو بلد زرع وعمارة ، وتكثر بها البساتين والمياه ، كما يقال لها قزرونه. وهى تقع على الطريق من أشير حتى مدينة جزائر بنـــى مزغنـــى، ومـــن اكـــثر محاصيلها الزراعيه الكتان وتقوم بتصديره إلى خارجها انظر اليعقوبى : صفـــة المغـــرب ، ص ١٣ المقدسى : أحسن التقاسيم ، ص ٢٢٨ البكرى : المغرب ، ص ٦٥ .

(٣) المقدسى : أحسن التقاسيم ، ص ٢٢٨ .

(٤) **تبسا:** من المدن القديمة البناء :تكثر بها المبانى ، والآثار التى تدل على عظم مكانتها قديما فهىالمدينة الثانية ، بعد قرطاجنة كما تدل بذلك آثارها مثل دار الملعب، والهيكل الذى يظهر كأنه حديث البناء ، وإلى جانبها وادى ملاق الذى يقل ماؤه صيفاً وهو صعب المجاز، وعليه جبل يسمى ملاق أيضاً وهو شاق العلو يرى من على مسيرة أيام ، وبالقرب منها جبل يسمى بالكتف ، وهى تقع على الطريق من القيروان إلى مدينة قلعة أبى طويل انظر البكرى : المغرب ، ص٤٩ . مجهول : الاســـتبصار ، ص ٤٩-٥٠ .

(٥) البكرى : المغرب ، ص ٤٩ .

(٦) الزاب: إقليم يقع على طرف الصحراء ، وهو يشبه إقليم الجريد ويتميز بارتفاع درجات الحرارة به ، كما تكثر به الخلجان وتكثر به المدن والعمائر المتصلة وهو كثير المياه من الانهار والعيون ويبعـــد عن القيروان مسافة عشرة مراحل ،ومن مدنه الهامة باغاية وهى قديمة البناء وبها قبائل من الجند إلى جانب أناس من خراسان ، وعجم ، من بقايا الروم ، وحولها قبائل بربرية من هوارة بجبل الأوراس ومن مدنه أيضا المسيلة ونقاوس ، وطبنه ، وبسكرة وتاهودة وغيرها امتدح الشاعر الأندلســـى ابـــن هانئ الزاب وواليه جعفر بن على بن حمدون قائلاً :

ورأيت حولـــــى وفد كل قبيلة ... حتى توهمت العراق الزابا

أرض وطئت الدر رضراضا بها ... والمسك ترباوالرياض حبابا

وسمعت فيها كل خطبه فيصـل ... حتى حسبت ملوكها أعرابا

اليعقوبى : صفة المغرب ، ص ١١ . التيجانى : رحلة التيجانى ، ص ٢٨١ -٢٨٢ .

إفريقية [(١)] ولمدينه تاهرت [(٢)] نهران كبيران يعتمد عليهما الاهالى اعتماداً كبيرا ،سواء فى شربهم ،أو لرى زراعاتهم ، وأحد هذان النهران يأتى إليها من ناحية القبلة ، ويسمى نهر منية والآخر: يأتيها من جهة الشرق وينبع من عيون تسمى تاتش، [(٣)] ومن أنهار إفريقية الهامه نهر سيرات ، الذى يجرى تحت قلعة هوارة وله فحص -وادى- يسمى باسمه ويبلغ طوله نحو الاربعين ميلاً [(٤)] وبين مدينتى المسيلة واشير يوجد نهر جوذة ويوجد لمدينة مليانه [(٥)] نهر كبير

---

(١) مؤنس : معالم ، ص ٤٨ .

(٢) **تاهرت** مدينتان القديمه على مسافه خمسة أميال من الحديثة ، وللحديثة أربعة أبواب هى الصفا والمنازل والأندلس والمواجن ، وهى على سفح جبل جزول ولها قلعه تسمى المعصومة وهى كثيره الثلج والامطار والبرد حولها كثير من قبائل البربر من لواته وهواره وزواغه ومطماطه وزناته ، تم بناءها بعد ١٤٠هـ / ٧٥٢م ، وصارت عاصمة الدولة الرستمية التى أنشأها عبدالرحمن بن رستم وكان أخر ملوكهم يقظان ابن أبى يقظان حيث قتل على يد ابو عبدالله القائد الفاطمى سنة ٢٩٦هـ/٩٠٨م ، وكانت مفرده فى الدواوين قديماً ، ولها أسواق كثيره عامه واثنا عشر حماماً وقيل أنها أخر حد إفريقية وكان عقبه قد افتتحها فى حملته الثانيه على المغرب وكان أول من تولاها للفاطميين أبوحميد دواس اللهيصى وقد استحسن الإباضية موقع هذه المدينة الذى كان ملكاً لبربر صنهاجة والذين رفضوا بيع هذا المكان ولكن فى نفس الوقت قاموا باعطائه للإباضية نظير استصلاحه وان يكون لهم نصيب فى خراجه ثم شرع الإباضية فى ازاله الاجسام والشجر وقاموا باختطاط المدينة واستعانوا فى ذلك بما كان يأتى اليهم من أموال إباضية طرابلس وقد افتتحها ابوعبدالله الشيعى وهو فى طريقه الى مدينة سجلماسة حتى يؤمن ظهره ويخرج الخليفه الفاطمى عبيدالله وابنه من السجن وبذلك قضى على حكم الدولة الرستميه ثم قام جيشه بسلب المدينة.أبو زكريا يحيى ابن ابى بكر : كتاب السيرة واخبار الأئمة ، مخطوط ٩٠٣٠ ورقه ١١ -١٣-١٤ - ٣٦-٣٧ . أبو العباس احمد بن سعيد الدرجينى : طبقات المشايخ بالمغرب ، تحقيق إبراهيم طلاى ، القاهرة ١٩٧٤ ، جـ١ ، ص ٩٤-٩٥ .

اليعقوبى : صفة المغرب ، ص ١٤ . الاصطخرى : المسالك والممالك ، ص ٣٤ . ابن حوقل : صورة الأرض ، ص ٨٦ ، ٩٣ . ابن عزارى : البيان ، جـ١ ، ص ٢٥ ، ص ٩٧-١٩٨ . أبو الفدا : تقويم البلدان ، ص١٣٩ . القلقشندى : صبح الاعشى ، جـ٥ ، ص ١١١ . القزوينى : اثار البلاد ، ص ١٦٩ .

Georges Marcais : دائرة المعارف الإسلامية ، مادة تاهرت ، جـ٩ ص ١٦٠-١٦١ .

(٣) البكرى : المغرب ، ص ٤٤ .

(٤) نفس المصدر ، ص ٦٩-٧٠ .

(٥) **مليانة** : مدينة كبيرة قديمه البناء يرجع بنائها إلى زمن الروم ، حصينه تقع على جبل زكار وتتميز بالخصوبه وكثرة منتجاتها الزراعيه قام بتجديد عمارتها زيرى بن مناد الصنهاجى ، وهى تشرف على كثير من القرى والفحوص الواسعة ويكثر حولها البربر وجبلها يتميز بالخضرة صيفاً وشتاءً انظر مجهول : الاستبصار ، ص ٥٩ . القزوينى : آثار البلاد ، ص ٢٧٣ .

تطحن عليه الارحاء [١].وإلى جانب الأنهار وجدت موارد مائية منها البحيرات والآبار والعيون والمواجل ، والتى استغلت مياهها استغلالا جيداً سواء للشرب أم للرى، ومن المناطق التى وجدت بها عيون الماء جزيرة صغيرة بين مدينتى توزر ونفزاوه وهى من العيون العزبة التى أستخدمت فى تزويد المسافرين على هذا الطريق بمياه الشرب، [٢].ولمدينه المسيلة عينان ماء ثرتان شديدتا العمق لايدرك لهما قعر يسميان : عين سليمان، والأخرى تالانتيرغ ، كما اشتهرت مدينة غدير وارو بعيون مياهها الغزيرة منها عين مخلد ومن هذه العيون كان منبعث نهر سهر الشهير. [٣].ولمدينة ميله عيون ماء منها: عين أبى السباع وهى تقع بجانب أحد أبواب المدينة ، وهى عين مجلوبة تحت الأرض من جبل بنى ياروت ، وقد أجرى الأهالى منها ساقية تشق سوقهم ويتحكمون فى مياهها، فإذا قل الماء صيفاً قاموا باجراء المياه بها يومان اسبوعيا هما: السبت ، والاحد ، وتوجد بها عين ماء أخرى شديدة السبرودة وتستخدم مياهها فى علاج المرضى المحمومين ويطلق عليها عين الحما. [٤] ولمدينة مذكود عاصمة إقليم قمونية آبار عزبة الماء ، بعيدة الرشاء ، ولقرية جمونس الصابون القريبة من مذكود آبار ماء، تتميز بالعزوبه [٥] .

ولمدينة بونة عين ماء عزبة على ساحل البحر، منقورة فى الصخر، وكان اعتماد أهلها عليها فى شربهم . [٦] ومن المدن التى انتشرت بها عيون الماء والصهاريج مدينة قرطاجنة (قرطاج) [٧] منها العين المسماة عين جفان ، وهى من أحسن العيون ، وكان عبيدالله المهدى

---

(١) البكرى : المغرب ، ص ٦٠-٦١ .

(٢) مجهول : الاستبصار ، ص ٤٥ .

(٣) البكرى : المغرب ، ص ٥٩-٦٠ .

(٤) نفس المصدر ، ص ٦٤ .

(٥) نفس المصدر ، ص ٧٥ .

(٦) الحميرى : الروض المعطار ، ص ١١٥ .

(٧) **قرطاجنة** (قرطاج) عاصمة إفريقية قديماً قبل الإسلام وهى من أعظم المدن بها ويرجع بنائها إلى زمن داود عليه السلام بينها وبين روما سبعين عاما بها كثير من الآثار التى تدل على عظمتها ، قيل خربها عبدالله بن سعد بن أبى سرح حين غزا إفريقية بعد أن صالح أهلها على جزيه مقدارها ثلاثمائه قنطار ذهباً وعاد إلى مصر سنه ٢٧ هـ وقيل خربها حسان بن النعمان سنة٧٩هـ بعد أن فتحها وهزم الروم بها وهى على عشرة أميال من مدينة تونس وميناؤهما واحد يسمى رادس ، كان ملكها قديماً يسمى أنبيل حارب الروم وانتصر عليهم لكنه هزم فى النهايه على يد القائد شبيون الذىخرب المدينة ، وعلى أبوابها صور لجميع الحيوانات كما صور على حيطانها الصناع ممسكون بالاتهم بها كثيرا من المبانى الاثريه مثل قصرى الأختين من الرخام الذى لا يشبه بعضه بعضاً وبها قصر أخر على البحر يسمى قومس ، وكانت تعتمد فى حروبها على الجند المرتزقه خاصه ضد روما ، وكانت

٢٩٧-٣٢٢هـ ٩٠٩-٩٣٤م يأمر السقائين بحمل كميات كبيرة من مياهها إلى قصره، ثم قام ببناء قناة تحمل المياه فيها إلى قصره مباشرة ، ووجدت بها المواجل : منها ما عرف بمواجل الشياطين وهى مكونه من ثمانيه عشر صهريجاً بعضها فوق بعض ويبلغ إرتفاعها مائتى ذراع وعمقها ستة قيام ، وكان يسمع لمائها عند سقوطه دوى هائل (١) وعلى ساحل البحر بمدينة جزائر بنى مزغنى وجدت عين ماء عزبة اعتمد عليها أهلها فى سد حاجاتهم منها من المياه(٢).

كماوجدت بمدينة غدامس (٣) عين ماء ازليه قديمة البناء وتفيض منها المياة، وتستخدم فى الشرب ورى الأراضى الزراعية (٤) وبمدينه طرابلس جباب للمياه بنيت فوقها السواقى (٥) كما وجدت بمدينه بنزرت بحيرة للماء العذب صغيرة المساحة وتقع فى الجزء الجنوبى منها،وتبلغ مساحتها أربعة أميال فى مثلها وكان فى الجانب الشرقى منها بحيرة أخرى مالحة المياه، وهى أكبر مساحة من العذبه (٦) وعلى مسيرة يوم عن بونة فى الجانب الغربى من المدينة وجدت

= حكومتها مكونه من الاستقراطيين من التجار وأصحاب المزارع وقادة الجيش بدأ نجمها يعلو بعد خراب مدينة صور وسقوطها فى يد الاشوريين ، وكان يطلق عليها أيضاً سبيطله انظر : اليعقوبى : صفة المغرب ، ص١٠ . أبو محمد احمد بن اعثم الكوفى : كتاب الفتوح ، الطبعة الأولى ، دار الندوة الجديدة ، بيروت ، ص ١٣٥ -١٣٧ . البكرى : المغرب ، ص٤١-٥٤ . ابن عزارى : البيان ، جـ١ ، ص ١٣٤ . أبو الفدا : تقويم البلدان ، ص ١٤١ . سراج الدين ابى حفص ابن عمر ابن الوردى : خريدة العجائب وفريدة الغرائب ، مطبعة مصطفى البابى الحلبى واولاده ، القاهرة ١٩٣٩ص٢٥ ، احمد ابن يوسف القرمانى : اخبار الدول واثار الاول فى التاريخ ، تحقيق احمد حطيط ، د. فهمى سعد ، عالم الكتب ، بيروت جـ٣ ،ص ٤٣٥ . ابن ابى دينار : المؤنس ص ١٨ وما بعدها . احمد صليحه : تونس ، ص ٤١-٤٢ .

(١) البكرى : المغرب ، ص ٤٤ . مجهول : الاستبصار ، ص ١٤ .

(٢) ابن حوقل : صورة الارض ، ص ٧٨ .

(٣) **غدامس** : اسمها البربرى القديم سيداموس ، وهى إحدى واحات مدينة طرابلس وهى قديمة لا يعرف زمن بناؤها، دخلتها الديانه المسيحية زمن البيزنطيين ؛ وكانت تخضع للروم حتى دخول الإسلام إفريقية ، انتشر بها المذهب الاباضى فى أوائل القرن الثانى الهجرى ، يعتمد اغلب سكانها على التجاره مع مصر والسودان وطرابلس. افتتحها عقبه بن نافع سنة ٤٢هـ وسنه ٤٩هـ.انظر ابن عبدالحكم : فتوح افريقيا ، ص ٥٣ . عز الدين أبى الحسن على ابن ابى الكرم محمد بن محمد بن عبدالكريم : أسد الغابة فى معرفة الصحابة ، تحقيق محمد إبراهيم ، دار الشرق القاهرة ، ١٩٧٠ جـ٤ ص ٦٠ . القزوينى : آثار البلاد ، جـ٣ ص٤٢٧ . أحمد صليحه : تونس ، ص ٨٧-٨٨ .

(٤) القلقشندى : صبح الاعشى ، جـ٥ ، ص ١٠٨ .

(٥) أبو الفدا : تقويم البلدان ، ص ١٤٧ . القلقشندى : صبح الاعشى ، جـ٥ ، ص ١٠٥ .

(٦) أبو الفدا : تقويم البلدان ، ص ١٤٣ . القلقشندى : صبح الأعشى ، جـ٥ ، ص ١٠٥ .

بحيرة ماء بها [١].كما انتشرت مواجل الماء بنواحى إفريقية ، فكانت القيروان تشـتهر بهـذه المواجل ، وبخارجها خمسة عشر ماجلاً بنيت فى فترات متعدده، ومنها ما تم بناؤه فى عهد

بنى أميه خاصه عهد هشام بن عبدالملك ١٠٥-١٢٥هـ ٧١٧-٧٣٧م [٢] ومنها ما تم بنـاؤه زمن الأغالبة خاصة زمن احمد بن الاغلب [٣] وهو أعظمها وكان بباب تونس بـالقيروان [٤]. كما أنتشرت الابار والصهاريج بمدينة تونس أيضاً [٥].أما المهدية فقد كانت اكثر المـدن مـن حيث عدد المواجل ، وكان عددها يبلغ نحو ثلاثمائة وستون مـاجلاً. [٦] واعتمـدت جزيـرة شريك[٧] على ما بها من الآبار ولمدينة أجدابيه [٨] آبار ماء منقوره فى الجبل ، تتمـيز إلـى

---

(١) البكرى : المغرب ، ص ٥٨ .

(٢) **هشام بن عبدالملك** : يكنى ابو الوليد بويع بالخلافة سنة ١٠٥هـ حتى ١٢٥هـ - ٧١٧م ٧٣٧م كان حازما عاقلاً بخيلاً حسوداً للناس . فيه غلظة شديد القسوة بعيد الرحمة طويل اللسان ، أحول حسـن الحول توفى بالرصافه من أرض قنسرين فى ربيع الأول سنة ١٢٥هـ ٧٣٧م وكانت مـدة خلافتـه تسعة عشرة سنة وخمسة أشهر ودفن بهاءابى محمد عبدالله ابن مسلم ابن قتيبة الدينورى : الأمامـه والسياسة (تاريخ الخلفاء) ، تحقيق على شيرى ، الطبعة الاولى ، دار الاضواء ، بيروت ، ١٩٩٠ جـ٢ ، ص ١٤٢ -١٤٣ ، شهاب الدين إبراهيم ابن أبى الدم الحموى : التاريخ الإسلامى المعروف باسم التاريخ المظفرى ، جـ١، تحقيق حامد زيان ، دار الثقافه للنشر والتوزيـع ، القـاهرة سـنة ١٩٨٥ ص ٣٠٦ ، ٣٢٨ ، ابن خلكان : وفيات الاعيان ، جـ٤ ، ص ٢٣٨ - ٢٣٩ .عماد الديـن ابوالفدا إسماعيل بن كثير الدمشقى : البدايه والنهاية ، مكتب تحقيق الـتراث ، دار احيـاء الـتراث العربى بيروت سنة ١٩٩٣م جـ٩ ، ص ٣٨٣ -٣٨٦ ، جلال الدين السيوطى : تـاريخ الخلفـاء ، دار المعرفة ، بيروت ١٩٩٧ ، ص ٢١٨-٢٢٠ .

(٣) **أبو إبراهيم احمد بن محمد بن الاغلب** : تولى حكم إفريقية وله من العمر عشرون عامـاً وكـان حسن السيرة ، كريم الاخلاق ، والافعال ، من أجود الناس واسمحهم، وأرفقهم بالرعية ، تميز بتدينه واجتنابه للمظالم . كان سخياً ، يعطى الضعفاء والمساكين، بنى ماجل مدينة القـيروان سنة٢٤٨هـ ٨٦٠م توفى فى ذى الحجة من سنه ٢٤٩هـ ٨٦١م. وكانت مدة ولايته سبع سنين وعشرة أشـهر، وله من العمر ثمانية وعشرون عاماً . أنظر البكرى : المغرب ص ٢٦ . ابن عزارى : البيان جـ١ ، ص ١١٢ -١١٣ . ابن أبى دينار : المؤنس ص ٤٩ .

(٤) البكرى : المغرب ، ص ٢٦ . مجهول : الاستبصار ، ص ٥ . أحمد صليحه : تونس ، ص ١٠٢.

(٥) القلقشندى : صبح الاعشى ، جـ٥ ص ١٠٢ .

(٦) مجهول : الاستبصار ، ص ٨ .

(٧) **جزيرة شريك** : تنسب إلى واليها شريك العبسى .وعاصمتها مدينة منزل باشو وهى كبيرة المسـاحة بها جامع وحمامات ، وثلاث رحاب وأسواقها عامرة ، تجمع بها الروم عقب دخول عبدالله بن سـعد بن ابى سرح إفريقية وانتقلوا منها إلى إقليبيه. وما حولها ثم إلى جزيرة قوسره وأقـاموا بهـا حتـى خلافة عبدالملك بن مروان ، غزاها عبدالملك بن قطن عن طريق البحر وخرب وفتح بهـا وتبعـد عاصمتها عن تونس نحو مرحلة ، كما افتتحها حنش بن عبدالله الصنعانى فى إمـارة أبـى المهـاجر دينار. انظر اليعقوبى : صفة المغرب ، ص٣ . المقدسى : أحسن التقاسيم ، ص٢٢٧ . البكـرى : المغرب ، ص ٤٥ . ابن ابى دينار : المؤنس ، ص ٢٦ .

بحيرة ماء بها [١].كما انتشرت مواجل الماء بنواحى إفريقية ، فكانت القيروان تشتهر بهذه المواجل ، وبخارجها خمسة عشر ماجلاً بنيت فى فترات متعدده، ومنها ما تم بناؤه فى عهد

بنى أميه خاصه عهد هشام بن عبدالملك ١٠٥-١٢٥هـ ٧١٧-٧٣٧م [٢] ومنها ما تم بناؤه زمن الأغالبة خاصة زمن احمد بن الاغلب [٣] وهو أعظمها وكان بباب تونس بالقيروان [٤] كما أنتشرت الابار والصهاريج بمدينة تونس أيضاً [٥] أما المهدية فقد كانت اكثر المدن من حيث عدد المواجل ، وكان عددها يبلغ نحو ثلاثمائة وستون ماجلاً. [٦] واعتمدت جزيرة شريك[٧] على ما بها من الآبار ولمدينة أجدابيه [٨] آبار ماء منقوره فى الجبل ، تتميز إلى

---

(١) البكرى : المغرب ، ص ٥٨ .

(٢) **هشام بن عبدالملك** : يكنى ابو الوليد بويع بالخلافة سنة ١٠٥هـ حتى ١٢٥هـ - ٧١٧م ٧٣٧م كان حازما عاقلاً بخيلاً حسوداً للناس . فيه غلظة شديد القسوة بعيد الرحمة طويل اللسان ، أحول حسن الحول توفى بالرصافه من أرض قنسرين فى ربيع الأول سنة ١٢٥هـ ٧٣٧م وكانت مدة خلافته تسعة عشرة سنة وخمسة أشهر ودفن بها ابى محمد عبدالله ابن مسلم ابن قتيبة الدينورى : الأمامه والسياسة (تاريخ الخلفاء) ، تحقيق على شيرى ، الطبعة الاولى ، دار الاضواء ، بيروت ، ١٩٩٠ جـ٢ ، ص ١٤٢ -١٤٣ ، شهاب الدين إبراهيم ابن أبى الدم الحموى : التاريخ الإسلامى المعروف باسم التاريخ المظفرى ، جـ١، تحقيق حامد زيان ، دار الثقافه للنشر والتوزيع ، القاهرة سنة ١٩٨٥ ص ٣٠٦ ، ٣٢٨ ، ابن خلكان : وفيات الاعيان ، جـ٤ ، ص ٢٣٨ - ٢٣٩ .عماد الدين ابوالفدا إسماعيل بن كثير الدمشقى : البدايه والنهاية ، مكتب تحقيق التراث ، دار احياء التراث العربى بيروت سنة ١٩٩٣م جـ٩ ، ص ٣٨٣ -٣٨٦ ، جلال الدين السيوطى : تاريخ الخلفاء ، دار المعرفة ، بيروت ١٩٩٧ ، ص ٢١٨-٢٢٠ .

(٣) **أبو إبراهيم احمد بن محمد بن الاغلب** : تولى حكم إفريقية وله من العمر عشرون عاماً وكان حسن السيرة ، كريم الاخلاق ، والافعال ، من أجود الناس واسمحهم، وأرفقهم بالرعية ، تميز بتدينه واجتنابه للمظالم . كان سخياً ، يعطى الضعفاء والمساكين، بنى ماجل مدينة القيروان سنة٢٤٨هـ ٨٦٠م توفى فى ذى الحجة من سنه ٢٤٩هـ ٨٦١م. وكانت مدة ولايته سبع سنين وعشرة أشهر، وله من العمر ثمانية وعشرون عاماً . أنظر البكرى : المغرب ص ٢٦ . ابن عزارى : البيان جـ١ ، ص ١١٢ -١١٣ . ابن أبى دينار : المؤنس ص ٤٩ .

(٤) البكرى : المغرب ، ص ٢٦ . مجهول : الاستبصار ، ص ٥ . أحمد صليحه : تونس ، ص ١٠٢.

(٥) القلقشندى : صبح الاعشى ، جـ٥ ص ١٠٢ .

(٦) مجهول : الاستبصار ، ص ٨ .

(٧) **جزيرة شريك** : تنسب إلى واليها شريك العبسى .وعاصمتها مدينة منزل باشو وهى كبيرة المساحة بها جامع وحمامات ، وثلاث رحاب وأسواقها عامرة ، تجمع بها الروم عقب دخول عبدالله بن سعد بن ابى سرح إفريقية وانتقلوا منها إلى إقليبيه. وما حولها ثم إلى جزيرة قوسره وأقاموا بها حتى خلافة عبدالملك بن مروان ، غزاها عبدالملك بن قطن عن طريق البحر وضرب وفتح بها وتبعد عاصمتها عن تونس نحو مرحلة ، كما افتتحها حنش بن عبدالله الصنفانى فى إمارة أبى المهاجر دينار. انظر اليعقوبى : صفة المغرب ، ص٣ . المقدسى : أحسن التقاسيم ، ص٢٢٧ . البكرى : المغرب ، ص ٤٥ . ابن ابى دينار : المؤنس ، ص ٢٦ .

(٨) **أجدابيه** : مدينة صحراوية مبانيها من الطين والحجارة والآجر ، لها جامع ، يقطن حولها كثير من البربر. وهى مدينة تجارية هامة ، لها مرسى يسمى الماحور ، ويكثر بها شجر الآراك ، وهى رخيصة الاسعار.واكثرأهلها قبط أنظر ابن حوقل : صورة الارض ، ص ٧٠ . البكرى : المغرب ، ص٥ .

جانب عذوبة مائها وطيبتها أيضاً ، كما اعتمد أهالى مدينة برقة علـــى ميـــاه الأمطـــار التـــى يجمعونها داخل المواجل التى أقاموها لذلك [١] .

وتأتى مدينه قفصة كإحدى المدن التىتشتهر بكثرة عيون الماء بها والتى تتصف بالعذوبة والصفاء ، ومنها الكبيرة والصغيرة مثل: عين الوادى الكبير والتى تبلغ مساحتها أربعين ذراعاً فى مثلها ، وفوقها عين أصغر منها يربط بينهما قنطرة وهى توجد بجوار باب الجامع ، ومنها عين المنستير وهى من أحسن ما يرى من العيون. [٢] كما انتشرت آبار المياه فى قرى إفريقية مثل اركوا ونمردوان ، ومهريين ، وتامديت ، ودكمة وهى قرى تقع على الطريق من القيروان إلى المسيلة .[٣] كما انتشرت بكثير من مراسى إفريقية آبار المياه العذبة إلى جانب الأنهار[٤] .

نظم الري :-

لم يغفل حكام إفريقية الاهتمام بنظم الرى ، والتى اختلفت طرقها من منطقة إلى أخرى. فكـــان هناك رى الحياض: وهى الطريقة التى يلجأ إليها الفلاحون فى الأرض التـــى تغمرهـــا ميـــاه الأنهار لفترات طويلة وكانت هذه الطريقة يستخدمها أهالى مدينة قفصة عند زيادة نهرها فـــى فصل الشتاء . [٥] كما كانت مدينة سجلماسة احدى المناطق التى يستخدم فلاحوها هذه الطريقه فى الرى ، وهى تشبه طريقة أهل مصر فى الزراعة. [٦] أما فىالمناطق التى تقل بها الميـــاه مثل المدن الصحراوية -أجدابية- فكان الفلاحون بها يلجأون إلى الجمال لحمل المـــاء علـــى ظهورها حتـــى مناطق الزرع بها. [٧] وانتشرت كثيراً من الآلات مثل: السواقى ،والنواعير،

---

(١) ابن حوقل : صورة الارض ، ص ٦٩ .

(٢) مجهول : الاستبصار ، ص ٣٨-٣٩ .

(٣) المصدر السابق ، ص ٨٦ .

(٤) البكرى : المغرب ، ص ٨١ ٨٣ .

(٥) مجهول : الاستبصار ، ص ٣٨ .

(٦) ابن حوقل : صورة الأرض ، ص ٩٠.

(٧) البكرى : المغرب ، ص ١٠ .

والدواليب.[١] فى مناطق عدة من إفريقية خاصة على الأنهار مثل : مدينة باجة حيث كانت تنتشر على أنهارها الصغيرة [٢] .

كما أعتمدت بعض المناطق على الأمطار كأحد أنظمة الرى المتبعة بها. [٣] ومن نظم الرى المستخدمة فى إفريقية : الرى عن طريق القناطر والسواقى ، ففى مدينة توزر أقيمت قنوات الماء من الحجارة وكانت تقسم تقسيما منظما لايزيد بعضها عن بعض شيئاً : وكانت سعة الساقيه شبرين فى ارتفاع متر ، واستخدم أيضا القادوس فى تحديد كميات المياه المطلوبة للرى لكل حقل على حدة [٤] .

ولقد أولى الفاطميون نظم الرى عنايه كبيرة رغبة منهم فى زيادة الانتاج الزراعى، فقد أنشا عبيدالله المهدى (٢٩٧-٣٢٢هـ / ٩٠٩-٩٣٤م) قناة للماء من قرية منانشس حتى المهدية عن طريق الاقداس حتى تصب فى الصهاريج الخاصة بها [٥] .

واعتمد الاهالى على الآبار والعيون المتوفره لديهم فى الرى مثل اهالى جزيرة شريك حيث كان اعتمادهم عليها فى سقى حقولهم [٦] .

أهم المنتجات الزراعية فى إفريقية :

لاقى الجانب الزراعى عناية فائقة من جانب حكام إفريقية : لما للزراعة من أهمية فى حياة الشعوب ، ولم يكن الانتاج الزراعى قاصراًعلى سد حاجة الإستهلاك الداخلى بل فاق ذلك بكثير ، مما سمح بتصديره إلى خارج إفريقية ، ومن ثم فقد إمتاز إقليم إفريقية بمنتجاته من كافه الزراعات والمحاصيل الهامة والتى يأتى على رأسها محصولى القمح والشعير ، وتركزت زراعتهما فى مساحات ومناطق كبيرة فالقمح المحصول العالمى الرئيسى الذى يعول عليه الإنسان فى حياته الغذائية ، ويأتى الشعير فى المرتبة الثانية من حيث الأهمية الغذائية ومثل فى بعض مناطق إفريقية المرتبة الأولى قبل القمح فى الغذاء لبعض السكان [٧] .

---

(١) آلات من صنع الانسان من الخشب يستخدمها الفلاحون عند انخفاض منسوب المياه عن الأرض الزراعيه وكان يستخدمها الانسان إما بنفسه او عن طريق الحيوانات .

(٢) مجهول : الاستبصار ، ص ٢١ .

(٣) ابن حوقل : صورة الأرض ، ص ٨٦ .

(٤) البكرى : المغرب ، ص ٤٨ -٤٩ .

(٥) نفس المصدر : ص ٢٩ - ٣٠ .

(٦) المقدسى : احسن التقاسيم ، ص ١١ .

(٧) ابن حوقل : صورة الأرض ، ص ٩٢ . البكرى : المغرب ، ص ٧٤ .

وبرزت عدة عوامل هامة كان لها الفضل الأكبر فى زيادة الانتاج الزراعى ،منها ، توفرالمصادر الدائمة للرى كالأنهار والعيون والآبار، ومنها أيضا عناية الحكام وإهتمام الأهالى بأمور الزراعة ورغبتهم فى زيادة محاصيلهم أملا فى زيادة الدخل لهم ، ومن العوامل الأخرى إقامة الجسور ، والقناطر ، وحفر الآبار فى مختلف مدن وقرى إفريقية إلى جانب استتباب الأمن بين ربوع الأقليم .

القمح والشعير :

ومثلت المناطق الشرقية لإفريقية أهمية خاصة فى إنتاج القمح بكميات كبيرة اثناء الحكم الفاطمى وبنى زيرى ، وذلك عما كانت عليه فى عصور سابقة. (١) وتعتبر مدينة الأنصاريين(٢) من أهم مناطق زراعة القمح فى إفريقية والذى يعد من أجود وأحسن أنواع القمح فى إفريقية . (٣) وكانا محصولى القمح والشعير من اكثر المحاصيل زراعة ،وإنتاجاً بمدينة بجابة . (٤) واحتلا محصولى القمح والشعير النصيب الأكبر والأوفر من الإنتاج بمدينة باغاية . (٥) ومن المناطق غزيرة الإنتاج الزراعى خاصة القمح والشعير مدن آجر. (٦) وطافجنه ، التى كان لأهلها من الغلات كالقمح والشعير أمر عظيم ، والمتصلة بنواحى الأربس، ومدينة تامديت مثل القمح والشعير أكثر غلاتها. (٧) كما أشتهرت مدينة طبنة بكثرة زراعة القمح والشعير. (٨) ومن أشهر محاصيل مدينة المسيلة كان القمح والشعير (٩).ولم

---

(١) جورج مارسيه : بلاد المغرب ، ص ٢٠٥ ، وانظر عبدالواحد ذنون طه : استيطان القبائل البربرية ، حوليات الجامعة التونسيه ، تونس ، عدد ١٨ ، ١٩٨٠ ، ص ٢٨٨ .

(٢) **مدينة الانصاريين:** مدينة هامه على مسيرة يوم من مدينة الاربس، تشتهر بخصوبة أرضها وغزارة انتاجها سميت بذلك لنزول قوم من الانصار من ولد جابر بن عبدالله بها.البكرى : المغرب ، ص ٤٧

(٣) جورج مارسيه : بلاد المغرب ، ص ٢٠٥ .

(٤) ابن حوقل : صورة الأرض ، ص ٨٤ .

(٥) نفس المصدر والصفحة .

(٦) **آجر:** قرية بها حصن وقنطرة ، بينها وبين مدينة القيروان منزل، تكثر بها الحجارة ، وهى من المناطق الوعرة صعبة المسلك ، تكثر بها الحيوانات الضارية كالأسود ، ودائما ، تتعرض للرياح العاصفة . السيوطى : مراصد الاطلاع فى أسماء الامكنه والبقاع ، ص ٢٩ .

(٧) البكرى : المغرب ، ص ٥٣ .

(٨) أبو الفدا : تقويم البلدان ، ص ١٣٩ .

(٩) ابن حوقل : صورة الأرض ، ص ٨٥

تختلف القرية عن المدينة فى الانتاج الزراعى بل هى المكان الطبيعى للزراعة وهى وظيفتها الطبيعية ، فكانت قرى اركوا ونمردوان ودكمة وفيرة الإنتاج الزراعى (١) .

وحظيت مدينة قسنطينة بانتاج وفير من القمح ، وهو من أحسن الأنواع بإفريقية، فكان يقيم بأرضها مائة سنة من غير أن يصيبه فساد بما يدل على نقائة (٢) .

أما أعظم مدن إفريقية إنتاجاً للغلات لاسيما القمح، كانت مدينة باجه، إذ أجمعت المصادر على كثرة الحنطة والشعير بها فلم تكن تساويها مدينة أخرى فى إنتاجها ، إذ ليس بجميع المغرب كهو عندها كثرة وجودة ونقاء إلى جوهر فى نفس حبوبها (٣) .

وكان إنتاجها من الكثرة حيث يغطى إحتياجات أهلها، واحتياجات غيرها من المدن، ولذلك أطلق عليها هرى إفريقية، فإن منها يمتار جميع تلك البلاد، عربها ،وبربرها ، لكثرة طعامها ورخصه .(٤) فكان فى بعض المواسم يكثر الإنتاج وعند ذلك لم يكن للحنطه بها قيمة حتى أن وقر البعير من الحنطة كان يباع بدرهمين فقط (٥) .

كما اشتهرت برشك بزراعة القمح والشعير وكان انتاجهم يزيد عن حاجتهم. (٦) وتميزت مدينة قلعه بنى حماد بوفرة الإنتاج بها وبرخص الأثمان التى كانت تباع بها الحنطة. (٧) ويبلغ إنتاج بونة فى بعض السنوات إنتاجا كما لاقدر له . (٨) وتميزت مدينة مرسى الدجاج (٩) بمحصولها الوفير من القمح والشعير بكميات تفيض عن احتياجاتهم، بل كان هذا الإنتاج يغرق من حولهم ممن يجاورهم (١٠) .

---

(١) ابن حوقل : صورة الأرض ، ص ٨٦ .

(٢) أبو الفدا : تقويم البلدان ، ص ١٤١ .

(٣) ابن حوقل : صورة الأرض ، ٧٦ . البكرى : المغرب ، ص ٥٦ . مجهول : الاستبصار ، ص٤٧ .

(٤) الحميرى : الروض المعطار ، ص ٧٥ .

(٥) البكرى : المغرب ، ص ٥٦ .

(٦) ابن حوقل : صورة الأرض ، ص ٧٨ .

(٧) الحميرى : الروض المعطار ، ص٤٦٩ .

(٨) المصدر السابق ، ص ٧٧ .

(٩) **مرسى الدجاج** : مدينة قديمه أزليه. على شاطىء البحر مسوره بها آثار للأوائل قريبة من جزيرة ميورقة وتكثر بها البساتين والجنات .مجهول : الاستبصار ، ص ٢٢ .

(١٠) ابن حوقل : صورة الأرض ، ص ٧٧ .

وهناك مدينة شروس. (١) التى تميزت بإنتاجها الغزير من الشعير الذى كان يمثل اكثر زراعاتهم إنتاجاً وكان يحتل المكان الأول فى صدارة الحبوب التى يعتمد عليها أهلها، كطعام أساسى لهم، فكانوا يستخدمونه فى صناعة الخبز الذى كان أطيب طعماً من خبز الحنطه، وبشعيرهم (٢) لذة ليس لخبز من أخباز الأرض لأنه ينفرد بلذه ليست فى خبز إلا ما كان من سميذا أو حوارى قد تأنق صانعه فيه (٣) .

البقول

ومن المحاصيل الانتاجية الهامة البقول بأنواعها الكثيرة والتى تمت زراعتها فى مناطق إقليم إفريقية المختلفة ، وكان منها الفول ،والعدس، والذرة، والدخن، والجلبان، والبسلا، التى تسمى عندهم البسين (٤) وساهمت البقول فى سد حاجات السكان الغذائية، وكانت المهدية رفهة الغلات(٥) وكما تميزت باجه فى زراعة القمح والشعير، تميزت بمحصولها الوفير من البقول التى تنتجها أرضها. فكانت تجود فيها زراعة جميع أنواع البذور، وبها حمص وفول قل مايرى مثله فى موضع (٦) .

واشتهرت جلولا القريبة من القيروان بالإنتاج الغزير من البقول، إذ كانت تسد حاجات غيرها من المدن المجاورة من البقول ، خاصة القيروان ،حيث كان يرد منها إلى القيروان كل يوم من أحمال البقول مالا يحصى (٧) .

واشتهرت قرية زرور، القريبة. من القيروان بإنتاج وافر من البقول ،خاصة الجزر، (٨) كما إشتهرت مدينة تونس بكثرة إنتاجها من الغلات. (٩) وأغلب زراعات مدينة سبيبه وهى

---

(١) مدينة شروس : عاصمة قرى جبل نفوسة كبيرة آهله جليله، أهلها إباضية، ليس بها ولا فيما حولها جامع، وهى أزيد من ثلاثمائه قرية، تبعد عن طرابلس خمسة أيام، تشتهر بكثرة المياه والزروع والفاكهة ، ومثلها مدينة جادوا. وجبل نفوسة الموطن الأصلى للإباضية ولم يدخل ساكنوه تحت إمرة أحد منذ عهد الخليفة على بن أبى طالب ولم يسكنه غير الخوارج . البكرى : المغرب ، ص ٢٩

(٢) الشعير : احد المحاصيل الزراعية الهامة . وهو يزرع عقب القمح وغيره ، ويزرع عزاقاً فى الارض الرطبة . وتقدم زراعته على زراعة القمح بأيام وكذلك حصاده . شرف الدين الاسعد مهذب بن ابى المليح المعروف بابن مماتى : قوانين الدواوين ، تحقيق عزيز سوريال ، طبعة الامير عمر طوسون ، الطبعة الأولى ، مكتبة مدبولى ، القاهرة ، ١٩٩١م ، ص ٢٥٩ .

(٣) ابن حوقل : صورة الأرض ، ص٩٢-٩٣ .

(٤) القلقشندى : صبح الاعشى ، جـ٥ ، ص١١٢ .

(٥) المصدر السابق ، ص ٧٣ .

(٦) الحميرى : الروض المعطار ، ص ٧٥ .

(٧) البكرى : المغرب ، ص ٣٢ .

على الطريق من إفريقية إلى تاهرت ، الكمون ، والكرويا ، والبقول .[١] ومدينة تاهرت خصبة واسعة الزروع.[٢] واشتهرت بونة بخصوبة أرضها وزروعها.[٣] وتميز إنتاج مدينة وهران بالغزارة والوفرة حيث كان يحمل منها الغلال إلى غيرها من المدن [٤] .

واشتهرت مدينة باديس بإنتاج الشعير الذى كانوا يعولون عليه كثيراً ويقومون بزراعته مرتين فى العام الواحد [٥] .

الفاكهة والثمار :

لاقت المحاصيل البستانيه الاهتمام الكبير، والعناية الفائقة ، من جانب الخلفاء الفاطميين وحكام بنى زيرى ، وحرصوا أشد الحرص على رعايتها والإكثار منها، مثل عنايتهم بغيرها من المحاصيل الرئيسية ، وقاموا بزراعتها فيمناطق خاصة بها وحول قصورهم، ولنا فى بستان وادى القصارين القريب من المنصورية المثل حيث زرعت به الأصناف والأنواع المنختلفة من الأشجار، والرياحين ، حتى غدا من أجمل البساتين فى إفريقية وكان ذلك من عمل المعز لدين الله الفاطمى (٣٤١-٣٦٥هـ/ ٩٥٣-٩٧٧م).[٦] ولم يكن بنى زيرى بأقل إهتماما بذلك ، فقد غرست الأشجار والأزهار حول قصر المنصورية الذى أنشأه المنصور الصنهاجى (٣٧٣-٣٨٦هـ / ٩٨٥-٩٩٨م)[٧] ومن ثم كثرت زراعات الفاكهة ، والأشجار والثمار المختلفة ، وتنوعت تنوعاً كثيراً داخل إقليم إفريقية ، ومما ساعد على ذلك أيضا وقوع إفريقية داخل ما يعرف بإقليم البحر المتوسط ، والاقليم الصحراوى، فتميزت فاكهته وثماره بالتنوع والجمع بين منتجات هذين الإقليمين ، ومن المدن التى إشتهرت بكثرة إنتاجها من الفاكهة خاصة الموز ، وحب العزيز ، مدينة قابس .[٨] كما كثرت بها أشجار التوت وكانت

---

(٨) البكرى: المغرب ص ٢٨ .

(٩) ابن حوقل : صورة الأرض ، ص ٧٥ .

(١) ابن حوقل : صورة الأرض ، ص ٨٤ .

(٢) الأصطخرى : المسالك والممالك ، ص ٣٤ .

(٣) أبو الفدا : تقويم البلدان ، ص ١٤١ .

(٤) ابن حوقل : صورة الأرض ، ص ٢٩ .

(٥) البكرى : المغرب ، ص٧٤ .

(٦) حسن إبراهيم ، طه أحمد شرف : المعز لدين الله ، الطبعة الثانية ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة،١٩٦٤ ، ص ٢٠٨ .

(٧) ابن أبى دينار : المؤنس ، ص ٧٦ . حسن عبدالوهاب : شهيرات التونسيات ، ص ٣٩ .

(٨) أبو الفدا : تقويم البلدان ، ص ١٤٣ .

المساحة المنزرعة بالبساتين بها تبلغ أربعة (١) أميال ، وأشتهرت مدينة رقادة (٢) بتنوع فاكهتها ومحاصيلها البستانية حيث كانت من أكثر بلاد إفريقية من حيث عدد البساتين والفاكهة. (٣) أما مدينة جلولا فيمكن القول أنها مدينة الفاكهة فهى كثيرة الأشجار، غزيرة الفاكهة، والثمار، وكان يرد منها كل يوم أحمال الفاكهة التى لا تحصى كثرة إلى القيروان، وذلك لكثرة جناتها حولها(٤) وكانت مدينة ناحية كثيرة الإنتاج من الفاكهة لاسيما التين العظيم الذى يصدر خارجها (٥) .

وتميزت قفصة بتنوع أشجار الفاكهه بها ، والتى تمد بإنتاجها منه مدينة القيروان، ولكنه غلب على محصولها الفستق ، والتى تمثل المنطقة الرئيسية فى إنتاجه وبكميات ضخمه سمحت لها بتصديره ، ليس فقط لمدن إفريقية الأخرى بل إلى خارج حدودها حيث مصر، والأندلس، وسجلماسة (٦) كما كان يكثر إنتاج الفستق فيما حولها من مدن وقرى تابعة لها مثل

---

(١) البكرى : المغرب ، ص ١٧ .

(٢) رقادة : أنشأها إبراهيم بن أحمد بن الأغلب (٢٦١-٢٧٨هـ/ ٨٧٣-٨٩٠م) واتخذها عاصمة له. حتى استطاع ابوعبدالله الشيعى دخولها سنة ٢٩٧هـ/ ٩٠٩م ، وظلت عاصمة للفاطميين حتى بناء مدينة المهدية =وانتقل منهاعبيدالله المهدى سنة ٣٠٨هـ/٩٢٠م ، وهى تبعد عن القيروان أربعة أميال ، تكثر بها القصور =والحمامات ، وتبلغ مساحتها ٢٤ الف ذراع ، وتعد من أجمل وأنزه مدن إقليم إفريقية وأحسنها هواءاً ، وتكثر بها البساتين، وعن سبب تسميتها بهذا الاسم قيل أن ابى الخطاب زعيم الإباضية قاتل ورفجومه فى هذا المكان وكانت منيه فى ذلك الوقت، فقتل منهم أعداداً كثيرة فسميت رقاده لرقاد جثثهم فى هذا المكان. وقيل أيضاً من دخلها يظل ضاحكاً مستبشراً بغير سبب ،كما قيل أيضاً أن مؤسسها إبراهيم ابن احمد غلبه الأرق ذات يوم فخرج يتنزه إلى أن وصل إلى هذا المكان فنام فيه وسميت لذلك رقاده وقد اصابها الوهن والضعف بعد بناء مدينة المهديه سنة ٣٠٠هـ. ٩١٢م. انظر اليعقوبى : صفة المغرب ، ص ٨-٩. الأصطخرى : المسالك والممالك ، ص ٣٤ ، البكرى : المغرب ، ص ٢٧ . ابن عزارى : البيان ، جـ١ ، ص ١١٧ . مجهول : الاستبصار ، جـ٦ . القزوينى : آثار البلاد ، ص ١٩١ . ابن خلكان : وفيات الاعيان ، جـ٣ ، ص١١٩ ، أبو الفدا : تقويم البلدان ، ص ١٤٣. ابن الوردى : خريدة العجائب ، ص ١٩ . السيوطى : مراصد الاطلاع ، ص٤٧٧ . ابن ابى دينار : المؤنس ، ص ٤٩ .

(٣) مجهول : الاستبصار ، ص ٩ ، القزوينى : آثار البلاد ، ص ١٩٩ .

(٤) البكرى : المغرب ، ص٣٢ .

(٥) ابن حوقل : صورة الأرض ، ص٨٩.

(٦) **سجلماسة** :أحدى مدن إقليم إفريقية . تتميز بكثرة عمرانها وقراها وضخامة أسواقها، حتى قيل إن الشخص يسير فى أسواقها نصف يوم فلا يقطعها، وهى حسنة البناء، والعمائر ومبانيها عالية، وعبارة عن قصور وعمارات متصلة .كما تتميز بخصوبة تربتها وإنتاجها الزراعى الغزير، وكثرة البساتين بها ، ولها نهر ينصب إليها من جهة الشرق يسمى نهر زيز، وهى تقع فى منطقة تتميز بالخصب ، وتمتد مسافة كبيرة على طول شواطيء نهرها لمسافة تبلغ اربعة فراسخ خارج المدينة، وهى تعد =

مدينة طراق [1].وفى جزيرة جرية حيث وجدت بها بساتين العنب والتين وغيرهما من سـائر الفاكهة وأشتهرت بشكل خاص بإنتاجها من التفاح المتميز الذى قل أن يوجد له نظير فـى أى بقعة من بقاع الأرض حيث تميز بالصفاء ، والجفاف ، وطيب المـذاق ، والرائحـة الذكيـة العطـرة ، التى توجد من المسافات البعيدة والأميال العديدة [2].وأيضا كـانت مدينتـا متيجـة وباغاى يشتهران بكثرة أصناف الفاكهة ، والثمار المنزرعة بهما [3].وغلب على ميدنـة بنـى

= من اهم المراكز التجارية داخل إقليم إفريقية ولها شهرة واسعة على المستوى العالمى فهـى ملتقـى لطرق القوافل التجارية من مختلف المدن والأقطار ، لا سيما وانها منطقة التجارة المركزيـة جنـوب الصحراء فمنها وإليها تنطلق تلك القوافل على مدار العام، كما تتميز بكثير مـن الصناعـات مثـل الصناعات الصوفية التى تمارسها النساء ، وهى قريبة من منطقة انتاج خام الذهب ، كما تتميز بجوها شديد الحر صيفاً شديد البروده شتاءً ، ويتميز أهلها بضعف أبصارهم ، وهى إحدى مناطق الرعـى الهامة للماشية والتى كان يجتمع بها البربر للرعى والتسوق قبل بنائها، وصلها الخليفـة الفـاطمى عبيدالله المهدى وهو فى رحلته من مدينة سلميه إلى إفريقية وتم القبض عليه وسجن بها حتى خلصه قائده أبو عبدالله واقام بها ٤٠ يوماً قبل انتقاله إلى مدينة رقادة ،وكان البربر يقيمون فى تلك المنطقة فى خيام لهم قبل ان يشرعوا فى بناء سجلماسة سنة ١٤٠هـ ٧٥٢م ، وكان أول من تولـى الحكـم والرئاسة بها هو عيسى بن يزيد الأسود الذى مات مصلوبا نتيجة لعدم رضاء البربر عن سياستة . ثم تولى بعده أبو القاسم سمغون بن واسول المكناسى ، وكان صاحب ماشية كثيرة وظل واليا عليها حتى سنة ١٦٨ هـ ، ٧٨٠م ، ثم أخذ ابناؤه يتناوبون الحكم بعد ذلك فى نفس الوقت الذى أخـذ عمـران سجلماسة يزداد، حتى تولى الحكم بها اليسع بن ميمون بن مدرار سنة ٢٧٠ هـ، ٧٨٢م، وتلقـب بالمنتصر بالله ، وهو الذى قام بسجن الخليفة الفاطمى وأهل بيته ، ثم قتل هذا الوالى على يـد ابـى عبدالله الشيعى سنة ٢٩٦هـ ، ٩٠٨م .وبموته انقرضت الدولة المدراريه التى ظلت قائمه مدة ١٦٥ سنه ، ثم تولاها بعد ذلك ولاة يخضعون للخلافة الفاطمية . أنظر محمد بن محمد اليمـانى : سـيرة الحاجب جعفر بن على وخروج المهدى من سلمية ووصوله إلى سجلماسة ، مخطوط بـدار الكتـب رمز ح رقم ١١٤٩٧ . ورقه ١٤ و١٨ و٢٥ و١٢٠ . اليعقوبـى : صفـة المغـرب ، ص ٢١ . الاصطخرى : المسالك والممالك ، ص٣٤ . المقدسى : احسن التقاسيم ، ص ٢٣١ . محمد بن احمد البيرونى : كتاب الجماهر فى معرفة الجواهر ، مكتبة المثنى ، القاهرة ، ص٢٤١ . ابن عـزارى : البيان ، جـ١ ، ص ١٥٦ -١٥٧ -٢٠٦ . بن الوردى : خريدة العجـائب ، ص١٨ . القرمـانى : اخبار الدول : جـ٣ ، ص ٣٨٥ . دائرة المعارف الإسلامية ، مادة سجلماسة ، الجزء ١١ ، ص ٣٠٠-٣٠١ .

(١) البكرى : المغرب ، ص ٤٧ .

(٢) التيجانى : رحلة التيجانى ، ص ١٢٢ .

(٣) المقدسى : احسن التقاسيم ، ص ٢٢٧ - ٢٢٨ .

مزغنى إنتاج التين بكيمات غزيرة وكان يصدر منها إلى غيرها من المـــدن خاصـــة مدينـــة القيروان[١].

وتأتى مدينة قسنطنية [٢] كإحدى المدن الهامة التى عنى أهلها بزراعة مختلف الأنواع من أشجار الفاكهة مثل اللوز، والجذر ، والكروم ، فى مساحات كبيرة منها ، [٣] ونافست مدينة القل ميناء قسنطنية الهام على البحر المتوسط فكثرت بها أشجار العنب، والتفاح ،الجليـــل. [٤] ولم يكتف أهالى إفريقية بزراعة المحاصيل البستانية فـــى الســهول ، والوديـان ، والأرض المنبسطة ، بل قاموا بزراعة الجبال المرتفعة ، ونوعوا غرسها، حتى أتت بنصيب وافر وهام من أنواع الفاكهة ، فهذا جبل بنى زلدوى ينتج أنواعاً شتى ، مثـــل ، التفـــاح ، والســفرجل ، والأعناب ، من أنواع لايوجد مثلها . [٥] وبالمثل شاركت مدينة بونة بالأنواع المختلفـــة مـــن الفاكهة ، ولكن غلب عليها نوع خاص عرفت به بين مثيلاتها من المـــدن وهـــو محصـــول ، العناب. [٦] فكان يطلق عليها بلد العناب وأبت مدينة جيجل إلا أن تشارك غيرها بإنتاج غزيـــر من الفاكهة سد حاجة غيرها ، وأستطاع فلاحوها الوصول بالإنتاج إلى كميات فاقت حاجتهم ، فأخذوا فى تصدير محصولى العنب والرب إلى مدينة بجاية [٧] .

---

(١) ابن حوقل : صورة الأرض ، ص ٧٨ .

(٢) **قسنطينة**: مدينة قديمة البناء ، ذات كثافة سكانية عالية ، كبيرة المساحة ،حصينه ذات منعه، مقامـــة، على جبل منقطع مرتفع به بعض الاستدارة ، لا يتم الوصول إليها إلا من الجهة الغربية لها، أطلـــق عليها قسطنطية الهواء لعلوها وأرتفاعها، تكثر بها المياه ولها ثلاثة أنهار كبـيرة تسـتخدمها السـفن التجارية، وهذه الأنهار تنبع من عيون ماء تسمى عيون اشقاروس (سود) وتصب هذه الأنهار فـــى خندق عميق بنيت فى أسفله ثلاثة قناطر، مقامة بعضها فوق بعض، ولها جسر يطلـــق عليـــه اسـم العبور، وتسكن بها قبائل بربرية من أهل ميله ونفزاوة وقسطيلية. وهى كثيرة التجارة والربح وتعـــد أول مملكة إفريقية من ناحية الغرب ،ولها مرسى يسمى مرسى سفده وهى على مسيرة ١٨ ميل مـــن مدينة المسيلة وهى تعد احدى مدن الغرب الأوسط فى أخر الاقليم الثالث حيث الطول ٢٦ درجه و٤٠ دقيقه والعرض ٣٣درجه و٢٢ دقيقه، انظر البكرى : المغرب ، ص ٦٣ . ابـــو الفـــدا : تقويــم البلدان ، ص ١٣٩ . القلقشندى : صبح الاعشى ، جـــ ٥ ، ص ١١٠ . الحمـيرى : الــروض المعطار ، ص ٤٨٠-٤٨١ ، القرمانى : اخبار البلاد ، جــ٣ ، ص ٤٣٣ .

(٣) ابن حوقل : صورة الأرض ، ص ٩١ .

(٤) مجهول : الاستبصار ، ص ١٨ .

(٥) نفس المصدر ، ص ٥٤ .

(٦) الحميرى : الروض المعطار ، ص ١١٥ .

(٧) مجهول : الاستبصار ، ص ١٨ .

ومن الشمال إلى الجنوب تلك المنطقة التى أشتهرت بإنتاجها الغزير من التمــر حتــى أطلق عليها بلاد الجريد، إلا أن الفاكهة استطاعت أن تزاحم وتأخذ نوعاً من الإهتمام والعنايه ، فكان لها نصيب وافر من الزراعة، ومن المدن التى اشتهرت بزراعة أشجار الفاكهة مدينتــى نفطة، وتقيوس ، فكانت الانواع الكثيرة من الفاكهة تملأ غاباتهما، وشاركتهما مدينـــة الحامــة بإنتاجها الوفير من العنب الذى كانت له إستخدمات عديده ، فبجانب أكله طازجـــاً كــان يتــم عصــره لعمل الشراب – النبيذ – فكان من أطيب أنــواع الأشــربه ، كمــا كــان الأهــالى يستخدمونه فى عمل نوع من الزيت إستعملوه فى إنارة مصابيحهم . كما كانت مدينة تقـــزاوه كثيرة الفاكهة أيضاً .(١) وامتازت مدينة توزر – التى تعد أكثر المدن إنتاجاً للبلـــح فـــى تلـــك المنطقة – بكثرة البساتين التى حوت بداخلها الأنواع العديدة من الفاكهة والتـــى لا يضاهيهــا مثلها، منها الاترج الذى لا يعلم فى بلد أخر مثله من حيث جلالته وحلاوته ، إلى جانب فاكهة الترنجبين والمخيطا . (٢) واشتهرت مدينة نقاوس بثمارها الجبلية وعرفت بأنها بلد الجوز. (٣) والذى كان من أكثر الأنواع إنتاجاً حيث تم تصديره إلى اكثر تلك البلاد، إلى مدينتى قلعة بنى حماد وبجاية . (٤) كما كان محصولى العنب والسفرجل المعنق كبير الحجم والذى يشبه القرع الصغير ، ويتميز بالطرافة من أهم محاصيل مدينة برشك ، واللذان تميزا بوفرة الإنتاج وكانـــا يجدان طريقهما إلى خارج المدينة . (٥) وعلى مسيرة اثنى عشر ميلاً من القيروان، كانت مدينة قلشانة كثيرة البساتين ، ومن أكثر فاكهتها التين الأخضر ، الذى يجد طريقه إلى مدينة القيروان القريبة . (٦) وكان رستاق قموده يشتهر بكثرة أشجار الفاكهة من التين ، والزيتــون ، واللـــوز وبالمثل رستاق تبسا، وقبيشة ، حيث كانت تكثر بهما أشجار الفاكهة .(٧) ومن إقليـــم قمونيـــه كانت عاصمته مدينة مذكود من أكثر المدن التى تزرع حولها أصناف الفاكهة لاســيما التيــن الذى يفوق غيره من الأنواع الأخرى ويحمل منها زبيبا إلى القيروان فيكون أعلـــى الأنــواع سعراً بها وأكثرها طلبا، وتلتف حولها أشجار التين كالغابة حتى أنها من كثرتها تحجب رؤيـــة القادمين إليها فلا يستطيعون رؤيتها إلا عند القرب منها (٨) .

---

(١) مجهول : الاستبصار ، ٤٣-٤٤ .

(٢) البكرى : المغرب ، ص ٤٨-٤٩ .

(٣) المقدسى : أحسن التقاسيم ، ص ٢٣٠ .

(٤) مجهول : الاستبصار ، ص ٦٠ .

(٥) ابن حوقل : صورة الأرض ، ص٧٨ .

(٦) البكرى : المغرب ، ص٢٩ .

(٧) المقدسى : أحسن التقاسيم ، ص ٢٢٧ .

(٨) البكرى : المغرب ، ص ٧٥ .

وامتازت مدينة المسيلة بوفرة إنتاجها من الفاكهة ،وبكثرة بساتينها، وجناتها ،التى زينت ضفتى نهر سهر بها وكانت مملؤة بأشجار الكروم ، والسفرجل ، والذى يزيد إنتاجه عن حاجتهم ويصدر الفائض منه إلى غيرهم [١] وكانت مدينة باجه كثيرة الإنتاج من السفرجل ، والعنب ، وبالمثل مدينة الخضراء التى تميزت بإنتاجها من السفرجل الفارسى المعنق. [٢] وتأتى مدينة تاهرت كأحدى المدن الهامة فى إنتاج الفاكهة وجميع أنواع الثمار الآخرى غير أنها اشتهرت بإنتاجها من السفرجل الفارسى ، الذى يفوق فى حسنه وطعمه ورائحته الأنواع الأخرى. [٣] وكان العنب بمدينة الغدير من أكثر الفاكهة إنتاجاً، حتى كان يباع القنطار منه بدرهم .[٤] وفى داخل مدينة زويله انتشرت البساتين ، والجنات ، محتوية بداخلها مالذ وطاب من أصناف الفاكهة والثمار [٥] .

وكانت بقسطيليه جميع الأنواع من الفاكهة حتى قيل من كثرتها لا تسأل عن كثرة البساتين .[٦] ومن المدن الهامه ذات النصيب الوافر من الفاكهة والثمار المختلفة الأنواع والألوان حسنة المذاق والطعم مدينة تونس ، فهى تشتهر باللوز الفريك ،والر مان، والأنترج الجليل والتين الخارمى ، والسفرجل ، والعناب الرفيع ، فى قدر الجوز ، وكانت من أطيب مدن إفريقية ، ثمرة وأنفسها فاكهة . [٧] واشتهرت مدينة سطيف الواقعة بين القيروان وتاهرت بتنوع فاكهتها لاسيما الجوز الطيب الذى يحمل منها لغيرها [٨] ومن أنواع الفاكهة الأخرى الكمثرى والزعرور ، والخوخ ، والمشمش على أنواع، والتوت الأبيض، والتوت الأسود – الفرصاد – والقراصيا والليمون والليم والنارنج ، والمصغ . وهى– فاكهة فوق قدر البندقه لونها بين الحمره والصفرة وطعمها بين الحموضة والقبض شبيه بطعم السفرجل ولا توجد إلا فى فصل الشتاء وتقطف خضراء من الشجر وتنقل وتدفى مثل الموز ثم تؤكل ، والبطيخ الأصفر – الشمام– وهو كثير الأنواع أما الأخضر فقليل ويسمى الدلاع [٩] .

---

(١) ابن حوقل : صورة الارض ، ٨٥ .

(٢) البكرى : المغرب ، ص ٥٦ ، ابن حوقل : صورة الارض ، ص٨٩ ، الحميرى : الروض المعطار ، ص٧٥.

(٣) البكرى : المغرب ، ص ٦٧ ، القلقشندى : صبح الاعشى ، جـ٥ ، ص ١١١ .

(٤) البكرى : المغرب ، ص ٦٠ .

(٥) التيجانى : رحلة التيجانى ، ص ٣٢٤ .

(٦) المقدسى : أحسن التقاسيم ، ص ٢٣٠ .

(٧) البكرى : المغرب ، ص ٤١ ، القزوينى : آثار البلاد ، ص ١٧٣ ، صليحه : تونس ، ص ٢٥ .

(٨) أبو الفدا : تقويم البلدان ، ص ١٤١ .

(٩) القلقشندى : صبح الاعشى ، جـ٥ ، ص ١١٢ .

الأشجار :

كما إنتشرت الغابات بنواحى إفريقية وزرعت بها أصناف مختلفة من الأشجار فغطت معظم حاجتها من الأخشاب ، ففى وادى الفجاء القريب من تاجرا كانت تكثر به أشجار الأثـــل والطرفاء وهو من الوديان خطيرة المسلك. (١) كما كثرت بمدينة باجة أشجار الرند التى كانت تنمو على ضفتى نهر مغيله الواقع بينها وبين مدينة بونة (٢) وعلى الطريق من مدينة يونه إلى القيروان وجدت غابة عظيمة من أشجار الزان الذى يعد من أحسن أنواع الأخشـــاب ، وكـــان يجلب منها إلى غيرها من المناطق بإفريقية . (٣) وفى بلاد الجريد خاصة مدينة تـــوزر ومـــا يجاورها وجدت أشجار السدر المصرى بكثرة . (٤) كما أمدت مدينة تاهرت بفضـــل غابتهـــا الضخمة غيرها من المدن بالأنواع المختلفة من الأخشاب والتى كانت تســـتخدم فـــى البنـــاء وغيره(٥) كما وجدت بإفريقية أنواع أخرى من الأشجار ، كـــالنخيل ، والزيتـــون ، والعنـــاب، والتين وكانت أخشابها تستخدم إما سقوف للمنازل أو كوقود للتدفئة .

النباتات الطبية والعطرية

واكتسبت زراعة النباتات العطرية والطبية عناية بالغة من جانب الأهالى داخل إفريقية وعرفوا فائدتها الصناعية والإقتصادية فلم يهملوها ، وقاموا بزراعتها فى مســـاحات واســـعة وكانت أكثر مدن إفريقية تشتهر بتلك الزراعات ، ومنها :مدينة جلولا والتى كثرت بها الأنواع المختلفة فكان منها الزنبق ، والورد ، والبنفسج. (٦) وأحسن أهـــالى مدينـــة تيهـــرت العنايـــة بالبساتين التى زرعت بداخلها تلك النباتات ، فكانت بساتينهم مونقة . (٧) وكان لبـــلاد الجريـــد والزاب عناية شديده بهذه الزراعات ، فأكثروا غرسها داخل بساتينهم ، ومن المدن المشـــتهرة بذلك باغاية ومتيجة وقسطيليه. (٨) والتفت حول مدينة تـــاهوده البســـاتين المليئـــة بأصنـــاف الرياحين.(٩) أما مدينتا أبه ولربس فكانتا من أكثر المدن إهتماما وعنايـــة بزراعـــة النباتـــات

---

(١) التيجانى : رحلة التيجانى ، ص ١٢١ .
(٢) أبو الفدا : تقويم البلدان ، ص ١٤١ .
(٣) البكرى : المغرب ، ص ٥٤ .
(٤) التيجانى : رحلة التيجانى ، ص ١٢٧ .
(٥) البكرى : المغرب ، ص ٦٨ .
(٦) نفس المصدر ، ص ٣٢ .
(٧) القلشندى : صبح الاعشى ، جـ٥ ، ص ١١١ .
(٨) المقدسى : أحسن التقاسم ، ص ٢٢٧ – ٢٢٨ – ٢٣٠ .
(٩) البكرى : المغرب ، ص ٧٣ .

الطبية، والعطرية ، وكانتاتتنافسان فى كثرة زراعتها وفى جودتها. [١] وبالقرب من القيروان وجدت سردانية عروس المتنزهات ، وأجملها على الاطلاق بإفريقية ،غرست بها أصناف عدة من النباتات العطرية من الياسمين ،والزنبق ، والبنفسج ،والورد ، والنارنج وكان بها ألف صنف من هذه الأنواع [٢] .

كما إنتشرت زراعة الكمون ، والكرويا ، بمدينة سبيبة [٣] وأجمل القلقشندى [٤] أصناف الرياحين بإفريقية ، فقال : " إن بها الآس ، والورد ، ومعظمه أبيض، والياسمين والنرجس ، واللينوفر الأصفر ، والترنجانى، والمنثور، والمرزنجوش والبنفسج ، والسوسن والزغفران ، ومن المدن التى أشتهر أمرها بزراعة الرياحين قفصة فقد ملأت بساتينها أنواع شتى منها مثل : الآس ، والياسمين والنارنج ،والنرجس ، والسوسان ، والبنفسج ، إضافة إلى الورد الذى كان عطره أذكى وأجمل أنواع العطور بإفريقية [٥] .

وهكذا فقد حظيت الزراعات بمختلف أنواعها بشديد الإهتمام والرعاية من جانب الفاطميين وبنى زيرى .

الصناعة :

تمثل الصناعة كل ما يتم صناعته من أشياء ، [٦] وتقدمت تقدما ملموسا فى عهد الفاطميين وبنى زيرى ، وصارت أحد عناصر الثروة الهامة والرفاهية لشعب إفريقية ، [٧] وهى تتمثل فى عملية تحويل أو إعداد المادة الخام إلى مادة أكثر سهولة ويسر فى التشكيل والاستخدام ، حتى يمكن الإستفادة منها. ولابد لقيام الصناعة من توافر والعناصر المساعدة والتى تتمثل فى وفرة الإنتاج من المواد الخام ووجود العمالة الماهرة المدربة والدخل المرتفع والتقدم الحضارى [٨] .

---

(١) ابن حوقل : صورة الأرض ، ص ٨٦ .

(٢) المصدر السابق ، ص ٣٢ ، ابن أبى دينار : المؤنس ، ص ٢٥ .

(٣) ابن حوقل : صورة الأرض ، ص ٨٤ .

(٤) صبح الاعشى ، جـ٢ ، ص ١١٣ .

(٥) مجهول : الاستبصار ، ص٤٠ .

(٦) أبو الحسن : على بن إسماعيل الأندلسى المعروف بابن سيده : كتاب المخصص ، المكتب التجارى للطباعة والتوزيع والنشر ، بيروت ، لبنان ، جـ ٤ ، ص ٢٥٧ . جمال الدين محمد بن مكرم الانصارى (ابن منظور) : لسان العرب ، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والابناء والنشر ، الدار المصرية للتأليف والترجمة ، طبعة مصورة عن طبعة بولاق ، جـ٧ ، ص ٧٧ .

(٧) أحمد ابن عامر : الدولة الصنهاجيه ، الدار التونسية للنشر ، تونس ١٩٦٨م ، ص ٦٨ . ص ٦٨.

(٨) يسرى عبدالرازق الجوهرى : دراسات ، ص ١٣٨ .

الموارد المعدنية :

ولقد توفرت هذه العناصر كلها داخل إقليم إفريقية أثناء حكم الفاطميين وبنى زيرى مما ساعده على قيام مختلف الصناعات به ، فلقد انتشرت المواد الخام على اختلاف أنواعها وفى اكثر من منطقة وبكميات إقتصادية مثل خام الحديد ، [١] والفضة ، والرصاص، والذهب والنحاس والزئبق والمرتك والشب إلى جانب الأحجار الكريمة كاللؤلؤ واللازورد، والمرجان بكميات سدت حاجة إفريقية وكانت تقوم بتصدير الفائض منه إلى غيرها من البلدان التى تفتقر إلى تلك المعادن والأحجار الكريمة [٢] .

فالنحاس واللازورد وجدا بكميات وفيرة فى جبال نفوسه حيث قامت المصانع باستخراجة وتصديره إلى داخل إفريقية وخارجها . [٣] أما خام الحديد فكان مؤكد الوجود بكميات إقتصادية وفى أكثر من منطقة بإفريقية بما ساهم بفاعلية فى النهضة الصناعية فى ذلك الوقت بالاقليم ومن أشهر مناطق إستخراج المعادن بإفريقية تأتى مدينة مجانة المعادن حيث انتشرت بها مناجم إستخراج الجديد والفضة بجانب الأحجار التى تستخدمها المطاحن بجميع مناطق إفريقية وبلاد المغرب [٤] .

وفى بعض المناطق وجد الحديد على مسافات قريبة من باطن الأرض مما آدى إلى سهولة استخراجة واستخدامه ، وقلة التكاليف ،مثل المناجم الموجودة بمدينة بونة حيث وجد الحديد بظاهر أرضها [٥] ومن مناطق استخراج الحديد الهامة كانت مدينة الأربس .[٦] كما كان وجود خام الحديد بجانب معدن الزئبق فى تلك الجبال القريبة من مدينة آرزوا وبكميات كبيرة [٧] وأما خام الذهب فوجد بكميات كبيرة فى جزيرة جربه. [٨] وكانت إفريقية غنيه بمعدن

---

(١) تعددت أنواعه فكان منها حديد طوب بنادقى وحديد ورزم ، وحديد معمول وحديد مصفى وحديد شق الفاس ، وحديد سكين ، وحديد راس الكلب ، وحديد مسله ،وحديد جندى ، مسمار ، مرسا ، ابن مماتى : قوانين الدواوين ، ص ٣٦٤ .

(٢) ابن حوقل : صورة الأرض ، ص ٩٥ . القزوينى : آثار البلاد ، ص١٤٨ .

(٣) البكرى : المغرب ، ص ١٣ ، ص ٨٣ .

(٤) ابن حوقل : صورة الارض ، ص ٨٤ ، القزوينى : آثار البلاد ، ص٢٦٠ . ذنون طه : حوليات الجامعة التونسيه ، عدد ١٨ ، ص ٢٩٠ .

(٥) المقدسى : أحسن التقاسيم ، ص ٢٢٦ ، القلقشندى : صبح الاعشى ، جـ٥ ، ص ١٠٦ .

(٦) ابن حوقل : صورة الأرض ، ص٨٤ .

(٧) البكرى : المغرب ، ص ٧٠ .

(٨) نفس المصدر ، ص ٨٤ . وتعتبر جزيرة جربه من اشهر واعظم الجزر وهى قريبة من مدينة قادس ويبلغ طولها نحو ستون ميلاً من الغرب الى الشرق اما العرض فيختلف بها ويعد الجزء الغربى منها والذى يبلغ عشرون ميلاً أما الشرقى فيبلغ خمسة عشره ميلاً وهى خصبة التربة كثيرة الزرع =

الكبريت والتى كانت مناطق استخراجه تقع فى أقصى الشرق منها حيث طلميثه. [١] ولم تبخل الطبيعة على إفريقية بالأحجار الكريمة فوجدت بها كميات من اللؤلؤ صغير الحب ويتم استخراجه من مياه مدينة صفاقس . [٢] كما وجد معدن الشب بكميات كبيرة بمدينة سرت[٣] .

ومن أهم المعادن التى حظى بها إقليم إفريقية وجعلته محط أنظار العالم فى ذلك الوقت معدن المرجان الذى يتم استخراجه بكميات ضخمه من مدينة مرسى الخرز التى تعد إحدى أهم مناطق المرجان فى العالم فى العصور الوسطى ، وهو أفضل أنواع المرجان فى العالم يستخرج إلا من مياهها. [٤] ويطلق على هذا المعدن اسم القرن وهو جبال موجودة تحت مياه البحر، ويتم استخراجه عن طريق الغواصين الذين يتجمعون بأعداد كبيره بقواربهم ومعهم صلبان مصنوعة من الخشب ، ملفوف عليها كتان محلول ، ويتم ربط الصليب الخشبى فى حبلين ويتم إلقائهما فى المياه ثم يقوم العمال بعملية دوران بالقارب فيتعلق المرجان[٥] بالصليب الخشبى وعند ذلك يتم سحبه بما علق به من المرجان ، وكلا على حسب ما يخرج

= والبساتين وبها الزيتون والنخيل والعنب والتين والتفاح الذى يمثل أعظم فاكهتها كما تعد من المناطق الصناعية لا سيما صناعة الاقمشة الصوفية وأهلها من الخوارج الذين ينقسمون قسمين الوهبيين فى الجزء الغربى من الجزيرة والنكارة فى الجزء الشرقى منها افتتحها الصحابى الجليل رويفع ابن ثابت أثناء حملة معاويه بن حديج على إفريقية سنة ٤٦هـ . انظر البكرى : المغرب ، ص ١٩ . التيجانى: رحلة التيجانى ، ص١٢١-١٥٦. ابن ابى دينار : المؤنس ، ص ٢٥-٢٦.

(١) المراكشى : المعجب ، ص ٣٤٨ ، وهى ميناء هام على ساحل البحر المتوسط يصدر منه العسل والشعير ويقع على مسافة شهر من الاسكندريه ويسكنها اليهود أيضاً أبو الفدا : تقويم البلدان ، ص ١٤٩ .

(٢) التيجانى : رحلة التيجانى ، ص ٦٨ .

(٣) ابن حوقل : صورة الأرض ، ص ٧١ .

(٤) المقدسى : أحسن التقاسيم ،ص ٢٢٦ ذكر الاصطخرى : أن طبرقه هى المدينة الوحيدة التى يستخرج منها المرجان ، المسالك والممالك ، ص ٤ .

(٥) المرجان : قيل أنه بلغة أهل اليمن مأخوذ من مرجت أى خلطت لانه صب من الجوهر مختلطة ، والمرجان هو صغار اللآلىء . وهو يوجد فى البحار . وقد ذكر كثيراً فى الأشعار .

واستمطرت احداقنا فتبادرت — فى جريها بدم ودمع سابق
كالدر والمرجان ينظم دائماً — فى العقد بين قلائد ومخانق

كأن أشجاره قد البست حللاً — خضراً وقد كللت درراً ومرجاناً

ومكلل بالدر والمرجان — كالورد بين شقائق النعمان

ابو الريحان البيرونى : كتاب الجماهر ، ص ١٣٧-١٣٨ .

فمنهم من يكون نصيبه نحو عشرة آلاف درهم ومنهم من لا يصيب سوى بثمن عشرة دراهم ، ويباع جزافاً رخيصاً داخل الأسواق وليس له إشراق قبل عملية جليه . (١) ويصدر بكميات كبيرة إلى أسواق العالم المختلفة شرقاً وغرباً (٢) ومن مناطق استخراج المرجان الأخرى بإفريقية مدينة بونه لكنها لا ترقى فى الأهمية والكمية والنوعية كمنطقة مرسى الخرز فمرجان بونة أقل قمية من مرجان مرسى الخرز. (٣) وهو من المعادن التى يقبل على إقتنائها الحكام والأغنياء فكان لخلفاء إفريقية جزء خاص من هذا المعدن تزين قصورهم ومنازلهم لا سيما تلك الأنواع النادرة منه(٤).

ومما لا شك فيه : أن وجود تلك المعادن ، بأنواعها المختلفة ، وبتلك الكميات الإقتصادية كان له الأثر الأكبر والأساس الأول الذى نشأت عليه صناعات إفريقية ونهضتها الصناعية ، وساعد على تقدمها الاقتصادى ، فى خلال الحكم الفاطمى ،ثم بنى زيرى ، وجعلها مركزاً هاماً من المراكز الصناعية العالمية .

أهم الحرف الصناعية بإفريقية :

إنتشرت الحرف الصناعية إنتشاراً واسعاً داخل إقليم إفريقية خلال العصور الوسطى، خاصة أثناء الحكم الفاطمى وبنى زيرى ، لوجود المعادن ، وانتشار الحضارة والتقدم الاقتصادى ، وتقدم التجارة ، ومن أهم تلك الحرف

حرفة إستخراج المرجان وتهذيبه وجليه حيث أعتبرت إفريقية إحدى المناطق المركزية العالمية فى استخراج وبيع المرجان ، إلا أن تلك الحرفة لم تكن متقدمة فى إفريقية فى ذلك الوقت ، فكانوا أقل مهارة من غيرهم، مثل المصريين حيث كانت قطع المرجان تجد طريقها إلى الاسكندرية لتتلقفها الأيدى المدربة الخبيرة وتضفى عليها اللمسات الجمالية ، وتهيئتها ، وإعادة تصديرها مرة أخرى إلى أسواق العالم الأخرى بعد جلبه وثقبه ، حيث يباع بثلاثة أضعاف ثمنه فى إفريقية وكانت القطع الكبيرة أغلى سعراً من الصغيرة(٥).

---

(١) نفس المصدر ، ص ٢٣٩ .

(٢) أحمد بن يوسف التيفاشى : أزهار الأفكار فى جواهر الاحجار ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، سنة ١٩٧٧ ، ص ١٨٠ – ١٨١ .

(٣) ابن الفدا : تقويم البلدان ، ص ١٤١ .

(٤) ابن حوقل : صورة الأرض ، ص ٧٦ .

(٥) التيفاشى : ازهار الافكار ، ص ١٨٤ .

الحدادة والنحاسة :

انتشرت حرفتى **الحداد والنحاس** لوجود هذين المعدنين بإفريقية وتخصصت بعض الأسر فى هاتين الحرفتين حتى صار لقب الحداد أو النحاس من الألقاب التى يشتهر بها كثيراً من الأشخاص دليلا على اشتغالهما بهذه الحرفة .[١] وصنع الحرفى من النحاس الأدوات المختلفة ، مثل : الأباريق وأدوات الطهى ، والصوانى المستخدمة فى صنع الحلوى ، وغير ذلك من الصناعات .[٢] كما تم صنع السلاسل والألجمة المستخدمة فى ركوب الدواب من النحاس أيضاً. [٣] وكان على الحرفى مراعاة الأمانة والجودة فى كل ما يتصل بحرفته فلا يقوم بخلط الأشياء المصنعة القديمة من الأوانى بما هو جديد من النحاس الخام الذى لم يستعمل بل كان عليه سبك كل واحد منهما على حدة منفرداً عن الآخر .[٤] وكذا إنتشرت حرفة الحدادة وازدهرت ازدهاراً كبيرا فى إفريقية بفضل وفرة خام الحديد وتنوع ما كانو يصنعونه من المسامير والسلاسل والابواب الضخمة التى تم وضعها على أبواب المدن مثل أبواب مدينة المهدية.[٥] بالإضافة إلى السلاسل العملاقة التى أستخدمت كحواجز توضع فى مداخل الموانىء لحمايتها من هجوم الأساطيل المعادية [٦] وكان للحديد شأن عظيم فى الصناعات الحربية وأدوات القتال مثل الرماح والخوذ والسيوف والحراب والسهام ، والتى كان لكل صنعة منها سوق قائم بذاته مثل سوق الرماحين بمدينة القيروان . [٧] وسوق السيوف بمدينة المهدية التى أمر الخليفة القائم أن تصنع له فيها سيوفاً خاصة بحمائل على نصول ، وأن تكون حلية كل سيف منها بخمسين ديناراً . [٨] وأرتفعت صناعة المصابيح المستخدمة فى إنارة القصور الخاصة بالحكام وكانت من النحاس [٩] .

---

(١) الخشنى : قضاة قرطبة ، ص ٢٠١-٢٣٣ .

(٢) تقى الدين أحمد بن على بن عبدالقادر ابن محمد المقريزى : المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، مكتبة الآداب ، القاهرة ، جـ٣ ، ص ١٦١ . الخطط ، جـ٣ ، ص ١٦١ .

(٣) جورج مارسيه : بلاد المغرب ، ص ٩٢ .

(٤) عبد الرحمن بن نصر الشيزرى : نهاية الرتبة فى طلب الحسبة ، تحقيق د، السيد الباز العرينى ، دار الثقافة بيروت ، ص ٧٩ .

(٥) البكرى : المغرب ، ص ٢٩ .

(٦) مجهول : الاستبصار ، ص ٨ .

(٧) المقدسى : احسن التقاسم ، ص ٢٢٥ .

(٨) أبو على منصور العزيزى الجوذرى : سيرة الاستاذ جوذر ، تقديم ، محمد كامل ، محمد عبدالهادى شعيره ، دار الفكر العربى ، مطبعة الاعتماد ، القاهرة ، ١٩٥٤ ص ٤٧ .

(٩) أحمد ابن ابى عامر : الدولة الصنهاجية ، ص ٦٨ .

وحدد المحتسب الشروط الخاصة الواجبة الاتباع لطوائف الصناع خاصة الحدادين فلابد لهم من تجويد المصنوعات ، وعدم غشها ، فلا يضربون سكينا ،ولا مقراضا ، ولا مخضفاً ، أو ما أشبه ذلك من الأرمهان (الحديد اللين) ويبيعونه على أنه فولاذ . ولايقومون بخلط ماسبق صناعته وأستخدمه الناس من أدوات مثل ، المسامير المرتجعة ، بما هو جديد ، ولايقومون بصناعة السكاكين ، والأمواس ، والمقصات ، إلا من الحديد ذى الجودة العالية المتميزة بحدة القطع من الفولاذ [١] .

وازدهرت حرفة صناعة المصابيح والأباريق ، والجفان ، والجرار، والكيزان ، والاقداح ، والاطسات ، والمواقد ، والتى كانت تصنع على هيئة أشكال حيوانية نقشت عليها فى بعض الأحيان رسومات بديعة [٢] .

وأنجز أصحاب الصناعات المعدنية الكثير مثل العدد والآلات التى كانت نستخدم فى صناعة السفن ، والمواجين والصهاريج ، والآلات الزراعية ، والآلات القاطعة مثل المخارط والمكاشط والأزاميل ، وادوات تقطيع الخشب ، والمطارق والأدوات المنزلية وغيرها مما يصعب حصره من المصنوعات .

حرفة الصباغة :

ومن الحرف الأخرى **صبغ الثياب** بالألوان المختلفة ، وكانت النباتات هى المستخدمة فى عمل الصباغة مثل نبات الحنا ،والفوه ،والنيله ،وكانت الحناء ، تزرع بمدينة بونة. [٣] والشب كان مركزه مدينة سرت . وهو بها بكميات وافرة ، حيث كانت تقوم بتصديرة خارجها.[٤] وكان القطران الجيد مما اشتهرت به مدينة برقة .[٥] ومن الجنوب ، يأتى بنات النيلة المستخدم فى صباغة الثياب من مدينة سباب ، الواقعة على الطريق بين مدينتى نفوسه وزويلة [٦] .

ولقد خضع المشتغلون بحرفة الصباغة كغيرهم من الحرفيين لمراقبة المحتسب ، فهو يراقب صناعتهم ، ومكونات الصباغة المستخدمة بها ،فإن إرتاب فى شىء مما يستخدموه قام

---

(١) الشيزرى : نهاية الرتبة ، ص ٧٩ .

(٢) ويل ديورنت : قصة الحضارة ، ترجمة ، محمد بدران ، مطبعة لجنه التأليف والترجمة والنشر ، القاهرة ، ١٩٦٤م ، جـ٢ ، ص ٢٤٨ .

(٣) أبو الفدا : تقويم البلدان ، ١٤٥ .

(٤) ابن حوقل : صورة الأرض ، ص ٧١ .

(٥) نفس المصدر ، ص ٦٩ .

(٦) البكرى : المغرب ، ص ١٠ .

بعرضه على عريفهم ، الذى يمثل رئيسهم المباشر ، وأقدم الأشخاص وأعرفهم بأسرار الصنعة[١].

ومثل نبات النيلة ،المادة الأساسية المستخدمة للون الأزرق ،والقرمس للون الأحمر ، وهما شائعا الأستعمال فى سائر المملكة الإسلامية ، ومثل الزعفران أحد النباتات الهامة المستخدمة فى الصباغة وهو الخاص باللون الأصفر ، والعصفر والزعفران العربى المسمى بالورس ، وهو نبات يشبه السمسم وموطنه اليمن . وتم استيراد مواد الصباغة الأخرى التى لم تكن متوفرة فى إفريقية ، من المناطق الأخرى من العالم مثل أرمينيا وكان يستورد منها القرمس.[٢] ومثلت الصباغة إحدى الحرف الهامة فى إفريقية واشتغلت بها كثيراً من الأسر وأنتشر بها لقب الصباغ. [٣] واعتاد الصباغون فى بعض المدن ، إتخاذ مكاناً خاصاً لهم يجتمعون به ، ويزاولون فيه حرفتهم فى صبغ الثياب ، والأقمشة ، بألوانها المتعددة ، وعادة ما يكون هذا المكان على أحد الانهار الجارية ، أو التى تتميز بوجود ماء جار ، حتى يقوموا بتنظيف أدواتهم والتخلص من بقايا الأصباغ والألوان ويقومون فى الوقت نفسه بنشر الثياب الملونة لتجف فينشأ عن ذلك منظراً بديعاً يجذب القلوب ، والأنظار إليه ، بما يشبه الحديقة أو كأنه جنة من الورود . وكان هذا عادة حرفى توزر ، حيث عرف مكانهم باسم باب المنشر ، والذى اتخذه الأهالى متنزها لهم [٤] .

الصناعات الجلدية :

ووجدت حرفة **صناعة الجلود** ، بفضل توفر الجلود الحيوانية بكميات كبيرة داخل إفريقية، من جلود الأبقار ، والأغنام ، والماعز ، والأبل ، إلى جانب جلود الحيوانات البرية ومن الاستخدامات الهامة للجلود كانت عمل الرقاق الخاصة للكتابه عليها مثل المَصاحف ، وكانت تدبغ بطرق معينة وصنعة خاصة تتميز بالجودة والرقة والليونة تشبه فى شكلها وملمسها الحرير السندسى ، ويوجد بجامع القيروان مجموعات من المصاحف وغيرها مكتوبه

---

(١) الشيزرى : نهاية الرتبة ، ص ٧٢ .

(٢) آدم متز : الحضارة الإسلامية ، جـ٢ ، ص ٢٦٤ . كما كان يستورد حجر اللازورد من أرمينيه أيضاً وهو يسمى بالروميه ارميانون نسبة إلى أرمينية . وهو يستخدم فى الصباغة بعد طحنه ، ومادام صحيحاً فإنه يضرب إلى لون النيل ، وربما مال إلى السواد ... واذا سحق وهو برخاوته مؤاتى للطحن أشرق لونه وجاء منه صبغ مؤنق لايدانيه شيء من اشباهه ، البيرونى : كتاب الجماهر ، ص ١٩٥ .

(٣) الخشنى : قضاة قرطبة ، ص ٢٨٠ .

(٤) التيجانى : رحلة التيجانى ، ص ١٥٨ .

على هذه الرقوق تثير الأعجاب والدهشة (١) كما نشأت عن صناعة الجلود، حرفة صناعة الأحذية ، وكان لهم سوق خاص بهم يعرف بسوق (درب) الحذائيين بمدينة القيروان (٢) وشكلت حرفة صناعة الجلود بالقيروان أحسن وأتقن الحرف الصناعية. وصنع من الجلود أيضاً السروج ، وطبقت شهرتها الآفاق سواء داخل إفريقية أم فى خارجها ،وحليت بأسلاك الذهب والفضة والخرز ، ونقشت برسومات وأشكال رقيقة. (٣) وتميزت مدينة قفصة كذلك، بصناعتها الجلدية المتطورة ، وصنعت بها أنواع من الأحذية تتميز بالليونة الشديدة ،وتصنع من جلد حيوان الأورى (٤) .

واستخدمت الجلود فى صناعة أدوات القتال مثل التروس وغيرها (٥) وبلغت الصناعات الجلدية شأنَ بعيداً فى مدينة قابس ، خاصة دباغة الجلود ، فكان بها جلود تدبغ بالقرظ ، وتعم أكثر المغرب . وتتميز بالرائحة الطيبة ، والملمس الناعم ،والتى تشبه صنعته حال الأديم الجرشى .(٦) وفى أقصى الجنوب من بلاد الجريد، وفى مدينة سوف تحديداً، وجدت صناعات جلدية متقدمة ، اعتمدت على جلود الحيوانات البرية مثل الفنك ، وكانت من الجودة حيث لا يوجد لها نظير فى الدنيا. (٧) كما أرتقت صناعة ودباغة الجلود، بمدينة غدامس، وكانت من الأنواع التى يفضلها التجار فى إفريقية .(٨) لا يفوقها نوع آخر فى إفريقية بل شبهت لنعومتها بثيابِ الخز. (٩) وكان الصناع بها يقومون باستيراد نوع من شجر التاكوت بوادى درعه يشبه الطرفاء وبه يديغون الجلود (١٠) . ويعتبر فن تجليد الكتب من أهم الصناعات القائمه على

---

(١) عثمان الكعاك : الحضارة العربية فى حوض البحر المتوسط ، معهد الدراسات العربية ، القاهرة ، ١٩٦٥ ص ٧٧-٧٨ .

(٢) المقدسى : أحسن التقاسيم ، ص ٢٢٦ .

(٣) حسن حسنى عبدالوهاب : بساط العقيق ، فى حضارة القيروان وشاعرها بن رشيق ، مكتبة المنار، .تونس ، ١٩٧٠ ، ص ٣٢ ، احمد ابن عامر : الدولة الصنهاجية ، ص ٦٨ .

(٤) القلقشندى : صبح الأعشى ، جـ٥ ، ص ١٠٧ .

(٥) محمد فتحى الشاعر : الحضارة الإسلامية فى العصور الوسطى ، دار المعارف ، سنة١٩٩١ ، ص١١٩ .

(٦) ابن حوقل : صورة الأرض ، ص ٧١ .

(٧) مجهول : الاستبصار ، ص ٤٦ .

(٨) أبو الفدا : تقويم البلدان ، ص ١٤٧ .

(٩) القزوينى : آثار البلاد ، ص١٤٧ .

(١٠) التيجانى : رحلة التيجانى ، ص ٢٣٥-٢٣٦ .

الجلود، وكانت تشتهر به مدينة القيروان حتى قبل عهد الفاطميين وكانت مصر هى التى نشأ بها فن التجليد الكتب نتيجة لتحول الكتاب من الدرج الملفوف إلى دفتر مبسوط [١] .

أما المدن التى لم ترقى بها صناعة الجلود ، فكانت تقوم بتصديرها إلى خارجها سواء داخل أو خارج إفريقية ، مثل برقة التى كانت تصدر الجلود لمصر [٢] .

حرفة صناعة السروج :

إنتشرت صناعة السروج ، بمدن إفريقية ولاقت نجاحاً عظيما، بفضل إهتمام أصحاب الحكم من الولاه ، والخلفاء ، بها ودخلت فى صناعتها المعادن النفيسة كالذهب، والفضة والأحجار الكريمة ، ففى إحدى زيارات المنصور الزيرى لمدينة رقاده أمر صناعها بعمل سرج خاص له مكلل بالدر والياقوت [٣] .

كما كانت تتم صناعتها أيضاً من الذهب. [٤] وكانت السروج من البنود الأساسية التى يتبادلها الحكام فى هداياهم لبعضهم البعض. فقد أعطى المعز بن باديس إلى ابن عمه ثلاثين فرساً بسروج الذهب . كما أهدى صندل والى باغاية لسيدة المعز بن باديس سنة ٣٤٨هـ - ٩٦٠م ثلاثمائه وخمسون برذونا بالسروج المحلاه. [٥] كما كانت السروج من أهم الوان الزينة التى يحرص عليها الحكام أثناء خروجهم لصلاة الاعياد. [٦] وكانت السروج تصنع أيضاً من الجلود الحيوانية ،وتزينها خيوط الذهب والخز وتزين بالرسومات. [٧] .

وتعددت الألوان التى تصنع بها السروج مثل الأصفر، والازرق ، ومنها ما يعمل من الدبل ، ومنها ما يعمل سيوراً ، من الجلد البلغارى الاسود. [٨] وكانت السروج توضع على الخيول وعلى البراذين أيضاً. [٩] حيث استنبطت ثلاثة أنواع (صنوف) السرج للخيل والركابية للبغال والبردعة للحمير لاسيما الحمير الضخمة التى جلبها العرب [١٠] .

---

(١) عثمان الكعاك : الحضارة العربية ، ص ٨٥ .

(٢) ابن حوقل : صورة الأرض ، ص٦٩ .

(٣) ابن عزارى : البيان جـ١ ، ص ٢٤٠ ، عثمان الكعاك : الحضارة العربية ، ص ٧٨ .

(٤) جوذر : سيرة جوذر ، ص ٤٧ ، ابن أبى دينار : المؤنس ، ص ٧٣ .

(٥) ابن أبى دينار : المؤنس ، ص ٨١ .

(٦) نفس المصدر ، ص٧٦ .

(٧) حسن عبدالوهاب : بساط العقيق ، ص٣٥ .

(٨) المقريزى : الخطط جـ٣ ، ص ١٥٩ .

(٩) ابن أبى دينار : المؤنس ، ص ٨١ .

(١٠) عثمان الكعاك : الحضارة العربية ، ص ٧٩ .

ومن الأشياء المكملة لصناعة السروج هى، صناعة اللجم الخاصة بالخيول، وكانت تصنع أيضاً من الفضة المجراه بالمينا، وتارة بالفضة المطلية بالذهب ، وكان لها سوق خاص بهـــا ، ولهذه الصناعة حرفيين مكملين لها مثل الطلائين وصناع الكفت برســـم اللجـــم [١] . وكـــان للسروج سوق خاص بها على صنفين هما سوق السراجين أو السروجية وســـوق البرادعيـــة ، وهى من الصناعات التى لا يقوم بعملها شخص واحد بل يقسم فيها العمل ، بيـــن اكـــثر مـــن شخص مثل الخشاب الذى يقوم بصنع الهيكل الخشبى للسرج والطراز والزركشى وهو الـــذى يقوم بتطريز وزركشة السرج. وهناك الشكاز "سوق الشكازين بتونس ، وهو الذى يلبس الجلد للهيكل الخشبى [٢] .

وكان للسروج خزائن خاصة ، [٣] بها كغيرها من المصنوعات ، والتى كان يطلق عليها أحياناً إسم الفندق . وهو المكان الذى يحتفظ فيه الخلفاء بالمصنوعات المختلفـــة مثـــل فنـــدق الكتان.[٤] ومن الصناعات الهامة التى نشأت بإفريقية .

حرفة الصناعات الخشبية :

تمثل الاخشاب المادة الأساسية فى هذه الحرفة الصناعية. وهى من الحرف الضروريـــة فى حياة الانسان بدويا كان أم حضاريا. وهى من أمهات الصنائع. ويطلق لفظ النجار، على كل من يقوم بالعمل فى هذه الحرفة وهو شخص يتميز بالذكاء ، والكفاءة ، والمقدرة علـــى حســـن أستخدام الاخشاب ، لاخراجها فى أبهى صورة ممكنة ، وأتقنها وبأشكال هندسية مختلفة، مونقة ويشتد الطلب عليها كلما تقدمت الحضارة وجاء الترف وتأنق الناس فيما يتخذونه من كل صنف [٥] .

وكغيرها من الصناعات كان لابد لها من مقومات تساعد على نموها وازدهارها. ومـــن هذه المقومات المادة الخام الممثلة فى الأخشاب بأنواعها المختلفة .ولقد حظى إقليـــم إفريقيـــة بثروة طبيعية هائلة تمثلت فى الغابات المنتشرة فى أرجاءه ، ففى الطريق الواصل بين القيروان وبونة وجدت شعراء (غابة) عظيمة من أشجار الزان التى كان يجلب منها إلى باقى إفريقية.[٦]

---

(١) المقريزى : الخطط ، جـ٣ ، ص ١٧٠ .

(٢) المصدر السابق : ص ٨٠ .

(٣) القلقشندى : صبح الأعشى ، جـ٥ ، ص ٤٧٣ .

(٤) ابن عزارى : البيان جـ١ ، ص ٢١٠ .

(٥) عبدالرحمن بن محمد بن خلدون الحضرمى المغربى : مقدمة ابن خلدون، دار خلدون الاسكندرية،ص ٢٨٨ .

(٦) البكرى : المغرب ، ص ٥٤ .

ووجد شجر الرند بكثرة على ضفاف نهر مغيله. [١] كما اشتهرت مدينة تاهرت بغناهــا فـي الثروة الطبيعية من الأخشاب. [٢] ومن الأسباب التى شجعت علــى ازدهــار هــذه الحرفــة، الصناعية التقدم الحضارى الذى وصل إليه إقليم إفريقية خلال حكم الفاطميين ثم بنــى زيــرى خاصة فى عهد المعز باديس الصنهاجى الذى مثل عصره أعلى درجات السلم الحضارى فــى أبهى صورة ، وكان ملكه أعظم ملك عرف للبربر وأترفه وأبزخــه.[٣] ولــم يصــل التقــدم الحضارى فى إفريقية فى عهد أحد من حكامها مثلما وصل إليه فى عصـــر المعــز.[٤] فقــد أدركت إفريقية فى عهده العز الشامخ والبذخ الأقعس [٥] .

وهى من الحرف ذات التخصصات المتعددة . فبجانب النجار، كانت هناك تخصصـــات لاتقل أهمية عنه منها الرصاع ، والايمجى ، والخراط ، والدهان ، فكانوا يضفون لمسة جمالية ورونقاً خاصاً للصناعات . وكان لكل منهم عملا لايتعداه لغيره .[٦] ولم تقتصر هذه الصناعــة على ما كان بإفريقية من أخشاب ، بل قاموا بجلب ما نقص منه عندهم من الانواع الجيدة مثل : خشب الساج أو العود الهندى . [٧] كما قاموا باستيراد الاخشاب بكثرة من جزيرة صقلية.[٨] ولم يتم إستخدام الاخشاب بأنواعها المختلفة هكذا جامدة عند الصناعة ، بــل قــام النجــارون بإضفاء نوع من اللمسات الجمالية ، ومنحها الزينة اللازمة ، والرونق الحسن ، ولجأ الحرفيون إلى أساليب متعددة منها: التخطيط كما ، فى الأبواب ، والمنافذ ، وأسلوب الخرط ،إلــى غــير ذلك من الطرق الهندسية بنسب مقدره ومحدده [٩] .

---

(١) أبو الفدا : تقويم البلدان ، ص ١٤١ .

(٢) ابن عزارى : البيان جـ١ ، ص ١٩٨ .

(٣) ابن خلدون : العبر وديوان المبتدأ والخبر فى ايام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم مــن ذوى السلطان الاكبر ، مؤسسة جمال للطباعة والنشر ، بيروت ١٩٧٩م ، جـ٦ . ص ١٥٨ .

(٤) ابن أبى دينار : المؤنس ، ص ٨٢ .

(٥) حسن عبدالوهاب : شهيرات التونسيات ، ص ٣٨ . احمد بن عامر: الدولة الصنهاجية ، ص ٢٥-٢٩ .

(٦) حسن الباشا : دراسات فى الحضارة الإسلامية ، دار النهضة العربية ، مطبعة ، جامعــة القــاهرة للكتاب الجامعى ، القاهرة ١٩٩٢م ، ص ١٨٤ .

(٧) ابن أبى دينار : المؤنس ، ص٨٠-٨١ ، عطية القوصى : الحضارة الإسلامية ، دار الثقافة العربية، القاهرة ١٩٨٥ ، ص ١٢٣ .

(٨) جوذر : سيرة جوذر ، ١١٦ ، ص ١٢١ .

(٩) ابن خلدون : المقدمة ، ص ٢٨٨ .

ومثلت الاخشاب مادة هامة صناعيا، سهلة الأستخدام والاستعمال والتكوين ، فكانت مادة طيعه فى يد الحرفى صاغ منها كثيراً من الأشكال منها الأبواب ، والنوافذ ،والستر ،الخشبية ، والشرفات ، والسقوف والمناضد ، وجميع الأدوات المستخدمة داخل المنازل والقصور، إلـــى جانب المنابر والمحاريب. (١) ومنها توابيت الموتى ،التى كانت تستخدم فى صناعتهـــا أنـــواع ممتازه من الأخشاب المستوردة مثل خشب الساج الهندى ، الذى استعمل فى توابيـــت الحكـــام وأهلهم عند موتهم.(٢) وأستخدم فى تزيين هذه التوابيت المعادن النفســـية كـــالذهب. (٣) ومـــن الأخشاب الممتازة أيضاً الأبنوس لاسيما فى الصناعات التـــى يقبـــل علـــى شـــرائها الحكـــام وذويهم(٤).

ومثل الخشب إحدى المواد التى يظهر فيها خيال الفنان من أشكال وصور فنيه مجردة(٥) ونشأت حرفة صناعة القباقيب التى ينتعلها الحكام داخل قصورهم ، من أجود أنواع الأخشـــاب الهندية ، وزينت بمسامير صنعت من معدن الذهب. (٦)

حرفة صناعة الأبسطة والسجاجيد :

نشأت هذه الحرفة فى مدن وقرى إفريقية ، فقد كانت من المناطق التى اشتهرت منذ القدم بهذه الصناعات وكانت تبعث بعدد مائة وعشرون من البسط اثناء الحكم العباسى لها (٧).

وتقدمت صناعة السجاجيد بإفريقية فى عهد الفاطمين ، تقدما ملحوظا واستخدم فى تزينها الحرير ، واسلاك الذهب ، والفضة (الزركشة) وزينت بالجواهر، والزخرف المشهدى، فكان ولايزال من أيات الروعة ، وبلغ حب الخلفاء الفاطميين واعجابهم بهذه السجاجيد، أن أخـــذوا معهم تذكاراً من إفريقية عبارة عن سجاده مصور بها خريطة لإفريقية(٨).

---

(١) ويل ديورنت : قصة الحضارة ، المجلد الرابع ، جـ٢ ، ص ٢٤٨ .

(٢) ابن عزارى : البيان ، جـ١ ، ص ٢٧٠ .

(٣) ابن دينار : المؤنس ، ص ٨١ .

(٤) المقريزى : الخطط جـ٣ ، ص ١٧٠ ومابعدها .

(٥) ويل ديورنت : قصة الحضارة ، المجلد الرابع ، جـ٢ ، ص ٢٤٥ .

(٦) ارشيبالد لويس : القوى البحرية ، جـ٣٣١ .

(٧) ابن خلدون : المقدمة ، ص ١٢٧ .

(٨) عثمان الكعاك : الحضارة العربية ، ص ٧٢ .

ومثل حرفيوا هذه الصناعة، مجموعة من أمهر ،وأحسن ، الحرفيون . فقد أجادوا وأتقنوا صنعتهم ،لاسيما العبيد الذين أتت صنعتهم من أجمل وأحسن ما تكون ، ولاقت إعجاب وتقدير الحكام ، قبل الأهالى ، حتى أن الخليفة الفاطمى المنصور (٣٣٤-٣٤١هـ/ ٩٤٦-٩٥٣م) ، وصفها بأنها معجزات ، وأنها رياض مونقه وكان من أشد المعجبين بصناعة هؤلاء العبيد (١) . وكانت تجارة العبيد وشرائهم من أوربا من التجارة الرابحة حيث يتم استخدامهم فى الاعمال المنزلية والاعمال الاخرى فى إقليم إفريقية وكان يطلق على هؤلاء العبيد اسم (اسكاليبا) صقالبة وهم من الشعوب السلافية فى أوربا الشرقية والوسطى .

وتبوأ كثيراً منهم المراكز المرموقة فى الدولة وصارت له مكانته الهامة فى الخلافة الفاطمية وكان منهم قادة الجيوش مثل جوهر الصقلى .

وأستخدم نبات الحلفاء أيضاً فى صناعة الحصر وكانت إحدى الحرف التى يتكسب منها الناس. (٢) ولاشك كان يقبل على شرائها الطبقة البسيطة من الشعب ، واستخدمت تلك البسط، والسجاجيد فى كساء أرضيات المساجد. (٣) وقصور الحكام مثل قصر الخليفة المعز لدين الله (٣٤١-٣٦٥هـ/٩٥٣-٩٧٧م) الذى كانت تكسوا أرضيته مفروشات اللبود ومثل قصر المنصور الصنهاجى (٣٧٣-٣٨٦هـ/ ٩٨٥-٩٩٨م) ، الذى كانت تملأ أرضيات حجراته الأبسطة (٤) ومن الحرف الأخرى حرفة صناعة الطوب اللبن. (٥) .

حرفة طحن الحبوب

وهم الذين يطلق عليهم الدقاقين ، حيث يقومون بتنقية الغلال من الشوائب العالقة بها سواء من الطوب ،أو الحجارة ،أو التراب ، واستبعادها ثم غربلتها، وطحنها. وهى من الحرف التى تخضع لمراقبة المحتسب، لمنعهم من غش الدقيق كما كان عليهم إرسال كمية محددة إلى المخابز. (٦) وأخيراً يمكن القول أنه من ا لعسير حصر وتعريف جميع الحرف التى وجدت داخل إقليم إفريقية لكثرتها ، وإن نظرة فاحصة لما نقله لنا الاخباريون، عما كانت

---

(١) جوذر : سيرة جوذر ، ص ٥٢ ، وكان يطلق عليهم اسم الحصريون .
Bernard, Lewis, Themuslim Dis c.overy of Eurap George. Weiden feld and Nicolson, limited, London 1982, Page 188.
, The Arabs in History, Hutchinson University Library, London, Page 112

(٢) ابن عزرى : البيان جـ١ ، ص ١٨٣ .
(٣) حسنى عبدالوهاب : بساط العقيق ، ص ٣٤ .
(٤) حسنى عبدالوهاب : شهيرات التونسيات ، ص ٣٥ -٣٩ .
(٥) حسن إبراهيم : المعز لدين الله ، ص٢٠٨ .
(٦) الشيزرى : نهاية الرتبة ، ص ٢١ .

تغص به قصور الحكام من أنواع الصناعات ، لخير شاهد لنا على مدى تقدم وكثرة الحـــرف الصناعية فى إفريقية فى تلك الفترة (١) .

كما تعتبر قراءة اسماء العائلات بإفريقية وما اشتهرت به من القاب مثل النجار ، والخشاب والبناء لتعطينا فكرة واضحة عن وجود تلك الحرف فى أسواق إفريقية وتأصلها بها(٢).

حرفة صناعة الصدفيات

ومنها الصدفيات التى كانت تحول من شكلها التقليدى إلى قطع ترابيع ومعقبات ونجومـــاً ويرصع به خشب الأثاث ، وآلات الموسيقى ، ومناضد اللعب والسقوف .

ولاتزال هذه الصناعة قائمة معتنى بها فى إفريقية ، وتستخدم فى ترصيـــع المربعـــات ، والمرايا ، والقباقيب والمناضد والخزائن ، وسفر الطعام ، والكراسى ،التـــى يوضـــع فوقهـــا الأبريق ، والليان "الطشت " والمقاعد ، وكانت المرايا الصدفية " بيضاء " من أهم الأشياء التى تحرص عليها العرائس فى جهازها. (٣) .

أهم الصناعات فى إفريقية :-

تميزت إفريقية فى المجال الصناعى حتى فاقت الصناعة بها مجال الزراعة مـــن حيـــث التقدم والرقى اللذان اشتهرت بهما مدنها العديدة (٤) .

لذا فقد قامت بإفريقية العديد من الصناعات الهامة، التى اعتمدت علـــى المـــواد الخـــام الأولية، معدنية كانت أم زراعية ، والتى أولاها الحكام سواء الفاطميين ،أو الزيريين، كثيراً من عنايتهم واهتمامهم ، مما ســـاعد علـــى رقيهـــا وازدهارهـــا ومـــن أهـــم تلـــك الصناعـــات

صناعة النسيج والطراز :

بدأت هذه الصناعة أو أخر الدولة الأموية ، لكنها بلغت أوجها أثناء حكم الفـــاطميين،.(٥) الذين أولوها عظيم إهتمامهم لتكون لهم شخصيتهم المتميزة عن العباسيين، الذيـــن نـــاصبوهم

---

(١) ابن عذارى : البيان جـــ١ ، ص ٢٧٠ -٢٧٢ ، ابن أبى دينار : المؤنـــس ، ص ٧٦-٨٢ ، حســـن عبدالوهاب : شهيرات التونسيات ص٢٣٩ ، ص ٤٥ ، حسن إبراهيم : المعز لدين اللـــه ، ص ٢٠٧ ومابعدها .

(٢) الخشنى : قضاة قرطبة ، ص ٢١٣ - ٢٣٠ -٢٣٢ .

(٣) عثمان الكعاك : الحضارة العربية ، ص ٨٢ -٨٣ .

(٤) ارشيبالد لويس : القوى البحرية ، ص٣٢٩ .

العداء منذ قيامهم ، والعمل على إنتاج الاقمشة المخالفة لطراز العباسيين. فكان لباس الفاطميين البياض وهو شعار العلويين وكانت الويتهم بيضاء وعليها احيانا أهله من ذهب ، فى كل منهـــا صور سبع من الديباج الأحمر.[١] ومثلت دور الطراز أهم أماكن انتاج النسيج وكانت تنقسم إلى طراز الخاصة ، التى كانت مكلفة بصنع المنسوجات الخاصة للخليفة ، وأنواع الاقمشة التـــى يقوم بخلعها واهدائها إلى كبار رجال الدولة وأفرادها وحاشيته . وطراز العامة التـــى كـــانت تشتغل بجانب ذلك بانتاج المنسوجات اللازمة للشعب إلى جانب المصانع الأهلية ،التى كـــانت تسير جنبا إلى جنب مع نظم الطراز الحكومية ، وأن كانت هذه المصانع مثقلة بأنواع الضرائب الشديدة التى تفرضها عليها الحكومة [٢] .

ولم يكتف الأمراء بدور الطراز. [٣] التى تقيمها الدولة ، بل كان لهم معاملهم الخاصة فى داخل قصورهم ، والتى تقوم بصنع وتطريز ثيابهم الخاصة بهم ، بزينات مختلفة مثل الصـــور والزهور ، والكتابات الكوفية . ولقد بلغت هذه الصناعة بإفريقية درجة عالية جعلتها تفوق مـــا كان يصنع فى دور الطراز بصقليه. [٤] والطراز. [٥] من شارات الخلافة ،وعلامة من علامات

---

(٥) جـــورج مارسيه : بلاد المغرب ، ص٢٠٧ -٢٠٨ ، حسن الباشا : دراسات فى الحضارة الإسلامية، ص١٦٣ .

(١) آدم متز : الحضارة الإسلامية ، جـ١ ، ص ٢٣٨ .

(٢) ذكى محمد حسن : كنوز الفاطميين ، القاهرة ، سنة١٩٣٧ ، ص ١١٠-١١١ ، الباشـــا : دراســـات ص ١٦٣ ، ابوصالح الألفى : الفن الإسلامى ، دار المعـــارف بمصـــر ، ص ٢٩٣ القوصـــى ، الحضارة ، ص ١١٥ .

(٣) **الطراز** : تعد دار الطراز مثل غيرها من المنشآت فلها ناظر يتولى أمرها ومشارفون وعمال وشاهد. وكان العمل يجرى بها عند الحاجة إلى عمل شيء من المتاع ، أن تكتب به تذكره من ديوان الخزانه وترسل اليهم – دار الطراز – ويذكر فى هذه التذكرة مقدار النفقة المســتحقة مـــن المـــال والذهـــب المغزول . ويعد عمل المتاع يتم تقويمه ولا يعتد بما هو زائد من المـــال فـــى النفقـــة عـــن القيمـــة المذكورة. أما إن نقصت القيمة عما ذكر بالتذكرة يتم ذكر هذا النقص وتعمل به مطالبة من الديـــوان ويطالب بها المستخدمون فى دار الطراز وتضاف على حسابهم ويتم اخراجها من الرقامين ويعد ذلك جزاء لهم لتقصيرهم فى عملهم . ابن مماتى : قوانين الدواوين ، ص ٣٣٠-٣٣١ .

(٤) حسن عبدالوهاب : بساط العقيق ، ص٣٥ . يرجع الفضل فى انتشار نظام الطراز بجزيرة صقليـــة وازدهار صناعة النسيج بها إلى المسلمين فيما بين القرنين الثـــالث والخـــامس الهجريـــين ٩ :١١م . وكانت منتجات دور الطراز بها تشبه ما تتم صناعته بدور طراز مصر والشام والاندلس ، وكـــانت تلقى التقدير والاعجاب فى الأسواق المختلفة لاسيما مصر وظلت هذه الصناعة مزدهره بعد الحكـــم الإسلامى فى عهد النورمنديين ، وأنتشرت بها المصانع الملكية المليئـــة بالعمـــال ، وأخـــذت تغـــير موضوعات وأساليب الزخرفة الإسلامية إلى البيزنطية نتيجة لتأثير عمال النسيج اليونانيين الذين كانوا يعملون فى تلك المصانع. ذكى محمد حسن : كنوز الفاطميين ، ص ١٢٠-٢٢١ ، فنون الإســـلام ، دار الرائد العربى ، بيروت، ص ٣٥٨ .

(٥) هو علم الثوب وهى كلمة فارسية معربة وتعنى الطراز أو الهيئة أو الشكل ، وينســـب إلـــى مدينـــة (محله) بمرو يقال لها طراز ، كما يطلق لفظ طراز على الثوب الموشى الذى يرتديـــه عليـــه القـــوم

أبهة الملك ، والسلطان ، وأختلفت فيه الدول ، فلكل منها مذهبها الخاص فى وضع الأسماء أو علامات خاصة بهم فى ثيابهم المعدة للبسهم من الحرير ، أو الديباج ، أو الابريسم ، تعتبر كتابة خطها فى نسج الثوب إلحاماً وسدى بخيط الذهب ، أو ما يخالف لون الثوب من الخيوط الملونة من غير المذهب ،على ما يحكمه الصناع فى تقدير ذلك ، فتصير الثياب الملوكية معلمة بذلك الطراز بقصد التنويه بلابسها من السلطان ، فمن دونه أو بمن يختصه السلطان [١] .

وكان السائر فى أنحاء المملكة الإسلامية ، يستطيع بشىء من اليسر والسهولة ، معرفة البلد الذى يسير فيه وذلك ، عن طريق مشاهدته للصناعات النسيجية بها ، وما على حيطان الغرف من أنواع الستور. [٢] ولأهمية تلك الصناعة كان لابد لها من وجود شخص قائم بذاته يختص بها ويقوم بالاشراف على دور الطراز وهذا الشخص إما من الخواص ، أو من الموالى الثقاة إذ كان عليه الأشراف والمتابعة لكل ما يخص هذه الصناعة الهامة مثل، النظر فى أمور الصباغ وآلات الحاكه وإجراء الأرزاق عليهم ، وتسهيل عملهم ،وآلاتهم ، ومشارفة أعمالهم[٣] وهو أحد الموظفين الهامين داخل الدولة . ومن الذين تتجه إليهم الانظار. وتتملقهم العيون ، وكان عليه إعطاء الأمر لتلك الدور ،بصناعة آلاف القطع ، خاصة عند إقامة الحفلات كالزواج .[٤] ويرجع الفضل فى تعريب الطراز إلى الخليفة الأموى عبدالملك بن

وأطلق أولا على الكتابة الموشاه ثم أطلق على كل قطعة من النسيج عليها كلمات منقوشة أو مكتوبه على النسيج المنقوش الموشى بالخيط وعلى النقوش والتى توضع على الاشرطه المستعرضة من أى نوع سواء كان من الحجارة أو الفسيفساء أو الزجاج أو الفخار أو كان محفوراً بالخشب . محمد بن ابى بكر بن عبدالقادر الرازى : مختار الصحاح ، دار التنوير العربى بيروت ١٩٨٤ ، ص ٣٩٠ ، ابى الفتح ناصر بن عبدالسيد المطرزى الحنفى الخوارزمى : كتاب المعرب فى ترتيب المغرب، دار الكتاب العربى بيروت ، ص ٢٨٦ ، حسن إبراهيم حسن : تاريخ الإسلام السياسى والدينى والثقافى والاجتماعى الطبعة العاشرة ،مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ١٩٨٣ جـ٢ ، ص ٢٢٣ ، سعاد ماهر : النسيج الإسلامى ، الجهاز المركزى للكتب الجامعية والمدرسية والوسائل التعليمية ، القاهرة ١٩٧٧ ص ٢٤ ، محمد محمود إدريس : تاريخ العراق والمشرق الإسلامى خلال العصر السلجوقى الأول ، مكتبة نهضة الشرق ، القاهرة ، ص ١٩٨٥ ، ص ١٨١ .

(١) ابن خلدون : المقدمة ، ص ١٨٦-١٨٧ ، جرجى زيدان : تاريخ التمدن الإسلامى، مراجعة وتعليق حسين مؤنس ، دار الهلال ، القاهرة ، جـ١ ، ص ١٤٦ .

(٢) آدم متز : الحضارة الإسلامية جـ٢ ، ص ٣٥٠ ، أبوصالح : الفن الإسلامى ، ص ٢٩٤ .

(٣) ابن خلدون : المقدمة ، ص ١٨٧ ، سعاد ماهر : النسيج الإسلامى ، ص ٨٥ .

(٤) ارنست كونل : الفن الإسلامى ، ترجمة أحمد موسى ، مطبعة اطلس ، القاهرة ، ١٩٦١ ، ص ٥٢ ، ذكى محمد حسن : فنون الإسلام ، ص ٣٥٠ .

مروان (٦٥-٨٦هـ ٦٧٧-٦٩٨م) [١] ولاقت الصناعات النسيجية أهمية كبرى أثناء الحكم الفاطمى وبنى زيرى فهى إحدى علامات الرضا والتشريف والإقرار فى المناصب الحكومية ، وذلك عندما يقوم الخليفة بإهداء قطع منها إلى أحد رجال دولته [٢] .

وبلغت من أهميتها ، أن صارت أحد أهم البنود عند تبادل الهدايا فيما بين الحكام [٣] إما طمعاً فى خطب الود ، أو بسبب علاقات الصداقة القوية بينهم وحسن الجوار[٤] .

وحرص الفاطميون أشد الحرص على إعطاء هذه الصناعة الأهتمام الزائد والعناية الخاصة إذ مثلت منسوجاتهم أحدى وسائل الدعاية الخاصة بهم ومن ثم أصبح العناية بها من السنن المتوارثة بين الخلفاء الفاطميين . وكان لها دار خاصة تسمى "دار الكسوة" ويتم توزيع تلك الكسوات فى مناسبات مختلفة على الناس [٥] .

---

(١) جرجى زيدان : تاريخ التمدن الإسلامى ، جـ١ ص ١٤٦-١٤٨.

(٢) ابن خلدون : المقدمة ، ص ١٨٧ حسن عبدالوهاب : بساط العقيق ، ص٣٥ ، حسن الباشا : دراسات ، ص ٥٢ ، كونل : الفن الإسلامى ، ص ٥٢ .

(٣) ابن عذارى : البيان جـ١ ، ص ٢٦١-٢٦٩-٢٧٥ ، ابن أبى دينار : المؤنس ، ص ٨١ .

(٤) ذكى محمد حسن : فنون الإسلام ، ص ٣٥٠ .

(٥) محمد محمود ادريس : دراسات فى التاريخ والحضارة الإسلامية ، دار الثقافة ، القاهرة ١٩٨٤م ، ص ٣١-٣٣ .

وتبوأت إفريقية مكانة رفيعة وبرزت بها عدة مراكز هامة فى صناعة النسيج والثياب أثناء الحكم الفاطمى وبنى زيرى فمن تلك المدن "سوسة" فقد تنوعت بها ما بين منسوجات وملابس وعمائم فهى إحدى الصناعات الشعبية التى يمتهنها عدد كبير من الناس ،لذا كانت سوسة تختص بكثرة الأمتعة ، وجودة الثياب بها وقصارتها ، وكانت جميع الثياب الرفيعة من طرزها وكمدها ، ولا يصنع ببلد مثل صنعته بهذه المدينة فكانت ثيابها معلومة معروفة للجميع لا يوجد لها نظير تتميز ببياضها الرائق ، ومصيصها الذى لا يوجد فى غيرها ، لذلك حرص التجار على شراء وجلب صناعتها مثل الثياب وعمائم المعصور التى كانت تباع الواحدة منها بمائة دينار وكان التجار يحملونه إلى جميع البلاد شرقاً وغرباً ، ويباع بها الغزل المثقال بمثقالين [١] وكانت الصناعة بها تلاقى عناية خاصة وتشجيع من جانب حكام بنى زيرى مثل باديس[٢] والمعز[٣] .

ومثلت دور الطراز بمدينة سوسة ، أحدأهم الدور فى إفريقية . فكانت على درجة عالية من الرقى والتقدم وكان عمالها على درجة عالية من حسن الصنعة والجودة ، مما جعلها مقصداً لغيرها من دور الطراز الأخرى ، فكانت تستقبل الثياب لكى تقصر بها .[٤] ولم يقتصر الأمر على المدن والمراكز ا لكبرى فى إفريقية لكى يكون لها قصب السبق فى تلك الصناعة، بل

---

(١) مجهول : الاستبصار ، ص ٩ . أبو الفدا : تقويم البلدان ، ص ١٤٥ .

(٢) باديس : أبو مناد باديس المنصور بن بلكين ، ولد بمدينة آشير سنة (٣٧٤هـ /٩٨٦م) ، ولى إفريقية عقب وفاة أبيه المنصور سنة (٣٨٦هـ /٩٩٨م) ، كان ملكاً حازماً شديد البأس ، لقبه الخليفة الفاطمى الحاكم بأمر الله بلقب نصير الدولة ، وتبادل معه الهدايا والسفارات ، مثل عهده فترة اضطراب وحروب بينه وبين أعدائه ، لكنه كان ذا حنكة سياسية وعسكرية جعلته يتمكن من الانتصار على جميع الثورات والفتن التى قامت فى عهده ، اشتهر بالجود والكرم والعفو وكان محبوباً من جيشه، مات بمدينة المسيلة (المحمدية) سنة (٤٠٦هـ/١٠١٨م) أثناء محاربته لقبيلة زناته البربرية . انظر : ابن خلكان : وفيات الأعيان ، جـ١ ، ص٢٦٥-٢٦٦ . ابن عزارى : البيان ، جـ١ ، ص٢٤٧ -٢٦٧ . ابن كثير (عماد الدين أبوالفدا إسماعيل الدمشقى) : البداية والنهاية ، تحقيق مكتب التراث ودار إحياء التراث العربى ، مؤسسة التاريخ العربى ، بيروت (د.ت)، جـ١٢، ص٦ . ابن خلدون : العبر ، جـ٦ ، ص١٥٧-١٥٨ . ابن أبى دينار : المؤنس ، ص ٧٨-٨٠. الباجى المسعودى : الخلاصة النقية ، نسخة بدار الكتب المصرية تحت رمز (تاريخ) رقم ١٥٦١ ، ١٦٥٤ ، تونس ، ص٤٦ . أحمد بن أبى البيار : اتحاف أهل الزمان بأخبار ملوك تونس وعهد الأمين ، تحقيق لجنة من كتابة الدولة للشئون الثقافية والأخبار ، نشر كتاب الدولة للشئون الثقافية والأخبار ، تونس ١٩٦٣ ، ص ١٣٤-١٣٧ .

(٣) أحمد بن عامر ، الدولة الصنهاجية ص٦٩ .

(٤) البكرى : المغرب ، ص ٣٦ ، جورج مارسيه : بلاد المغرب ، ص ٢٠٧ .

نافست بعض المدن الصغيرة أيضاً وحاذت صناعتها النسجية الاحترام من قبل المشترين لهـــا بل صار ما تقوم بانتاجه يحمل إسمها ويجد طريقه للتصدير للخارج مثل، الكساء الطراقى الذى تنتجه دور الطراز بمدينة طراق الواقعة فى نطاق مدينة ققصه. (١) كما برزت مدينة صفـــاقس وارتقت بها الصناعات النسيجية ، حتى تبوأت مكانة عالية مرموقة ليس داخل إفريقية فقط بل على المستوى الدولى ونافست غيرها من ا لمدن ذات الشهرة العريقـــة عالميـــا مثـــل مدينـــة الاسكندرية وتفوقت عليها. (٢) وكانت مدينة تونس ،من بين المدن ذائعة الصيت فى صناعـــة النسيج وأشتهرت بنوع خاص بها تتم صناعته من الكتان أو من الكتان والصوف معاً ،ويطلق عليه إسم القماش الأفريقى ، ضاهى فى المتانة والحسن ما يصنع فى بغداد وأقبل الناس علـــى شرائه فكانت منه جل كساوى أهل المغرب .(٣) وكانت الأقمشة المصنوعة من الصـــوف بهـــا تسمى الملف وله سوق "الملافين" وصانعه يمسى بالملاف " (٤) .

واشتهرت مدينة طرابلس بصناعة النسيج ذا الألوان المختلفة فكان بها كثير من الصوف المرتفع وطيقان الاكسيه الفاخرة الزرق ، والكحل ، النفوســيه والســود والبيــض،الثمينــة(٥) واشتهرت أيضاً مدينة قفصة بالأردية ، والطياليس والعمائم المصنوعة من الصوف ، تتمـــيز بالرقة المتناهية وتضاهى ثياب الشرب (٦) وكانت مدينة قابس ، مـــن أبـــرز مـــدن إفريقيـــة بصناعتها الحريرية والصوفية ، فكانت الأقمشة الحريرية بها مضرب الامثال فـــى الجـــودة ، والمتانة ، والجمال والحسن ، وأحتكرت هذه الصناعة على مستوى إقليم إفريقية وكان حريرها أطيب الحرير وأرقه وليس فى عمل إفريقية حرير إلا فى قابس. (٧) ولم تقتصر شهرتها علـــى الاقمشة الحريرية بل إمتاذت بصناعتها الصوفية فكان بها جهاز من الصوف كثير .(٨) وكـــان الحرير مفضلا على غيره فى عمل الجبب المبطنه ذات الصنعة الرائعة وبلغ صانعوا الحريـــر

---

(١) نفس المصدر : ص ٤٧ ، أرشيبالد : القوى البحرية ، ص٣٢٩ .

(٢) الحميرى : الروض المعطار ، ص ٣٦٦ ، أرشبالد : القوى البحرية ، ص ٣٢٩ .

(٣) القلقشندى : صبح الأعشى ، جـ٥ ص ١٠٢ .

(٤) عثمان الكعاك : الحضارة العربية ، ص ٧٣ .

(٥) ابن حوقل : صورة الأرض ،

(٦) مجهول : الأستبصار ، ص ٤٠ ، الحميرى : الروض المعطار ، ص ٤٥٠ .

(٧) البكرى : المغرب ، ص ١٧ ، الحميرى : الروض ، ص ٤٥٠ ، أحمـــد ابـــن عـــامر : الدولـــة الصنهاجية، ص ١٧ .

(٨) ابن حوقل : صورة الارض ، ص ٧٢ .

درجة عاليه من حسن الصنعة والاتقان ، حتى كانت تتم صناعة قطع من الحريــر لا يتجــاوز طولها خمسة عشر سنتيمتر ووزنها يتراوح ما بين ستين إلى سبعين جرام[١].

ومما يجدر ذكره أن صناعة النسيج لم تقتصر على المدن الساحلية بل وجدت طريقها إلى الجنوب حيث بلاد الجريد فانتشرت بمدنه دور الطراز ونشطت هناك صناعة الثياب والأقمشة المتميزه . ومن المدن التى اشتهرت فى تلك المنطقة مدينة صغيره تدعى طره حيث بلغت بها الاقمشة الصوفية درجة عالية من التميز، وكانت تصدر إنتاجها إلى مدينة الاسكندرية [٢] .

وفى أخر حدوده الجريد برزت مدينة "درجين" التى اتخذت مـــن دور الطـــراز بمدينـــة سجلماسة ، مثلا يحتذى به ،فكانت تقوم بانتاج الانسجة المشابهة لما تقوم بإنتاجه دور الطـــراز بسجلماسة. [٣] واشتهرت مدينة "أجدابيه" بصناعتها الصوفيه ، وصدرت إنتاجها من الاكســـيه المقاربه وشقة الصوف الغريبة الأمر [٤] ومن المدن التى اشتهرت بصناعة الأقمشة التى حاذت الاعجاب لحسن صنعتها وجودتها مدينة القلعة فكان يصنع بها أنواع من الأكسية لا مثيل لهـــا فى الجودة والرقة إلا ما تتم صناعته بمدينة وجدة وكان ثمن الكساء المصنوع بمدينـــة القلعـــة يباع بما يزيد على ثلاثين دينار. [٥] ونافست مدينة بجاية ايضا بصناعتها النســـيجية المتمـــيزة غيرها من مدن إفريقية ، خاصة فيما يتمثل بصناعة العمائم. المحلاه بالذهب ،والتى تشبه فـــى حسن صنعتها التيجان ويقبل على شرائها الملوك والسلاطين وكان ثمن الواحدة منها يتراوح ما بين خمسمائة إلى ستمائة دينار [٦] .

وهكذا لاقت دورا لطراز عناية كبيرة من جانب الخلفاء الفاطميين ،ومـــن بعدهـــم بنـــى زيرى فكانوا يقومون بتطريز أقمشتهم والبنود الخاصة بهم بآيات القرآن الكريم [٧] .

---

(١) حسنى عبدالوهاب : بساط العقيق ، ص ٣٤ .

(٢) أبو الفدا : تقويم البلدان ، ص ١٤٧ ، القلقشندى : صبح الاعشى ، جـ٥ ص ١٠٨ .

(٣) مجهول : الأستبصار ، ص ٤٦ .

(٤) ابن حوقل : صورة الأرض ، ص ٧٠ .

(٥) الحميرى : الروض المعطار ، ص ٤٧٠ .

(٦) مجهول : الاستبصار ، ص ٢٠ .

(٧) ابن عزارى : البيان ، جـ١ ، ص ١٥١ . كان طراز السكة الفاطية فى عهد أبو عبدالله (الحمد لله رب العالمين) (سورة الفاتحة : آية ٢) ، وكان نقش خاتمه (فتوكل على الله إنك على الحق المبيـــن . سورة النمل : آية ٧٩) ، وفى الخاتم الذى يطبع به السجلات (وتمت كلمة ربك صدقا وعدلا لا مبدل لكلماته وهو السميع العليم . سورة الأنعام ، آية ١١٥) ، كما رسم فى أفخاذ الإبل عبارة (الملك للـــه) وفى البنود (سيهزم الجمع ويولون الدبر) ، سورة القمر آية ٤٥ . (وقل جاء الحق وزهق البـــاطل إن الباطل كان زهوقا ، سورة الإسراء آية ٨١) .

والعبارات الدينية التى تظهر الشعائر الخاصة بالمذهب الشيعى. (١) كما كانت الزخارف التى سادت الاقمشة الفاطمية تتألف من أشرطة من الكتابة ، توازيها أشرطة أخرى من أشكال سداسيه ، أو معينة أو بيضيه ، وفى وسط كل شكل رسم طائر أو حيوان ، أو اكثر فى أوضاع متقابلة ، أو متدابرة ، ثم زينت قوائم الحروف بفروع نباتيه دقيقة ، وكانت الكتابة أحيانا مجرد مقاطع مكرره للغرض الزخرفى (٢) .

كما شاع أستخدام معدنى الذهب والفضة في التطريز مثل البنود والمنجنيقات فقد أرسل الخليفة الظاهر (٤١١-٤٢٧هـ) (١٠٢٣-١٠٣٩م) سنة ٤١٤هـ إلى المعز بن باديس (٤٠٦-٤٥٣هـ/١٠١٨-١٠٦٥م) والى إفريقية هدية ، وكان من ضمن ما اشتملت عليه منجوقين منسوجين بالذهب على قصب فضه مادخل إفريقية مثلها قط وعشرين بنداً مذهبه ومفضضه. (٣) ومثل تغيير الطراز إحدى علامات الخروج على الدولة والسلطة والمعاداه لها مثلما فعل المعز بن باديس سنة ٤٤٣هـ ١٠٥٥م وقام بتغيير الطراز الفاطمى بالطراز العباسى .(٤) وهكذا برزت صناعة النسيج ودور الطرار فى جميع نواحى إفريقية وكان لكل مدينة منها طراز خاص بها يحمل اسمها وتعرف به بين المدن مثل مدينة سوسة التى اشتهرت عدا ما ذكرناه ، بصناعة نوع من الثياب يستخرج من نباتات بحرية تشبه البصل وتنمو فى مياهها حيث يتم استخراجه وتعريضه لاشعة الشمس حتى يجف وتتفتح - مثل القطن - ويستخرج ما بها من وبر ويغزل بعد تجميعة ثم يمشط ويعمل منه طعمه لقيام الحرير وتنسج منه الثياب ويطلقون عليه إسم صوف السمك. (٥) وأبدعت دور الطراز فى أنواع الصناعات المنتجة من الثياب فكان منها القمصان، والأردية الخارجية ، وشيلان النطق والاحزمة والعمائم التى كانت تحلى بأشرطة الحرير السميك المشغول بالابرة بصورة متقنه تعبر عن الدقه. (٦) وكان ديوان الخزانة - المالية وهو المسئول عن تحديد نفقات ما يتم صناعته فى دور الطراز من الأموال والذهب وذلك عن طريق تذكرة ترسل إلى ناظر الطراز. (٧) وكان للنساء دور هام

---

(١) محمد محمود إدريس : دراسات فى التاريخ والحضارة الإسلامية ، ص ٣٢ .

(٢) أبوصالح الألفى : الفن الإسلامى ، ص ٢٩٤ ، حسن الباشا : فنون التصوير الإسلامى فى مصر ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٩٤م ، ص ٦٤ .

(٣) ابن عزارى : البيان جـ١ ، ص ٢٧١ .

(٤) نفس المصدر : ص ٢٨٠ ، أحمد ابن عامر : الدولة الصنهاجية ، ص ٣٢ .

(٥) القلقشندى : صبح الاعشى ، جـ٥ ، ص ١٠٤ .

(٦) كونل : الفن الإسلامى ، ص ٥٢ .

(٧) ابن مماتى : قوانين الدواوين ، ص ٣٣٠.

بارز فى صناعة الغزل والنسيج ، حيث انتشرت الأنوال- المغازل – بمنازل أهالى إفريقية وكان عائدها يمثل أحد الدخول الهامة التى تعتمد عليه الأسرة فى معيشتها (١) .

صناعة الخمور والمربات والاشربة :

من الصناعات الهامة التى انتشرت داخل إقليم إفريقية ،وقامت على المواد الأولية الزراعية المتوفرة مثل الفاكهة المتنوعة من الكروم ،والتين ، والتفاح – الخ... ومن مناطق الصناعة مدينة مرسى الخرز ، حيث تم تصنيع النبيذ بها من العسل ، ومن نبات الذره ولاقت هذه المنتجات رواجاً كبيراً داخل تلك المدينة لمركزها التجارى العالمى وكثرة تجارها من مختلف الجنسيات وكان النبيذ المصنع من العسل يتم عمله فى نفس اليوم ويلقى إقبالا عظيما من الاهالى لانه يسكرهم الاسكار العظيم غير أنه يحدث نوعا من الصداع لشاربه لا تحدثه الانواع الاخرى. (٢) كما انتشرت تلك الصناعة بمدن رقادة والقيروان أيضاً (٣) .

صناعة الزيوت والسمن :

إنتشرت هذه الصناعة فى قرى ، ومدن إفريقية ، لتوافر الثروة الحيوانية المتنوعة والضخمة كالابقار ، والاغنام ، والماعز ، والابل ، إلى جانب النباتات الزيتية الذى احتل الزيتون المكان الأول فيها فكانت تتم زراعته فى مساحات شاسعة وبمناطق عده وكان بكل قرية معصرة للزيتون. (٤) ومن أشهر المدن فى هذه الصناعة تأتى مدينة صفاقس التى تعتمد عليها إفريقية فى سد حاجتها من هذه الصناعة ،إلى جانب تصدير كميات كبيرة منها إلى مصر والمغرب وصقليه والشام (٥) .

وبلغ من كثرته أن الدينار كان يشترى ما بين ستين إلى مائة قفيز من الزيت، حسب كمية المحصول المنتج (٦) كما كانت مدينة طرناسه عاصمة إقليم قبيشه كثيرة الزيتون (٧) .

---

(١) عياض موسى اليحصبى : ترتيب المدارك وتقريب المسالك ، مخطوط بدار الكتب المصرية رمز ح رقم ٩٦٧٣، جـ٢ ، ص ٢٤٥ .

(٢) ابن حوقل : صورة الأرض ، ص ٢٧ .

(٣) البكرى : المغرب ، ص ٢٧ ، ابن عذارى : البيان ، جـ١ ، ص ١٧٣ .

(٤) جورج مارسيه : بلاد المغرب ، ص ٨٩ .

(٥) البكرى : المغرب ، ص ٢٠ عبدالعزيز سالم ، احمد مختار العبادى : تاريخ البحرية الإسلامية فى حوض البحر الأبيض المتوسط ، البحرية الإسلامية فى المغرب والاندلس ، مؤسسة شباب الجامعة ، القاهرة ١٩٩٣ ، جـ٢ ، ص ٦٢ . أحمد ابن عامر : الدولة الصنهاجية ، ص ٦٩ .

(٦) ابن حوقل : صورة الأرض ، ص ٧٣ .

(٧) المقدسى : أحسن التقاسيم ، ص ٢٢٧ .

كما كان هناك نوع من الزيت يستخرج من زهر البنفسج، ويطلق عليه دهـــن البنفســج اشتهرت به مدينة قفصة وكانت تقوم بتصديره إلى غيرها من المدن [١] .

أما مدينة حامة مطماطه ، بإقليم قسطيليه (الجريد) فكانت معاصرها تنتج نوع من الزيت يستخرج من العنب ويستخدم فى إنارة المصابيح [٢] .

كما وجدت صناعة السمن ، من البان الحيوانات خاصة المدن التـــى تشــتهر بثروتهـا الحيوانية الكبيرة مثل مدينة يونه والتى كان البقر اكثر حيواناتها [٣] .كمـــا اشــتهرت قــابس بصناعتها الزيتية وكان يجهز منها لغيرها [٤] .

وكانت مدينة تاهرت إحدى المراكز الهامة فى صناعة السمن ، لغزارة ماشــيتهم وكــان كثيراً عندهم [٥] وأستخدمت أنواع الحيتان فى أستخراج الزيوت والشحوم منهـــا فـــى المـــدن الساحلية التى تشتهر بكثرة الصيد مثل تونس ، وبنزرت ، وبونة ، وكان الناس يستخدمونه فى مصائبهم [٦] .

كما قامت تونس بتصدير السمن إلى غيرها من المدن مثل القيروان. [٧] وكان يطلق على أحدايرجها إسم الدهان .[٨] ولم تقتصر المحلات على بيع السمن والزيت فقط بل كـــانت تقــوم ببيع كل ما يحتاجه المنزل مثل اللبن ، والجبن والمخلل ، وعسل النحل ،والزبيب، وغير ذلـــك ويخضع أصحاب هذه الحرفة لمراقبة المحتسب لكثرة غشوشاتهم [٩] .

صناعة الحلوى :

تعتبر الحلوى من الصناعات المتعددة الأنواع والأجناس والتى لا يمكن ضبطها بصفـــة ولاعيار اخلاطها مثل اللوز ، والنشا ، والخشخاش .[١٠] ولقد انتشرت هذه الصناعة فى إفريقة

---

(١) القلقشندى : صبح الاعشى ، جـ٥ ، ١٠٧ .
(٢) مجهول : الاستبصار ، ص ٤٤ .
(٣) ابن حوقل : صورة الأرض ، ص ٧٧ .
(٤) الحميرى : الروض المعطار ، ص٤٥٠ .
(٥) المصدر السابق ، ص ٨٦.
(٦) مجهول : الاستبصار ، ص ١٧ .
(٧) ابن حوقل : صورة الأرض ، ص ٧٥ .
(٨) البكرى : المغرب ص ٣٠ .
(٩) الشيزرى : نهاية الرتبة ، ص ٥٨ ومابعدها .
(١٠) نفس المصدر ، ص ٤٠ .

لتوفر عناصر قيامها مثل العسل. المستخرج من النحل ،والعسل الاسود المستخرج من القصب والتى تشتهر بزراعته قسطيلية [١] وقابس [٢] وسجلماسة [٣] .

وكان العسل متوفرا بكثره فى مدينة بونة .[٤] كما تميزت مدينة جلولا بصناعة الحلـــوى الطيبة لكثرة عسلها وطيبه الذى يضرب به المثل. [٥] ولم تقتصر صناعة الحلوى على العســل فقط بل كان يتم استخدام عصارة البلح أيضا فى صناعة الحلوى فى بعض مدن إفريقية مثـــل قفصة[٦] ولقد أفرد الشيزرى فصلاً بأنواع الحلاوات وكيفية صناعتها وأنواع الغش الموجـــود بها ، وكيفية إظهاره ومراقبة المحتسب لهم [٧] .

صناعة العطور :

نشأة هذه الصناعة الهامة فى إفريقية بفضل توفر عناصر نجاحها ممثلة فى توافر النباتات والزراعات العطرية بكثرة داخل إقليم إفريقية وتعدد أصنافها إلى جانب تهافت الأغنياء،والحكام على شراء هذا المنتج مما أدى إلى رواجها .وصنعت أنواع كثيرة من العطور مثـــل المســك والكافور[٨] .

وقامت مصانع العطور فى مدن إفريقية الصناعية والمراكز الهامة مثل قفصـــــة وكـــان أفضل أنواع العطور بها عطر الورد الذى كان ماؤه اذكى ماء يكون للورد [٩] .

حتى المدن التى لم تكن تكفى النباتات العطرية بها، قامت باستيراد كميات كبيرة منه مما جاورها من مدن اشتهرت بزراعتها فكانت تونس تستورد الرياحين من مدن أبــــه والاربـــس ورقادة [١٠] .

---

(١) ابن حوقل : صورة الأرض ص ٩٢ .
(٢) البكرى : المغرب ص ١٧ ، جورج مارسيه : بلاد المغرب ، ص ٢٠٦ .
(٣) ابن حوقل : صورة الارض ، ص ٩٠ .
(٤) ابن حوقل : صورة الارض ، ٧٧ . الحميرى : الروض ، ص ١١٥ .
(٥) البكرى : المغرب ، ص ٣٢ .
(٦) مجهول : الاستبصار ، ص ٤٠ .
(٧) الشيزرى : نهاية الرتبة ، ص ٤٠ –٤١ .
(٨) أبن أبى دينار : المؤنس ، ص ٨١ .
(٩) مجهول : الاستبصار ، ص ٤٠ .
(١٠) البكرى : المغرب ، ص ٥٢،٥٣ .

صناعة الخزف والزجاج [1] :

نشأت هذه الصناعة داخل إقليم إفريقية ، ويرجع الفضل في قيامها إلى المشرق الإسلامي[2] كما ساعد توفر المادة الخام على نموها وازدهارها فى كثير من المدن مثل مدينة القيروان فكان بها حى (سوق) خاص لاصحاب تلك الصناعة .[3] تصنع به التحف ذات الألوان المختلفة والنقود والأوزان. [4] ولم تقتصر هذه الصناعة على القيروان فقط بل وجدت طريقها إلى بلاد الجريد خاصة مدينة طرا حيث نشأت بها الصناعات الزجاجية المتقدمة ويصنع بها الزجاج الصافى [5] ومثلت تونس أحد المراكز الهامة فى صناعة الخزف والزجاج ،مثل أنية الماء الخزفية التى عرفت باسم الريحية وهى شديدة البياض فى نهاية الرقة يكاد الناظر لها أن يرى ما بداخلها ولم يكن لها نظير فى جميع الاقطار وعامة الامصار [6] كما أشتهرت مدينة قفصة بتلك الصناعة فكان يصنع بها زجاج حسن وأوان عجيبه [7] كما صنعت بها أدوات فخارية استخدمت فى حفظ التمور [8] وقام الصناع بتهذيب وتقطيع القطع الكبيرة الخشنة من الزجاج أو غير المكتملة أو المستوية، بأدوات حديديه ساخنة ونظموها فى أشكال محددة داخل

---

(١) **الزجاج** : ذكره الله تعالى فى كتابه العزيز وعنى أشف أنواعه وأصفاها فى قوله تعالى " مثل نوره كمشكاة فيها مصباح المصباح فى زجاجه الزجاجة كأنها كوكب درى " سورة النور آيه رقم ٣٥ وقوله تعالى " فلما رأته حسبته لجة وكشفت عن ساقيها قال أنه صرح ممرد من قوارير " سورة النمل آيه ٤٤ وقالوا أنه اول زجاج ظهر فى الدنيا ونسبوا عمله إلى الشياطين وأرخ الفرس أول ظهوره بأيام افريدون . وهو بالرومية ايوى لوسيس وبالسريانية زغزغونا ، وكان الزجاج معربا وهو مسبوك من الحجر المعروف لعمله أو من رمل يجتمع مع الغلى ويدام إيقاد النار عليه أياما يجتمع بكثرتها ويتصفى، ويزداد صلابه .. وقد يتلون الزجاج فى الذوب بصنوف الوان منها ما يبقى معه فيضم كالسواد والبياض . وما استولى فيه البياض كالفيروزجية .... والمقصود من أوانيه هو الشفاف الصادق ليرى من خارجها ما فى أجوافها .... وقيل بفلسطين نبات يسمى حشيشة الزجاج لأنها تجلو. الاوساخ التى فيه اذا خضخضت بالماء فى جوفه ، وقيل بقريه فهرود من قرى قاشان باصبهان نبات ينبسط على الارض ثم يستحجر زجاجا ابيض براقا ... ويستعمله أهل تلك النواحى فى الوان من الادويه ، البيرونى : كتاب الجماهر ، ص ٢٢١ - ٢٢٤ .

(٢) ويل ديورنت : قصة الحضارة المجلد الرابع ، جـ٢ ، ص ٢٥٠ . ابوصالح : الفن الإسلامى ، ص ٢٧٦-٢٧٧ .

(٣) جورج مارسيه : بلاد المغرب ، ص ٩٢ .

(٤) حسن عبدالوهاب : بساط العقيق ، ص ٣٦ .

(٥) القلقشندى : صبح الاعشى ، جـ٥ ، ص ١٠٨ .

(٦) البكرى : المغرب ، ص ٤٠-٤١ .

(٧) مجهول : الاستبصار ، ص ٤٠ .

(٨) الحميرى : الروض المعطار ، ص ٤٦٩ .

نماذج معدة لذلك ثم يثبتوها داخل إطارات صنعت من الرصاص ومقواه بالحديد.[١] وكان لظهور العطارين وانفصال الصيدله عن الطب الفضل فى كثرة صناعة القوارير وظهور الشمسيات أو القمريات وهى كوى فى الجدران وطنبور القباب مسدود بالجص المفرغ المشغول المرصع بفصوص الزجاج المختلفة الألوان والاشكال التى تتصور منها صور هندسية ونباتيه وحيوانية لا تدخل تحت حصر . وامتاز الزجاج بإفريقية بالزخرفة المنقوشة والمحتشات وهى سلوك من زجاج تلصق بجوانب الأنية وتتخذ منها زخارف هندسية لا تدخل تحت حصر أيضا استعمال لفسيفساء الزجاج أو فصوص الزجاج فى الشمسيات والثريات وتبليط ارضية البيوت والشوارع بطبقة زجاجية مختمة ومزخرفة " أرضية المنصورية قرب القيروان " ومن إفريقية انتشر لغيرها. [٢] ويمثل الخزف أهم الفنون التطبيقية الإسلامية ذات القيمة الأثرية الكبيرة فهو يمتاز بالرخص والكثرة وسهولة الاستعمال، وسرعة التلف، وعدم صياغته مرة أخرى ، ويمكن الاستغناء عنه بمجرد تلفه وغير ذلك من الاستخدامات [٣] .

ويرجع الفضل إلى المسلمين ، فى نماء وتفوق هذه الصناعة بإفريقية ، ووصولها إلى درجة عاليه من الجودة والإتقان خاصة وأنهم أدخلوا أنواعاً جديده من الخزف المطلى،والخزف ذو البريق المعدنى ، الذى لم يكن يصنع بإفريقية قبل وجود المسلمين بها[٤].

وبلغ الخزف ذو البريق المعدنى فى عصر الفاطميين مستوى عاليا من جودة الصناعة والاسلوب الفنى [٥] ويعود الفضل الاكبر فى تطور هذه الصناعة إلى التعاليم الإسلامية التى حرمت أستخدام أوانى الطعام والشراب التى تصنع من المعادن النفيسه مثل الذهب والفضة مما جعل المسلمون يلجأون إلى عناصر أخرى غير محرمة ومتواجدة فى نفس الوقت بكثرة فكان لجوءهم إلى الخذف ذو البريق المعدنى Lustered Pottery مكانها والتى أبدع فيها المسلمون أيما إبداع ويشهد على ذلك البقايا الموجودة منها [٦] وكانت النقوش المستخدمة فى هذا الخزف

---

(١) ج. كرمب وأ. جاكوب : تراث العصور الوسطى، ترجمة محمد بدران ، محمد مصطفى زياده : مؤسسة سجل العرب القاهرة ، ١٩٦٥ . جـ١ ، ص ٢٠٧ .

(٢) عثمان الكعاك : الحضارة العربية ، ص٨٣-٨٤ .

(٣) حسن الباشا : دراسات فى الحضارة الإسلامية ، ص ١٦٧ .

(٤) جورج مارسيه : بلاد المغرب،٩٢-٩٣ ،موجز دائرة المعارف الإسلامية ، جـ١٥ ، ص ٤٦٤٩ .

(٥) حسن الباشا : فنون التصوير ، ص ٥٨ . كونل : الفن الإسلامى ، ص ٥٠ .

(٦) سعيد عبدالفتاح عاشور : المدينة الإسلامية وأثرها فى الحضارة الأوربية ، دار النهضة العربية ، القاهرة ١٩٦٣م ص ١٨٨ واختلفت الآراء حول نسبة هذا النوع من الخذف ذو البريق المعدنى إلى دولة محدده وان كانت تتفق معظم الآراء على نسبته إلى المشرق الإسلامى فهناك رأى ينسب هذا

يتم رسمها بأكسيد معدنى على طبقة من الطين المزجج ثم يعرض الاناء بعد ذلك إلى نار ثانية مدخنة مكتومة تقوم بتحويل الصبغة إلى طبقة معدنية رقيقة وتكسب الطلاء بريقا متعدد الألوان وبهذه الطريقة أخرج الصناع أوانى ذات لون واحد جميل وأخرى متعددة الألوان منها خضراء ذهبية وبنية داكنة وصفراء وحمراء وتتدرج بها الألوان تدرجا متناسقاً لا يكاد يحسه الإنسان ولا تقل عن المائه عدداً [١] واستخدم فى نقش الفخار وزخرفته الحفر والزخارف المجسمة (الباربوتين) والطبع بالختم أو بالقوالب وهى إحدى الصناعات التى تتعدد بها التخصصات والحرفيين ولكل منهم عمل مستقل ويكمل عمل الآخر بصوره متقنه. [٢] وانقسمت الصناعة الخزفية لدى الفاطميين إلى نوعين أولهما يمثل حياة البلاط والحاشية والأثرياء ومسراتهم من رقص ،وعزف ،وشرب ،وصيد، والثانى يمثل الطبقة العامة للشعب بكل ما تمثله حياتهم العامة [٣] .

كما كانت الرسوم على الخزف ذى البريق المعدنى ، تتكون من زخارف نباتيه ، وهندسية وكتابات عربية إلى جانب صور الكائنات الحية التى كثر تمثيلها فى هذا العصر [٤] وكان ظهور هذا النوع من الخزف فى العصر العباسى، وأنتشرت هذه الصناعة فى عدد من المراكز الإسلامية مثل مصر، وإيران ، والرى وسوسه ، والاندلس. [٥] ومن المناطق ذات الشهرة فى صناعة الخزف ذى البريق المعدنى بإفريقية مدينة القيروان وجزيرة جربه. [٦] وتميزت صناعات القيروان سواء الزجاجية أو الخزفية المطلية بالمينا بالرقى والجودة [٧] .

وتمت صناعة بلاط من الخزف ذى البريق المعدنى ،استخدمت فى تزيين محراب مسجد القيروان [٨] وكان اللجوء إلى إستخدام الصناعات الزجاجية الملونه هو الرغبة فى أحداث نوع

النوع من الخزف إلى إيران وآخر إلى مصر وآخر إلى العراق الذى قيل أنه أنتقل منها إلى مصر أثناء حكم الطولونيين ، ذكى محمد حسن : كنوز الفاطميين ، ص ١٤٨.

(١) ويل ديورنت : قصة الحضارة المجلد الرابع ، جـ٢ ، ص ٢٤٩ - ٢٥٠ ، عاشور : المدينة الإسلامية ، ص ١٨٨ .

(٢) حسن الباشا : دراسات فى الحضارة ، ص ١٧٠ ، موجز دائرة المعارف جـ١٥ ، ص ٤٦٥٠

(٣) حسن الباشا ، فنون التصوير ، ص ٦٠ .

(٤) نفس المرجع ، ٥٩ .

(٥) أبوصالح : الفن الإسلامى ، ص ٢٦٩ - ص ٢٧٠ .

(٦) حسن عبدالوهاب : بساط العقيق ، ص ٣٦ .

(٧) ارشيبالد لويس : القوى البحرية ، ص ٢٥٣ .

(٨) أبو صالح : الفن الإسلامى ، ص ٢٧٠ .

من اشكال الجمال ، وملء الفراغات داخل النوافذ ، وإشاعة جو من الضوء والدفء. [١] ولم يقتصر الأمر فى صناعة الفخار، على نوع واحد فقط : بل تعددت الأنواع مثل القاشانى، والفسيفساء الخزفية ، وهى تختلف عن بعضها البعض من حيث الطينة أو العجينة المستعملة ومن حيث التشكيل، [٢] وتعتمد الفسيفساء الخزفية على تركيب عدد من القطع المختلفة فى الحجم والشكل صغيرة مقطعة من الواح كبيرة من الخزف المدهون ثم يتم تجميعها معاً مع مراعاة تناسق الألوان طبقا لنظام محدد يحقق الوصول إلى صورة معينة أو تكوين زخرفى خاص ثم تثبت بعد ذلك عن طريق ملاط يصب عليها من الخلف [٣] .

صناعة استخراج الملح :

ومن الصناعات الشهيرة ، أستخراج الأملاح من الملاحات الكثيرة مثل مدينة تونس التى صدرت انتاجها لغيرها من المدن. [٤] وملاحتها من اكبر الملاحات حيث تبلغ مساحتها ٢٤ ميلا[٥] . كما اشتهرت بسكرة أيضا بملحها المستخرج من جبلها ، حيث يعد من أحسن الانواع فى إفريقية وكانت قطع الملح المستخدمة منه كقطع الصخر الجليل وهو من الانواع التى كان يفضلها الخليفة الفاطمى عبيدالله (٢٩٧-٣٢٢هـ/٩٠٩-٩٣٤م) وبنوه وكانوا يستعملونه فى أطعمتهم [٦] وأنتشرت مصانع أستخراج الملح بالمنستير وكانت السفن تقوم بشحنه وتصديره إلى مختلف البلاد [٧] .

وكانت بلاد السودان، أهم المناطق التى تقوم باستيراد الملح من إفريقية ،لقلته بها ،وكان من اغلى السلع ، فكان حمل الجمل يباع ما بين مائتين إلى ثلاثمائة دينار [٨] .

---

(١) كرمب وجاكوب : تراث العصور الوسطى ، جـ١ ، ص ٢٠٦ .

(٢) عطيه القوصى : الحضارة الإسلامية ، ص١٧٠ ، موجز دائرة المعارف ، جـ١٥ ، ٤٦٥٠ .

(٣) أبو صالح : الفن الإسلامى ، ص ٢٧٣ .

(٤) البكرى : المغرب ، ص٤٠ . ارشيبالد : القوى البحرية ، ص ٣٣٠ .

(٥) أبو الفدا : تقويم البلدان ، ص ١٤٣ .

(٦) البكرى : المغرب ، ص ٥٢ .

(٧) نفس المصدر ، ص ٣٦ .

(٨) ابن حوقل : صورة الأرض ، ص ٩٨ .

دور صناعة السفن :

من أكثر المنشآت التى حظيت باهتمام كبير من جانب الفاطميين ،وبنى زيرى ،ولقد بدأت هذه الصناعة فى عهد بن أميه حين أمر عبدالملك بني مـــروان. (١) ٦٥- ٨٦هـــ ٦٧٧-٦٩٨م أخيه عبدالعزيز والى مصر بإمداد حسان بن النعمان (٢) .

وإلى إفريقية بألف أسرة قبطية من مصر، لانشاء دار الصناعة بتونـــس وهـــى أول دار صناعة يقيمها المسلمون ، وأن يقوم البربر بتقطيع وجلب الاخشاب اليها ،ليكون ذلـــك جاريـــا عليهم لأخر الدهر (٣) .

وكان سبب اختيار الخليفة الأموى لصناع مصر هى أن مصر من البلاد الساحلية والتـــى مرن أهلها على ركوب البحر منذ القدم ، إلى جانب أن مصر حتى عام ٤٩ هـ -٦٦١م كانت المكان الوحيد الذى توجد به دار الصناعة السفن فى الدولة الإسلامية (٤) .

وكان الهدف من إنشاء دار لصناعة كما حدده الخليفة عبدالملـــك (٦٥-٨٦هـــ/٦٧٧-٦٩٨م) هى أن تكون عدة وقوة للمسلمين إلى آخر الدهر ، أن تصنع بها المراكـــب ويجـــاهد الروم فى البر والبحر وأن يغار منها على ساحل الروم فيشتغلوا عن القيروان نظراً للمســـلمين

---

(١) عبد الملك ابن مروان : ولد سنة ٢٦ هـ ويكني أبا الوليد. وهو أول من تسمى بعبدالملك فى الإسلام بايع لنفسه بالخلافة فى الشام ووعد الناس خيراً ودعاهم إلى احياء الكتاب والسنة وأقامة العدل والحق، واشتهر بالصدق والفضل والعلم لايختلف فى دينه أو ورعه ولم يختلف على بيعته احد من قريش أو الشام غير عمرو ابن سعيد الذى وعده عبدالملك أن يتولى الخلافة من بعده . وتولى الخلافة سنة ٦٥ هـ/٦٨٧م حتى سنة ٨٦ هـ/٦٩٨م ، وكان يلقب بابا الذبان إيضاً وقد شارك فى حملة معاويه ابن حديج على إفريقية وفتح مدينة جلولا وإستطاع القضاء على خصومة خاصة عبدالله ابن الزبير كمـــا قضى على حركات الخوارج والتوابين وقام بتوطيد الأمن وشجع الزراعة والتجارة وعَرب الدواويـــن وقام بسك العملة الإسلامية على الطراز الإسلامى بعيدا عن التأثيرات الفارسية والبيزنطية وهو يعـــد المؤسس الثانى للدولة الأموية وأهتم بأمر إفريقية فأرسل زهير بن قيس البلوى عقب استشهاد عقبـــه ابن نافع وتوفى عبد الملك سنة ٨٦ هـ وله من العمر ٤٠ عاماً وقيل ٥٧ أو ٦١ أو ٦٤ عاماً . بـــن قتيبه الدينورى : الإمامة والسياسة ، ص ٢٣ -٣٣-٣٥-٦٦-٦٨ . بن ابى الدم : التاريخ المظفـــرى جـ١ ص ٢٣١ إلى ٢٥٥ . ابن عزارى : البيان ، جـ١ ص ٣١ . ابن كثير : البداية والنهايـــة ، جـ٨ ، ص ٢٨٦ جـ٩ ، ص ٨٣ . محمد بن احمد بن اياس الحنفى : بدائع الزهور فـــى وقـــائع الدهور ، تحقيق محمد مرتضى ، الهيئة المصرية العامة للكتاب القاهرة ، ١٩٨٢ ، جـ١ ، ص ١٢١ . السيوطى : تاريخ الخلفاء ، ص ١٩٠ -١٩٧ . بن أبى دينار : المؤنـــس ، ص ٢٤ -٢٥ . محمد ماهر حماده : الوثائق السياسية والأدارية العائدة للعصر الأموى ، ط ١ مؤسسة الرسالة . دار النفائس ، ١٩٧٤ ، ص ٥١ .

- Benard Lewis, The Arabs in History Hutchinsom university Library - Lodon Page 75.

(٢) ابن عزارى : البيان جـ١ ، ص ٥١ . وابن أبى دينار : المؤنس ، ص ٦٠ ، أن الذى بناهـــا هـــو عبيدالله بن الحبحاب الذى تولى إفريقية من ١١٦هـ إلى ١٢٣هـ .

(٣) البكرى : المغرب ، ص ٣٨ .

(٤) سيـــده إسماعيل الكاشف : الوليد بن عبدالملك ، وزارة الثقافة والارشاد القومى المؤسســـة العامـــة للتأليف والطباعة والنشر القاهرة ١٩٦٢ ، ص١٥٦ ،وما بعدها . ابن خلدون : المقدمة ، ص ١٧٦.

وتحصينا لشأنهم [١] وكان أنشاء هذه الدار من الأمور التى تحسب لعبدالملك بن مروان ، لنفاذ بصيرته وذلك لمواجهة إفريقية لبلاد الروم والفرنجه والقوط وغيرهم من الأمم التى كان لهـا باع طويل فى الحروب البحرية وحذقهم فى ركوب البحر ، فكان ساحل إفريقية دائم التعـرض لغاراتهم [٢] ولم تلبث أن انتشرت بعد ذلك دور صناعة السفن فى مدن إفريقية الساحلية ومـن أهم هذه الدور تلك التى أقيمت فى مدينة المهدية شرقى قصر عبيـد اللـه المهـدى (٢٩٧-٣٢٢هـ/٩٠٩-٩٣٤م) وهى من اكبر دور صناعة السفن فى إفريقية فكانت تسع اكـثر مـن مائتى مركب بالاضافة إلى وجود مخزنين (قبوان) كبيرين طويلين تحفظ بهما الآلات والعـدد الخاصة بالسفن لكيلا تتعرض للتلف من جراء تعرضها لاشعة الشـمس والمطـر. [٣] وكـان بمدينة مرسى الخرز دار أيضا تصنع بها المراكب لغزو بلاد الروم. [٤] واقيمت بمدينة سوسه دار لصناعة السفن [٥] وكان لبعض المدن دوران لصناعة السفن مثل مدينة باجه [٦] .

وأولى الفاطميون هذه الدور عناية خاصة . فكانت لها المخازن الخاصة بها والتى تحوى كل ما تحتاج إليه ، بالاضافة إلى تعيين الاشخاص الخاصين بشراء كل ما يلزم مـن حوائـج الاسطول ، إلى جانب تعيين شخص قائم بذاته يطلق عليه متولى خزائن البحر .[٧] وكان قـائد الأسطول فى عهد الفاطميين من أعلى الموظفين فى الدولة فهى من مراتب الدولة وخططهـا، ومرؤسه لصاحب السيف وتحت حكمه فى كثير من الأحوال ويسمى صاحبهـا فـى عرفهـم الملند[٨] .

---

(١) البكرى : المغرب ، ص ٣٨ ابن خلدون : المقدمة ، ص ١٧٦ .

(٢) ابن خلدون : المقدمة ، ص ١٧٧ .

(٣) البكرى : المغرب ، ص ٣٠ .

(٤) نفس المصدر ، ص ٥٥ ، مجهول : الاستبصار ، ص ١٦ .

(٥) البكرى : المغرب ، ص٣٤ .

(٦) مجهول : الاستبصار ، ص ٢٠ . وتعتبر مدينة باجه من المدن الكبيرة غزيرة المياة وهـى مقامـة فوق جلب يسمى عين الشمس بها حصن قديم البناء يقال أنه من عهد عيسى عليه السلام وبها خمسة حمامات كما تشتهر بالتجارة ويوجد بها ثلاث رحاب لبيع الطعام وتكثر بها الامطار وتعد ارضها من أجود واخصب الأراضى الزراعية ، كما يكثر بها الأنتاج الزراعى بها قرى كثيرة وتشـتهر بانتـاج القمح والسفرجل والعنب وأيضاً صيد الحيتان ، وكان الناس كثيراً ما يتنازعون فى حكم باجه وذلـك لغناها وهى تقع على الطريق من مدينة القيروان إلى طبرقة . انظر البكرى : المغـرب ، ص ٥٦-٥٧ .

(٧) جوذر : سيرة جوذر ، ١٠٢ .

(٨) ابن خلدون : المقدمة ، ص١٧٦ .

وكان الفاطميون يواجهون أية تسيبات من جانب قاده الأساطيل بالحزم والشده تصل أحيانا إلى القتل [١] وكان القائمون على الخزائن ، يعاملون معاملة كريمة حتى عند وفاتهم فحين مات أحمد بن محمد الطلاس وكان تحت إمره جوذر فى خزائن البحر أمر له بكفن مما يكفن به شيوخ الأولياء من كتامه [٢] ولم تقتصر دور الصناعة على مجرد دار إنشاء السفن الحربية وكانت تقوم بإنشاء السفن التجارية التى يمتلكها التجار سواء من الحكام [٣] أم الشعب مثل أهالى مدينة سوسه [٤] بالاضافة إلى إنشاء القوارب الصغيرة التى تستخدم فى عمليات الصيد أو استخراج المرجان [٥] وكانت دور صناعة السفن تعمل على إنشاء العدد والآلات والمعدات التى يحتاجها الاسطول والجيش مثل الخوذ المحلاه بالذهب والجواشن والسيوف والرماح والنبل وغير ذلك[٦] وكان العمال بهذه الدور يمثلون أمهر الصناع وأفضل العناصر . ولقد انتجت دور الصناعة أنواعا مختلفة من السفن منها الشوانى وهى أهم قطع الاسطول وأقدم السفن البحرية وهى حربية كبيرة بها الابراج العظيمة ومزودة بالعدد والآلات الحربية وأسلحة النفط .

ومنها الحراريق أو الحراقات وتعتبر أقل حجماً من سابقتها لكنها تجهز أيضاً بالآلات الحربية المختلفة وكان منها نوع مدنى يستخدمه الأمراء ورجال الدولة أثناء الاحتفالات البحرية والحفلات الرسمية ومنها أيضاً الطرادات أو الطرائد وهى حربية صغيرة الحجم سريعة تخصص لحمل الجنود والاغربة وهى نوع من الشوانى يشبه رأس الغراب ومنها القراقير وهى سفن خاصة بالأمدادات والتزويد ومنها العشاريات والفلانك والقوارب والجمالات وهى من سفن التزويد والامداد والشلنديات وهى سفن مسطحه تستخدم فى حمل الجنود والاسلحة إلى جانب السفن الصغيرة مثل الكشير والشذوات والسميريات التى تستخدم فى حمل الجنود والمؤن والحراسة [٧] .

---

(١) المصدر السابق ، ص ١٠٣ .

(٢) نفس المصدر ، ص ١١٥ .

(٣) جوذر : سيرة جوذر ، ص ١١٦ ، ١٢٧ ، ١٣٦ .

(٤) الهادى ادريس : الدولة الصنهاجية جـ١، ص ٢٦٤ .

(٥) ابن حوقل : صورة الأرض ، ص ٧٦-٧٧ .

(٦) القلقشندى : صبح الأعشى ، جـ٣ ، ص ٤٧٣ .

(٧) عطيه مصطفى مشرفه : نظم الحكم بمصر فى عصر الفاطميين ٣٥٨١-٥٦٧هـ م٩٦٨-١١٧١م الطبعة الأولى ، دار الفكر العربى ، مطبعة الاعتماد ، القاهرة ، ١٩٤٨م ، ص ١٨٣ -١٨٤ .

كما قامت دور صناعة السفن بإفريقية خلال حكم بنى زيرى بصناعة الصنادل من القوارب وهى تستخدم فى السفر بين المدن [١] .

كما نشأت بإفريقية صناعة الصابون خلال عصرى الفاطميين وبنى زيرى وكانت مدينة القيروان إحدى المراكز الهامة فى هذه الصناعة . ومن إفريقية انتقل الى غيرها من الجزر[٢].

---

(١) جوذر : سيرة جوذر ص ٩٨ .

(٢) عثمان الكعاك : الحضارة العربية ، ص ٨٥ .

الفصل الثانى

الفصل الثانى

مراكز التجارة فى إفريقية

أ - أهم المراكز التجارية البحرية .

ب - أهم المراكز التجارية البرية .

- التجارة الداخلية :

أ - التجارة فى المدن .

ب - التجارة فى القرى .

- الطرق بين مراكز التجارة

أهم المراكز التجارية البحرية فى إفريقية :

احتل النشاط التجارى فى إفريقية مكانة هامة مرموقة خلال فترة حكم الفاطميين ، ثم بنى زيرى من بعدهم ، وكان للعناية الكبرى من جانب الحكام هى الباعث الأول والسند الحقيقى لتبوأ هذا النشاط المكانة الأولى فى إفريقية ، فما أن بسط الفاطميون سيطرتهم على الإقليم حتى أخذت أبصار الخليفة عبيد الله المهدى (٢٩٧-٣٢٢هـ / ٩٠٩- ٩٣٤م) تتجه صوب ساحل البحر المتوسط ، وقام ببناء عاصمته الجديدة المهدية (٣٠٠هـ/ ٩١٢م) مخالفاً بذلك القواعد والأسس التى كان المسلمون يعتمدون عليها فى بناء عواصمهم فى مناطق داخلية ، كالفسطاط بمصر، والقيروان بإفريقية ، وكانت المهدية المدينة الإسلامية الأولى التى تنشأ على ساحل البحر المتوسط [١] .

وانخرط الحكام وأسرهم ومن انضم إليهم من حاشيتهم فى النشاط التجارى، وصارت لهم السفن التجارية التى تجوب البحار متنقلة بالسلع والبضائع بين الموانى المختلفة ، سواء فى إفريقية أم غيرها[٢] . ولم يتوان الفاطميون فى سبيل تأكيد سيطرتهم التجارية على تلك المنطقة الهامة فى غرب البحر المتوسط من استخدام القوة الحربية فى القضاء على منافسة كل من تسول له نفسه مزاحمتهم ، أو أخذ مكانتهم فى هذا المجال الهام، لاسيما من جانب المدن الإيطالية الواقعة على البحر التيرانى [٣] ومن دلائل زيادة هذا النشاط التجارى أن كثيراً من تجار المراكز التجارية بإفريقية كان يمتلك السفن التجارية مثل تجار مدينة سوسه ، [٤] وغيرهم من رجال الحكم ، [٥] وأهالى مدينة طرابلس [٦] .

واحتلت تجارة إفريقية المكانة الأولى فى الجزء الغربى من البحر المتوسط كجزء من التجارة الإسلامية التى صارت لها الكلمة الأولى عالمياً فى ذلك الوقت فكانت سفنها التجارية تجوب البحار فى حرية تامة وأمان كامل [٧] وأصبحت إفريقية الوسيط التجارى

---

(١) أرشيبالد لويس : القوى البحرية ، ص ٢٥٤.

(٢) جوذر : سيرة جوذر ، ص١٢٧.

(٣) ارشيبالد : القوى البحرية ، ص ٢٣٤-٢٣٥.

(٤) التيجانى : رحلة التيجانى ، ص ٢٩.

(٥) جوذر : سيرة جوذر ، ص ١٣٨ ، أرشيبالد : القوى البحرية ، ص ٢٥٣.

(٦) ابن عذارى : البيان ، جـ ١ ، ص ١٦٩.

(٧) آدم متز : الحضارة الإسلامية ، حـ ٢ ، ص ٣١٣

الهام المتحكم فى نقل السلع والبضائع بين موانئ البحر المتوسط ، [١] واستطاعت إفريقية القضاء التام على منافسة الروم التجارية فى غربى البحر المتوسط ، فلم يسبح للنصرانية فيه ألواح [٢] . وتميز الأسطول بالتناسق والانضباط مما أدى إلى زيادة التبادل التجارى مع غيرهم [٣] ، ومن العوامل المساعدة أيضاً فى زيادة النشاط التجارى لإفريقية فى تلك الفترة ذلك الامتداد الكبير الذى امتازت به سواحلها البحرية ، واتصالها المباشر بالمشرق والمغرب دون عوائق ، إلى جانب كثرة الخلجان والجزر القريبة من الشاطئ وموقعها المتميز كإحدى النقاط المركزية فى حوض البحر المتوسط الغربى كل ذلك كان له أثره الفعال فى زيادة نشاطها التجارى [٤] .

وفى سبيل تأكيد هذا التفوق : التجارى والعمل على زيادته ، والإفادة الكبيرة منه، أشرف الفاطميون ، وبنى زيرى ، إشرافاً دقيقاً منظماً على جميع المراكز التجارية والموانئ البحرية ، فأنشأوا بها المنافذ الجمركية التى تقوم بتحصيل الضرائب المفروضة على التجارة بقيمة عشرة بالمائة [٥] ونتيجة لذلك صارت مدن إفريقية الساحلية مراكز تجاريه هامة جذبت إليها التجار من جميع أنحاء المعمورة .

ومن أهم المراكز التجارية الساحلية التى كان لها شأن فعال فى النشاط التجارى لإفريقية :

<u>برقة</u> : تعتبر مدينة برقة مدينة برية بحرية ، فهى تقع على مسافة ستة أميال من ساحل البحر المتوسط ، وهى متوسطة المساحة ، وتتميز أرضها بالخصوبة رغم وقوعها

---

(1) Norman Daniel: The Arabs and mediaeval Europe, Longman, Library duliban Page.6

أرشيبالد : القوى البحرية ، ص ٢٥٢.

(٢) ابن خلدون : المقدمة ، ص ١٧٨.

(٣) أرشيبالد : القوى البحرية ، ص ٢٤١.

(٤) عبدالعزيز سالم : تاريخ البحرية ، جـ ٢ ص ٤٨ ، يسرى عبدالرازق الجوهرى : شمال إفريقية دراسه فى الجغرافيا التاريخيه ، منشأة المعارف ، الإسكندرية ،١٩٧٣م ، ص ١٧٣ ، عبدالواحد ذنون طه : استيطان القبائل البربرية ، حوليات الجامعة التونسية ، عدد ١٨، ص ٢٩٢-٢٩٣.

(٥) أرشيبالد : القوى البحرية ، ص ٢٦٢.

إلى الداخل ، حيث تقع فى مرج واسع وتربتها تتميز بالحمرة الشديدة [١] ويطلق على أهلهـا اسم الفسطاط لحمرة ملابسهم ، واختلافهم عن غيرهم من أهل المغرب ، كمـا تحيـط بهـا البوادى من كل مكان وتسكنها كثيرا من القبائل البربرية المختلفة إلى جانب الجند [٢] .

وعرفت قديما باسم سيريتابكا [٣] كما كانت تسمى أيضاً بنطـابلس [انطـابلس][٤] وهو اسم رومى إغريقى ، يعنى بالعربية خمس مدن ، وهى مدن أسسـها اليونـانيون فـى أزمان مختلفة ، وهذه المدن هى طوشيرا [أرسينولى] وأطلق عليها العرب اسم طوكـره ، وسيرين ، [قورين] وتسمى الآن قرنة ، أو شحات ، وردبر نيق ، وأبولونيا ، وتسـمى الآن سوسة ، وبارس [أبطوليمانيس] وتسمى الآن المرج، [٥] افتتحها عمرو بن العاص فى خلافة عمر بن الخطاب – رضى الله عنه – عقب فتح مدينة الإسكندرية بعـد أن قضـى علـى مقاومتهم ، فلم يكن أمامهم إلا طلب الصلح ، على أن يقوموا بدفع الجزية المقررة عليهـم، ومقدارها ثلاثة عشر ألف دينار . وعلى من لا يستطيع دفع الجزية القيام ببيع من أحب مـن أبنائه ، أو بناته ، فى سبيل دفع الجزية ، [٦] ويبدو أن عمرو ابن العاص قد سمح للبعـض منهم بأن يدفعوا مقدار ما عليهم من الجزية ، إما ابنه ، أو ابنته ، أو جزء مـن ماشـيته ، حيث ذكر ابن أعثم [٧] فى الصلح بين عمرو وبين أهالى برقة " وكان مما صـالحهم عليـه

---

(١) تنتشر هذه التربة الحمراء فى المرتفعات الشمالية لهذا سميت باسم برقة الحمراء ، أما المرتفعات المتدرجة نحو الجنوب فتغطيها تربة رمادية اللون ولهذا سميت هذه المنطقة باسم برقة البيضاء . Gyevr : دائرة المعارف الإسلامية ، جـ ٧ ص ٧٤ .

(٢) اليعقوبى : صفة المغرب ، ص ٣ . الاصطخرى : المسالك والممالك ، ص ٣٣. ابـن حوقـل : صورة الأرض ، ص ٦٩ . كانت قبيلة لواته أول القبائل البربرية التى نزلت برقة عقب خـروج البربر من فلسطين . ابن عبدالحكم : فتوح مصر ، ص ١٧٠.

(٣) حسين مؤنس : معالم تاريخ المغرب والأندلس ، ص ٤٧.

(٤) البكرى : المغرب ، ص٤ ، المراكشى : المعجب ، ص ٣٤٩ . وبرقة اسم صقع [إقليـم] كبـير يشتمل على مدن وقرى بين الإسكندرية وإفريقية ، واسم مدينتها انطابلس ، وتفسيره الخمس مدن البغدادى : مراصد الاطلاع ، حـ ١ ، ص ١٨٦- ١٨٧.

(٥) الطاهر أحمد الزاوى : تاريخ الفتح العربى فى ليبيا ، الطبعة الثانية ، دار المعـارف ، القـاهرة ١٩٦٣ ، ص ٣٢ .

(٦) ابن عبدالحكم : فتوح إفريقيا ، ص ٢٩ . فتوح مصر ، ص ١٧٠ – ١٧١ ، البكرى : المغـرب ص ٤٠ . ابن عذارى : البيان ، جـ ١ ، ص ٩. الزاوى : تاريخ الفتح العربى، ص ٣١ – ٣٢.

(٧) كتاب الفتوح ، حـ ٢ ، ص ٣.

عمرو خمسمائة من السبى ، ثلاثمائة غلام ، ومائتى جارية ، ومثل ذلك من الماشية . ولـــم يكن يدخل برقة جابى خراج حيث كانوا يرسلون بالجزية بأنفسهم عندما يحين وقت دفعها(١)

وقبل أن عقبة بن نافع(٢) هو الذى افتتحها عندما بعثه عمرو بن العاص إلى برقـــة، وزويلة ، وما جاورهما من البلاد ، فقام بفتحها وصارت تحت ذمة الإسلام (٣) ومدينة برقة: هى أول حد إفريقية من الناحية الغربية (٤) دخلها الفاطميون سنة (٣٠١ هـ/٩١٣م) فى عهد الخليفة عبيد الله المهدى (٢٩٧- ٣٢٢هـ / ٩٠٩-٩٣٤م) وذلك على يد قائده حباسة وقام

---

(١) ابن عبدالحكم : فتوح مصر ، ص ١٧١.

(٢) **عقبه ابن نافع** : هو عقبة بن نافع بن عبدالقيس بن لقيط بن عامر بن أمية ، من بنى فهـــر أحـــد بطون قريش ، قيل أنه أخو عمرو بن العاص لأمه وقيل ابن خالته ، ولد على عهد رسول اللـــــه صلى الله عليه وسلم . تولى أمر إفريقية فى عهد الخليفة الأموى معاوية ابن أبى سفيان ٤١- ٦٠ هـ ٦٥٣- ٦٧٢م وذلك فى سنة ٤٩ هـ / ٦٦١م وقيل ٤٥ هـ /٦٥٧م أو ٤٦ هـــــ/٦٥٨م . قام بغزو البربر من لواته ومزاته سنة ٤١ هـ /٦٥٣م ، ثم قـــام بغـــزو غدامـــس فـــى ســـنة ٤٢هـ/٦٥٤م ثم قام بغزوه أخرى سنة ٤٣ هـ /٦٥٥م ، وافتتح فيها ودان وهى إحدى المناطق التابعه لمدينة برقه ، وافتتح ايضا مناطق من بلاد السودان وذلك حين أمره عمرو بن العاص على إفريقية عقب فتح برقه . دخل إفريقية ٤٩ هـ /٦٦١م على رأس جيش مكون من عشـــرة آلاف جندى وقام بإنشاء مدينة القيروان ٥٠ هـ / ٦٦٢م ، وعزل عن إفريقية سنة ٥٥ هـ/٦٦٧م . ثم عاد مرة أخرى سنة ٦٠ هـ /٦٧٢م ، وكانت هذه ولايته اثانية . اجتاح إفريقية والمغرب حتـــى وصل إلى المحيط الاطلسى . ثم عاد إلى إفريقية واستشهد عند مدينة تهـــوده هـــو وكثـــير مـــن اصحابه على يد جيش البربر بقياده كسيله بن لمزم ٦٣ هـ/٦٧٥م .

- ابن عبدالحكم : فتوح افريقيا ، ص ٥٠ – ٦١ . فتوح مصر ، ص ١٩٤ – ٢٠٠.
- البكرى : المغرب ، ص ٧٣ – ٧٤ . ابن الاثير : أسد الغابـــه ، حـــ ٤ ، ص ٥٩ – ٦٠ – الدباغ : معالم الإيمان ، حـ ١ ، ص ٤٦ – ٥٥ ، ١٦٤ – ١٦٧– ابن عذارى : البيان ، حـ ١ ص ١٩ – ٣٠ . ابن كثير : البداية والنهايه ، حـ ٨ ، ص ٢٣٧ . ابن خلدون : العبر ، حـ ٤ ص ١٨٥ – ١٨٧ . ابن أبى دينار : المؤنس ، ص ٢٦-٣٠ –٠ الباجى المسعودى : الخلاصـــه النقيه فى امراء إفريقية ، ص ٥– ٩ . احمد ابن خالد الناصرى السلاوى : الاستقصا لاخبار دول المغرب الاقصى ، القاهرة ١٨٩٤م ، ص ٣٦ – ٣٩ . الحبيب الجنجانى : القيروان عبر عصور ازدهار الحضاره الاسلامية فى المغرب العربى ، الدار التونسية للنشـــر ، تونـــس ١٩٦٨م ، ص ٣٣ – ٣٨. ، أحمد صليحه : تونس ، ص ٨١ – ٨٨ ، ص ٩٣ – ٩٨.

(٣) ابن أبى دينار : المؤنس ، ص ٢٢-٢٣ . حسين مؤنس : فتح العرب للمغرب ، ص ٥٣– ٥٦.

(٤) المراكشى : المعجب ، ص ٣٤٧.

بطرد عامل مصر منها [١] حيث كانت برقه إحدى المناطق التابعة للإسكندرية منذ ما قبل الفتح الإسلامى [٢]

وتعد برقة أحد أهم المراكز التجارية فى إقليم إفريقية ، وأحد الموانئ التى تصدر عن طريقها المنتجات الزراعية ، والأخشاب، [٣] إضافة إلى معدن القطران ، والجلود الحيوانية ، والتمور ، والأصواف ، والعسل ، والفلفل ، والشمع ، والزيت [٤] ولبرقه جبلان الشرقى يقطن به أقوام من العرب من أهل اليمن ، مثل الازد ، ولخم ، وجزام . أما الغربى فيه قوم من غسان ، وجزام ، والازد ، وتجيب ، وغيرهم من بطون العرب . إلى جانب قرى بها أقوام من البربر من لواته ، ومن زكوده ، ومفرطه ، وزنارة ، . ويتميز هذان الجبلان بعيون الماء الجارية ، والأشجار والثمار ، والحصون ، إلى جانب آبار الماء القديمة منذ عهد الروم ، ولها أقاليم كثيرة تسكنها بطون البربر[٥] .

<u>سرت</u> : هى مدينة قديمة البناء ، تقع فى أرض رملية مستوية قريبة من ساحل البحر ، إذ لا تبعد عنه سوى مسافة غلوة سهم [٦] ويحيط بها سور مبنى بالطوب اللبن ، قليل المنعة ، وبها ثلاثة أبواب ، قبلى ، وجوفى ، والثالث يقع إلى جهة البحر، وهو باب صغير . كما يوجد بها جامع ، وحمام ، وأسواق ، ويعتمد أهلها فى شربهم على ما يستخرجونه من المياه الجوفية من الآبار الموجودة بها ،إلى جانب اعتمادهم على الأمطار، عن طريق جمعها فى جباب بنيت خاصة لتجميع المياه بها، [٧] وكانت سبرت الموطن الأول لقبائل نفوسه البربرية التى نزلت بها عقب خروج البربر من فلسطين متوجهين إلى المغرب ، وكان يقطنها الروم الذين اضطروا للرحيل عن سبرت نتيجة لنزول البربر بها[٨] وتعد سرت إحدى المراكز التجارية الهامة ، فهى ملتقى طرق القوافل التجارية القادمة من الجنوب ، التى تقوم بدفع الضرائب المتنوعة بها ، والجبايا والخراج، والصدقات ، وتتميز سرت أيضاً برخص

---

(١) الاصطخرى : المسالك والممالك ، ص ٣٣ . ابن عذارى : البيان جـ ١ ص ١٧٠ ، ص ٢٠٨.

(٢) الطاهر أحمد الزاوى : تاريخ الفتح ، ص ٣٠.

(٣) البكرى : المغرب ، ص ٥ . أبى الفدا : تقويم البلدان ، ص ١٤٩.

(٤) ابن حوقل : صورة الأرض ، ص ٦٩ . مؤنس : فتح العرب ص ٥٣ ، Gyevr: دائرة المعارف جـ ٧ ص ٧٦.

(٥) اليعقوبى : صفة المغرب ، ص ٣- ٤.

(٦) نفس المصدر ، ص ٧١ . طاهر احمد الزاوى : تاريخ الفتح العربى ، ص ٣٧.

(٧) البكرى : المغرب ، ص ٦.

(٨) ابن عبدالحكم : فتوح مصر ، ص ١٧٠.

أسعارها على مر الأيام ، وتشتهر بوجود المعادن بها لاسيما معدن الشب [(١)] إلا أنها تعد من أفقر مدن إفريقية فى إنتاج الزيت والذى تلجأ إلى سد حاجتها منه عن طريق استيراده من خارجها ، ويستقبل ميناؤها كثيرا من السفن المحملة بالزيت ، إلا أن تجارها وبرغم قلة هذا المنتج بمدينتهم لا يقومون بشرائه من التجار إلا بسعر موحد ، اتفقوا جميعاً عليه ، ولا يتعداه أحد منهم ، وإن بقيت السفن راسية بالميناء أكثر من يوم ، إذ يلجأون إلى حيلة خاصة بهم ، وهى وضع ما فرغ من أوعية الزيت يعد نفخها مرصوصة فى حوانيتهم ، حتى يظن التجار أن الزيت بها كثير ، وهم فى غير حاجة إليه ، فيقومون ببيعه لتجار المدينة بالسعر الذى اتفقوا عليه [(٢)] .

وكانت مدينة سيرت [صيرة] عند دخول المسلمين إفريقية من أهم المدن وأحصنها، وأكثرها سكانا ، وفاقت شهرتها شهرة مدينة طرابلس ، لذا فقد واجه المسلمون صعوبة قوية عند فتحها ، بقيادة عبدالله بن الزبير فلم يجد المسلمون أمامهم طريقة غير الهجوم عليها عند قيام أهلها بفتح أبواب حصونهم لإخراج حيواناتهم صباحاً للمرعى فعند ذلك هجم المسلمون عليهم ، وأوقعوا فيهم القتل حتى استسلموا ، ولم يهرب منهم أحد فى تلك الموقعة [(٣)] وكان ذلك فى سنة ٢٣ هـ ٦٤٣م.

وقد أشار ابن عبدالحكم [(٤)] إلى هذه القوة فقال :" وكان من بسبرت متحصنين " بما يشير إلى قوة تلك المدينة وأن حصنهم من القوه بحيث أدخل الطمأنينة فى قلوب أهلها، وجعلهم – رغم علمهم – بأن المسلمين يحاصرون طرابلس إلا أنهم لم يأخذوا هذا الأمر بعظيم أهمية ، وكانوا يمارسون حياتهم اليومية وأنشطتهم بشكل لايشير إلى خوفهم من هذا الأمر ، مثل فتح الأبواب ، ورعى الماشية ، حتى فاجأهم المسلمون بهذا الهجوم [(٥)] .

---

(١) ابن حوقل : صورة الأرض ، ص ٧١.

(٢) البكرى : المغرب ، ص ٦.

(٣) ابن عبدالحكم : فتوح إفريقيا ، ص ٣١-٣٢ . حسين مؤنس : فتح العرب ، ص ٦٤ . الظاهر الزاوى : تاريخ الفتح العربى ، ص ٥٤ .

(٤) فتوح إفريقيا ، ص ٣١-٣٢. فتوح مصر ، ص ١٧٢.

(٥) مؤنس : فتح العرب ، ص ٦٤.

ولهذه المدينة فى التجارة الخارجية أهمية : فقد كانت تربطهـــا الطـــرق التجاريـــة المعبدة مع غيرها من البلدان المحيطة ، مثل مصر التى ربطها بها طريق هام معبد ومقامة عليه صهاريج المياه ويصلها بمدينة الفيوم (١) .

وكان يطلق على مدينة سبرت اسم السوق القديم ،حتى قام عبدالرحمن بن حبيـــب(٢) بنقله منها سنة ١٣١ هـــ ٧٥١م إلى مدينة نبارة. (٣) وتعد سيرت آخر حد إفريقية من جهـــة الشرق غير أنها لم تلبث أن فقدت أهميتها شيئا ، فشيئاً ، إلى أن صارت مجرد ناحيـــة مـــن طرابلس التى أخذ مكانها يعلو فى إفريقية ، وأحد المناطق الجمركية الهامة التى تسهم بمـــا تقوم بتحصيله من أموال بإثراء الخزانة الفاطمية ، وخزانة بنى زيرى بعد ذلك عند دخـــول التجار إلى مدينة طرابلس قادمين من المدن الأخرى بإفريقية وغيرها (٤) بينها وبين مدينـــة اجدابية خمس مراحل من ديار لواته وقصر العطش واليهودية وقصر العبادى ومدينة سرت وأهالى هذه المنازل إضافة إلى أهالى مدينة سرت من البربر من منداسه ومحنحا ومنطـــاس وغيرهم ويحتل موضع تورغه آخر حد مدينة برقة وآخر منازل البربر على مسيره مرحلتين من مدينة سرت (٥) .

وتقع على حدودها مع إفريقية قرية صغيره تسمى قصر أحمد ،تشتهر بتربية الخيول ، وبيعها ، وتصديرها للخارج ، مثل مدينة الإسكندرية (٦) .

---

(١) أبى الفدا : تقويم البلدان ، ص ١٤٩.

(٢) **عبدالرحمن بـــن حبيب** : هو حفيد القائد المسلم عقبة ابن نافع فـــاتح إفريقيـــة ،وبـــانى مدينـــة القيروان سنة ٥١ هـــ ، دعا لنفسه بالحكم فى إفريقية سنة ١٢٧هـــ/٧٣٩م ، وتولى الحكـــم فـــى زمن مروان ابن محمد ، آخر خلفاء بنى أمية فى سنة ١٢٩هـــ قام بأعمال عظيمة أثنـــاء فـــترة حكمه مثل محاربة البربر وغزا صنقلية سنة ١٣٥هـــ/٧٤٧م ، ودخل فى طاعة العباسيين حتـــى قتل فى سنة ١٣٧هـــ/٧٤٩م على يد أخيه الياس . ابن عذارى : البيان ، حـــ ١ ، ص ٦٠.

(٣) ابن عبدالحكم : فتوح افريقيـــا ، ص ٣٢ ،فتوح مصر ، ص ١٧٢، الطاهر الزاوى : تاريخ الفتح العربى ص ٥٢ .

(٤) ابن حوقل : صورة الأرض ، ص ٧١.

(٥) اليعقوبى : صفة المغرب ، ص ٤– ٥ .

(٦) **قصر أحمد** : تعد آخر حدود إفريقية الشرقية ، وأول حد برقة ، وفى عرضه قصـــور مســـراته مقدار اثنى عشر ميلا وهى بلاد زيتون ونخل كثير ، وأهلها يقومون بتربية الخيل ، وتصديرها، للاسكندرية ، وهم قوم ذوى رفق بالحجاج ، وتعد مخزناً للعرب تخزن به غلاتها ، ومنها يركبون إلى برقة عن طريق البر . أبى الفدا : تقويم البلدان ، ص ١٤٩.

<u>طرابلس</u> : تعد مدينة طرابلس ، إحدى مدن إقليم إفريقية ذات المساحة الكبيرة وتكثر بها الضياع والبادية [١] وهى تقع على ساحل البحر المتوسط . وتتميز بكثرة سكانها الذيـــن يمثلون خليطاً مختلفاً من الأجناس ،[٢] كما تعتبر مدينة طرابلس آخر المدن الواقعة شــــرقى القيروان فى الإقليم الثالث، [٣] وهى من أقدم مدن إقليم إفريقية بناء ، إذ يرجع زمن بنائهـــا إلى عهد الفينيقيين أو القرطاجنيين [٤] .

وتتميز بأنها من أكثر مدن إفريقية من حيث المنعة ، والقوة ، والحصانة ، [٥] فهـــى يحيط بها سور صخرى عال قوى به أربعة أبواب :هى باب البحر، وباب الشـــرق ، وبـــاب الجنوب ، وباب الغرب ، ولكنها تتميز بقلة مواردها المائية فهى عديمة الأنهار ولذلك يعتمد أهلها فى شربهم على المياه الجوفية التى يستخرجونها من الآبـــار ، إلـــى جانـــب ميـــاه الأمطار[٦] .

ويطلق عليها مدينة الاياس ، أما كلمة طرابلس :فهى تعنى ثلاث مدن ،[٧] هيأ لهـــا موقعها المتميز على ساحل البحر المتوسط – فى أن تصبح أحد أهـــم الموانـــئ والمراكـــز التجارية البحرية العالمية داخل إقليم إفريقية ، ومثلث منفذاً هاماً لما والاها من مدن داخليـــه فى تصريف وتصدير منتجاتها وسلعها منها . وملتقى السفن التجارية من مختلف الأقطـــار، ولذا طغت حرفة التجارة على سكانها ، فأصبح أكثرهم تجاراً يسافرون براً وبحراً.[٨] وأدى تمتعها بميناء ذو صلاحية ملاحية آمنة إلى انسياب التجارة منه وإليه على مر الأوقات طوال ساعات اليوم ، ليلا ونهاراً ، دونما عائق ، وذلك بمختلف المنتجات والبضائع من الأقطـــار المختلفة من المشرق والمغرب وبلاد الروم ، [٩] ولاعجب فى ذلك فقد وجدت منذ القدم فى

---

(١) ابن حوقل : صورة الأرض ص ٧١.

(٢) اليعقوبى : صفة المغرب ، ص ٧.

(٣) القلقشندى : صبح الاعشى ، حـ ٥ ، ص ١١٤.

(٤) الزاوى : تاريخ الفتح العربى ، ص ٤٥.

(٥) الاصطخرى : المسالك والممالك ، ص ٣٣.

(٦) المقدسى : أحسن التقاسيم ، ص ٢٢٤ . أبى الفدا : تقويم البلدان ، ص ١٤٧.

(٧) الطاهر أحمد الزاوى : تاريخ الفتح العربى ، ص ٤٦ . وهى لبده وطرابلس وصبراته

(٨) مجهول : الاستبصار ، ص ٢ ، عبدالعزيز سالم : تاريخ البحرية ، حـ ٢ ، ص ٥٢ – ٥٣.

(٩) ابن حوقل : صورة الأرض ، ص ٧١ . البكرى : المغرب ص ٨٥ .

تلك المنطقة الموانئ العديدة ، والتى تمثل المنافذ الهامة التى تخرج منها تجـــارة المنـــاطق الصحراوية [١] .

واشتهرت طرابلس بتجارة الفاكهة ، من مختلف الأنواع ، والتى يندر وجودها فـــى أماكن أخرى ، مثل : الخوخ ، الفرسك ، والكمثرى ، والانجاص ، والتفاح ، وذلك بفضل ما تميزت به أرضها الزراعية من خصوبة عالية ، لاسيما المنطقة المسماة بفحـــص ســـوبجين الذى يعطى كميات ضخمه من الحبوب كل عام ، واشتهرت طرابلس أيضاً : بكثرة بساتينها المليئة بالخيرات وكانت تتركز فى الجانب الشرقى من المدينة [٢] .

ومن السلع التى تشتهر بها طرابلس أيضاً : الملح والذى يســتخرج منهـــا بكميـــات وفيرة من بحيرتها الكبيرة التى تقع فى الجانب الشرقى لطرابلس [٣] .

كما تعد مدينة طرابلس إحدى المدن الصناعية الهامة داخل إقليم إفريقيـــة، لاســـيما صناعة الأقمشة ، والمنسوجات الصوفية ، فهى إحدى مراكز هذه الصناعة ، والتى تتمـــيز بألوانها المتعددة ، وتباع بأثمان مرتفعه لحسن صنعتها ، ورقيها ، وجودتها العالية ، ومنهـــا الأزرق والكحلى ، والأبيض ، والأسود . وتنتشر مصانع النسيج – دور الطراز – بجميـــع أنحاء المدينة خاصة دورا لطراز المقامة بجبل نفوسة [٤] .

ولا تعد مدينة طرابلس إحدى مراكز الصناعة المدنية فقـــط بـــل إحـــدى المراكـــز الصناعية الحربية ، بفضل دار الصناعة الخاصة بعمل السفن ، والتى تقع على أرضها [٥]

وأضيفت طرابلس مع نواحيها إلى ملك بنى زيرى وأرسلوا عليها واليهم فى عهـــد بلكين سنة ٣٦٧ هـ ـ ٩٧٩م عندما طلب ذلك من الخليفة الفاطمى العزيز بالله [٦] إذ لم تكن

---

(1) B- Davidson : Africa in History. London 1968 Page 47.

(٢) المقدسى : أحسن التقاسيم ص ٢٢٤ . البكرى : المغرب ص ٨-٩ مجهول : الاستبصار ص ٢.

(٣) البكرى : المغرب ، ص ٧-٨.

(٤) ابن حوقل : صورة الأرض ، ص ٧١.

(٥) البكرى : المغرب ، ص ٨٥ .

(٦) ابن عذارى : البيان ، حـ ١ ، ص ٢٣٠. **العزيز بالله** : أبو منصور نزار ، ولد بمدينة المهديـــه ٣٤٤هـ/٩٥٦م ، كان شجاعاً وحسن العهد وكان أديبا . ضمت الخلافة الفاطمية فى عهده إفريقية والشام واليمن ومصر . قرب اليهود والنصارى وولى بعضهم مناصب هامه فـــى الدولـــه مثـــل ميشما نائبه على الشام وكاتبه عيسى بن نسطورس ووزيره يعقوب بن كلس . وقد تولى العزيـــز بالله الخلافه ٣٦٥ هـ ٩٧٧م ومات سنة ٣٨٦هـ ٩٩٨م بمدينة بلبيس اثناء اســـتعداده لحـــرب

تتبع بلكين فى بداية حكمة ٣٦١ هـ ٩٧٣م [١]

وكانت طرابلس قد دخلت فى حوزة الإسلام سنة ٢٣هـ ٦٣٥م على يد القائد عمرو بن العاص وذلك بعد أن حاصرها لمدة شهر لا يقدر على فتحها لقوة تحصينها [٢] وهى آخر المدن التى تم فتحها من مدن المغرب فى خلافة أمير المؤمنين عمر بن الخطاب [٣] وتعتبر مدينة طرابلس أول مدن إقليم إفريقية وآخر حد إقليم برقة [٤] .

قابس :

تمثل مدينة قابس إحدى المدن الساحلية الصحراوية بإقليم إفريقية إذ يبعد موقعها مسافة ثلاثة أميال بعيداً عن ساحل البحر المتوسط وهى تقع ضمن ما يطلق عليه اسم بلاد الجريد [إقليم الجريد] وتعد قابس عاصمة هذا الإقليم وأعظم المدن به [٥]

لا تبعد كثيرا عن مدينة القيروان فهى على مسيرة ستة مراحل منها [٦] وقابس من المدن الهامة ، قديمة البناء بإفريقية ، عظيمة فى ذاتها وتعد من المدن الحصينة القوية إذ يحيط بها سور ضخم من الحجر الصخرى الجليل [٧] .

الروم . وكان يوصف بالعفو والكرم قريبا من الناس ، محبا للصيد وهو أول من اتخذ من أهل بيته وزيرا اثبت اسمه على الطراز وقرن إسمه باسمه وهو أول من لبس الخفين والمنطقه ، وأول من اتخذ الاتراك وجعل منهم قاده للجيش ، وبلغت مصر فى عهده أفضل ماتكون وكانت أيامه كلها أعياد وأعراسا لكثرة كرمه ومحبته للعفو : ابن عزارى : البيان جـ ١ ص ٢٣٩. أبى الفدا : المختصر ص ١٣١ الحافظ الذهبى : العبر فى خبر من غبر ، تحقيق : أبو هاجر محمد السعيد : جـ ٢ ص ١٩٠ – ابن خلدون : العبر جـ ٤ ص ٥١ – ٥٥. المقريزى : الخطط جـ ٢ ص ١٦٧ ، جـ ٤ ص ٦٦: ٦٨ – القرمانى : أخبار الدول ص ٢٣٥– ابن أبى دينار : المؤنس ص ٦٥ – ٦٦.

(١) ابن أبى دينار : المؤنس ، ص ٧٤.

(٢) ابن عبدالحكيم : فتوح افريقيا، ص ٣٠–٣١. فتوح مصر ص ١٧١.

(٣) اليعقوبى : صفة المغرب ، ص ٧.

(٤) البغدادى : مراصد الاطلاع ، جـ ٢ ص ٩١.

(٥) الحميرى : الروض المعطار ، ص ٤٥٠ ، محمد المرزوقى : قابس جنه الدنيا ، مكتبه الخانجى ، القاهرة ، ١٩٦٥ ، ص ٦٦– ٦٧.

(٦) ابن حوقل : صورة الأرض ، ص ٧٢.

(٧) البكرى : المغرب ، ص ١٧ . مجهول : الاستبصار ، ص ٧.

كما تعد من المدن التى تتميز التركيبة السكانية بها بالتعددية فى الأجناس إذ يمثل أهلها خليطا من البربر [١] الزناتيين واللواتيين بجانب عنصر الأفارقة الأوائل مع عنصرى العجم والعرب الفاتحين [٢] .

وبفضل موقعها الساحلى : وتميز ساحلها بالاستواء ، الأمر الذى ساعدها على إنشاء ميناء هام لها على ساحل البحر المتوسط ، مما جعلها أحد المراكز التجارية الهامة داخل إقليم إفريقية ، بفضل صالحية ميناءها للملاحة طوال العام ، دونما وجود أية عوائق مثل الرياح والأنواء وشدة الموج وغير ذلك لذا فقد مثلت قابس قبلة هامة للتجار من مختلف البلدان ، تحمل إليها ما هى فى حاجة إليه من سلع وصناعات ، وتحمل منها ما اشتهرت بإنتاجه من السلع والصناعات الكثيرة فغدى ميناؤها مرفأ يستقبل السفن من جميع المناطق .[٣] على اختلاف أحجامها لاسيما متوسطة الحجم [٤] . ولشهرتها التجارية العالمية،

---

(١) **البربر** كانوا يسكنون أرض فلسطين التى غادروها عقب مقتل ملكهم جالوت بن جلهم على يد نبى الله داود ، واستوطنوا أرض المغرب ، وهم قبائل عديده مثل زنانه ومعيله وصرفند ولواته وهواره ونفوسه وليبيه ، تفرقوا فى مدن المغرب الادنى والاقصى واستطاعوا اجلاء الروم عن تلك البلاد ، وقبل بل سكن الروم المدن الساحلية وأقام البربر بالداخل ، ومنذ وطئت اقدام البربر أرض المغرب صار الروم بخشونهم خشبه شديده ، واستطاع المسلمون ، دخول إفريقية وهزيمه البربر الذين خضعوا للصلح مع المسلمين ورضوا بدفع الجزية المقررة عليهم وهى ثلاثمائه رأس من السبى ومثلها من الخيل والبغال والحمير ومثلها من البقر والغنم ، ثم أخذ عمرو ابن العاص فى فتح مدنهم حتى مدينة برقة . ثم غذاها بعده عبدالله ابن أبى سرح ورضوا أيضا بدفع الجزية ٢٧ هـ/ ٦٣٩م ، ومقدارها ثلاثمائة قنطار من الذهب كل عام ولم يلبث البربر أن خضعوا للدين الاسلامى وصاروا من أشد انصارة وقاموا بفتح البلاد مثل الاندلس – اليعقوبى : تاريخ اليعقوبى ، دار صادر للطباعة والنشر ، بيروت ١٩٦٠ ، حـ ١ ، ص ١٩٠ . ابن عبدالحكم : فتوح مصر ، ص ١٨٣ – ١٨٧ . ابن اعثم : كتاب الفتوح ، حـ ٢ ص ٢-٣ . ابن عذارى : البيان حـ ١ ص ٨ ومابعدها . البغدادى : مراصد الاطلاع ، حـ ١ ص ١٧٦ . القرمانى : أخبار الدول ، حـ ٣ ص ٣٣٦- ٣٣٧. أبو اسحق اطفيش : مادة بربر ، دائرة المعارف الإسلامية ، حـ ٦ ، ص ٥٨٠ – ٥٨٨.

(٢) اليعقوبى : صفة المغرب ، ص ٧.

(٣) البكرى : المغرب ، ص ١٧ . جورج مارسيه : بلاد المغرب ، ص ٢٠٩.

(٤) عبدالعزيز سالم : تاريخ البحرية ، ص ٥٢ .

وغنى أسواقها ، فقد انتشرت على أرضها الحمامات والفنادق الكثيرة التى يستخدمها التجار إما للمبيت والإقامة بها أو لخزن بضائعهم فيها [١]

وأخذت مدينة قابس ، تنمو ، وتزدهر ، ويرتفع شأنها بصوره مطـــردة وكبـــيرة ، حتى أطلق عليها تشبيها اسم دمشق إفريقية. [٢] بما يدل على علو شأنها وبروز مكانتها داخل إقليم إفريقية .

وكما اشتهرت كمركز تجارى بحرى اشتهرت أيضا كمركز تجارى داخلى لا يقـــل قوة وشهره عن الخارج. [٣]

وتعد قابس ، إحدى المدن التى تتميز أرضها بالخصوبة العاليـــة . وانتشـــرت بهـــا بصورة كبيرة زراعة الأشجار المثمرة ، داخل بساتينها حتى كان الوافد إليها يجد صعوبـــة بالغة فى سلوك طرقها من غير أن يرشده أحد أهلها ويدله على الطريق الصحيح [٤]

وأنتجت أرضها الزراعية الخصبة كثيرا من المحاصيل بكميات كبيرة مما أدى إلـــى تصدير الفائض منها مثل : محصول الموز ، وحب العزيز ، والحناء. [٥] إلى جانب التمور والعنب ، والتفاح .[٦]

وانتشرت بها البساتين المونقه ، المليئة بأنواع الثمار والأشجار، وذلك على مساحات كبيرة منها ، فأضفى ذلك عليها جمالاً وبهاء وحسناً، حتى أطلق عليهـــا جنـــــة الدنيـــا [٧] وتعتمد عليها مدينة القيروان فى سد حاجتها من الفاكهة[٨] .

ولم تكن شهرة مدينة قابس قاصرة فقط على الجانب الزراعى بها ، بل برزت فـــى المجال الصناعى ، بروزاً عالياً ، وقامت بها كثيرا من الصناعات الهامة الفريدة ، ففى مجال المنسوجات ، تأتى قابس كأحد أهم المراكز الصناعية والتجارية ، فى مجال الأقمشة، خاصة

---

(١) مجهول : الاستبصار ، ص ٣ ، محمد المرزوقى : قابس ، ص ٧٠.

(٢) أبى الفدا : تقويم البلدان ، ص ١٤٣ . القلقشندى : صبح الأعشى ، حـــ ٥ ، ص ١٠٤.

(٣) ارشيبالد : القوى البحرية ، ص ٢٥٣.

(٤) القرمانى : أخبار الدول ، حـــ ٣ ، ص ٤٣٦.

(٥) أبى الفدا : تقويم البلدان ، ص ١٤٣ . القلقشندى : صبح الاعشى ، حـــ ٥ ، ص ١٠٤.

(٦) المقدسى : أحسن التقاسيم ، ص ٢٢٤.

(٧) التيجانى : رحلة التيجانى ، ص ٨٦.

(٨) البكرى : المغرب ، ص ١٧ ، مجهول : الاستبصار ، ص ٣.

الحريرية منها ، فهى تحتكر تلك الصناعة على مستوى إقليم إفريقية ، ولا تجاريها فى هـذا المجال مدينة أخرى ، ويتميز حريرها بأنه أطيب وارق أنواع الحرير ،وذلك لكثرة مربـى دود القز المنتج الرئيسى للحرير الطبيعى وكثرة أشجار التوت بها (١)

كما برزت فى مجال صناعى آخر لا يقل أهمية عن صناعة المنسوجات الحريرية ألا وهو الصناعات الجلدية ، التى بلغت شأواً عظيماً من حيث الجودة وحسن الصنعة مما جعل التجار يتهافتون على شرائها . وزيادة الطلب عليها من جميع بلاد المغرب فهى تتميز بطيب الرائحة ونعومة الملمس (٢) .

وتمثل مدينة قابس إحدى المدن الهامة فى سبيل تجارة الأخشاب بفضل غنائها بالأشجار المتنوعة مثل شجر التوت (٣) وشجر الدقلى (٤) .

المهدية :

تقع المهدية على ساحل البحر المتوسط وهى من المدن حديثه البناء فى إفريقية حيث يرجع بنائها إلى العهد الفاطمى فقد أنشأها الخليفة الفاطمى عبيد الله المهدى [٢٩٧هـ ٣٢٢ هـ ٩١٧- ٩٤٢م] .

فى سنة ٣٠٠ هـ ٩٢٠م وقام باختيار موضعها بنفسه فى شبه جزيرة جمه الذى أعجبه موقعها فأمر ببناء المهدية فيها (٥) .

وهى شبة جزيرة داخلة فى البحر كهيئة كف متصل بزند ، تحيطها المياه من ثلاث جهات عدا مدخلها الغربى ، وهو مكان ضيق يوجد به بابها (٦) ويطلق على هذه الجزيرة اسم جزيرة الخلفاء أيضا (٧) .

---

(١) الحميرى : الروض ، ص ٤٥٠ . جورج مارسية : بلاد المغرب ، ص ٢٠٧.

(٢) ابن حوقل : صورة الأرض ، ص ٧٢.

(٣) مجهول : الاستبصار ، ص ٣.

(٤) التيجانى : رحلة التيجانى ، ص ٨٩.

(٥) ابن عذارى : البيان ، جـ ١ ، ص ١٦٩-٢٦٧ ، أبو الفدا : المختصر فى أخبار البشر [تاريخ أبى الفدا] دار المعرفه للطباعه والنشر ، بيروت ، بدون سنة ص ٦٨.

(٦) مجهول : الاستبصار ، ص ٧ ، ابن الأثير : الكامل ، جـ ٨ ، ص ٩٤. القلقشندى : صبح الأعشى ، جـ ٥ ، ص ١٠١

(٧) القزوينى : آثار البلاد ، ص ٢٧٦.

إلا أن المساحة التى أقيمت عليها المهدية كانت صغيرة وغير كافيه لإنشاء عاصمة الخلافة الفاطمية ، مما جعل عبيد الله المهدى يأمر العمال بردم جزء من البحر وإضافته إلى المدينة كى تتسع مساحتها مما ضاعف من حجم المدينة الجديدة وتم البناء (١) وكان بموقعها هذا مدينة قديمة ترجع إلى العهد الرومانى أو الفينيقى تستخدم كميناء أيضا (٢) .

ومنذ ذلك الوقت سنة ٣٠٠هـ/٩١٢م .(٣) بدأ العمل فى تشييد المهدية وبنى المهدى قصراً له وقصراً لابنه وولى عهده أبى القاسم (٤) إلى جانب منازل أهل بيته وخاصته ولم يبخل عليها المهدى بشىء من الأموال فى سبيل أن تصبح أجمل مدينة فى إفريقية وأعظمها كى تليق بأن تصبح عاصمة الفاطميين ، فجلب لها جميع طوائف العمال -بنائين ونجارين وحدادين .. الخ -وجميع مبانيها بنيت بالصخر وجعل أبوابها من الحديد الخالص وكان زنة

---

(١) البكرى : المغرب ، ص ٣٠.

(٢) الحبيب الجنجانى : القيروان عبر عصور ازدهار الحضارة الإسلامية ، ص٩٢.

(٣) وقيل أن بنائها كان سنة ٣٠٣هـ/٩١٥م ، ابن الاثير : الكامل ، حـ ٨ ، ص ٩٤ ، ابن خلكان : وفيات الأعيان ، حـ ٣ ، ص ١١٨.

(٤) **القائم بأمر الله أبى القاسم نزار** - محمد - بن المهدى هو الخليفة الفاطمى الثانى . تولى حكم إفريقية عقب وفاة أبيه عبيد الله المهدى سنه ٣٢٢ هـ /٩٣٤م، ونهج على سيرة أبيه فى الحكم . قام بإرسال الاساطيل إلى جزيرة جنوة . وقام ببعث الجيوش إلى المغرب ، وقام بمحاربة أبى يزيد ابن كيداد الذى كاد أن يطيح بالخلافة الفاطمية ولم يستطع الانتصار عليه ، ومات ولاتزال الثورة قائمة ٣٣٤هـ / ٩٤٦م . قام بمحاولة فتح مصر لكنه لم يوفق فى ذلك وكان مولده بمدينة سلميه بالشام فى سنة ٢٨٠ هـ/٨٩٢م ، وقيل ٢٨٢ هـ/ ٨٩٤م ، وقيل ٢٧٧ هـ /٨٨٩م ، وظل مدة خلافته ١٢ سنه ، وواجه جميع الصعوبات التى لاقاها مع ابيه المهدى اثناء فراره من الشام إلى إفريقية ودخل معه السجن بمدينة سجلماسه . واظهر الحزن الشدي عقب وفاه أبيه . جوذر : سيرة جوذر ، ص ٤٢ - ٤٣. ابن بخلكان : وفيات الاعيان ، حـ ٥ ص ١٩ - ٢٠ . الحافظ الذهبى : العبر فى خبر من غبر ، حـ ٢ ، ص ٥٠ - ٥١ . ابن خلدون : العبر ، حـ٢ ص ٤٠-٤٣ . المقريزى : الخطط ، حـ ٢ ، ص ١٦٣ . القرمانى : أخبار الدول ، ص ٢٣١. ابن أبى دينار : المؤنس ، ص ٥٤ - ٥٨ . الباجى : الخلاصه النقيه ، ص ٣٩ - ٤٠ . أحمد ابن أبى الضياف : اتحاف أهل الزمان بأخبار ملوك تونس فى عهد الامان ، تحقيق ، لجنة من كتابه الدولة للشئون الثقافية والاخبار ، تونس ١٩٦٣ م ، ص ١٢٣- ١٢٤.

الواحد منها ألف قنطار [١] وطوله ثلاثون شيراً ووزن كل مسمار بهما ستة أرطـال ، وتـم تزيينهما بصور الحيوانات [٢] فجاءا كان ليس مثلهما شبيه ولا نظير [٣]

وأخذت القصور الحسنه تزين بهاماتها شاطئ البحر [٤] وأخذ الناس (عليه القـوم) يتسابقون فى بنائهم حتى غدت المهدية من أجل الأمصار [٥] .

وظل العمل قائماً بالمهدية على قدم وساق حتى اكتمل بناء سـورها ونصبـت بـه الأبواب فى عام ٣٠٤هـ/٩١٦م [٦] وهو سور شاهق العلو مبنى بالحجر الأبيـض تتخللـه الأبراج الضخمة العظام [٧]

وكان عدد الأبراج ستة عشرة برجا ، مقسمين على السورين ، القديم الذى كان قبل ردم البحر ، ثم نصفهم فى المساحة الجديدة التى أضيفت لأرض المهدية ، وكان يطلق على بعض تلك الأبراج أسماء أشخاص ، مثل برج أبى الوزان النحوى ، وبرج عثمان، وبـرج عيسى ، أو اسم أقرب الحرف إلى البرج مثل برج الدهان ، الذى نسب إليهم لقرب مساكنهم منه ، وبنى بها جامع ودار للمحاسبات أيضاً [٨]

كما زود عبيد الله المهدى (٢٩٧-٣٢٢هـ/٩٠٩-٩٣٤م) [٩] المدينة بقناة ضخمـة للماء تصل إليها من قرية مشانس، القريبة من المهدية، لتزويد أهلها بما يلزمهم من المـاء ،

---

(١) وقيل أن وزن الباب الواحد كان مائة قنطار ، عبدالرحمن بن خلدون : العبر ، حـ ٤ ص ٣٨ ، ابن الوردى : فريدة العجائب وخريدة الغرائب ، ص ١٩.

(٢) البكرى : المغرب ، ص ٢٩.

(٣) ابن حوقل : صورة الأرض ، ص ٧٣.

(٤) القلقشندى : صبح الاعشى ، حـ ٥ ، ص ١٠١.

(٥) أبى الفدا : تقويم البلدان ، ص ١٤٥.

(٦) ابن عذارى : البيان ، حـ ١ ، ص ١٧٤ ، أمال البكرى فقـال ٣٠٥ هـ انظـر المغـرب ، ص٣٠.

(٧) أبو الفدا : تقويم البلدان ، ص ١٤٥ ، القلقشندى : صبح الأعشى ، حـ ٥ ، ص ١٠١.

(٨) البكرى : المغرب ، ص ٣٠.

(٩) **عبيد الله المهدى** : أول الخلفاء الفاطميين . وهناك اختلاف كثير فى نسبه ،وهو عبيد الله بـن الحسن بن على بن محمد ، ولد بمدينة سلمية بالشام ، وقيـل ببغـداد ، وقيـل بالكوفـة . سـنة ٢٥٩هـ/٨٧١م أو ٢٦٠ هـ /٨٧٢م أو ٢٦٦هـ / ٨٧٨م كانت الاموال تحمل إليه من جميع البلاد عن طريق الدعاه إلى بيته بسلميه وكان المهدى قد حفر خندقا تحت الأرض فى الصحراء ، إلى بيته مسافة ١٢ ميل فكانت الاموال تدخل منه لتصل إلى بيته فر من ملاحقة العباسيين له إلى

إلى جانب مواجل الماء التى زودت بها المدينة ، حتى صارت فيما بعد ثلاثمائة وستون ماجلاً [١] كما أقيمت بها المستودعات الخاصة بتخزين الطعام وهو ما يطلق عليها اسم الاهراء [٢] .

وعند الانتهاء من بناء المدينة عبر المهدى عن ارتياحه واطمئنانه فقال اليوم أمنت على الفاطميات [الفاطميين] يعنى بناته [٣] وانتقل إليها مع أهل بيته وخاصته سنة ٣٠٨هـ/٩٢٠م [٤] ومنذ ذلك الوقت أصبحت المهدية عاصمة إفريقية وعاصمة الفاطميين وبنى زيرى ومدينة الصفوة من الناس ، وأنشئت حولها كثيراً من الارياض [الأحياء] مثل

مصر التى دخلها فى هيئة التجار وأقام بها حتى اشار عليه بعض الشيعة الذين كانوا ضمن حاشية والى مصر، عيسى النوشرى بالخروج من مصر ، لكن النوشرى قبض عليه، ثم اطلق سراحه ، فسار عبيد الله المهدى وأهل بيته إلى طرابلس ثم قسطيليه وسجلماسه التى قبض واليها اليسع بن مدرار على المهدى ووضعه داخل السجن حتى أخرجه قائدة أبو عبد الله منه . تولى عبيدالله المهدى الحكم برقاده ٢٩٧هـ ٩٠٩م وقام بترتيب أمور الحكم فى إفريقية طبقا لما يمليه المذهب الشيعى فقام بتوزيع المناصب والاراضى والقصور على اصحابه واتباعه ، وقام بارسال الجيوش لفتح المدن فى المغرب وصقليه ، وحاول فتح مصر لكنه لم يستطع ذلك قام بانشاء مدينة المهدية ٣٠٠هـ /٩١٢م ، واتخذها عاصمة له ولدولته بدلا من رقاده العاصمة القديمة . وتوفى سنة ٣٢٢هـ/٩٣٤م .

انظر . محمد ابن محمد اليمانى : سيرة جعفر الحاجب ، مخطوط ح ١١٤٩٧. ورقة ١:١٥ ابن عذارى : البيان ، حـ ١ ، ص ١٥٨ ومابعدها . عز الدين أبى الحسن بن الأثير : الكامل فى التاريخ : دار صادر : بيروت ١٩٧٩م ، حـ ٨ ، ص ٣٦-٣٩ . أحمد بن خلكان : وفيات الاعيان ، حـ ٣ ، ص ١١٧-١١٩ . أبى الفدا : المختصر ، ص ٦٥-٥٥ ، ص ٨٠ ، ابن خلدون العبر ، حـ ٤ ص ٢٤ : ٤٠ . المقريزى : الخطط ، حـ ٢ ، ص ١٦١ - ١٦٣ ، القرمانى : أخبار الدول ، حـ ٣ ص ٢٢٩ : ٢٣٠ ، ابن أبى دينار : المؤنس ، ص ٥٤ : ٥٥ ، الباجى المسعودى : الخلاصه النقيه ، ص ٣٧ - ٣٩ ، ابن أبى الضياف : اتحاف اهل الزمان ص ١٢١ : ١٢٣ محمد محمود ادريس : تاريخ الدولة الفاطمية منذ قيامها بالمغرب إلى سقوطها بمصر ، المنيا ، ١٩٩١ ، ص ٢٣: ٢٥ . الحبيب الجنجانى : القيروان ، ص ٨٥ : ٩٣ .

(١) مجهول : الاستبصار ، ص ٦.

(٢) ابن الأثير : الكامل فى التاريخ ، حـ ٨ ، ص ٩٥.

(٣) ابن الأثير : الكامل ، جـ٨ ، ص ٩٤ ، بن الوردى : خريدة العجائب ص ٩ ، جورج مارسيه : بلاد المغرب ص ١٥٥ القزوينى :آثار البلاد ص ٢٧٦. جورج مارسيه : بلاد المغرب ، ص١٥٥ .

(٤) ابن عذارى : البيان ، حـ ١ ، ص ١٩٤.

زويله وهو الأقرب لها وبه الأسواق والحمامات [الحى الاقتصادى] وربض الحمى ، وهو خاص بالجند وثكناتهم وغيرهما من الارباض (١) وكانت المهدية المدينة الإسلامية الأولـــى التى تنشأ على ساحل البحر المتوسط (٢) وظلت المهدية منذ إنشائها تحظى بالاحترام والتقدير والعناية من جميع الخلفاء الفاطميين ، وكانوا يعتبرونها الأصل الطيب ودار الملك وأن كـــل مايقع لها من محن أو سوء كان يؤلم هؤلاء الخلفاء ، فهى حرمهم وحرم آبائهم الخلفاء مـــن قبلهم (٣) ، وتعددت الآراء حول السبب الذى دعا عبيد الله المهدى إلى إنشاء مدينة المهديـــة وعدم اتخاذه لرقاده أو القيروان عاصمة لملكه .

فمن الأسباب التى أدت إلى إنشاء المدينة ، هو معرفة المهدى بأن خلفاءه من بعده. من أهل بيته سوف يتعرضون لخطر خروج أحد الثائرين عليهم بمـــا يهـــدد بـــزوال ملـــك الفاطميين والقضاء عليه وأن المهدية هى التى ستمنعهم من ذلك الخطـــر (٤) وقـــال بنيتهـــا لتعتصم بها الفواطم ساعة من نهار (٥) وقيل أنه أراد من إنشـــائها أن تكـــون عاصمـــة لـــه ولمملكته .(٦) وتجنب الانتفاضات الشعبية ، التى كانت تقوم بين الحين والآخـــر ، مناهضـــة لحكم الفاطميين الشيعة فى كل من ، رقادة ، والقيروان ،العاصمتين السنيتين ، وعدم شـــعور المهدى بالأمان لذلك فى مدينة رقاده (٧) بالإضافة إلى الرغبة التوســـعية لـــدى المهـــدى ، وتطلعه إلى ما هو ابعد من إفريقية. (٨) وخوف المهدى من تعرض الخلافة الفاطمية، لخطر التهديد والقضاء عليها عن طريق هجوم القبائل البربرية المحيطة برقـــاده خاصـــة بجبـــال الأوراس (٩)

---

(١) البكرى المغرب ص ٣٠-٣١ . مجهول الاستبصاء ص ٧ ، المراكشى : المعجب ، ص ٣٥.

(٢) ارشيبالد لويس : القوى البحرية ، ص ٢٥٤ .

(٣) جوذر : سيرة جوذر ، ص ١١٢ ، ص ١١٤.

(٤) ابن الأثير : الكامل حـــ ٨ ص ٩٥ ، القزوينى: اثار البلاد ص ٢٧٦. ابن أبى دينـــار :المؤنـــس ص٥٤ .

(٥) ابن خلدون :العبر حـــ ٤ ص ٣٨ ، ابن الوردى : خريدة العجائب ، ص ١٩ . القرمانى: أخبـــار الدول ، حـــ ٣ ، ص ٤٨٢ .

(٦) ابن عذارى : البيان ، حـــ ١ ، ص ١٦٩.

(٧) جورج مارسيه : بلاد المغرب ، ص ١٥٤ ، الجنجانى :القيروان ، ص ٩٢.

(٨) الهادى ادريس : الدوله الصنهاجيه ، حـــ ١ ، ص ٤١ - ٤٢ ، الجنجانى :القيروان ، ص ٩٣.

(٩) الجنجانى : القيروان ، ص ٩٢ .

وكانت المهدية ، من أجمل مدن إفريقية وأحصنها (١) ، ورغبة من المهدى فى أن تصير المهدية الحصن الآمن له ولخلفائه وبث نوع من الطمأنينة له لآل بيته فقد اتخذ بالمدينة ، جميع وسائل الدفاع التى كانت فى عصره (٢) .

ولم يكن للمهدية مرسى طبيعياً –على ساحل البحر المتوسط– ، وكان لابد لها من ميناء كغيرها من مدن الساحل تعتمد عليه فى تجارتها ، سواء الصادرة ،أو الواردة إليها، وخروج الأساطيل الحربية منها ، وكان ساحلها يتكون من الحجر الصلد فما كان من المهدى إلا أن أمر بأن يحفر الميناء فى هذا الحجر الصلد فنقر نقرا وجعله حصنا لمراكبه الحربية(٣).

وكان هذا المرسى من الكبر حيث يسع ثلاثين مركبا ، وكفل لهذا الميناء كثيرا من سبل الدفاع ، فزود هذا المرسى ببرجان على جانبيه ، بينهما سلسلة ضخمه من الحديد ، لاستخدامها فى حراسة الميناء ، من هجوم أية مراكب –أساطيل– معادية تريد غزو المدينة ، خاصة من سفن الروم فكانت السلسلة تشد بين البرجين عن طريق حراس قائمين على هذه المهمة فلا تستطيع أية سفينة الدخول أو الخروج من الميناء طالما كانت السلسلة قائمه بين البرجين (٤) .

ولتحقيق التطلعات التوسعية الخارجية للمهدى ، وإدراكه لمدى الأهمية فى أن يكون لديه أسطول حربى قوى به أحدث المعدات والسفن الحربية فى ذلك الوقت واستخدامه إما للقيام بالفتوحات أو التصدى لهجمات الأساطيل المعادية خاصة الروم ، أمر المهدى بإنشاء دار لصناعة السفن بالمدينة كانت من أكبر دور الصناعة التى أنشئت فى إفريقية واهتم بها اهتماما خاصا حتى كانت من عجائب الدنيا (٥) .

وأقيمت هذه الدار فى الجانب الشرقى من قصر الحكم الذى يقيم فيه عبيد الله المهدى كى تكون تحت نظره ومباشرته ، وباشر بنفسه العمل بها ، فكان يأمر الصناع بما يجب عليهم صناعته ، وكانت هذه الدار من الكبر حتى أنها كانت تتسع لنحو مائه مركب (٦)

---

(١) ابن الأثير : الكامل ، جـ ٨ ص ، ٩٥ .

(٢) محمد محمود ادريس : تاريخ الدوله الفاطميه ، ص ٢٦.

(٣) التيجانى : رحلة التيجانى ، ص ٣٢٢ . وانظر : ابن خلدون : العبر ، جـ ٤ ، ص ٣٨.

(٤) البكرى : المغرب ، ص ٣٠ ، مجهول : الاستبصار ، ص ٨ ، القزوينى : آثار البلاد ص ٢٧٦.

(٥) التيجانى : رحلة التيجانى ، ص ٣٢٣.

(٦) ابن خلدون : العبر ، جـ ٤ ، ص ٣٨.

وقيل مائتين ، وزيادة فى العناية بالسفن والآلات المستخدمة قام بإنشاء قبوان كبيران طويلان لحماية الآلات الخاصة بالمراكب وعدم تعرضها للتلف ، من جراء الشمس أو الأمطار (١) .

ومنذ إنشائها مثلت المهدية ، منفذاً هاماً لتصدير منتجات المدن الداخلية القريبة منها، والتى تربطها بها الطرق التجارية ، وإمدادها فى نفس الوقت بالمنتجات المستوردة من الخارج فكان هناك طريقان يربطان مدينة المهدية بمدينة القيروان التى تبعد عنها بنحو ستين ميلا (٢) .

وامتدح ابن حوقل (٣) مدينة المهدية عند زيارته لها ٣٣٦هـ ٩٤٨م فقال " هى فرضة لما والاها من البلاد كثيرة التجارة ... رفهة الفواكه والغلات طيبه الداخل نزهة الخارج بهية المنظر .

وربطت الطرق التجارية المدن الساحلية المجاورة لها مثل مدينة سوسه فكان هناك طريق يربطهما طوله مرحلتان. (٤) وأضحت المهدية من أهم المراكز التجارية داخل إقليم إفريقية فجذبت شهرتها التجار إليها من كل ناحية وغدى ميناؤها مزدحماً بالسفن التجارية الآتية من الإسكندرية ، والشام ، وصقلية ، والأندلس .(٥) فهى من اكبر المراكز التجارية الخارجية البحرية . فى إقليم إفريقية ، والتى يتعدى إليها التجار ومن أنشطها (٦) .

ذادت أهميتها التجارية ، بعد أن أمر مؤسسها عبيد الله المهدى ٢٩٧هـ ٣٢٢هـ / ٩٠٩ – ٩٣٤م أن يكون طريق الحجاج مارا بها وذلك منذ سنة ٣٠٩ هـ ٩٢١م (٧) ، ولم يأل عبيد الله المهدى جهدا فى إعلاء شأن مدينته ، فعمل على قيام جميع أنواع الصناعات الهامة بها والتى تقدمت بها تقدماً عظيماً .

---

(١) البكرى : المغرب ، ص ٣٠ ، ابن الأثير : الكامل ، حـ ٨ ص ٩٤ – ٩٥ . ابن عذارى : البيان حـ ١ ، ص ٢٠٧.

(٢) البكرى : المغرب ، ص ٢٩ . مجهول : الاستبصار ، ص ١٧ . ابن عذارى : البيان ، حـ ١ ص ٢٠٧.

(٣) صورة الأرض ، ص ٧٣ .

(٤) المراكشى : المعجب ، ص ٣٥٠

(٥) البكرى : المغرب ، ص ٣٠ ، ص ٨٤ . السيد عبدالعزيز سالم : تاريخ البحرية ، حـ ٢ ص٥٢.

(٦) جورج مارسية : بلاد المغرب ، ص ٢٠٩.

(٧) ابن عذارى : البيان ، حـ ١ ، ص ١٨٦.

واشتهرت بضاعاتها المتعددة ومنها ، الصناعات الزجاجية حيث تم اكتشاف أحد الأفران التى كانت تقوم بصنع الزجاج فى زويله إحدى ضواحى المهدية [١]

سوسة :

تتمتع مدينة سوسة بموقع هام وفريد على ساحل البحر الأبيض المتوسط جنوب شرقى مدينة تونس . وتتشابه من حيث جغرافية المكان بمدينة المهدية الهامة فسوسة مقامه فى طرف داخل فى البحر وتحيط بها المياه من ثلاث جهات هى الشمال والجنوب والشرق[٢] فيما يشبه وضع الجزيرة .

وتقع مدينة سوسه على قمة أحد الجبال العالية ولذا تعد من المدن الحصينة داخل إقليم إفريقية ، إضافة إلى تمتعها بسور [٣] قوى مبنى من الحجر الحصين ولم تكن سوسه ملحقه بالمدن فى إقليم إفريقية قبل عهد الاغالبه الذين أضفوا عليها وأولوها رعايتهم وعنايتهم خاصة فى عهد أبى العباس محمد الذى اهتم بالبناء بها وانشأ جامعها وذلك فى سنة ٢٣٦هـ ٨٤٨م وأكمل رعايتها من بعده أخيه أبو إبراهيم أحمد ، الذى قام بتجديد بناء سورها والحقها بالمدن بعد أن كانت مجرد قرية صغيره [٤] .

ولا يمثل أهلها جنس واحد فقط . إنما هم أخلاط عدة من الناس ، يشتهرون جميعهم بميزات هامة مثل : البأس والنجدة [٥] افتتحها المسلمون بقيادة عبدالله بن الزبير [٦] عام ٤٥ هـ ٦٥٧م أثناء حملة معاوية ابن حديج على إفريقية [٧]

---

(١) جورج مارسية : بلاد المغرب ، ص ٢٠٨.

(٢) ياقوت الحموى : معجم البلدان ، جـ ٣ ، ص ٣٢٠ ، أبى الفدا : تقويم البلدان ، ص ١٤٥.

(٣) تشبه أسوار مدينة سوسه أسوار المدن البيزنطيه فهى مسننه ومدببه ولها نفس الابراج المدعمه للدفاع وقد أنشأ سور سوسه أحد الموالى ويدعى خلف ، جورج مارسية : بلاد المغرب ص ١٠٠

(٤) التيجانى : رحلة التيجانى ، ص ٢٦ ، أحمد صليحه : تونس ، ص ٦٠.

(٥) اليعقوبى : صفة المغرب ، ص ٩ . التيجانى : رحلة التيجانى ، ص ٢٧.

(٦) **عبدالله بن الزبير** : هو عبدالله بن الزبير بن العوام بن خويلد . يكنى بأبى بكر على اسم جدة أبو بكر الصديق . كناه بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم . ويكنى أيضا أبو حبيب . أمه هى السيدة أسماء بنت أبى بكر الصديق ، وجدته صفية بنت عبدالمطلب عمة الرسول صلى الله عليه وسلم ، وهو أول مولود ولد للمسلمين بعد الهجرة بعد عشرين شهرا منها ، وقيل فى السنه الاولى ، قام الرسول صلى الله عليه وسلم بتحنيكه بتمرة عقب ولادته . اشتهر بكثرة الصوم

وتمثل مدينة سوسه أحد الحدود الفاصله فيما بين كورة الجزيرة ومدينة القـيروان[1] تميز موقعها بالأهمية داخل إقليم إفريقية فكانت دائمة التعرض لهجمات الأساطيل المعادية لاسيما الروم ولذلك فساحلها كثير الأربطة والمحارس الخاصة بالحماية والدفاع مثل محرس الرباط ومحرس القصب المتصل بدار الصناعة بها ومنار خلف الفتى والبناء المسمى بالملعب[2] وهى مبانى مشيده تشييدا جيدا ومعمورة بالصالحين [3]

ولما مثلت مدينة سوسه إحدى أهم المراكز التجارية بإفريقية وكثرة ورود التجار عليها من جميع البلاد المطلة على البحر المتوسط وبفضل النظام الضرائبى – الجمارك – المفروض على التجارة بها فقد أثرت مع غيرها من مدن الساحل خزانة الدولة بالأموال التى بلغت ثمانون ألف مثقال هذا غير ما كانت تتم جبايته بطرق أخرى [4]

= وقيام الليل والشجاعة . بايع الرسول صلى الله عليه وسلم وهو ابن سبع أو ثمانية أعوام . روى الاحاديث الكثيرة عن النبى صلى الله عليه وسلم وعن ابيه وعن عمر وعثمان وغيرها رضى الله عنهم اشترك فى غزو إفريقية مع عبدالله بن أبى بسرح ٢٧ هـ /٦٣٩م ، وقتل جرجير ملك إفريقية . وقدم بالبشارة على أمير المؤمنين عثمان . وقام خطيبا فى الناس . كما قاتل الامام على كرم الله وجهه فى موقعة الجمل ، وامتنع عن بيعة يزيد بن معاويه بن أبى سفيان ، بويع بالخلافة بعد وفاة يزيد بن معاوية ودخلت فى طاعته الحجاز واليمن والعراق وخرسان ، قام بتجديد عمارة الكعبة المشرفة ، قتل سنة ٧٣ هـ ٦٨٥م اثناء حربه للحجاج بن يوسف فى عهد الخليفة عبدالملك بن مروان . أبى عثمان عمرو بن بحرين محبوب الجاحظ : البيان والتبيين ، تحقيق حسن السندوبى ، الطبعه الاولى المكتبه بالتجارية الكبرى لصاحبها محمد مصطفى ١٩٢٤م ، حـ ٢ حاشية ١ ، ص ٧٨ ، ص ٨٢ . أبى عبدالله اسماعيل بن ابراعهيم الجعفى النجارى : كتاب التاريخ الكبير ، دار الكتب العلمية ، بيروت : بدون ، حـ ٣ ، ص ٦ . ابن عبدالحكم : فتوح مصر ، ص ١٨٣ – ١٨٥ . ابن فتيبه : الامامه والسياسة ، حـ ٢ ص ١٦ – ٢٥، ص ٣٣ ، ٣٧ ، ٣٩ . ابن الاثير : أسد الغابة ، حـ ٣ ، ص ٢٤٢ – ٢٤٥. ابن عذارى : البيان ، حـ١ ص ٢٢-٢٣. الدباغ : معالم الإيمان ، حـ ٢ ، ص ٣٧ – ٤٢ . السيوطى : تاريخ الخلفاء ، ص ١٨٧ – ١٩٠ . الباجى المسعودى : الخلاصه النقيه ، ص ٤ ، ص ٥٠.

(٧) ابن عذارى : البيان ، حـ ١ ، ص ١٦ . ابن أبى دينار : المؤنس ، ص ٢٥ . مؤنس : فتح العرب ، ص ١٢١.

(١) أبى الفدا : تقويم البلدان ، ص ١٤٥.

(٢) ياقوت : معجم البلدان ، حـ ٣ ، ص ٣٢١.

(٣) مجهول : الاستبصار ، ص ٩، ١٠

(٤) البكرى : المغرب ، ص ٣٦.

وأدرك الحكام أهمية تلك المدينة بموقعها الهام المتميز فى إفريقية فسارعوا بإنشــــاء دار لصناعة السفن بها حتى تمد الأسطول الإسلامى بالسفن الحربية أو تمد الأفراد بالســـفن التجارية التى كان تجارها يقبلون على شرائها (١)

واشتهرت مدينة " سوسة " بتقدم صناعاتها المختلفة وتجارتها في مجالات صناعيـــة مختلفة مثل صناعة الغزل التى بلغت درجة مرموقة من حيث التقدم والرقى وكانت تمثل هذه الصناعة الحرفة الرئيسية التى يمتهنها أهالى مدينة سوسه وكان متقال الغـــزل بهـــا يبـــاع بمتقالين من الذهب (٢)

ومن ثم كانت دور الطراز بها على أحسن ما تكون تقدما وتقنية ومثل العاملون بهـــا أبرز وأحسن العمال فى هذا المجال على مستوى إقليم إفريقية ، خلال العصر الفاطمى وبنى زيرى إذ كان ما يصنع بها من الثياب أو تقصر بها لا يضاهيها ما تتم صناعتـــــه فـــى دور الطراز الأخرى ، وتميزت بالتنوع فثيابها لانظير لها ، وتتميز بالبياض الصافى . الرائـــق، الذى لا يوجد فى غيرها من الثياب ، ومن طرزها يتم جلب أفضل وأرفع أنواع الثياب مـــن حيث للصنعة كعمائم المعصور ، التى تساوى الواحدة منها اكثر من مائـــه دينـــار . وكـــان التجار يقبلون على شرائها وحملها إلى جميع البلدان فـــى الشرق والغرب على السواء (٣) .

وقد راعى الخلفاء الفاطميين ومن بعدهم حكام بنى زيرى دور الطرز المقامة بمدينة سوسه ومنحوها قدراً عظيماً من الاهتمام والعناية والمباشرة والتعضيد لها حتى غـــدت دور الطراز بمدينة " سوسه " من أشهر دور الطراز داخل إقليم إفريقية فى عهد الفاطميين ، وبنى زيرى ، ومن ثم جذبت شهرتها غيرها من دور الطراز الأخرى ، التى أخذت ترسل إنتاجها إلى دور الطراز بمدينة سوسه ، لإضفاء نوع من التحسين والجاذبية عليهـــا ، خاصـــة وأن إنتاج دور الطراز بسوسة ، كانت ترسل منه الهدايا التى يبعث بها حكام بنى زيرى للخلفـــاء الفاطميين بمصر (٤) . ومثلت الثروة الحيوانية بها أهمية كبرى فى كثرة الإنتاج لما اشتهرت به سوسه من كثرة مراعيها ، وغناها ، وحسنها ، الأمر الذى انعكس بدوره على أن غـــدت لحوم مدينة سوسه من أطيب اللحوم بإفريقية (٥) .

---

(١) التيجانى : رحلة التيجانى ، ص ٢٩.

(٢) البكرى : المغرب ، ص ٣٦ ، ياقوت : معجم البلدان ، حـــ ٣ ، ص ٣٢١.

(٣) مجهول : الاستبصار ، ص ٩.

(٤) البكرى : المغرب ، ص ٣٦ . جورج مارسيه : بلاد المغرب ، ص ٢٠٧.

(٥) مجهول : الاستبصار ، ص ٩ . ابن أبى دينار : المؤنس ، ص ٩.

ومثل موقع مدينة سوسه أهميه استراتيجية من الناحية الحربية ، فمثلت ركيزة هامة وحيوية ، تخرج منها الأساطيل الإسلامية فى عمليات هجومية لما قابلها من جذر فى البحر المتوسط ، ومنها انطلق الأسطول الحربى للاغالبه سنة ٢١٢ هـــ ٨٢٤م لفتح جزيرة صقلية(١) .

ونظراً للموقع الممتاز لها والتقدم الاقتصادى سواء فى الجانب الصناعى أو الزراعى ، فقد راجت بها التجارة على اختلاف سلعها ونمت أسواقها وأصاب جانب التجارة بها اهتمام الفاطميين وبنى زيرى فأصبحت مدينة سوسه قبلة التجار، معمورة بالناس ، إليها قاصدون ، وعنها صادرون(٢) ولم تكن مدينة سوسة ، بمنأى عما جاورها من مراكز تجارية ، ومدن حيوية داخل إقليم إفريقية ، فربطتها بغيرها الطرق التجارية فبينها وبين القيروان طريق يبلغ مرحلة فقط (٣) وهناك طريق يربطها بمدينة المهدية التى تبعد عنها ثلاثة أيام فقط وبينها وبين مدينة صفاقس التى تبعد عنها مسيرة يومين طريق(٤) .

ومن ثم غدت سوسة إحدى فرض البحر، ولها أسواق حسنه مليئة بكل أنواع السلع والبضائع ، والفنادق ، والحمامات الطيبة. (٥) والى الجنوب من مدينة سوسه ، يقع رباط المستنير فيما بينها وبين المهدية ، وهو من أهم الأربطة التى يقصدها أهالى إفريقية للرباط فيه والجهاد(٦) ولا تقتصر أهمية المنستير على ناحية الجهاد والرباط فقط فهو يعد مركزا تجاريا هاما إذ يشتهر بتجارة الملح الذى يستخرج بكميات كبيرة منه ، تحمله السفن إلى غيره

---

(١) التيجانى : رحلة التيجانى ، ص ٢٦.

(٢) أبى الفدا : تقويم البلدان ، ص ١٤٥، القلقشندى : صبح الأعشى ، حـ٥ ص ١٠٣.

(٣) اليعقوبى : صفة المغرب ، ص ٩ ، أحمد صليحه : تونس ، ص ٦٠.

(٤) ياقوت : معجم البلدان ، حـ ٣ ، ص ٢٨٢ . أبو الفدا : تقويم البلدان ، ص ١٤٥.

(٥) ابن حوقل : صورة الأرض ، ص ٧٤.

(٦) وردت أحاديث منسوبة إلى النبى صلى الله عليه وسلم تشير إلى أهمية المنستير وفضل الرباط به منها عن انس ابن مالك قال . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم . من رابط [بالمنستير ثلاثة ايام وجبت له الجنه . قال أنس بخ بخ يارسول الله . قال نعم يا أنس وله فى هذه الثلاثة ايام كاجر النبيين والصديقين والشهداء والصالحين ، انظر أبو العرب : طبقات علماء إفريقية وتونس ، ص ٤٥ – ص ٤٨ ، ابن عذارى : البيان حـ ١ ، ص ٧ ، جـورج مارسـية : بـلاد المغـرب ، ص٢٢-٢٣.

من المناطق ، ويعد يوم عاشوراء أحد المواسم التجارية الهامة به [١] وهو يواكب اليوم الخاص باحتفالات تجديد حامية المدينة[٢]

تونس :

مدينة ساحلية على مسافة أربعة أميال من ساحل البحر المتوسط [٣] أنشأها حسان بن النعمان[٤] سنة ٨٠ هـ/٦٩٢م بعد تغلبه على الروم وقضائه على مدينة قرطاجة العاصمة [٥] سميت تونس [٦] نسبه إلى إحدى القرى القديمة التى كانت تسمى تينس[٧] وهى من المدن الحصينة ذات المنعة إذ تقع تونس فى سفح جبل يطلق عليه أم عمرو ويدور حولها خندق حصين ولها خمسة أبواب [٨] وهى قديمة البناء تضرب بجذورها فى أعماق التاريخ [٩] فهى تعود على الأقل إلى القرن الرابع قبل الميلاد ، واسمها مشتق من كلمه

---

(١) البكرى : المغرب ، ص ٣٦ . مجهول : الاستبصار ، ص ١٠٠٩.

(٢) جورج مارسية : بلاد المغرب ، ص ٢٠٩ ، أحمد صليحه : تونس ، ص ٦٠.

(٣) مجهول : الاستبصار ، ص ١٠ ، البغدادى : مراصد الاطلاع ، حـ ١ ، ص ٢٨٢.

(٤) **حسان بن النعمان الغسانى** : توجه إلى إفريقية بناء على أمر الخليفة الأموى عبدالملك بن مروان . الذى أطلق له الأمر فى أن يأخذ من أموال مصر مايكفيه لكى يعطى لكل من يشترك معه فى الجيش ، وكان جيشه اكبر جيش للمسلمين دخل إفريقية إذ بلغ عدده ٤٠ الف جندى ، وكان دخوله إفريقية فى سنة ٧٦هـ/٦٨٨م وقيل ٧٧ هـ/٦٨٩م وقيل ٧٩هـ/٦٩١م لاقى جيشه هزيمه نكراء على يد الكاهنه وأسر من جيشه ثمانين رجلا واستطاع جيش البربر اخراجه من إفريقية إلى مدينة برقة التى اقام بها فى منطقة سميت باسمه وهى قصور حسان ، وكان ذلك بعد أن استطاع هزيمة البربر فى عدد من المواقع . وظل بمدينة برقة خمس سنوات ، وقام عبدالملك بمد حسان بالمال والرجال حتى استطاع هزيمة الكاهنه هزيمة نكراء ودمر مدينة قرطاجنه العاصمه وانشأ مدينة تونس ودون الدواوين ورتب أمر إفريقية وفرض على البربر الخراج . وبنى دار الصناعة بتونس ثم عزل عن إفريقية بعد ذلك سنة ٨٠ هـ/٦٩٢م . ابن عبدالحكم : فتوح مصر ، ص ٢٠٠ - ٢٠٣ . ابن عزارى : البيان ، حـ ١ ص ٣٤ - ٣٩ . ابن أبى دينار : المؤنس ، ص ٣١ - ٣٣ . الجنجانى : القيروان ، ص ٣٩ - ٤٢ . احمد صليحه : تونس ، ص ١٠٠ - ١٠٨.

(٥) البكرى : المغرب ، ص ٣٧ . ابن أبى دينار : المؤنس ، ص ٦.

(٦) كانت قديما تسمى ترشيش وأطلق عليها المسلمون اسم تونس لشعورهم بالانس لصوت أهم الرهبان الذى كان يقيم فى أحد الاديره المنتشرة فى تلك المنطقة فلزمها هذا الاسم منذ ذلك الوقت حتى الآن . أبن أبى دينار : المؤنس ، ص٨ ، صليحه : تونس ، ص ٢٢.

(٧) مؤنس : معالم المغرب ، ص ٥٠.

(٨) البكرى : المغرب ، ص ٣٩.

(٩) ابن أبى دينار : المؤنس ، ص ٢٦.

بربرية تعنى محط الرحال ، وهى تقع على أطراف مدينة قرطاج وكانت محطـــة للتـأهب لدخول قرطاج [١] وقيل أن بناءها يرجع إلى العهود البونية وربما قبلها [٢] .

وتبعد تونس عن القيروان مسيرة ثلاثة أيام ، وعن قرطاجنه العاصمة القديمة عشرة أميال ويطلق على مرساهما اسم رادس ، وهى على أخر طرف البحيرة ، والتى يبلغ طولها مابين ستة إلى عشرة أميال وعرضها ثمانية أميال ، ويبلغ محيط دورها أربعـة وعشـرون ألف ذراع [٣] وأخذت شهرتها تظهر عقب قيام حسان بن النعمان بإعادة بنائها وجعلها أحد المحارس التى تحمى إفريقية من غارات الروم ، وكان موقعها على سـاحل البحـيرة إلـى لداخل مما أثار نظر حسان فى التفكير لاتخاذها مدينة جديدة للمسلمين ، واتخاذهـا قاعـدة بحرية تقلع منها الأساطيل فى سفرات نائية ويحتمى فيها من مباغتة الروم [٤] .

وهى أول مركز أقامه المسلمون في السهول الواقعة شمال تونس والتى تعتبر أكـثر السهول ملائمة بعيداً عن السهول الصخرية المحيطة ، واحتلت تونس المكانة الهامـة التـى كانت لقرطاج من قبل[٥] وأخذ شأنها يعلو وازدادت أهميتها بعد ما أولاها الخليفـة الأمـوى عبدالملك (٦٥- ٨٦هـ ٦٧٧- ٦٩٨م) اهتمامة .وأمر بإنشاء دار لصناعة السـفن بهـا ، وأمر أخاه عبدالعزيز والى مصر أن يرسل إلى حسان ألف قبطى من مصر بأسـرهم إلـى تونس وأن تقام لهم دار صناعة تكون عدة وقوة للمسلمين إلى آخر الدهر ، وأن يقوم البربر بجر الخشب إلى هذه الدار وأن يصنع بها المراكب ويجاهد الروم فى البر والبحر وأن يغار منها على سواحل الروم فيشتغلون عن القيروان نظراً للمسلمين وتحصينا لهم [٦] وحرصـا على مراسم الجهاد [٧]

---

(١) أحمد صليحه : تونس ، ص ٢٢.

(٢) موجز دائرة المعارف الإسلامية ، مادة تونس ، جـ ٨ ، ص ٢٤٣٤.

(٣) مجهول : الاستبصار ، ص ١٠ . القلقشندى : صبح الاعشى ، جـ ٥ ، ص ١٠٢

(٤) ابن أبى دينار : المؤنس ، ص ٦ . مؤنس : فتح العرب ، ص ٢٦٠-٢٦١.

(٥) يسرى الجوهرى : شمال إفريقية ، ص ١٤٥.

(٦) البكرى : المغرب ، ص ٣٨ . ابن أبى دينار : المؤنس ، ص ١٢ سيدة الكاشـف : الوليـد بـن عبدالملك ، ص ١٥٧.

(٧) ابن خلدون :المقدمة ، ص ١٧٧ .

وصارت تونس هى البديل للعاصمة القديمة قرطاج (قرطاجنه) سياسياً واقتصاديا وعسكريا ، فلا يفكر الناس فى العودة مرة أخرى إلى مدينة قرطاج (١) وأنشا حسان بها جامعا وداراً للإمارة ، ومساكن للجند ، ودار الصناعة (٢) ،

ولها شهرة واسعة فى مجالات عديدة ، فتشتهر تونس بتجارتها فى الأقمشة ، والثياب ، القطنية والكتانية ، خاصة قماشها المعروف باسم الأفريقى ، ذو الشهرة الواسعة فى أنحاء المغرب (٣) ومن تجارتها كذلك الملح المستخرج من بحيرتها بكميات ضخمة تفيض عن حاجتها منه (٤)

ولم تكن مدينة تونس بمنأى أو بمعزل عن غيرها من مدن إفريقية ، بل ارتبطت بينها وبين غيرها من القرى والمدن بطرق تجارية هامة لتبادل السلع والبضائع والصناعات المختلفة فكان هناك طريق يربطها بمدينة منزل بابشو عاصمة إقليم الجزيرة وطريق آخر مع قرى جبل زغوان مثل فندق شكل (٥) وهى تبعد عن مدينة صفاقس مسيرة ثلاثة أيام وعين المهدية بمائة ميل ، وتتميز بكثرة أسواقها ، ومنابرها ، وفنادقها وحماماتها(٦)

وربطت الطرق البحرية بينها وبين الأندلس ، فكانت أحد المعابر الهامة لأهالى الأندلس(٧) وهى من أنشط المراكز التجارية فى إفريقية (٨) .تعرضت لنوع من الإهمال أثناء حكم الفاطميين وبنى زيرى الذين كانوا يفضلون عليها مدن القيروان والمهدية (٩) .

فتونس من أشرف مدن إفريقية شأنا وأحسنها صناعة وزراعة وتجارة (١٠) وكانت أسواقها تقام فى أيام محددة من الأسبوع مثل سوق الأحد (١١) وتشتهر بزراعاتها العطرية

---

(١) حسين مؤنس : فتح العرب ، ص ٢٦٠.

(٢) البكرى : المغرب ، ص ٣٨ . ابن أبى دينار : المؤنس ، ص ١٢ . قيل أن الذى بنى دار الصناعة هو عبدالله بن الحجاب (الحبحاب) . مجهول : الاستبطار ، ص ١٠ . وقيل أنه موسى ابن نصير . ابن أبى دينار : المؤنس ، ص ١٢.

(٣) القلقشندى : صبح الأعشى ، حـ ٥ ، ص ١٠٢ .

(٤) البكرى : المغرب ، ص ٤٠.

(٥) البكرى : المغرب ، ص ٤٥ – ٤٦ .

(٦) ياقوت الحموى : معجم البلدان ، حـ ٢ ، ص ٧٠ – ٧١ ، ابن أبى دينار : المؤنس ، ص ١٠ W.J. Fishel : مادة تونس : دائرة المعارف الإسلامية ، حـ ١ ص ١٧١.

(٧) اليعقوبى : صفة المغرب ، ص ٩.

(٨) جورج مارسيه : بلاد المغرب ، ص ٢٠٩.

(٩) Brun Schvig : دائرة المعارف الاسلامية ، حـ ١٠ ص ١٧١.

والدوائية والصناعية والحبوب والزيت [١] ومن أصح المدن هواء وأطيبها مـــاء وأكثرهـا خيرا وبها الفواكه التى لانظير لها [٢] .وهى إحدى المدن العلمية المرموقـة خاصـة الفقـه وعلوم الدين الأخرى ، ساهم علماؤها فى نشر الدين الإسلامى بإفـريقية علـى المذهـب السنى ، كما كانت إحدى المدن المتمسكة بالمذهب السنى أثناء حكم الفاطميين وبنى زيرى[٣]

صفاقس :

مدينة ساحلية صغيره تقع فى [٤] الإقليم الثالث وهى مقامة فـى منطقـة منبسـطة مستوية شمال جبل السبع [٥] ويحيط بها سور وهى آخر مدن إقليم الساحل [٦] وتعتـبر مـن اشهر المناطق الدفاعية فى إفريقية والتى كانت دائمة العرضة للهجمات من جانب الروم لذا كثرت بها المحارس والأربطة التى كانت مليئة بالمجاهدين والمدافعين منها محرس بطويـة وهو اشهر هذه المحارس واشرفها ومحرس حبله ومحرس أبى الغصن ومحـرس مقدمـان ومعرس الوزة ومحرس الريحانة [٧] . كما تعد من أشهر مدن إفريقية من حيـث خصوبـة التربة وكثرة وتنوع محاصيلها الزراعية الهامة لا سيما الزيتـون الـذى يـزرع بكميـات ومساحات شاسعة .

وتحيط بالمدينة غابة جليلة من أشجار الزيتون ، الذى يمثل أهم زراعاتها والمصدر الأساسى للثروة بها والتى قامت عليه صناعتها الرئيسية إلا أنهـا تفتقـر إلـى المحـاصيل البستانية . ولقلة الإنتاج بها من محاصيل الفاكهة فقد لجأت إلى غيرها من المدن التى تتميز بكثرة إنتاجه لسد حاجتها منها مثل مدينة قابس [٨]

ويتميز ميناؤها بالصلاحية الملاحية طوال العام ، فلا يتعرض للأنواء البحرية ، أو هبوب الرياح أو التيارات البحرية العاتية التى تعيق الملاحة فهو ميناء ميت المـاء ومحـط

---

(١٠) ابن أبى دينار : المؤنس ، ص ١٠، ١٣.

(١١) البكرى : المغرب ، ص ٤٠.

(١) ابن حوقل : صورة الأرض ، ص ٧٥ . مجهول : الاستبصار ، ص ١١.

(٢) القرمانى : أخبار الدول ، حـ ٣ ، ص ٣٤٠.

(٣) Brunsehvig : دائرة المعارف الاسلامية ، حـ ١٠ ، ص ١٧٠ – ١٧١ ..

(٤) أبى الفدا : تقويم البلدان ص ١٤٥.

(٥) القلقشندى : صبح الأعشى ، حـ ٥ ،ص ١٠٣.

(٦) اليعقوبى : صفة المغرب ، ص ١٠.

(٧) البكرى : المغرب ص ٢٠.

(٨) الخميرى : الروض المعطار ص ٣٦٥.

للسفن من مختلف البلدان (١) وهى من أنشط واهم المراكز التجارية التى يقبل عليها التجـار برؤوس أموالهم لشراء الزيت والثياب منها (٢) وليس أدل على شهرتها التجارية أن الضرائب التى يدفعها التجار الأجانب بواقع ١٠٪ فى بعض أعمالها بلغت خمسين ألف قفيز(٣)

بجايـه :

مدينة ساحلية هامة على ساحل البحر المتوسط تقع فى نطاق الإقليم الرابع (٤) وهى مدينة قديمة أزلية عامرة بالسكان خاصة من أهالى الأندلس ، لها نهر كبـير فـى الجـانب الشرقى منها تستخدمه السفن فى التجارة (٥) وتزين شواطئه البساتين والمنازه ، وهى قريبـة من الأندلس وتقابل مدينة طرطوشة ولايزيد البحر بينهما على ثلاث مجار فقط(٦) .

تتميز بالحصانة ، والمنعة ، وسهولة الدفاع عنها ضد أية هجمـات خارجيـة ، إذ تحيط بها الجبال ، والبحر يحيطها من ثلاث جهات هى : الشـرق ، والغـرب ، والجنـوب وتتميز الطرق المؤدية إليها بالوعورة ، وكثرة العقبات ، باستثناء الجانب الغربى منها، وهو طريق ضيق يقع على صفة نهرها (٧) ويتميز ميناؤها بالصلاحية الملاحية ، وهو يقع علـى آخر الخليج الذى يربطها بالبحر المتوسط (٨) وكان دخول العرب إفريقية السبب الأول فـى بناء هذه المدينة على أنقاض مدينة قديمة سميت بالمنصورية ، نسبة إلى المنصور ابن حماد واتخذها دار ملكه وهى على مسيرة أربعة أيام من مدينة القلعة وهى علـى جبـل يسـمى أمسيول [أمسيون] وهى عاصمة لمملكة عظيمة حتى شبه ملكها بملك مصـر كنايـة علـى عظمتها ، وهى من أعظم المدن التجارية بإفريقية حيث تأتيها السفن من كل مكان ، وتمتـاز بكثرة خيراتها الزراعية المختلفة لجودة أرضها وخصوبتها ، وتكثر بها القصـور الموثقـة الموشاة بالذهب واللازورد التى تطل على ساحل البحر بها كما توجد بها الحيوانات البريـة

---

(١) البكرى : المغرب ، ص ٢٠ ، مجهول : الاستبصار ، ص ٧.
(٢) البكرى : المغرب ، ص ٢٠ ، جورج مارسيه : بلاد المغرب ، ص ٢٠٩.
(٣) ابن خلدون : العبر ، حـ ٦ ص ١٢٩.
(٤) القلقشندى : صبح الاعشى ، حـ ٥ ، ص ١٠٩.
(٥) البكرى : المغرب ، ص ٨٢ .
(٦) أبى الفدا : تقويم البلدان ، ص ١٣٧.
(٧) مجهول : الاستبصار ، ص٢٥.
(٨) القلقشندى : صبح الاعشى ، حـ ٥ ، ص ١٠٩.

مثل القردة والذرب [القنفد] (١) وهى قريبة المسافة من بلاد الروم وصقلية مما جعلها إحدى مناطق الوثب والهجوم ، حيث تخرج منها الأساطيل الحربية لغزو تلك المناطق (٢) واعتبرها البعض آخر مدن إقليم إفريقية من ناحية الغرب (٣) .

بونـــة :

تمثل بونه إحدى مدن إقليم إفريقية ، المقتدرة متوسطة المساحة ليست بـــالكبيرة ولا بالصغيرة وتماثل رقعتها رقعة مدينة الاربس (٤) قريبة من فحص قل – قديمه البناء وتكـــثر بها الآثار (٥)

وهى مقامة على ساحل البحر – المتوسط – فى نشر من الأرض يشرف على البحر وعلى فحوصها وقراها (٦) يتميز بالمنعة ويطل على مدينة سبوس (٧) وتسمى أيضـــا مدينـــة زاوى (٨) وهى إحدى مدن الإقليم الرابع وبعدها البعض أول حد إفريقية من ناحية الغـــرب (٩)

وعلى مسافة ثلاثة أميال من مدينة بونة القديمة تم إنشاء مدينة أخـــرى حديثـــة (١٠) وسميت أيضا باسم بونة الحديثة (١١) ويطل على مدينة بونة جبل زعزوغ الذى تغطيه الثلوج ويوجد فى وسطه مسجد(١٢) وهى تقع بين مدينة مرسى الخرز وجزيرة بنى مرغناى (١٣) .

---

(١) مجهول : الاستبصار ص ١٩-٢٠.
(٢) نفس المصدر ص ٢٠.
(٣) البغدادى : مراصد الاطلاع ، حـــ ١ ص ١٦٣.
(٤) ابن حوقل : صورة الأرض ، ص ٧٧ .
(٥) الحميرى : الروض المعطار ، ص ١١٥.
(٦) الحميرى : الروض المعطار ، ص ١١٥.
(٧) البكرى : المغرب ص ٥٤ . وتقع الآن بدولة الجزائر ،عند مصب نهرسبو وعلى الشاطئ الغربى المسمى بنفس الاسم الذى ينحصر بين رأس كما رد Garde غربا ورأس روزا Rosa شرقا ايفر Gyevr : دائرة المعارف الاسلامية ، حـــ ٨ ص ٤٥٢.
(٨) البكرى : المغرب ، ص ٥٥ . وقد اطلق عليها هذا الاسم نسبة إلى واليها زاوى ابن زيرى الذى تولى المدينة فى عهد والي إفريقية المعز بن باديس . ايفر Gyevr دائرة المعـــــارف ، حـــــ ٨ ، ص٤٥٣.
(٩) أبو الفدا : تقويم البلدان ، ص ١٤١ . القلقشندى : صبح الاعشى ، حـــ ٢ ، ص ١٠٦.
(١٠) البكرى : المغرب ، ص ٥٥.

وتشتهر بونه بالخصب ورخص الأسعار والإنتاج الضخم من أنواع الفاكهة التى تأتى أكثرها من باديتها بالإضافة إلى الإنتاج الغزير من محصولى القمح والشعير[١] ومن أكثر منتجاتها العناب حتى أطلق عليها بلد العناب الذى يعد من أهم محاصيلها الزراعية ويستخدم أهالى المدينة أخشاب هذا النبات فى تغطيه سقوف منازلهم إلى جانب استخدامه كوقود لهم إلى غير ذلك من الاستعمالات الأخرى [٢]

وتشتهر أيضا بمكانة تجارية هامة داخل إقليم إفريقية ومن تجارتها الغنم والصوف والماشية من الدواب وسائر الكراع وتعد الأبقار من أكثر أنواع الدواب بها [٣] وتشتهر بكثرة إنتاجها من السمك الكبير الحجم الذى يتم صيده من بحيرتها الكبيرة الواقعة فى الجانب الغربى منها وتبلغ مساحتها نحو عشرة أميال [٤] .

ومرساها من المراسى المشهورة بإفريقية ويطلق عليه مرسى الازقاق وهو غير مأمون إذا كثيرا ما تعطب به السفن [٥] وبفضل شهرتها التجارية فهى تستقبل بحارا من مختلف الأنحاء لاسيما تجار الأندلس ، ولذا تعد من المدن ذات الدخل المرتفع فيمثل مستخلص أموالها غير ما يذهب إلى بيت المال عشرون ألف دينار [٦]

وهى إحدى المدن الشهيرة بإقليم إفريقية بوفره معدن الحديد الهام الذى يوجد بها بكميات ضخمة وتقوم بتصدير إنتاجها منه إلى مختلف الأقطار [٧] ولا تعانى بونه ندرة فى

---

(١١) قيل كان الغرض من بناء يونه الحديثة هو صد هجمات المسيحيين ، وقد اقيمت يونه الحديثة على مسيرة ميل ونصف من مدينة هيونه Hippo regiu التى اسسها الفينيقيون وغذاها القرطاجنيون ثم استولى عليها ملولك نوميديا ثم ختمت إلى ولاية إفريقية الرومانية ووصلت إلى درجة عالية من الرخاء الاقتصادى فى عهد الامبراطورية الرومانية ، Gyever : دائرة المعارف حـ ٨ ص ٤٥٢- ٤٥٣.

(١٢) مجهول : الاستبصار ، ص ١٧.

(١٣) البغدادى : مراصد الاطلاع ، حـ ١ ، ص ٢٣٢.

(١) ابن حوقل : صورة الأرض ، ص ٧٧ .

(٢) للحميرى : الروض المعطار ، ص ١١٥.

(٣) ابن حوقل : صورة الأرض ، ص ٧٧.

(٤) مجهول : الاستبصار ، ص ١٨.

(٥) ابن حوقل : صورة الأرض ، ص ٧٧. مجهول : الاستبصار ، ص ١٨ . الحميرى : الروض المعطار ، ص ١١٥

(٦) ابن حوقل : صورة الأرض ، ص ٧٧. Gyevr دائرة المعارف الاسلامية ، حـ ٨ ص ٤٥٣

(٧) ابن حوقل : صورة الأرض ، ص ٧٧. أبى الفدا : تقويم البلدان ، ص ١٤١ .

مياه الشرب العذبة بها فلها نهر متوسط يصب فى البحر المتوسط من الجهة الغربية لهـــا [١] كما توجد بئر للماء العذب تسمى النثرة على شاطئ البحر بها تتميز بعذوبة ونقـــاء مائهـــا[٢] ولذلك فهى من أنزه البلاد وأكثرها لبناً ولحماً وعسلا ًوحوتاً [٣] .

<u>تنـــس .</u>

تنس مدينة تنس إحدى المراكز التجارية البحرية الهامة بإقليم إفريقية فهى لا تبعـــد عن ساحل البحر المتوسط سوى ميلين فقط ، وتمتاز بالحصانة ، وبها قلعة ذات منعة وقـــوة يصعب ارتقائها اتخذها الولاة مقراً خاصاً لهم لحصانتها [٤] قام بتأسيسها البحريون من أهالى الأندلس سنة ٢٦٢هـــ/ ٨٨٣م [٥] .

وهى آخر حدود إقليم إفريقية من ناحية الغرب وتبعد عن مدينـــــة وهـــران ثمـــانى مراحل وقبل سبعة مراحل [٦] وعن مليانه الواقعة فى جنوبها أربعة أيام كما تبعد عن مدينة تبهرت مابين خمس إلى ست مراحل[٧]

وتعتبر مدينة تنس فى الأصل مدينتان إحداهما قديمه صغيره عبارة عن حصن يوجد على ساحل البحر [٨] أما الحديثة فهى التى قام بإنشائها البحريون من أهالى الأندلـــس منهـــم الكركدن وابن عائشة والصقر وصهيب وغيرهم وذلك فى سنة ٢٦٢هـــ ٨٨٣م وهم فريقان من أهالى مدينتى البيرة وتدمير الأندلسيتان ، أما أصحاب تنس فيرجع نسبهم إلى الحسين بن على أن ابن أبى طالب رضى الله عنهم . وقد تميزت تنس بجوها المعتدل الدافئ فى فصـــل الشتاء لذلك اعتاد أهالى الأندلس أن يتخذوها مشتى لهم فقط على أن يغادروها بعـــد فصـــل الشتاء [٩] وذلك لرداءة طقسها باقى فصول السنة ومياهها [١٠] فلا تفارق أهلها الحمى [١١]

---

(١) البكرى : المغرب ، ص ٥٥ . مجهول : الاستبصار ، ص ١٨ ، الحميرى : الروض المعطـــار ص١١٥.

(٢) البكرى : المغرب ، ص ٥٥ . مجهول : الاستبصار ، ص ١٧.

(٣) الحميرى : الروض المعطار ، ص ١١٥.

(٤) البكرى : المغرب ، ص ٦١ .

(٥) ابن عذارى : البيان، حـــ ١ ، ص ١١٧.

(٦) عبدالواحد المراكشى : المعجب ، ص ٣٥٣.

(٧) ياقوت الحموى : معجم البلدان ، حـــ ٢ ، ص ٥٦.

(٨) البكرى : المغرب ، ص ٦١ .

(٩) البكرى : المغرب ، ص ٦١ .

وتنس مقامة على نهر تنانين الذى ينصب إليها من الجبال الواقعة على مسيرة يـــوم منها فى ناحية القبلة ، ويستدير بها من جهة الجنوب ، والشرق ، حتى يصب فـــى البحـــر المتوسط(١) .

ولمدينة تنس عدداً من الأبواب منها اثنان إلى القبلة ، وباب إلى البحر ، وباب ابـــن ناصح ، وباب الخوخة شرقى ، ويتم الخروج من هذا الباب إلى عين ماء عذبة تسمى بعين عبدالسلام (٢) .

ويتميز أهالى مدينة تنس عن باقى أهالى مدن إفريقية فى بعض المعـــاملات داخـــل الأسواق فيستخدم أهلها كيلاً خاصاً بهم يسمى الصحفه ، وهى تساوى ثمانية وأربعون قادوساً والذى يساوى بدوره ثلاثة امداد بمد النبى صلى الله عليه وسلم وبها نوعان مـــن الأرطـــال أحدهما يستخدم لوزن اللحوم بها ، وهو يساوى سبع وستون أوقيه ، والآخر يستخدم لـــوزن سائر الأشياء ، ويساوى اثنتان وعشرون أوقية ، أما قيراطهم فيساوى ثلث درهم عدل بوزن قرطبة (٣) والجارى عندهم قيراط وربع درهم وصقل وحبتان مضروبة كلها ودرهمهم اثنـــا عشر صقليه عدداً(٤)

وتعرضت مدينة تنس فى حوالى سنة نيف وعشرين وستمائة إلى فيضان ضربهـــا وهدم دورها ورغم ذلك عاد إليها بعض أهلها وسكنوا بها (٥)

وهى تعد من أكثر مدن إفريقية التى يفضلها تجار الأندلس ، ويأتون إليها بتجـــارتهم ويتخذونها مركزا لهم ينطلقون منه إلى غيرها من المدن ، كما تعد من أكثر المدن دخلاً من كافة وجوه الأموال كالخراج والجوالى والصدقات والأعشار وغيرها من المكوس على جميع التجارات سواء الداخلة أم الخارجة منها (٦) .

---

(١) البكرى : المغرب ، ص ٦٢ ياقوت : معجم البلدان ، حـ ٢ ، ص ٦١.
(٢) نفس المصدر ص ٦٢.
(٣) ياقوت : معجم البلدان ، حـ ٢ ، ص ٥٧ .
(٤) البكرى : المغرب ، ص ٦٢ .
(٥) ياقوت : معجم البلدان ، حـ ٢ ، ص ٥٧.
(٦) ابن حوقل : صورة الأرض ، ص ٧٨.

مرســى الخرز .

تعد مدينة مرسى الخرز إحدى أهم المدن التجارية البحرية داخل إقليم إفريقية نظرا لموقعها الفريد والهام على ساحل البحر المتوسط فهى مقامه على شبة جزيرة فــــى البحــر يربطها بالساحل طريق واحد فقط ضيق تغطيه أحيانا مياه البحر فى فصل الشتاء فيعزلها عن البر وهى تقع شرقى مدينة بونة (١) وهى تشبه فى موقعها الفريد هذا مدينة المهدية(٢)

وهى إحدى أهم مناطق الصيد بإفريقية حيث يصاد بها كميات كبيرة مــن الأســماك التى تعد من أهم وجبات الغذاء بهذه المدينة(٣) استمرت هذه المدينة أهميتها التجارية لشهرتها العالمية فى استخراج معدن المرجان (٤) الذى لا يوجد له نظير من حيــث الجــودة ونقــاء الجوهر فى أى مكان آخر فى العالم رغم وجود هذا المعدن بمدن تنس وسبته غــير أنــه لا يرقى إلى مايتم استخراجه من مرسى الخرز وتعتبر حرفة استخراج المرجان أكثر الحرف الغالبة على أهالى هذه المدينة فكثيرا من الأوقات يشترك نحو خمسون قاربا يحمل القـــارب نحو عشرون شخصا لاستخراج هذا المعدن (٥) .

والمرجان عبارة عن جبال تحت سطح الماء يتم استخراجه عن طريق آلات بسيطة غير معقده تتمثل فى صليب من الخشب يلف عليه كتان محلول ويتم ربــط هــذا الصليــب بحبلين وعلى مسيرة نصف فرسخ داخل البحر حيث معدن المرجان يتم إلقاءه ويقوم صاحب القارب بالدوران فى جميع الاتجاهات حتى يتعلق به المرجان وعندئذ يتم اســتخراجه وهــو أغبر اللون (٦) وتختلف كميات المرجان المستخرجة ما بين شخص وآخر فالبعض يستخرج ما قيمته عشرة دراهم والبعض الآخر يستخرج بما قيمته عشرة آلاف درهم (٧) .

وللخلفاء الفاطميين وحكام بنى زيرى أمناء قائمون بصفة خاصـــة لمراقبــة مــايتم استخراجه من المرجان غير ناظرها الذى يحصل على دخل خاص من استخراج وبيع هــذا

---

(١) البكرى : المغرب ، ص ٥٥.

(٢) المقدسى : أحسن التقاسيم ، ص ٢٣٩.

(٣) ابن حوقل : صورة الأرض ، ص ٧٧.

(٤) القزوينى : آثار البلاد ، ص ٢٦١ ، القلقشندى : صبح الاعشى ، حـ ٥ ، ص ١١٠، القرمانى : اخبار الدول ، حـ ٣ ، ص ٤٨٣.

(٥) القزوينى : آثار البلاد ، ص ٢٦١

(٦) القزوينى : آثار البلاد ، ص ٢٦١.

(٧) المقدسى : أحسن التقاسيم ، ص ٢٣٩.

وعلى الرغم من ذلك فهى تعد إحدى المدن الكبيرة فى تلك المنطقة إذ لا يقاربها فى كبرها مدينة أخرى من المدن المجاورة لها على ساحل البحر[١] .

كان البحريون من أهالى الأندلس يفضلون العيش والتجارة بمدينة تنس القديمة الواقعة على الساحل أثناء فصل الشتاء فقط دون تفكير فى التوغل إلى الداخل حيث تنس الحديثة التى كان أهلها يقومون بتبادل التجارة مع هؤلاء البحريون إلا أن أهالى تنس الحديثة من البربر تمنوا أن ينتقل البحريون بتجارتهم وأهلهم إلى الداخل ويتخذوا من قلعة المدينة سكنا وسوقا لهم واخذوا يرغبونهم فى هذا الأمر ويبذلون لهم الوعود بالعون والرفق وحسن العشرة والمجاورة معهم فقبل هؤلاء البحريون الأندلسيون وانتقلوا هم ومن جاورهم من أهالى الأندلس إلى قلعة تنس الحديثة ولكنهم لم يتحملوا طقسها الردىء فاعتلوا واستوبأوا المكان وقرروا فيما بينهم الرحيل دون تفكير فى العودة مرة أخرى وأظهروا لمن بقى منهم أنهم راحلون على أن يعودوا بتجارة أخرى ثم قرروا الذهاب إلى قرية بجاية وتغلبوا عليها وأقاموا بها [٢]

ورغم رحيل البحريون من أهالى الأندلس إلا أن باقى أهلها لم يهجروها بل ظلوا مقيمين بها يزدادون كثرة وأموالاً ، حتى شاع أمرهم بين المدن الأخرى فما كان من أهالى مدينة سوق إبراهيم المجاورة إلا الرحيل إلى تنس والإقامة بها ورغبة من أهالى تنس فى بقاء أهالى مدينة سوق إبراهيم وعدم نزوحهم منها مثل البحريون الاندلسيون فقد توسعوا لهم فى المنازل وشاركوهم فى الأموال وتعاونوا فيما بينهم على البناء والتوسع فى المدينة[٣]

وتشتهر تنس بكثرة الذئاب البرية التى لا تفتأ تهاجم أهلها وتقضى عليهم ، كما تشتهر أيضا بكثرة الحشرات اللاذعة بها [٤] وتعد تنس من أكثر المدن التى تتميز بالرفاهية والخصوبة فى جميع الوجوه ، وبها أنواع كثيرة حسنه من الفاكهة مثل السفرجل المعتق حسن المنظر والحلاوة والطيب والرائحة [٥] .

---

(١٠) القزوينى : آثار البلاد ، ص ١٧٣.

(١١) القرمانى : أخبار الدول ، حـ ٣ ، ص ٣٤٠.

(١) ابن حوقل : صورة الأرض ، ص ٧٨.

(٢) البكرى : المغرب ، ص ٦١- ٦٢ . ياقوت : معجم البلدان ، حـ ٢ ، ص ٥٦ - ٥٧.

(٣) البكرى : المغرب ، ص ٦٢ . ياقوت : معجم البلدان ، حـ ٢ ، ص ٥٧.

(٤) القزوينى : آثار البلاد ، ص ١٧٣ . القرمانى : أخبار الدول ، حـ ٣ ، ص ٣٤٠.

(٥) ابن حوقل : صورة الأرض ، ص ٧٨.

المعدن إلى جانب وكلاء التجار ، والسماسرة ، المنتشرون بكثرة داخل هـذه المدينـة لبيـع وشراء المرجان [١]

ويتم بيع المرجان داخل أسواق المدينة جزافاً رخيصاً إذ لا يسـتمد أهميتـه وغلـو سعره إلا بعد قيام الصناع بجليه وتنقيته وإعطاءه اللون والإشراق اللازمين لـه [٢] بعـد أن تتلقفه أيدى الصناع فيجرون عليه عمليات الإصلاح والتهذيب ويجلون قشرة ، فيخرج بعدها أحمر اللون بصورة حسنه [٣] .

ورغم أهميتها التجارية ودخلها الضخم لأهلها ، إلا أنها من المدن الفقيرة من الناحية الزراعية فتعتمد على غيرها من المدن المجاورة فى جلب ما يلزمها من محاصيل وفاكهـة وثمار[٤] وتعد مدينة مرسى الجزر من المدن ذات الأهمية الحربية وإحدى مناطق الوثـب ، والدفاع ، فى إفريقية فهى مدينة صناعية ، هامة للصناعات الحربية من السفن ، كما يقصدها الغزاة من كل مكان لقربها من جزيرة سردانيه إذ لا تتعدى المسافة بينهما سـوى مجرييـن فقط[٥] وبها مصانع لإنتاج أنواع من الخمور ، من العسل والذرة يقبل على شـربها أهلهـا والعاملون بها[٦] .

وتشتهر بكثرة الجنات لكنها فاسدة الهواء ، ويمتاز أهلها بصفرة ألوانهم دون غيرهم من أهالى إفريقية ، وتبلغ جبايتها عشرة آلاف دينار .[٧] ويعد المرجان أنفق المعادن داخـل أسواق الشرق الأقصى بالصين والهند [٨] .

أهم المراكز التجارية الخارجية البرية :

القيروان [٩] .

---

(١) ابن حوقل : صورة الأرض ، ص ٧٦.

(٢) المقدسى : أحسن التقاسيم ، ص ٢٣٩.

(٣) القزوينى : آثار البلاد ، ص ٢٦١.

(٤) ابن حوقل : صورة الأرض ، ص ٧٧.

(٥) البكرى : المغرب ، ص ٥٥.

(٦) المصدر السابق ، ص٧٧.

(٧) البكرى : المغرب ، ص ٥٥.

(٨) مجهول : الاستبصار ، ص ١٦-١٧.

(٩) **القيروان** اسم معرب من كلمة كروان الفارسية ، وهو اسم يطلق على القافلة والجيش كما يطلق على مكان اجتماع الناس فى الحرب ، كما يعبر عن المدينة أو المعسكر بـن خلكـان : وفيـات

تعد القيروان إحدى مدن الإقليم الثالث ، داخلية صحراوية حيث تبعد عـن سـاحل البحر [١] اختطها عقبه بن نافع أثناء ولايته الأولى على إفريقية ٥١ هـ/٦٦٣م فـى أرض منبسطة تمثل وادياً غنيا بالأشجار كثير القطف كان مأوى للوحوش والسـباع والهـوام [٢] فحدد عقبة مساحة البناء للمدينة بعد أن خرج منها ماكان بها من حيوانات [٣] وقام الجيـش بتقطيع الأشجار الموجودة فى المكان وإعداد الأرض للبناء فـاختط أولا دار الإمـارة ثـم المسجد ثم أمر الناس بالبناء [٤] بعد أن حدد لكل منهم المكان الخاص به [٥] ومثـل موقـع القيروان مكانا وسطاً بين مدن إفريقية المختلفة الهامة مثل تونس وسوسه وصفـاقس [٦] أى أن القيروان رغم وقوعها بعيداً عن ساحل البحر إلى الداخل لم تكن فى منطقـة صحراويـه مقفرة تفتقر إلى جانب العمران والتحضر بل أقيمت فى إقليم عمرانى حضارى هام هو إقليم قمونيه – قموده – وهو أحد مناطق التمركز البيزنطية [٧] وتقع شـمال مدينـة سـبيطله – قرطاجنه[٨] وأقيمت القيروان على أسس وقواعد وفكر وذكاء من مؤسسها حيث تجمعت فى هذا الموقع أسبابا كثيرة مابين السياسية والاقتصادية والحربية والدينية ، لـذا تعـد مدينـة القيروان أهم الإنجازات التى تمخض عنها دخول عقبة بن نافع إفريقية [٩]

الأعيان حـ ١ ص ٥٥ وانظر حسين مؤنس : فتح العرب للمغرب ، ص ١٥٣ ، أحمد صليحه: تونس ، حاشية ١ ص ٨٥ .

(١) القلقشندى : صبح الأعشى ، حـ ٥ ، ص ١٠١.

(٢) ابن عبدالحكم : فتوح افريقيا ، ص ٥٤ ، ابن الأثير : أسد الغابه ، حـ ٤ ص٦٠، القزوينـى : آثار البلاد ، ص ٢٤٢ . القرمانى : أخبار البلاد ، حـ ٣ ، ص ٤٣٤ ، حسين مؤنـس : فتـح العرب ص ١٤٠.

(٣) الدباغ : معالم الإيمان ، حـ ١ ، ص ١٠٩ .القرمانى : اخبار البلاد ، حـ ٣ ، ص ٤٣٤.

(٤) ابن عبدالحكيم : فتوح افريقيا ، ص ٥٤ – ٥٥ . ابـن عـذارى : البيـان ، حـ ١ ، ص ٣٠ القزوينى : آثار البلاد ، ص ٢٤٢ . وذكر الدباغ:أن المسجد هو أول شئ اختطه،عقبه بن نـافع معالم الإيمان ، حـ ١ ، ص ١٠-١١.

(٥) أبو العرب : طبقات علماء إفريقية ، ص ٥٨.

(٦) البكرى : المغرب ، ص ٢٤.

(٧) ابراهيم احمد العدوى : الامويون والبيزنطيون ، البحر المتوسط بحيرة اسلامية ، مكتبة الانجلـو المصرية القاهرة ١٩٥٣م ، ص ٢٠٥ . ارشيبالد : القوى البحرية ، ص ٣٢٩ . مؤنـس : فتـح العرب ، ص ١٤١ . صليحه : تونس ، ص ١٤.

(٨) مؤنس : معالم تاريخ المغرب والاندلس ، ص ٣٥ ، محمد العروسى : سيرة القيروان ،ص ١٤.

(٩) محمد العروسى : سيرة القيروان ، ص ١٤ ، موجز دائرة المعارف ، حـ ٨ ، ص ٢٤٦٤.

أولا : العامل الدينى حيث ارتأى عقبة أن بناء القيروان سوف يقوم بتدعيم قواعد الإسلام فى إفريقية ويمنع أهلها من الارتداد مرة أخرى عن الإسلام بمجرد خروج الجيش الإسلامى فقال " إن إفريقية إذا دخلها إمام أجابوه إلى الإسلام فإذا خرج منها رجع من كان أجاب منهم لدين الله إلى الكفر فأرى يا معشر المسلمين أن تتخذوا بها مدينة تكون عزا للإسلام إلى آخر الدهر" (١) .

ثانيا : العامل الاقتصادى الزراعى لكثرة إبل العرب التى لابد لها من مكان فسيح تكثر به النباتات للرعى به فى أمان عن غارات البربر(٢) .

ثالثاً : العامل الحربى حيث كان موقعها بعيدا عن ساحل البحر المتوسط يوفر لها حماية طبيعية من الغارات التى اعتاد على شنها الأسطول البيزنطى إلى جانب أن هذا المكان أتاح لها موقعها التحكم فى الوديان المخترقة للهضبة بما يساعد فى رؤية العدو حين قدومه وملاحقته وإدارة المعركة فى أمان ويسر (٣) .

رابعاً : العامل الجغرافى حيث أدى بناء القيروان إلى اعتبارها قاعدة انطلاق وعودة للجيوش الإسلامية داخل إفريقية مما ساعد على توفير الوقت والجهد اللذان كان يتكبدهما المسلمون فى الانطلاق والعودة إلى القواعد الخاصة بهم سواء فى برقة أم فى الفسطاط (٤) .

خامساً : عامل الفخر إذ رغب عقبة فى أن يكون بناء هذه المدينة منسوبا إلى المسلمين "وتكون عزا للإسلام والمسلمين للأبد" (٥) .

سادسا : العامل النفسى حيث كره عقبة أن يتخذ المسلمون إحدى المدن التى يقطنها البربر قاعدة وعاصمة للمسلمين أو ربما كان ذلك راجعا إلى خوف عقبه من نكوث البربر

---

(١) ابن عذارى : البيان ، حـ ١ ، ص ١٩ . مجهول : الاستبصار ، ص ٤ . القزوينى : آثار البلاد ص ٢٤٥ . جورج مارسيه : بلاد المغرب ، ص ٩٧ ، محمد العروسى : سيرة القيروان ، ص٢٠-٢٣.

(٢) مجهول : الاستبصار ، ص ٤ ، الدباغ : معالم الإيمان ، حـ ١ ، ص ٩ . العدوى : الامويون والبيزنطيون ، ص ٢٠٥.

(٣) مجهول : الاستبصار ، ص ٤ . العدوى : الامويون والبيزنطيون ، ص ٢٠٥ .صليحه : تونس ، ص ١٤.

(٤) ابن عبدالحكم : فتوح افريقيا ، ص ٥٧ . حسن براهيم : تاريخ الاسلام ، حـ ٢ ، ص ٢٠٧ . يسرى الجوهرى : شمال إفريقية ، ص ١٧٢ . صليحه : تونس ، ص ٥٤ .

(٥) ابن عذارى : البيان ، حـ ١ ، ص ١٩ . مجهول : الاستبصار ، ص ٤.

وقتال المسلمين فقال " ولست أرى نزول المسلمين بين أظهرهم – البربر– رأيا[١] وصارت القيروان منذ نشأتها فى تقدم وازدهار ورفعه فى نواحى الحياة المختلفة سياسيا واقتصاديا ودينيا وعمرانيا حتى غدت اعظم مدن إفريقية ، وبها كل ما تشتهيه النفس من أصناف المأكول والملبوس والمصنوع [٢] فقيل عنها بحق أنها فرصة المغربين ومتجر البحرين وغدت لغيرها من المدن مفخرة المغرب [٣] وأعظم المراكز التجارية فقامت بتصدير القمح والدقيق إلى مصر وغيرها من البلدان المطلة على ساحل البحر المتوسط [٤] ومنذ البداية أغدق عليها الخلفاء والولاة اهتمامهم بها فنظموا أسواقها ورتبوها ترتيبا منظماً وجعلوا لكل صنعة بها مكانا خاصا لها فى السوق وكان أول من قام بهذا العمل واليها يزيد بن حاتم ١٥٥-١٧١ هـ/٧٦٧-٧٨٣م [٥] حيث رتب سوقها وجعل لكل صنعه مكانا محددا [٦] وبها جميع ديوان المغرب وعاصمة الإقليم واحسن المدن منازل وأسواقا ، وتجبى إليها جميع الأموال [٧] كما بلغت مكانة علمية مرموقة فغدت من المدن المقدسة لدى العلماء وطلبة العلم [٨] فى المغرب العربى كله ، وإحدى المدن الصناعية الهامة [٩] . دخلها أبو عبدالله الشيعى وخرج لاستقباله بعض أهلها تقية شره ومداراة له [١٠] . وتعرضت للسلب والنهب على يد جيش أبى يزيد وعاثوا فيها فساداً [١١]

---

(١) القزوينى : آثار البلاد ، ص ٢٤٢.

(٢) ارشيبالد : القوى البحرية ، ص ٣٣٠ . جورج مارسية : بلاد المغرب ، ص ٩٧ – ٩٨.

(٣) المقدسى : أحسن التقاسيم ، ص ٢٢٤ – ٢٢٥ . أحمد صليحه : تونس ، ص ٥٤ .

(٤) ارشيبالد : القوى البحرية ، ص ٢٥٣.

(٥) **يزيد بن حاتم** بن قبيصه بن المهلب ابن أبى صفرة : تولى إفريقية ١٥٥ هـ/٧٦٧م فى عهد الخليفة العباسى أبى جعفر المنصور ، تميز بالحزم والشدة والجود والكرم والدين ، ضبط أمور إفريقية وقضى على الثورات التى قامت بها ومات سنة ١٧١ هـ ٧٨٣م . ابن أبى دينار : المؤنس ، ص ٤٠.

(٦) ابن عذارى : البيان ، جـ ١ ، ص ٧٨.

(٧) ابن حوقل : صورة الأرض ، ص ٩٤ . ابن عذارى : البيان ، جـ ١ ، ص ٢٠٨.

(٨) الدباغ : معالم الإيمان ، جـ ١ ، ص ٧ . ارشيبالد لويس : القوى البحرية ، ص ٢٥٤ ، محمد العروسى : القيروان ، ص ٤٣ – ٥٤ ، ص ٦٤– ٧٤ ، ص ٧٧– ٨٤.

(٩) حسن عبدالوهاب : بساط العقيق ، ص ٣٥–٣٦.

(١٠) أبو بكر عبدالله ابن محمد المالكى : رياض النفوس فى طبقات فقهاء مدينة القيروان وتونس ، مخطوط بدار الكتب ، رمز ح ، رقم ٦٣٥٠ ميكروفيلم ٣٨٦٢١ ورقة ٦٦.

(١١) نفس المصدر ورقة ٥.

ولما كانت القيروان المدينة المركزية داخل إقليم إفريقية وعاصمتـــه الأولـــى فقــد ارتبطت القيروان بمدن وقرى إفريقية بالطرق التجارية ، فهى المدينة المركزية التى تنطلق منها وتنتهى إليها جميع الطرق ، فارتبطت بقابس بطريق يبلغ طوله أربعة مراحل إلى جانب طرقها مع مدينة سوسه ، ومدينة تونس ، وجزيرة أبى شريك[١] إلى جانب طريق منها حتى مدينة فاس أقصى المغرب مارا بمدينة تاهرت ، وطريق آخر يربطها بمدينة المسيلة مـــارا بمدن وقرى عديدة [٢]

ولتفوق القيروان تجاريا أضحت سوقاً عظمى لمن جاورها من مدن وقـــرى مثـل قلشانه الواقعة على اثنى عشر ميلا منها ، واستوردت منها التين الأخضر[٣] وكانت مدينـــة لربس أيضا على مسيرة ثلاثة أيام من القيروان تمدها بحاجتها من الورد بأنواعـــه وربطهـــا طريق تجارى بمدينة الأنصار بين المشهورة بحنطتها وهى على مسيرة يـــوم واحــد مــن الاربس ، كما ارتبطت القيروان بطريق تجارى مع مدينة قفصه ، وطريق آخر بمدن إقليـــم نفزاوه الواقع ناحية الغرب منها على مسيرة ستة أيام [٤]

وكان قيام القيروان أولى الخطوات التى تم بمقتضاها القضاء على النفوذ البـــيزنطى فى منطقة شمال أفريقيا[٥] وما إن تم تخطيط المدينة حتى ظهر حب منشئها عقبة بن نافع لها وتعلقه بها فجمع وجوه أصحابه وأهل عسكره ودار بهم حول المدينة رافعا أكف الضراعـــة إلى الله داعيا لها " اللهم املأها علماً وفقها واعمرها بالمطيعين ،والعابدين ، وأجعلها عـــزا لدينك وذلا لمن كفر بك وأعز بها الإسلام وأمنها مـــن جبـــابرة الأرض [٦] ومنـــذ قيامهـــا أصبحت القيروان فى نفوس أهالى المغرب فكانت بالنسبة لإفريقية بمثابة الرأس من الجســـد [٧] وأعتبرها أهل المغرب اصل كل شئ خير وما سواها من مدن تستمد نظمها منها فما من غصن فى الآفاق المغربية إلا منها علا ولا فرع فى جميع نواحيها إلا عليها ابتنى[٨] وظلت

---

(١) اليعقوبى : صفة المغرب ، ص ٨ . وجورج مارسية : بلاد المغرب ، ص ٢٤٥.

(٢) ابن حوقل : صورة الأرض ، ص ٨٤ ، ٨٦.

(٣) البكرى : المغرب ض ٢٩ ، جورج مارسية : بلاد المغرب ، ص ٢٠٨.

(٤) البكرى : المغرب ، ص ٤٦ – ٤٧ ، جورج مارسيه : بلاد المغرب ، ص ٢٠٨.

(٥) العدوى : الاموبون والبيزنطيون ، ص ٢٠٥.

(٦) أبو العرب : طبقات علماء إفريقية وتونس ، ص ٥٦ . الدباغ : معالم الإيمان ،جـ ١ ص ٧–٨.

(٧) الدباغ : معالم الإيمان ، جـ ١ ص ٢١.

(٨) محمد العروسى : سيرة القيروان ، ص ٢٢.

القيروان المدينة الأساسية لأصحاب المذهب السنى ومن اكثر المدن دفاعا عنه ضد المذهب الشيعى أثناء الحكم الفاطمى وبنى زيرى (١)

قفصـــة .

تمثل مدينة قفصه إحدى مدن إقليم إفريقية الهامة داخل منطقة الجريـــد وأقـدم المدن إذ يرجع تاريخ بنائها إلى زمن أبى الأنبياء إبراهيم عليه السلام وهى أخص المـدن إذ يحيط بها سور مبنى من الحجر الجليل قام بإنشائه غلام النمر ودين كنعان ويسمى شبيان – شبيون – واسمه ظاهرا على هذا السور الذى لازل محتفظا بقوته رغم طول مدة بناءه كأنه حديث البناء (٢)

افتتحها المسلمون على يد عقبه ابـن نـافع فـى حملتـه الأولـى علـى إفريقيـة ٤٢هــ/٦٥٤م (٣) وبرغم وقوع قفصه إلى الداخل بعيدا عن ساحل البحر المتوسط – إلا أنها تقع فى منطقة أهله كثيرة العمارة وتتميز عما عاداها من مدن إفريقية بأن أرضها مفروشـة بالبلاط (٤)

ولاتعانى مدينة قفصه ندرة فى المياه العذبة بل تعد من اكثر مدن الإقليم وفرة فـى المياه الصالحة للشرب والزراعة على السواء فبداخلها عينان يشكلان نهران يشقان بسـاتينها ومزارعها ، كما توجد عين أخرى داخل جامعها كبيرة المساحة مبنية بالصخر الجليل (٥)

وتتميز عيون الماء بها بكثرة تدفق مياهها وعذوبتها مثل عين الوادى الكبير وعيـن أخرى اسفل قصر المدينة تسمى بالطرميد تنبعث منها المياه بقوه ، وبنى لها صهريجا عليـه الدكاكين وأقباء وبنى عليه مسجد عظيم وعند اجتماع مياه هاتين العينين فإنهما يكونان معـا نهرا كبيرا تطحن عليه الأرحاء ويسقى نصف غابه قفصه ونصف أرضها ومزروعاتها أما

---

(١) احمد ابن عامر : الدوله الصنهاجية ، ص ٧٤ .

(٢) البكرى : المغرب ، ص ٤٧ : مجهول الاستبصار ، ص ٣٧.

(٣) ابن عبدالحكم : فتوح افريقيا ، ص ٥٤ . ابن عذارى : البيان ، حـ ١ ، ص ١٥ . ابن أبى دينار : المؤنس ، ص ٢٧ ، حسين مؤنس : فتح العرب للمغرب ، ص ١٣٧.

(٤) اليعقوبى : صفة المغرب ، ص ١٠.

(٥) البكرى : المغرب ، ص ٤٧.

نصف الغابة الآخر فيسقى من عين خارج المدينة تسمى عين المنستير وهى عين ماء كبيرة عذبة يخرج منها نهر كبير وتتميز هذه العين بأنها من أحسن مايرى من العيون داخل إفريقية وهى تقع بجانب نهر وادى يايش الذى يشق غابة المدينة وتقل مياهه فى فصل الصيف (١) .

ولمدينة قفصة باع طويل فى مجال التجارة الداخلية والخارجية وتعد من أهم وأنشط المراكز التجارية بإفريقية (٢) فهى تشتهر بتجارة المنتجات الزراعية المتنوعة خاصة الفاكهة لاسيما الفستق الذى تتم زراعته بها بكميات هائلة ولاتتم زراعته فى مدينة أخرى من مدن إفريقية وتقوم بتصديره إلى الأسواق المختلفة داخل وخارج إفريقية مثل مصر والأندلس وسجلماسه (٣) .

ولا يقتصر أمر مدينة قابس على فاكهة الفستق فقط ، فهى تشتهر بجانب ذلك بالتفاح الذين يطلقون علية اسم السدسى ، إلى جانب الرمان والاترج والموز ، كما تشتهر بتجارة التمر فهى إحدى مدن إقليم الجريد المشتهر أمره بها وتكثر بها أنواع مختلفة منه مثل نوع الكسبا الذى يغلب على غيره من الأنواع ويتميز بالصفا وكبر الحجم وكثرة حلاوته ويقوم أهلها بحفظه وخزنه داخل ازيار خاصة به ويستخدمون عصارته فى جميع أطعمتهم كما يصنعون منه الحلوى (٤)

كما تشتهر مدينة قفصه بكثرة زراعة الورود والرياحين بها ذات الأنواع المختلفة المتعددة مثل الاس والياسمين والنارنج والنرجس والسوسن والبنفسج بجانب القل الذى يتم استخدامه فى صناعة العطور بكثرة ويمثل أفضل أنواع العطور بها (٥)

ولم يقتصر أمر قفصه على الناحية الزراعية فقط فبرزت كإحدى المراكز الصناعية الهامة خاصة صناعة الأنسجة والثياب ، وحذت حذوها المدن التى تدور فى فلكها مثل مدينة طراق وهى مدينة كبيرة أهله على الطريق إلى القيروان ومثلت صناعة الثياب بها أجل

---

(١) مجهول : الاستبصار ، ص ٣٨.

(٢) ارشيبالد لويس : القوى البحرية ، ص ٢٥٣.

(٣) البكرى : المغرب ، ص ٤٧ . القلقشندى : صبح الاعشى ، حـ ٥ ، ص ١٠٧

(٤) مجهول : الاستبصار ص ٤٠.

(٥) نفس المصدر والصفحة . أبى الفدا : تقويم البلدان ، ص ١٤٣.

واحسن الصناعات بها فكانت دور الطراز بها تنتج أنواعا من الأقمشة يحمل اسمها أطلق عليه اسم "الطراقى" والذى كان ضمن هدايا بنى زيرى إلى الخلفاء الفاطميين بمصر (١) .

وتصنع بها الأوانى التى تستخدم لشرب الماء وكانت من الخزف أطلق عليها اسم الريحية شديدة البياض فى نهاية الرقة يعدم مثيلها فى غيرها من البلاد إلى جانب صناعة الخزف قامت صناعات زجاجية أيضا وأوانى رقيقه الصنعة تزين بماء الذهب (٢)

وقامت بها صناعة الزيت والخل مثل دهن البنفسج وخل العنصل الذى يقوم التجار بجلبه منها ، إلى جانب الصناعات الجلدية مثل الأحذية من جلد حيوان الاروى الذى يمتاز باللیونة الشديدة (٣)

ويربط قفصه بالقيروان طريق تجارى إذ لم تكن تبعد عنها سوى ثلاثة أيام وكانت تصدر للقيروان حاجتها من الفاكهة بأنواعها (٤) .

وهى قريبة من مدن إقليم قموده وإقليم قسطيلية (٥) وفى إقليم نفزاوه . برزت مدينة طرا وهى مدينة مسورة تتميز بخصوبة أرضها التى تنتج كميات كبيرة من الإنتاج الزراعى المتنوع مثل التمر والزيتون والفاكهة (٦) ، برزت أهميتها الصناعية خاصة الصناعات الزجاجية وصناعة النسيج من الصوف والتى كانت تصدرها إلى غيرها من البلدان خاصة مصر (٧) .

قسطيلية :

افتتحها عقبة بن نافع فى ولايته الأولى على إفريقية (٨) قيل إنها مدينة كبيرة من بلاد الجريد (٩) وقيل أنه اسم يطلق على أحد قسمى بلاد الجريد ، يشتمل على عدة مدن

---

(١) البكرى : المغرب ، ص ٤٧ . ارشيبالد لويس : القوى البحرية ، ص ٣٢٨ . جورج مارسيه : بلاد المغرب ، ص ٢٠٧.

(٢) مجهول : الاستبصار ، ص ٤٠.

(٣) القلقشندى : صبح الاعشى ، حـ ٥ ، ص ١٠٧.

(٤) البكرى : المغرب ، ص ٤٧.

(٥) اليعقوبى : صفة المغرب ، ص ١٠.

(٦) مجهول : الاستبصار ، ص ٤٤.

(٧) أبى الفدا : تقويم البلدان ، ص ١٤٧ ، القلقشندى : صبح الاعشى ، حـ ٥ ، ص ١٠٨.

(٨) ابن عبدالحكم : فتوح افريقيا ، ص ٥٤ .

(٩) ابن حوقل : صورة الأرض ، ص ٩٣ .

أهمها توزر العاصمة التى تمثل اقدم مدن إفريقية بناء إذ يرجع بنائها إلى عهد نوح عليه السلام [١]

وهى من أحصن المدن بإقليم إفريقية إذ يحيط بها سور حصين مبنى من الحجارة ولها أربعة أبواب كما تكثر بها الأسواق[٢] وأهلها مختلطوا الأجناس فمنهم العرب والبربر والروم [٣] .

تفتقر إلى الحبوب من القمح والشعير ، وتقوم بجلبه من غيرها عن طريق التجار الذين يفدون عليها بأعداد كبيرة لكثرة أسواقها وغنائها بالمنتجات والسلع فهى اكثر المدن تجارة وميره ولايقاربها فى ذلك مدينة أخرى فيما حولها [٤]

وتشتهر بصناعة النسيج ،ويتجمع الصناع بها فى مكان خاص بهم داخل غايتها عند ملتقى مياه الأنهار يطلق عليه باب المنشر حيث يتجمع به القصارون لنشر ثيابهم الملونة والأمتعة الموشية به ، وهو أجمل المناطق بالمدينة [٥] .

كما تشتهر مدينة قسطيلية بصناعتها النسيجية خاصة الصوفية منها مثل الكسى والحنبل والتى يقبل عليها التجار فيحملونها إلى جميع الأقطار المحيطة بها [٦] ومن مدن قسطيلية الأخرى نفطه وتقيوس وهما يتميزان بكثرة الإنتاج الزراعى المتنوع من الفاكهة والزيتون والتمر والجوز إلى غيرها من المنتجات [٧] .

ومن المدن التجارية الهامة فى إقليم قسطيلية مدينة الحامه التى تكثر بها أصناف الفاكهة والتمر والزيتون إلى جانب العنب التى تتفوق فى كثرة إنتاجه عما عداها من مدن قسطيلية الأخري ويتميز بطيب شرابه وصفاءه حتى أنه يستخدم فى إنارة المصابيح مثل الزيت ، كما يوجد بها نوع من التمر يسمى الخنفس اسود اللون شديد الحلاوة كبير الحجم[٨]

---

(١) التيجانى : رحلة التيجانى ، ص ١٦١. ابن أبى دينار : المؤنس ، ص ٢٧.
(٢) ابن أبى دينار : المؤنس ، ص ٢٧ ، التيجانى : رحلة التيجانى ، ص ١٦١.
(٣) التيجانى : رحلة التيجانى ، ص ١٥٩.
(٤) ابن حوقل : صورة الأرض ، ص٩٢ ، البكرى : المغرب ، ص ٤٨.
(٥) التيجانى : رحلة التيجانى ، ص ١٥٨.
(٦) ابن حوقل : صورة الأرض ، ص ٩٢.
(٧) المقدسى : أحسن التقاسيم ، ص ٢٣٠ ، مجهول : الاستبصار ، ص ٤٣ .
(٨) مجهول : الاستبصار ، ص ٤٤.

وتميز إقليم الجريد "قسطيلية" بوفرة إنتاجه من التمور وقصب السكر وهى من المحاصيل التى تجود زراعتها فى هذا الإقليم وتمثل أهم حاصلاته الزراعية [١] .

التجـــارة الداخلية .

حظيت التجارة الداخلية داخل إقليم إفريقية بالاهتمام والعناية من جانب الخلفاء الفاطميين وحكام بنى زيرى مما دفعها إلى الازدهار ، والتنوع ، وانحصرت التجارة الداخلية داخل نطاق التعامل فى الحاصلات الزراعية والمصنوعات إلى جانب السلع والمنتجات التى يتم استيرادها من الخارج .

وكان التعامل التجارى داخل المدن يتم داخل الأسواق المتخصصة حيث وجدت لكل سلعه أو مجموعة من السلع المتشابهة سوق خاص بها مثل مدينة القيروان [٢] وكانت التجارة الداخلية عظيمة القوة خاصة فى المدن التجارية الهامة مثل باجه فكانت التبادلات التجارية بها تتم فى ثلاثة أماكن مخصصة للتجارة بها [٣]

ومثلت القيروان أعظم المدن التجارية فى إفريقية بما كان يرد إليها من سلع ومنتجات وحاصلات ما جاورها من المدن والقرى القريبة منها وذلك بما كان لها من مكانه وحظوة مرموقة فضلا عن صناعاتها التى اشتهرت بها [٤]

نشأت القيروان وأخذت تتطور سريعا ، حتى أصبحت أنشط مراكز إفريقية من الناحية التجارية ، حتى قيام الفاطميين بإنشاء مدينة المهدية واتخاذها عاصمة لهم فى إفريقية بدلا من القيروان وقاموا بنقل جميع الأسواق منها وجميع الصناعات إلى المدينة الجديدة فى عهد المعز لدين الله (٣٤١-٣٦٥هـ/ ٩٥٣-٩٧٧م) [٥] مما أصابها بنوع من

---

(١) ارشيبالد : القوى البحرية ، ص ٣٢٩.

(٢) المقدسى : أحسن التقاسيم ، ص ٢٢٥.

(٣) البكرى : المغرب ص ٥٦.

(٤) حسن حسنى عبدالوهاب : بساط العقيق فى حضارة القيروان وشاعرها ابن رشيق الطبعه الثانية ، مكتبة المنار : تونس ١٩٧٠ ص ٣٦.

(٥) **المعز لدين الله الفاطمى** : ولد فى رمضان سنة ٣١٧ هـ ٩٢٩م ، وتولى الخلافه فى سن الرابعة والعشرين . عقب وفاة الخليفة الفاطمى المنصور ، قام بتدبير الامور الخاصه بالخلافة

الوهن والضعف (١)

وصارت القيروان سوقا تجاريا هاما لمنتجات ما جاورها من مدن وقـرى فتبـادلت معها الاستيراد منها والتصدير إليها فكانت القيروان تستورد من جلولاء البقول والفاكهـة ، وكانت قوافل التجارة لا تنقطع بينهما بصفة يوميه (٢) كما كانت الأصناف المختلفة من أنواع الأزهار والرياحين إحدى أهم السلع التجارية المتبادلة بين جلولاء والقيروان فكان يصل إليها يوميا من تلك الورود ما قيمته أربعين حملا (٣)

أما النارنج فكان يصل إليها من سردانية القريبة منها والتى تقع إلى الشمال الغربـى من القيروان ، وكانت مدينة قلشانه الواقعة على مسافة قريبه منهـا إلـى الجنـوب فمدهـا بحاجتها من التين الطازج (٤)

= والحكم على أحسن وافضل مايكون اطاعه البربر وانقادوا له وبايعه العـام والخـاص ٣٤١هـ ٩٥٣م . قام بتجهيز الجيوش وارسالها للمغرب وقام بنفسه بقيادة بعضها حتى دان لـه المغـرب ودخل فى طاعته ، ارسل عماله على جميع المناطق بالمغرب . ثم فى عهده فتح مدينة فاس على يد قائده جوهر الصقلى واخضع جميع المناطق واقيمت له الخطبه فى انحاء المغرب عدا مدينـة سبته التى خضعت لحكم بنى اميه بالاندلس ، استطاع فتح مصر على يد قائده جوهـر الصقلـى ٣٥٨ هـ/ ٩٧٠م . غادر إفريقية إلى مصر واتخذ القاهرة عاصمه للخلافه الفاطميه ، وولى على إفريقية بلكين بن زيرى ٣٦١هـ / ٩٧٣م وخضعت لحكمه مصر والشـام وإفريقيـة والحجـاز وكانت مدة خلافته ٢٣ سنه ، وكان حسن السيرة محباً للرعية سمحاً عالمـاً بـالفلك ذو سياسـه ودهاء توفى سنة ٣٦٥ هـ/ ٩٧٧م. . جوذر : سيرة جوذر ، ص ٧٥ ومابعدها . ابن خلكـان : وفيات الاعيان ، حـ ٥ ، ص ٢٢٤ – ٢٢٨ . ابن عذارى : البيان ، حـ ١ ، ص ٢٢٩ . أبـو الفدا : المختصر ، ص ١٠١ ، ١٠٩ ، ١١٢ ، ١١٥ . الذهبى : العبر فى خبر من غبر ، حـ٢ ص ١٢٣ ، ص ١٤١. المقريزى : الخطط ، حـ ٢ ، ص ١٦٤ – ١٦٧ . القرمـانى : أخبـار الدول ، ص ٢٣٣ – ٢٣٥ . ابن أبى دينار : المؤنس ، ص ٦٠ – ٦٥ . البـاجى : الخلاصـة النقيه ، ص ٤١ – ٤٣. . ابن أبى الضياف : اتحاف اهل الزمان ، ص ١٢٥ – ١٣٠ . الجنجانى : القيروان ، ص ٩٦ .

(١) البكرى : المغرب ، ص ٢٥ ، جورج مارسيه : بلاد المغرب ، ص ٢٠٨ ، انظـر : ارشـيبالد لويس : القوى البحرية ، ص ٣٣٠.

(٢) البكرى : المغرب ، ص ٣٢ .

(٣) ابن أبى دينار : المؤنس ، ص ٢٥.

(٤) جورج مارسيه : بلاد والمغرب ، ص ٢٠٦.

ونشط التبادل التجارى فيما بين القيروان وتونس فاعتمدت القيروان على تونس فـى سد حاجتها من القطن والزراعات الطيبة كالقنب والكرويا والعصفر إلى جانب غيرها من السلع مثل العسل والسمن والحبوب والزيت والأعداد الكبيرة من الماشية [١]

ومثلت مدينة بنزرت سوقا هامة فى مد غيرها من مدن إفريقية بحاجتها من الأسماك وأنواع الحوت [٢]

وقامت مدينة تاجرفت بمد غيرها من المدن بأنواع التمور المختلفة مثل البرنى الذى كانت تستورده منها مدينة سرت [٣] وصدرت قابس الأصناف التى تتميز بها من الفاكهة إلى مدينة القيروان [٤] واشتهرت قفصه بتبادلاتها التجارية مع مدن الإقليم وكانت تنفرد بإنتاج الفستق ومنها يخرج دهن البنفسج وخل العنصل [٥] كما تصدر إلى غيرها إنتاجها المتميز من الأحذية المصنوعة من نوع من الجلود يمتاز بليونته الشديدة والمتخذ من حيوان الأروى [٦]

واشتهرت مدينة منزل باشوا عاصمة إقليم الجزيرة بأهميتها التجارية فكانت تقام بها أسواق شهرية يحضر خلالها التجار فى أيام معينه [٧] مثل المعارض حالياً .

ومن المدن التى اشتهرت بأهميتها التجارية فى إفريقية كانت بونة والتى كانت أسواقها من أحسن الأسواق بإفريقية واكثرها تجارة واشتهرت بالعديد من التجارات التى كان من أهمها خام الحديد الذى كان من أهم السلع التجارية المتبادلة مع غيرها من المدن وبكميات وفيرة كما شاركت بفضل ثروتها الكبيرة من الماشية والدواب والأغنام وما يخرج منها من أصواف إلى جانب الخيل فى سد حاجة غيرها من المدن من هذه التجارات ، كما شاركت بونة أهميتها التجارية مدينة مرسى الدجاج وأخذت فى تصدير ما يفيض عن حاجتها من السلع والمنتجات مثل القمح والشعير والماشية وألبانها إلى جانب الفاكهة خاصة التين [٨]

---

(١) ابن حوقل : صورة الأرض ، ص ٧٥ .

(٢) مجهول : الاستبصار ص ١٥ ، البكرى : المغرب ، ص ٥٨ .

(٣) البكرى : المغرب ، ص ١١.

(٤) البكرى : المغرب ، ص ١٧ ، ارشيبالد : القوى البحرية ، ص ٣٢٩.

(٥) أبى الفدا : تقويم البلدان ، ص ١٤٣.

(٦) القلقشندى : صبح الاعشى ، حـ ٥ ، ص ١٠٧.

(٧) ابن حوقل : صورة الأرض ، ص ٧٥ .

(٨) ابن حوقل : صورة الأرض ، ص ٧٧ ، القلقشندى : صبح الاعشى ، حـ ٥ ، ص ١٠٦.

ومن أنشط المراكز التجارية فى التجارة الداخلية فى إفريقية مدينة تونس [١] وكانت بها أسواق كثيرة شاركت مشاركة فعاله فى التجارة الداخلية لإفريقية بفضل ماكان بأسـواقها من منتجات وصناعات فسدت حاجة غيرها من معدن الملح بالإضافة إلى صناعات الخزف إلى جانب الأنواع المختلفة من الفاكهة وأنواع الأسماك المتعددة الأنواع [٢]

وشاركت مدن بلاد الجريد بإنتاجها المتميز من الصناعات الزجاجية والنسيجية إلـى جانب الجلود مشاركة فاعله فى التجارة الداخلية لإفريقية مثل مدينة طرا ومدينة غدامس[٣]

ومن قسطيلية كانت تخرج الأنواع المختلفة مـن الفاكهـة والصناعـات النسـيجية المتميزة من الصوف وهى من أنشط المراكز فى التجارة الداخلية وأسواقها تتمـيز بالسـعة وكثرة التجارة بها وأسواقها من اكثر الأسواق التى تستقبل التجـار مـن مختلـف نواحـى إفريقية[٤]

ومن أنشط وأهم مراكز التجارة الداخلية بإفريقية مدينة باجه التى مثلـت بإنتاجهـا الضخم من القمح سلة الغلال لمدن إفريقية وكانت أسواقها تستقبل كل يوم قوافل التجارة التى يبلغ مجموعها اكثر من ألف دابة تحمل منها الغلال إلى النواحى المختلفة لإفريقية ، وكـان حمل البعير من القمح يباع فى بعض الأحيان بمبلغ درهمين فقط ، وكان يخرج منها بجانب ذلك العديد من المنتجات الأخرى كاللحوم ، وزيت الحوت ، وغيرهما مـن الفاكهـة مثـل السفرجل والعنب [٥]

وتبادلت توزر مع مدن إفريقية تجارة التمر التى تشتهر بها أسواقها فكان يخرج من أسواقها قوافل التجارة المحملة بالتمور إلى أسواق المدن الأخرى وكان عدد قوافل التجـارة فى بعض الأيام يبلغ ألف بعير كلها محملة بالتمر [٦] وأمدت مدينة المسيلة غيرها بـاللحوم والأقطان [٧] مما كان له الأثر الأكبر فى تنشيط التجارة الداخلية لإفريقية .

---

(١) ارشيبالد : القوى البحرية ، ص ٢٥٣.

(٢) البكرى : المغرب ، ص ٤٠ ، ٤١ .

(٣) القلقشندى : صبح الاعشى ، جـ٥ ص ١٠٨.

(٤) ابن حوقل : صورة الأرض ، ص ٩٢.

(٥) ياقوت : معجم البلدان ، جـ ، ص ٣١٥ ، مجهول : الاستبصار ، ص ٤٧.

(٦) البكرى : المغرب ، ص ٤٨.

(٧) نفس المصدر ص ٥٩.

وفى الشرق من إفريقية نشأت فى مدنها أسواق تجارية هامة ساهمت بفاعليه فى التبادلات التجارية الداخلية للإقليم حيث كانت مهنه التجارة غالبة على أهل مدينة طرابلس المكتظة بالسلع التجارية المختلفة والصناعات المتعددة وكانت القوافل التجارية رائحة غادية على أسواقها تحمل منها واليها السلع وأسواقها المنتشرة خارج وداخل سورها ولا أدل على أهميتها التجارية من تعدد أماكن تحصيل الجمارك على حدودها مثل لبده وصبره (١)

وشاركت مدينة القلعة بقوة فى التبادلات التجارية الداخلية فى إفريقية وبرزت أسواقها كإحدى المناطق التى تجذب إليها القوافل التجارية من مختلف دول المغرب فهى مقصد التجار من كل مكان سواء من داخل إفريقية أو خارجها ، ونافست القلعة مدينة بجاية التى صارت لها الأهمية الاقتصادية بعد أن أصبحت عاصمة الغرب فى عهد بنى حماد وكانت تجارة العمائم المذهبة أفضل تجاراتهم وكان ثمن الواحدة منها يصل إلى الخمسمائة والستمائة دينار (٢) إلى جانب الصناعات الزجاجية (٣) التى تميزت بها وكان لها نصيب هام ووافر فى تجارتها الداخلية .

وكان للمعادن المختلفة وجوداً كبيرا فى التبادل التجارى السلعى فيما بين أسواق إفريقية فمن جبال كتامة يحمل النحاس إلى أسواق إفريقية المختلفة ومن جبال الرحمن المقابلة لجزيرة سرادانية كان يخرج منه عمود الخرط لإفريقية (٤) إلى جميع أسواق إفريقية الداخلية .

وتوجه التجار من مدن إفريقية المختلفة إلى مدينة زويلة (٥) لجلب السلع والمنتجات القادمة من الجنوب فكانت تمد باقى مدن إفريقية بالرقيق الذين يجلبون من أسواقها المكتظة

---

(١) أبو حوقل : صورة الأرض ، ص ٧١.

(٢) البكرى : المغرب ، ص ٤٩ ، مجهول : الاستبصار ، ص ٢٠ ، ٣١ .

(٣) ارشيبالد : القوى البحرية ، ص ٣٣٠.

(٤) البكرى : المغرب ، ص ٣٣ ، ص ٨٣ .

(٥) **زويلة** : مدينة يسكنها قوم مسلمون اباضيه ، يقومون ببيع الرقيق من السودانيين من الزغاويين والمروبين وغيرهم من اجناس السودان وذلك لقربهم منهم . كما تشتهر زويله بالجلود الزويلية وتكثر بها زراعة النخل والذره وغيرها ، وبها اخلاط من الناس من أهل خراسان والبصره والكوفه ، وعلى مسيرة خمس عشرة مرحلة من زويلة تقع مدينة كوار وأهلها مسلمون من سائر الاحياء اكثرهم بربر : اليعقوبى : صفة المغرب ، ص ٦ .

بهم (١) ومن المدن التى اشتهرت بتنوع تجارتها واختلاف التجار إليهـــا مدينـــة اجدابيـــة(٢) والتى اشتهرت بتجارة الأخشاب من نوع الأراك وتميزت بانخفاض أسعارها ، ولقلة التمـــر بها كانت تعتمد فى ذلك على مدينة أو جلة التى أمدتها بحاجتها من التمور (٣)

وأسهمت أسواق جزائر بنى مزغناى فى سد حاجه أهالى إفريقيـــة بمـــا أخرجتـــه أسواقها من الماشية ، والعسل ، والسمن ، والتين ، وتصدر خاصة إلى القيروان (٤)

ورغم الغنى الذى تميزت به مدينة مرسى الخرز لشهرتها كأحد أهم الأســـواق فـــى إفريقية وامتلاء أسواقها بالتجار لشراء المرجان إلا أنها اعتمدت على غيرها فى سد حاجتها من الحاصلات الزراعية والمواد الغذائية الأخرى (٥)

وجلبت مدينة صفاقس حاجتها من الفاكهة من أسواق مدينة قابس ، وكانت أســـواقها عامرة (٦) وتبادل إقليم قمونية منتجاته مع مدن إفريقية فكان التين يزرع بها بكميات ضخمه

---

(١) اليعقوبى : صفة المغرب ص ٦.

(٢) **اجدابية** : مدينة بها حصن ومسجد إلى جانب الأسواق ، على مسيرة اربعة مراحل مـــن مدينـــة برقه ومرحلتان من مدينة برنيق وهى مدينة ساحلية على البحر المتوسط ولها ميناء ذو صلاحيـــه ملاحيه يستقبل السفن واهلها قوم من الروم القدماء وقوم من البربر من قبائل سوبـــه ومسوســـه ومغاغه وواهله ووجدانه وهى على مسيرة مرحلتين ن برقة واهل اجدابية من البربر من زنـــارة وواهله ومسوسه وسوسه وغيرهم ، ولها أقاليم وساحل ميناء على البحر المتوسط علـــى مســـيرة سته اميال من المدينة ترسوا به السفن وتعد اجدابيه اخر مدن لواته وتتميز أرض اجدابيـــة بانهـــا صفا ولها ابار مياه منقوره فى تلك الصفا – جبلية – وهى طيبة الماء ، وتكـــثر بهـــا البســـاتين والنخيل قليل بها . وبها شجر الاراك ، وأسواقها حافله مقصوده من التجار ، ويتميز اهلها بالغنى واليسار واكثرهم اقباط . ولها مرسى على ساحل البحر المتوسط يسمى الماحور ، وتتميز مبانيها بسقوفها المقبيه بالطوب وذلك لكثرة هبوب الرياح عليها ، وتتميز برخص اسعارها ، وتعتمد على جلبب التمر إليها من مدينة أوجله ، ولها طريق مع مدينة زويله يبلغ اربعـــة عشـــر مرحلـــة . اليعقوبى : صفة المغرب ، البكرى : المغرب ، ص ٦٠.

(٣) البكرى : المغرب ص ، ٥، ٦ .

(٤) ابن حوقل : صورة الأرض ، ص ٧٨.

(٥) ابن حوقل : صورة الأرض ، ص ٧٦ ، مجهول : الاستبصار ، ص ١٦ ، ١٧.

(٦) نفس المصدر ، ص ٧٣ ، مجهول : الاستبصار ، ص٣.

وتولت مدينة مذكود عاصمة هذا الإقليم إمداد القيروان بما هى فى حاجة إليه من تين وهو افضل أنواع التين بإفريقية ويباع بأثمان عالية ويقبل الأهالى على شرائه لفضله على غيره[(١)]

وشاركت مدينة بونة بقوة فى التبادل التجارى الداخلى لإفريقية فقامت بإمداد غيرها من مدن إفريقية بحاجتها من الأخشاب التى كانت تقتطعها من غايتها الكثيفة وهو من نوع الزان [(٢)] الذى يمثل أفضل أنواع الأخشاب . وشاركت مدن الزاب فى التجارة الداخلية بإفريقية مشاركة فعالة فمن مدينة نقاوس يحمل الجوز إلى القلعة وبجاية وغيرهما من المدن الأخرى [(٣)] .

وإلى أسواق بجاية تحمل الفاكهة بأنواعها والعنب والرب من مدينة جيجل[(٤)] وبرزت شهره مدينة صبره التى أنشأها الخليفة الفاطمى إسماعيل بن عبيد الله سنة (٣٣٧هـ - ٩٥٧م) ونمت وتوسعت تجارتها فى عهد ابنه (معد) المعز لدين الله (٣٤١-٣٦٥هـ/٩٥٣-٩٧٧م) الذى نقل جميع الصناعات والأسواق من القيروان إلى صبرة ولها خمسة أبواب وكان يدخل إليها من الجبايا كل يوم ستة وعشرون ألف درهم [(٥)] بما يشير إلى قوة مشاركتها فى التجارة الداخلية لإفريقية أثناء حكم الفاطميين وبنى زيرى .

ومن المدن الهامة فى مجال التجارة الداخلية بإفريقية مدينة مجانه الغنية بمعادن الحديد والفضة وحجارة المطاحن التى كانت تجلب منها إلى غيرها من مدن إفريقية [(٦)]
وعلى الطريق من القيروان إلى المغرب كانت مدينة ناحية الغربية من مدينة سوق إبراهيم وكانت تشتهر بتجارة المواد الزراعية خاصة الفاكهة فصدرت التين بكميات كبيرة إلى غيرها من المدن [(٧)] وأمدت جزيرة جربة باقى مدن الإقليم بحاجته من الذهب لكثرته بها[(٨)]

---

(١) البكرى : المغرب ، ص ٧٥ ، جورج مارسية : بلاد المغرب ، ص ٢٠٦.

(٢) البكرى : نفس المصدر ، ص ٥٤ .

(٣) مجهول : الاستبصار ، ص ٦٠.

(٤) مجهول : الاستبصار ، ص ١٨.

(٥) البكرى : المغرب ، ص ٢٥ ، مجهول : الاستبصار ، ص ٦ ، جورج مارسية : بلاد المغرب ص ٢٠٨.

(٦) ابن حوقل : صورة الأرض ، ص ٨٤ ، مجهول : الاستبصار ، ص ٤٨.

(٧) ابن حوقل : نفس المصدر ص ٨٩.

(٨) البكرى : المغرب ، ص ٨٥ .

وكانت بعض المدن خاصة الساحلية منها تبنى حوانيتها (محلاتها) علـــى شـاطئ البحر فيكون السوق بها أول ما يراه التجار عند قدومهم عليها مثل مدينة سرت [١] ومثلـت مدينة برقة بأسواقها المكتظة بأنواع السلع المحلية والمستوردة من الخارج مركزا هاما فـي تجارة إفريقية الداخلية وتبادلت مع غيرها من مدن إفريقية السلع وصدرت إليها ماكان يأتيها من الخارج فكانت أسواقها مليئة بالتجار من مختلف الأقطار على مر الوقت ومما اشـتهرت به إلى جانب القطران ، الجلود بفضل ثروتها الحيوانية الكبيرة وكانت تصلها كميات التمور من أوجله وتميزت بتجارتها من الصوف والفلفل والعسل والشمع والزيوت وكـانت مركـزا هاما يجذب إليه منتجات وسلع المدن الإفريقية الأخرى [٢]

واستقبلت تونس وبجايه أنواع التمر الطيب من عاصمة الذاب بسـكره [٣] واكـثر تجارتها كانت التمور المتعددة الأنواع والأجناس مثل الصيحانى والليارى والكسبا حتى أطلق عليها اسم بسكرة النخيل ، هذا إلى جانب تجارة الملح الذى يفوق غيره فى الجودة حتى كان بعض الخلفاء الفاطميون يفضلونه على غيره فى أطعمتهم. [٤]

وكان للمعادن المختلفة دوراً هاما فى التجارة الداخلية لإفريقية فكانت مدن وقـرى جبل كتامة تصدر منها الكثير مثل اللازورد والنحاس والحديد [٥] وكان التبـادل التجـارى يزداد فى المواسم والأعياد المختلفة التى يحتفل بها أهالى بعض المدن مثل المنستير خاصـة يوم عاشوراء الذى يوافق سنويا احتفالات تجديد حاميه رباط المدينة بهـا ، ويمثـل الملـح المستخرج من بحيرة لمطه أهم تجاراتها [٦] ، وكان له نصيب وافر فـى تجـارة إفريقيـة الداخلية .

وكانت الأسواق الأسبوعية التى تقام خلال يوم معين من أيام الأسبوع إحدى الفرص الهامة التى يتم فيها تجمع التجار والفلاحين معا لترويج سـلعهم وبضـائعهم وكـانت هـذه

---

(١) البكرى : المغرب ، ص ٦.

(٢) ابن حوقل : صورة الأرض ، ص ٦٩.

(٣) القلقشندى : صبح الاعشى ، حـ ٥ ، ص ١٠٧ ، مجهول : الاستبصار ، ص ٦١.

(٤) البكرى : المغرب ، ص ٥٢ .

(٥) البكرى : نفس المصدر ، ص ٣٣.

(٦) البكـرى : نفس المصدر ، ص ٣٦ ، ٨٤ ، جورج مارسـيه : بـلاد والمغـرب ، ص ٢٠٧ ، لويس أرشيبالد : القوى البحرية ، ص ٣٣٠.

الأسواق أيضا تتميز بأهميتها فى زيادة التجارة الداخلية فى إفريقية ، ونموها وهذا النمـــوذج من الأسواق نجده ظاهراً فى المدن التجارية الكبرى كالقيروان مثل سوق الأحد والخميس(١)

ومن المدن التى اشتهر أمرها بالتجارة الداخلية لإفريقية مدينـــة القصـــر(٢) القديـــم الواقعة علـــى ثلاثة أميال من القيروان ومما يشهد بأهميتها التجاريـــة كـــثرة الحمامـــات ، والفنادق ، بها إلى جانب الأسواق ، ومدينة تماجر القريبة من المهدية فكـــان بهـــا أســـواق وفنادق ومدينة زويلة المدينة التجارية المقامة بجانب المهدية حيث كانت بهـــا الأســـواق (٣) وشاركت مدينة مليانه بفضل غناها بالمحاصيل والمنتجات الزراعية المختلفة فـــى التجـــارة الداخلية لإفريقية بفضل رخص حاجاتها (٤)

وشاركت القرية فى إقليم إفريقية بنشاط هام فى التجارة الداخليـــة لإقليـــم إفريقيـــة وبرزت منها العديد من القرى التى تميزت بنشاطها التجارى القوى داخل الأسواق بها وكان يوجد بها بعض الحوانيت التى تباع بها السلع مثل قرية أوسجيت التى أقيمـــت بهـــا بعـــض الحوانيت لبربر كتامة ، ونافست اوسجيت العديد من القرى القريبـــة منهـــا مثـــل نهريـــين وتامسنت ودكمه وكان لكل منها سوق خاص بها مما يدل على أهميتها التجارية وهى قـــرى واقعة على الطريق من مدينة القيروان إلى مدينة المسيلة (٥)

وعلى الطريق من القيروان إلى مدينة بونة تقع قرية الفهمين وهى كثـــيرة التجـــارة ولها سوق جامعه ، وعلى ستة مراحل من القيروان برزت قرية منستير عثمان وهى قريـــة

---

(١) المقدسى : أحسن التقاسيم ، ص ٢٢٥ ، ٢٢٦ ، التيجانى : رحلة التيجانى ، ص ٣٢٥.

(٢) القصر القديم : احدى مدن إفريقية – قريبه من القيروان ، بناها ابراهيم ابن الاغلب والى إفريقية ١٨٤- ١٩٦هـ ٧٩٦- ٨٠٨م واتخذها عاصمة له ، وأنشئت بها الأسواق والحمامات والفنادق . كان موقعها ملكا لبربر من بنى طالوت فقام بشراء ه منهم ابراهيم بن الاغلب ونقل إليهـــا عبيـــده وسلاحه ، وتتميز مدينة القصر بكثرة مواردها المائية وكانت تمثل خزان المياه لمدينة القيروان ، وتمدها بحاجتها منها عندما يصيبها القحط ، لها كثيرا من الابواب مثل باب الرحمه قبلى ، بـــاب الحديد قبلى باب غليون شرقى باب الريح شرقى وباب السعادة غربى مقابل مقبرتهـــا الكبـــيرة . اليعقوبى : صفة المغرب ، ص ٨ . – البكرى : المغرب ، ص ٢٨ . ابن عـــذارى : البيـــان ، حـــ ١ ، ص ٩٢ – ٩٣ . الحميرى : الروض المعطار ، ص ٤٧٦ . ابن أبى دينار : المؤنـــس ص ٤٧.

(٣) البكرى : المغرب ، ص ٢٨ ، ٢٩.

(٤) مجهول : الاستبصار ، ص ٥٩.

(٥) ابن حوقل : صورة الأرض ، ص ٨٦ – ٨٧.

كبيره مأهولة السكان كثيرة الأسواق والفنادق والحمامات مما يشير إلى أهميتهـــا التجاريـــة الداخلية[١] ولقرية ريغه الواقعة على طريق المغرب إفريقية سوق صالحه [٢] .

الطرق بين مراكز التجارة .

تمتع إقليم إفريقية بشبكه قوية من الطرق الممهدة الآمنة التى قـامت بعمليـــة ربـــط محكمه بين جميع مراكز إفريقية التجارية وقراها فقد أولى الخلفاء الفاطميين ومن بعدهم بنى زيرى عناية فائقة ومتابعة جيده لتلك الطرق ونشروا الأمن والأمان على مختلف هذه الطرق مما كان له اكبر الأثر فى زيادة عمليات التبادل التجارى لمختلف السلع والمنتجات وقـــامت بتسهيل عمليه انتقال الأفراد والتجار بين مختلف المناطق وزيادة الاستثمار فى إقليم إفريقيـــة فانسابت عمليات نقل البضائع والسلع بصورة سلسله من مناطق الإنتاج إلى مراكز الصناعة وموانئ التصدير .

فمن مدينة طرابلس إلى مدينة برقة طريق يبلغ طوله خمس وعشـــرون مرحلـــة [٣] ومن طرابلس طريق أخر يربطها بمدن قرى جبل نفوسه يبلغ طوله مسيرة ثلاثـــة أيـــام [٤] ومن طرابلس طريق آخر يصلها بمدينة سرت ويبلغ طوله عشر مراحل ومن ســـرت إلـــى اجدابيه طريق طوله ست مراحل ومن مدينة برقة إلى مدينة اجدابيه طريق يبلغ ست مراحل ومن اجدابية إلى ميناءها على ساحل البحر المتوسط – الماحور طريق يبلغ ثمانيـــة عشـــرة ميلا [٥]

وهناك طريق هام يبدأ من مدينة القيروان حتى مدينة فاس أقصى بلاد المغرب يمر على مدن وقري هامة [٦] كما يبدأ طريق هام آخر يربط بين مدينة اطرابلس بإقليم إفريقيـــة ومدن السوس الأدنى والأقصى ويمر هذا الطريق على كثيرا من المدن الهامة مثـــل قـــابس والقيروان [٧] .

---

(١) البكرى : المغرب ، ص ٥٥ ، ٥٦ .

(٢) ابن حوقل : صورة الأرض ، ص ٨٩.

(٣) المراكشى : المعجب ، ص ٣٤٧.

(٤) مجهول : الاستبصار ، ص ٢.

(٥) البكرى : المغرب ، ص ٥-٦.

(٦) ابن حوقل : صورة الأرض ، ص ٨٤ – ٨٥ .

(٧) المقدسى : أحسن التقاسيم ، ص ٢٤٥ – ٢٤٦.

ومثلت مدينة القيروان إحدى المدن المركزية الهامة التى تبدأ منها وتنتهى إليها الطرق التجارية المختلفة فهناك طرق ربطها مع أهم المراكز التجارية والمدن مثل قفصة وقسطيليه وتاهرت حتى مدينة فاس بالسوس الأدنى ، وهناك طريق آخر يبدأ منها إلى مدينة سطيف وتاهرت وفاس والسوس الأقصى إلى جانب طريق من القيروان إلى مدينة زويلة يبلغ مسيرة شهر ومن القيروان إلى مدينة سجلماسة طريقان أحدهما برى وهو الأقصر ويبلغ طوله ثلاثون مرحلة والطريق الآخر فى العمارة يبلغ طوله خمسون مرحلة ومن القيروان طريق يربطها بالمدن الساحلية القريبة مثل تونس وطبرقة وتنس وجزائر بنى مزغناى ومنها طريق يصلها بمدينة المهدية يمر على مدن هامة [١] على ساحل البحر المتوسط .

وهناك طريق يبدأ من مدينة المسيلة إلى أقصى المغرب حيث مدينة فاس مارا بقرى ومدن عديدة هامة [٢] ومن القيروان طريق يربطها بمدن إقليم الذاب ويصل حتى مدينة بسكره . وطريق آخر يصل حتى مدينة قلعة أبى طويل وهو يمر على مدن عديدة ويخترق بلاد كتامة ويطلق عليه الطريق – الجناح – الأخضر [٣]

ومن طرابلس إلى قابس طريق يبلغ عشرة مراحل ثم إلى سوسه أربعة مراحل ثم إلى المهدية ثلاثة مراحل ثم من مدينة سوسه إلى مدينة تونس ثلاث مراحل ومنها إلى قرطاج طريق يبلغ أربعة فراسخ [٤] ومن مدينة بنزرت إلى مدينة طبرقة طريق يبلغ طوله سبعون ميلاً [٥] ومن مدينة قسنطينه حتى مدينة سبته بالمغرب الأقصى طريق يبدأ من قسنطينه إلى بجايه يبلغ طوله خمس مراحل ثم إلى مدينة الجزائر أربعة مراحل ثم إلى تنس أربعة مراحل ومنها إلى وهران سبع مراحل ومن وهران إلى سبته ثمانى عشره مرحلة [٦] وربط مدينة تاهرت طريق يبلغ طوله ثمانون مرحلة . ومن القيروان إلى سجلماسه طريقان أحدهما خارج العمارة يبلغ ثمانون مرحله والآخر فى العمارة ويبلغ طول مائه وعشرون مرحله [٧]

---

(١) المقدسى : أحسن التقاسيم ، ص ٢٤٦.

(٢) ابن حوقل : صورة الأرض ، ص ٨٧ – ٨٨.

(٣) البكرى : المغرب ، ص ٤٩ – ٥٤ .

(٤) المراكشى : المعجب ، ص ٣٤٩ – ٣٥٠.

(٥) أبو الفدا : تقويم البلدان ، ص ١٤٣.

(٦) المراكش : المعجب ، ص ٣٥٢ – ٣٥٤.

(٧) الاصطخرى : المسالك والممالك ، ص ٣٧ – ٣٨.

وارتبطت مدينة سجلماسة بالمراكز المجاورة لها بطرق تجارية هامة فهناك طريق يصلها إلى اغمات يبلغ طوله نحو ثمانى مراحل ومثلها إلى مدينة فاس ، ومن سجلماسة إلى السوس طريق يبلغ اثنتا عشرة مرحلة [(١)] ومن مدينة القلعة طريق يصل حتى مدينة تنس البحرية يمر بمدن المسيلة وغدير واروا واشيرومليانه[(٢)]

ومن مدينة أشير[(٣)] طريقان يصلاها الأول إلى مدينة مرسى الدجاج الآخر إلى مدينة جزائر بنى مزغنى ، ومن القيروان إلى مرسى الزيتونه طريق يربطهما معاً ومن القيروان إلى مدينة وهران طريق يصلهما معا [(٤)] ومن مدينة سجلماسه التى ربطتها طرق تجارية كثيرة هامة سواء مع مدن إفريقية أم مدن السودان الواقعة جنوب إقليم إفريقية فمن سجلماسه إلى اودغست شهران ومن اودغست إلى غانه بضعه عشر يوما ومن غانه إلى كوغه نحو شهر ومن كوغه إلى سامه دون الشهر ومن كوكو إلى مرنده شهر ومن مرنده إلى زويله شهران ومن زويلة إلى اجدابيه شهر ومن زويله إلى فزان خمس عشرة مرحله ومن فزان إلى زغاوة شهران ، ومن اوليل إلى سجلماسة اكثر من شهر ومن سجلماسة إلى لمطه معدن الدرق اللمطيه خمس وعشرون ميلا ، ومن سجلماسة إلى القيروان مارا بنفزاوه ونواحى قسطيلية شهران [(٥)]

---

(١) ابن حوقل : صورة الأرض ، ص ٩٠.

(٢) البكرى : المغرب ، ص ٥٩ - ٦١.

(٣) **مدينة أشير** : إحدى مدن إقليم إفريقية . تتميز بالحصانة والمنعة ، بناها زيرى بن مناد ٣٢٤هـ/٩٣٥م تقع فى جنوب مدينة الجزائر فى جبل تيترى ، ويطلق عليها اسم أشير زيرى ، وجه الخليفة الفاطمى أبى القاسم القائم بأمر الله (٣٢٢ - ٣٢٤ هـ ٩٣٤- ٩٤٦م) مساعدات كبيره إلى زيرى لانشاء هذه المدينه مثل المهندسين والبنائين إلى جانب جميع الحرفيين ، كان يقوم بحمايتها ٥ اشخاص فقط ، كما اشتهرت بغزاره مياهها وعمرت بالتجار والعلماء ، واصبحت من أهم المراكز التجارية الداخلية بإفريقية . ياقوت : معجم البلدان ، حـ ١ ، ص ٢٠٢ - ٢٠٣. البكرى : المغرب ، ص ٦٠ . مجهول : الاستبصار ، ص ٥٨ - ٥٩ . ابن عزارى : البيان ، حـ ١ ، ص ٢١٦ . الذهبى : العبر ، حـ ٢ ، ص ١١٤ . الهادى ادريس : الدوله الصنهاجية ، حـ ١ ص ٤٤.

(٤) البكرى : المغرب ، ص ٦٣ - ٦١ ، ص ٧١.

(٥) ابن حوقل : صورة الأرض ، ص ٩١.

وهكذا ربطت الطرق التجارية بين مختلف مدن ومناطق إفريقية ، مما ساعد على قوة التبادلات التجارية بينها وأدت إلى انتعاش التجارة الداخلية داخل إقليم إفريقية خلال العصر الفاطمي وبني زيرى .

الفصل الثالث

الفصل الثالث

الأسواق وتنظيمها .

- أهم الوظائف داخل الأسواق .
- المنشآت التجارية .
- نظام الأسواق فى المدن والقرى .
- نظام البيع .
- طوائف التجار .

الأسواق وتنظيمها .

يطلق اسم السوق على المكان المخصص لتبادل البيع والشراء . فيما يعرف بموضع البياعات .[1] وهو المكان الذى يحوى بداخله حاجات الناس الضرورية ، والكمالية والتى تمت بالصلة إلى جميع نواحى الحياة المختلفة الخاصة بهم . " إذ أن الأسواق كلها تضم بين طياتها ضرورات الحياة للإنسان مثل الأقوات ، ومافى معناها من البقول ، والبصل ، والثوم ، إلى جانب الحاجات الكمالية ، مثل الأدم والفواكه والملابس وأدوات الطهى – الماعون – والمراكب وسائر المصانع والمبانى [2] ، ولقد سمى السوق سوقاً لأن التجارة تجلب إليها وتساق المبيعات نحوها[3]

أسس إقامة الأسواق

ولما تمثله هذه الأسواق من أهميه نجد أن أولى الأمر سواء كانوا من الخلفاء أم الولاة، والحكام يولون تلك المنشآت عنايتهم ، واهتمامهم ، ويراعون عند إقامتها مجموعة من الأسس، والقواعد ، يجب أن يكون عليها السوق ، فلا يجب إقامة تلك الأسواق دونما تخطيط أو تنسيق ، ومن هذه الأسس التى يجب أخذها فى الحسبان وتجب مراعاتها ، الأمور الخاصة بالاتساعات ، والارتفاعات ، التى سيكون عليها السوق ، فالسوق يجب أن يكون على غرار ما وضعه الروم قديماً فى الاتساع ، والارتفاع ، كما يجب أن يكون السوق مبلطا – إذا ما توفرت الموارد المالية لعمل ذلك – وان يقام على جانبى السوق أفريزان لكى يستخدمها الناس فى زمن الشتاء [4] وتكون الأسواق مسقفة بتقبية الآجر أو بمعرشات العنب. [5]

كما يتم السماح لأصحاب المتاجر داخل السوق بعمل مصاطب خاصة بهم ، وهى عبارة عن بناء يرتفع عن سطح الأرض بمقدار متر ويكون موقعها بجانب وجهة الدكان، وتستخدم أما للجلوس ، عليها أو فرز البضائع فوقها من جانب المشترين ، ولكن لا يجب

---

(١) المطرزى : كتاب المغرب فى ترتيب المعرب ، ص ٢٣٩.

(٢) ابن خلدون : المقدمة ، ص ٢٥٥.

(٣) ابن منظور : لسان العرب ، جـ ٧ ، ص ٣٣.

(٤) الشيزرى : نهاية الرتبة ، ص ١١ . محمد عبدالعزيز مرزوق : الفن الإسلامى فى العصر الأيوبى ، وزارة الثقافة والإرشاد القومى ، القاهرة ، ١٩٦٣ ، ص ٣٩

(٥) عثمان الكعاك : الحضارة العربية ، ص ٦٦.

بحال من الأحوال أن تخرج عن سمت السقائف إلى الممر الأصلى للسوق ، وإلا اعتبر ذلك تعديا على حقوق المارة ويجب أن يمنع صاحبها من ذلك .[١]

ولم يكن وجود المصاطب أمراً شاذاً داخل أسواق إفريقية ، بل هـو مـن الأمـور الشائعة داخل تلك الأسواق ، وإحدى علاماتها المميزة ويعتبر حى الربع بمدينة سوسه خـير شاهد على ذلك [٢]

ولاقت الأسواق ، العناية الفائقة والرعاية الكاملة ، فى جميع ما ارتبط بها من أمور، منذ لحظة التفكير فى إقامتها ، وبدءً من اختيار الموقع والمكان المناسب لإقامة السوق ، فلا يتم بناء السوق فى أماكن بعيده متطرفة عن العمران ، أو فى أماكن يصعب علـى النـاس الذهاب إليها فى يسر وسهولة ، وإنما كان مكان السوق فى أماكن معلومة قريباً من جميـع أحياء المدينة ، لذا كان السوق يقام غالباً فى وسط المدينة ، بجوار المسـجد الجـامع مثـل سوق مدينة القيروان حيث أقيم فى وسط – سرة – البلد. [٣]

ويعد سوق القيروان . من اكبر أسواق المدن بإقليم إفريقية ، حيث يبلغ طولـه مـن الجامع إلى باب أبى الربيع – أحد أبواب القيروان – ميلان إلا ثلث ، ويبلغ عرضـة مـن الجامع إلى باب تونس ثلثا ميل ، وكان سطحاً متصلا فيه جميع المتاجر والصناعات [٤]

وبعد تحديد مكان السوق ، يعهد ببناءه إلى أحد المهندسين المختصين الـذى يقـوم بتحديد تقسيماته الداخلية ، مع مراعاة سبل الأمان داخله .

أقسام السوق

وينقسم السوق إلى :قسمين منفصلين يختلف محتوى كلا منهما عن الآخر ، فهناك قسم خاص بالمصانع التى تعتمد على المواد الخام المعدنيـة ، أو الزراعيـة ، كـالقطن ، والكتان ، والحرير، وهى ما يطلق عليها الصناعات اليدوية ، وتتم فيها تحويل المادة الخـام إلى أقمشة ، ومنسوجات ، وملابس مثل أسواق سوسة . [٥] وغيرها.

---

(١) الشيزرى : نهاية الرتبة ، ص ١١-١٤.

(٢) حسن عبدالوهاب : ورقات الحضارة ، ص ٧١ .

(٣) المقدسى : أحسن التقاسيم ص ٢٢٦ ، حسن عبدالوهاب : ورقات الحضارة ، ص ٦٨ – ٦٩.

(٤) ابن حوقل : صورة الأرض ، ص ٩٤ ، البكرى : المغرب ، ص ٢٥ – ٢٦ .

(٥) ابن حوقل : صورة الأرض ، ص ٧٤ ، حسن عبدالوهاب : ورقات الحضارة ، ص ٧١ .

وهذا الجزء من السوق يضم الصناعات التى تحتاج إلى وقود ونـــار مثـل الخبــاز والطباخ ، والحداد .[١] ويتميز هذا القسم من السوق بكبر الحجم ، نظراً لكثرة عدد الأفراد به ولكى يستوعب أيضا العدد والآلات المستخدمة فى الصناعة. [٢]

أما القسم الثانى من السوق فهو الجزء الخاص بعرض وبيع السلع الأخرى ، ســواء كانت محلية الصنع أم مستورده من الخارج ، وتتميز متاجر هـــذا الجــزء بأنهــا متقابلــة ومتلاصقة يفصل بينهما ممر معقود ومسقوف ، بالأجر أو الحجر الخفيف ، وأمام كل دكان مصطبة [٣] وذلك مثل العطارين والبزازين[٤] وعلى هذا النظام أقيمت أغلب أسواق إفريقيــة وخير شاهد على ذلك ما كانت عليه أسواق مدينة القيروان ، التى كانت المثل الذى احتذت به باقى مدن إفريقية عند إقامة أسواقها ، فكان لكل صنعة به سوق خاص ، بها مثل الصباغين والرماحين ، والحزائيين [٥] وسوق الضرب. [٦] وسوق الصرف[٧] .

ولم يقتصر الأمر على مدينة القيروان ، دون غيرها فى اتباع هذا التنظيم والتنسيق داخل سوقها ، بل حذت حذوها مدن أخرى مثل مدينة برقة التى كان ســوقها علــى غايــة مايكون تنظيما ، وتنسيقا ، فهناك أقسام محدده لكل سلعه بها مثل قســم بيــع الأصــواف ، والقسم الخاص ببيع الفلفل والقسم الخاص ببيع العسل وأخر لبيع الشمع والزيت إلى غير ذلك من الأقسام [٨] .

مزايا وعيوب تقسيم الأسواق :

ويتميز هذا التنظيم والتحديد داخل الأسواق على هذا النسق بمزايا وعيوب فى نفس الوقت فمن هذه المزايا ، وجود نوع من المنافسة بين التجار داخل السوق علـــى تخفيــض الأسعار وعدم ارتفاعها بما يؤدى إلى قيام عدد كبير من الناس بالشراء دون صعوبة . كمــا يعمل هذا التقسيم على تمييز كل قسم من أقسام السوق بالسلعة ، التى يحويها وتعرف به مما

---

(١) الشيزرى : نهاية الرتبة ، ص ١١.

(٢) حسن عبدالوهاب : ورقات، ص ٧١ - ٧٢ .

(٣) نفس المصدر ، ص ٧١ .

(٤) الشيزرى : نهاية الرتبة ، ص ١٢.

(٥) المقدسى : أحسن التقاسيم ، ص ٢٢٥.

(٦) البكرى : المغرب ، ص ٢٢.

(٧) الخشنى : قضاة قرطبة ، ص ٢٨٦.

(٨) ابن حوقل : صورة الأرض ، ص ٦٩.

يمثل سهولة ويسر، ورفق ، بالمشترين ، فى الوقت نفسه .الذى يساعد أصحاب تلك السلع والصناعات على بيعها بسرعة (١)

ومن عيوب : هذا التقسيم فيتمثل فى التعب ، والمشقة ، التى يعانيها مرتادى هذا الأسواق من المشترين نظرا لقيامهم بالتجول مسافات بعيدة فى سبيل البحث والحصول على السلع المختلفة (٢) .

ومن الأسباب التى أدت ، وساعدت على وجود هذا التقسيم داخل الأسواق هو عدم المجانسة بين الصناعات التى تحتاج إلى الوقود، وبين غيرها من الصناعات الأخرى (٣) لذا روعى أن تكون الأسواق طبقة طبقة بدء من المسجد حتى جانب السور، الداخلى ، وأن يكون قربها أو بعدها من المسجد على نسبة اتصالها وظيفياً ، فهناك سوق الشماعين ، وسوق العطارين ، والطيبين ، وسوق القباقيبية ، لوجوب الوضوء وسوق العدول (المأذونين) وسوق الكتبية ، أما ما وجد بجانب السور، بعيدا عن المنازل ، خوف الإيذاء بالرائحة الكريهة أو الدخان أو الحريق ، أو الدوى مثل الدباغين والصباغين ، والسراجين والحدادين ، والنجارين (٤) .

ومن بين المدن الأخرى التى تميزت أسواقها بنوع من التنظيم والتنسيق أيضا مدينة تونس ، فكان لكل صنعه بها مكان خاص محدد لا تختلط معها صنعة أخرى ، مثل أسواق الحدادين ، وأسواق الصباغين ، وأسواق صانعى السروج (٥) – السروجيه(٦) ولقد وجدت داخل أسواق إفريقية المختلفة عدة حرف –وظائف– هامة منها :

---

(١) الشيزرى : نهاية الرتبة ، ص ١١.

(٢) ستانلى لين بول : سيرة القاهرة ، ترجمه حسن إبراهيم حسن ، على إبراهيم ، ادوار حليم ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٩٧ ، ص ٢٥.

(٣) الشيزرى : نهاية الرتبة ، ص ١٢.

(٤) عثمان الكعاك : الحضارة العربية ، ص ٦٦.

(٥) **السرج** : هو رحل الدابة . وجمعها سروج ، والسراج هو بائع السروج وصانعها وحرفته السراجه . ابن منظور : لسان العرب ، حـ ٣ ، ص ١٢١ – ١٢٢.
وكان لها خزانه خاصة بها تسمى خزانه السروج . وهى قاعه كبيره بالقصر تحتوى على السروج والحم من الذهب والفضه وسائر آلات الخيل . بما يختص بالخليفة أو موظفيه من أرباب الرتب العالية أو الخدم ، وكان بها عمال كثيرون من خرازين وصاغه وغيرهم .
القلقشندى : صبح الأعشى ، حـ ٣ ، ص ٤٧٣ .
عطيه مصطفى مشرفه : نظم الحكم فى عصر الفاطميين ص ١٠٣.

(٦) موجز دائرة المعارف الإسلامية : مركز الشارقة للإبداع الفكرى ، الطبعة الأولى ١٩٩٨م حـ ٨ ص ٢٤٤٣.

أهم الحرف -الوظائف- داخل الأسواق

السمسرة

تعد السمسرة ، من الحرف -الوظائف- ذات المكانة الهامة داخل الأسـواق والتـى كانت ولاتزال شائعة فى الأسواق فى إفريقية ، فالسمسرة قديمة قدم الأسواق نفسها ، فهـى موجودة حتى قبل ظهور الإسلام ، وظلـت قائمة داخل الأسواق على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم (١) .

وفى سبيل التعريف بمعنى السمسرة هناك .أقوال وآراء كثيرة فبداية نقول أن كلمـة سمسار مأخوذة من اللغة الفارسية وجمعها سماسرة والمصدر منها السمسرة ، والسمسار هو الشخص الذى يقوم بعملية الوساطة بين البائع والمشترى .(٢) حيث يعمل على تقريب وجهات النظر بينهما والعمل على الوصول إلى أنسب سعر يتفق عليه الطرفان .

ورغم وجود هذه الحرفة داخل الأسواق وقيام الشخص المحترف لها بعمله داخـل السوق إلا أن السمسار(٣) لا ينتمى إلى فئة التجار ، ولا إلى فئة الصناع ، بل هـو شـخص مستقل قائم بذاته لذا لم يتم تصنيف تلك الحرفة -الوظيفة- ، فى قائمة الوظائف المرموقة فى الدولة ومن ثم لم يكن السمسار ذا مكانه سامية ، مثل غيره من أصحاب الوظائف الأخـرى المرموقة ، داخل المجتمع فممتهنوها لا قيام لهم ولا قرار ولا يسمع لهم ذكر فى أشـعار (٤) ولا تعتبر السمسرة قاصرة على نوع واحد فقط محدد ، بل هم أصناف مختلفون ، لكل منهم عمل خاص به يؤديه داخل السوق (٥) وبرغم عدم انتماء السمسـار إلـى إحـدى الفئتيـن

---

(١) ابن منظور : لسان العرب حـ ٦ ص ٤٦.

(٢) المطرزى : كتاب المعرب ص ٢٣٥ ، مجد الدين محمد ابن يعقوب الفيروز بادى الشيرازى : القاموس المحيط : دار بيروت للطباعة والنشر : بيروت : ١٩٧٩م حـ ٢ ص ٥٣ .عثمـان الكعاك : الحضارة العربية ص ٦٤ .

(٣) **السمسار** : غير الرسول (ص) هذا اللفظ إلى لفظ تاجر فقد ذكر قيس بن أبى عروه قال " كنـا قوماً نسمى السماسرة بالمدينة فى عهد رسول الله (ص) فسمانا النبـى (ص) التجـار . ابـن منظور : لسان العرب ، حـ ٦ ، ص ٤٦ - ٤٧.

(٤) رفاعة رافع الطهطاوى : الدولة الإسلامية نظامها وعمالاتها ، تعليق عبدالرحمن حسن ، فاروق حامد ، مكتبه الآداب : القاهرة ص ٢٨٥ . .

(٥) أبو على الحسن بن رحال المعدانى : كشف القناع عن تضمين الصناع ، تحقيق محمـد أبـو الرجفان ، الدار التونسية للنشر ، تونس ، ١٩٨٦م ، ص ١٠١.

الأساسيتين داخل السوق وهما التجار أو الصناع إلا أن السمسار له الحق الكامل فى امتلاك متجراً له داخل السوق يمارس فيه عمليه البيع والشراء لمن أراد ذلك فهو خبير عالم بالسوق وله معرفة تامة بنواحى التجارة التى يجيدها ويحذقها ، والسمسرة عامه هى الأشعار بقدوم السلع وأشباهها إلى داخل السوق (١) . وقيل أن السمسار هو الشخص الذى يبيع البر للناس . وقيل السمسار هو الشخص القيم بالأمر الحافظ له (٢) .

ولما كانت السمسرة إحدى الوظائف الهامة داخل السوق بما لها من دور هام فى تنشيط عمليات البيع والشراء فقد أفردت لها كتب الحسبة فصلا خاصاً بها ، ذكرت فيه أهم الصفات والشروط الواجب توافرها فى السمسار ، فيجب أن يكون السمسار من الثقاة الأخيار ، ومن أهل الدين والأمانة ، الذين يتصفون بالصدق ، فى القول ، وذلك لأنهم يتسلمون بضائع الناس الذين يولونهم الأمانة فى بيعها ، ولا ينبغى للسمسار أن يقوم بزيادة سعر السلعة من تلقاء نفسه دون أخذ رأى صاحبها ، ولا يقوم بالاتفاق كشريك مثلا مع البزاز –أو غيره– ولا يشترى السلعة لنفسه (٣) ولا يقبض ثمنها دون توكيل (٤) .

ولأهمية بعض السلع التى يتولى السمسار بيعها ، مما يدعو البعض منهم من ذوى النفوس المريضة وضعيفى الإيمان إلى ادعاء فقدها ، أو تلفها ، مقابل استيلاءه عليها ثم يقوم ببيعها لنفسه بعد ذلك ، فقد ضمن بعض الفقهاء هؤلاء السماسرة السلع التى يتسلمونها فلا يجب أخذ أقوالهم –السماسرة– على سبيل التصديق المطلق إن هم ادعوا فقد تلك السلع(٥).

---

(١) المعدانى : كشف القناع ، ص ١٠٠-١٠١ .

(٢) ابن منظور : لسان العرب ، حـ ٦ ، ص ٤٦ – ٤٧.

(٣) نهى النبى صلى الله عليه وسلم عن اتخاذ السمسار حيث نهى " أن يبيع حاضر لباد . دعوا الناس يرزق الله بعضهم من بعض ، وقيل لابن عباس – : رضى الله عنه – مامعنى قوله " لا يبيع حاضر لباد "؟ قال " لا يكون له سمساراً " أبى عبد الله محمد بن أبى بكر الزرعى الدمشقى : الطرق الحكميه فى السياسة الشرعية أو " الفراسة المرضية فى أحكام السياسة الشرعية " تحقيق : محمد حامد الفقى : دار الكتب العلمية : بيروت ص ٢٤٣. – ابن تيميه : الحسبة فى الإسلام ، ص ٣٧ . المطرزى : كتاب المغرب فى ترتيب المعرب ، ص ٢٣٥.

(٤) الشيزرى : نهاية الرتبة ، ص ٦٤ .

(٥) المعدانى : كشف القناع ، ص ١٠٤ ، ص ١٠٩.

في نفس الوقت لا يتم تعميم هذه القاعدة على جميع السماسرة ، فمن اشتهر أمره منهم بالصدق والأمانة فليس عليه ضمان اعتمادا على صدقه وأمانته ودينه [١] .

ولم تكن أسواق إفريقية بمنأى عما عاداها من الأسواق في الشرق أو في الغرب سواء في عهد الفاطميين ، أم في عهد بني زيرى من بعدهم ، فقد انتشرت السمسرة في أسواقها المختلفة ، وكان هؤلاء السماسرة يكثرون في المدن التجارية الهامة بأعداد كثيرة، شملت جميع الحرف والصناعات ومن أهم هذه المدن مدينة مرسى الخرز [٢] .

الدلالـــون .

الدلالة هي الإجارة على بيع السلع داخل السوق.[٣] وهي إحدى الوظائف الهامة داخل الأسواق ، ويختلف الدلال ، عن غيره ، فهو شخص له معرفة تامة بالسوق والأماكن التي توجد بها السلع داخل البلد ، وهو الذي يقوم بعملية تعريف أصحاب السلع على التجار، الذين يمكنهم الشراء فيسمى دلالاً لذلك لأنه يدل البائع على المشترى والمشترى على البائع[٤] وقد خضع الدلالون مثل غيرهم من موظفي السوق إلى صاحب السوق – المحتسب – في جميع أمورهم وتنطبق عليهم شروط اختيار الموظفين الآخرين فعلى المحتسب أن يقوم بإقرار ذوى الأمانة منهم ويمنع منهم الخائنين [٥].

---

(١) المعداني : كشف القناع ، ص ٩٣ .

(٢) ابن حوقل : صورة الأرض ص ٧٧ . وانظر القزويني : آثار البلاد ، ص ٢٦١.

(٣) المعداني : كشف القناع ، ص ١٠٠.

(٤) نفس المصر والصفحة .

(٥) أبو الحسن على بن محمد بن حبيب البصري البغدادي : الأحكام السلطانية والولايات الدينية ، دار ابن خلدون ، الإسكندرية ، ص ٢٦٢. ينبغي أن يكونوا أخيارا ثقاة من أهل الدين والأمانة وصدق القول ، لأنهم يتسلمون بضائع الناس ، ويقلدونهم الأمانة في بيعها . ولاينبغي لأحد منهم أن يزيد في السلعة من نفسه ، ولايكون شريكاً للبزاز ، (ولايشتريها لنفسه) ، ولايقبض ثمن السلعة من غير أن يوكله صاحبها في القبض – الشيزى : نهاية الرتبة ،ص ٦٤ .

وكان الدلالون ينتشرون فى مختلف أنحاء إفريقية فلكل مهنة دلالوها حتى كان فـــى أقصى جنوب إفريقية فى بلاد الجريد دلالون لسماد (الذبل) الأرض وكان يطلق عليه دلال المرحاض [١]

وبجانب هؤلاء وجد أيضا المنادون ، أو الصاحة ، الذين يقومون بالمنـــاداة علـــى السلع المختلفة داخل السوق ويجب أن تتوفر فيهم – مثل غيرهم – صفات الأمانة والصـــدق ولا يقومون بخداع المشترين والتواطؤ مع التجار فيظهرون ما بالسلعة من عيوب للمشترين ويخضعون أيضاً فى عملهم للمحتسب[٢] .

وأخيراً يمكن القول أنه برغم كثرة المسميات المختلفة مثل الـــدلال أو الصاحـــة أو النحاسين أو الطوافين [٣] ، فإن كل هؤلاء الأشخاص ينصبون داخل إطار كبير هو ما نسميه السمسرة فالدلالة هى السمسرة [٤]. ويمكن أن نرجع ذلك إلى اختلاف البلاد والأزمنة فلكـــل زمان ومكان مسميات خاصة به . واختلفت الآراء حول تضمين الصاحه داخل السوق [٥]

الوكـــلاء .

الوكالة هى التفويض والحفظ ، واستنابة شخص لآخر فيما يقبل النيابة ، وهى مـــن الأشياء التى شرعها الإسلام ، وحث عليها ، لعدم قدرة الإنسان على مباشرة أموره بنفســـه فى أحوال كثيرة وهى تنعقد بالقبول والإيجاب ، ولا يشترط لعقدها لفظ معين فيها ، ومـــن

---

(١) مجهول : الاستبصار ص ٤٣ وانظر التيجانى : رحلة التيجانى ص ١٦٠.
ويجب على المحتسب أن يصنع تلك الفئة داخل السوق تحت نظرة وسيطرته وسيطرة أعوانـــه من العرافين حتى يقوم بمنعهم من بعض الأمور –الغش– التى يلجأون إليها ويعمدون إلى فعلها داخل السوق وهى من الأمور التى يجب منعها فهناك البعض منهم يقوم بإقراض بعض الصناع داخل السوق – المال – ذهباً على أن يشترط عليهم احتكار صناعتهم وعدم قيام أحد آخر غيره ببيعها لهم ، ومنهم من يقوم بشراء السلعة لنفسه ويوهم صاحبها أن بعض الناس قد اشـــتراها ، ومنهم من تكون السلعة له ولكنه يقوم بالمناداة عليها وزيادة سعرها وإيهام الناس بأنها لبعـــض التجار .
الشيزرى : نهاية الرتبة ، ص ٦٤ .

(٢) الشيزرى : نهاية الرتبة ، ص ٦٤ .

(٣) المعدانى : كشف القناع ، ص ١٠١.

(٤) الطهطاوى : الدولة الإسلامية ، ص ٢٨٤.

(٥) المعدانى : كشف القناع ، ص ٩٢ ، ٩٣ ، ٩٤ ، ١٠٦.

حق المتعاقدين فسخ العقد بينهما ، وهى جائزة فى كل ما يستطيع الإنسان عقده بنفسه ، أما الأعمال التى لا تدخلها النيابة مثل الصلاة والطهارة والحلف .. فلا يجوز فيها الوكالة[١].

ولقد وجدت الوكالة فى مختلف أسواق إفريقية حيث ذكر الوكيل فى سيرة جوذر[٢]. وكان الحكام والأمراء كثيرا مايلجأون إلى شخص ما يوكلونه عنهم فى أمور البيع والشراء أو مباشرة أعمالهم غير السياسية لتخلق الملوك والأشراف بأخلاق تسمو بهم عن أخلاق التجار [٣]. ويجوز للوكيل أن يخالف شروط موكله إن كان ذلك فى مصلحته أما إن كان فى غير مصلحته فواجبه الرجوع إلى موكله [٤] .

ولقد انتشر نظام الوكيل انتشاراً واسعاً ولم يقتصر فقط على التوكيلات التجارية بل كان هناك وكلاء أيضا لتزويج امرأة من شخص آخر وكل منهما يعيش فى بلد آخر [٥].

ومن اكبر المناطق التى وجد بها الوكلاء فى إفريقية كانت مدينة مرسى الخرز . فكان هناك وكلاء للتجار ووكلاء لخلفاء إفريقية فى مجال بيع وشراء المرجان[٦] ولم يقتصر أمر الوكيل على الخلفاء فقط بل شمل هذا الأمر أفراد أسرهم الذين لم يقتصر أمر وكلاء هم على التواجد داخل إقليم إفريقية بأسواقها المتعددة . إنما تعدو حدود هذا الإقليم إلى الدول المجاورة التى تتميز بالتقدم الاقتصادى فقد كان لأم الأمراء وكيل خاص بها يقيم بمصر يتولى عمليات ببيع وشراء ماهى فى حاجة إليه [٧] . ولم يقتصر أمر الوكلاء على أم الأمراء فقط بل كان لبعض الحكام بإفريقية أيضا وكلاء خاصين بهم يقيمون أيضا بمصر

---

(١) السيد سابق : فقه السنة ، دار الفتح للإعلام العربى ، القاهرة ١٩٩٤م ، حـ ٣ ، ص ٢٣٢ – ٢٣٤.

(٢) جوذر : سيرة الأستاذ ، جوذر ، ص ٩٩ ، ص ١٢١.

(٣) ابن خلدون : المقدمة ، ص ٢٧٩.

(٤) السيد سابق : فقه السنة ، حـ ٣ ص ٢٣٦.

(٥) صابر دياب : دراسات فى عالم البحر المتوسط فى العصور الوسطى ، المجلة التاريخية المصرية ، ١٩٧٧م ، عدد ٢٤ ، ص ٦٣ ، ٦٤ .

(٦) ابن حوقل : صورة الأرض ، ص ٧٦.

(٧) المقريزى : الخطط ، حـ ٢ ، ص ١٦٦.

مثل المعز ابن باديس [١] الذى كان له وكيل بمصر يسمى ابن الاخوة كما سار بعض التجار بإفريقية على نفس هذا المنهج فى اتخاذ وكلاء خاصين [٢] لهم يتواجـــدون خـــارج حـــدود إفريقية يتولون أمر أموالهم [٣] .

المنشآت التجارية .

شهدت إفريقية خلال الحكم الفاطمى ثم بنى زيرى نهضة اقتصادية ضخمـــه فـــى جميـــع النواحى الاقتصادية وبلغت تجارتها مكانة مرموقة بين أقاليم العالم الأخرى بما أدى إلى تدفق التجار الأجانب من مختلف دول العالم إليها وكان لابد لهذه الأعداد الضخمة مـــن التجار من

---

(١) **المعز ابن باديس** : ولد بمدينة المنصورية ٣٩٨هـ ١٠١٠م تولى الحكم عقب وفاه أبيه باديس ، بعد أخذ البيعة له وعمرة ثمانى سنوات ، ٤٠٦ هـ ١٠١٨م وتولت جدتـــه تربيتـــه وقـــامت بالوصاية عليه وباشرت الأمور الخاصة بالدولة ، كان ملكاً جليلا ذا همة عالية محباً لأهل العلم ، كثير العطاء ، منع المذاهب الدينية عدا مذهب الإمام مالك ، وبلغت إفريقية فى عهده أرقـــى وازهى عصورها وبلغت الحضارة بها أوجها ، لقبه الخليفة الفاطمى الحاكم بأمر اللـــه بشـــرف الدولة وتبادل معه الهدايا ، كان كريماً منح أهل بيته الأموال الكثيرة ، وكان متدينا غير محـــب لسفك الدماء ، ويتجنب القتل إلا فى الحق ، وكان ذكيا رقيقا عازفاً بعود صنائع مـــن الألحـــان والتوقيعات والشعر ، وكانت له مجالس مع الأدباء ، تبادل الهدايا والسفارات مع بلاد الـــروم ، كان قائد حربيا قديراً تعرضت الدولة فى عهده لخطر الانقسام عن طريق عمـــه حمـــاد ولكنـــه استطاع هزيمته وازعن حماد بالطاعة له وقام بقطع الخطبة للفاطميين ومنـــع سكتهم وغـــير بنودهم وطرازهم ٤٤٠هـ ١٠٥٢م وأقام الخطبة للعباسيين ، مما كان سبباً فى إرسال العـــرب من بنى سليم وبنى هلال وغيرهم لإفريقية فقاموا بتخريبها وتدميرها وقضوا علـــى حضارتهـــا وبدا منذ ذلك الوقت الانهيار فى الدول الصنهاجية واستولى العرب على كثير من المناطق ولـــم يبق للزيريين غير المهدية ومايحيط بها ومات سنة ٤٥٣ هـ ١٠٦٥م .- ابن خلكان : وفيـــات الأعيان جـــ ٥ ص ٢٣٣- ٢٣٥ .- ابن عزارى : البيان جـــ ١ ص ٢٦٧ - ٢٧٩ .- ابـــن خلدون : العبر جـــ ٦ ص ١٥٨ - ١٥٩ .- ابن أبى دينار المؤنس ص ٨٠ - ٩٤ .- الباجى المسعودى : الخلاصة النقية ص ٤٦ - ٤٨ .- ابن أبى الضياف : إتحاف أهل الزمـــان : ص ١٧٣ - ١٣٩ .- الجنجانى : القيروان ص ١٠١ - ١٠٦ . - احمـــد بـــن عـــامر : الدولـــة الصنهاجية ص ٢٠ - ٢٢ ، ص ٢٧ - ٢٨ ، ص ٣٠ - ٣٤.

(٢) المقريزى : اتعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفا ، تحقيق محمد حلمى جـــ ٢ القـــاهرة ١٤١٦ هـ ، ١٩٩٦ ص ٢١٢.

(٣) **الخشنى : قضاة قرطبة ، ص ٢٨٤.**

أماكن خاصة بهم يلجأون إليها طلبا للراحة والإقامة الحسنه الآمنة ، إلى جانب بضائعهم وسلعهم ،

الفنادق [(١)]

أذنت الحكومة الفاطمية فى إفريقية للأهالى والتجار بإقامة مثل تلك المنشآت لاسيما الفنادق دعماً منها للتجارة والاقتصاد فشهدت مدن إفريقية نهضة فى بناء الفنادق مثل غيرها من النواحى الاقتصادية فلا تذكر مدينة كبيرة أم صغيرة إلا ونجد فى وصفها ذكراً للفنادق[(٢)] مثل القيروان وقابس وسوسه ورقاده والمهدية وغيرهما من مدن إفريقية [(٣)] .

وقام كثيرا من التجار ببناء فنادق خاصة من أموالهم للتجار الغرباء عن إفريقية واشتهر منهم "شكل" الذى أنشأ فندقا حمل اسمه فى منطقة تبعد عن القيروان مسيره مرحلـه [(٤)] وكان من العادات المألوفة والمعتادة فى ذلك الوقت قيام كل فئة من التجار تنتمى إلى بلد واحد أو مدينة واحدة إقامة فنادق خاصة بهم يقيمون فيها مثل تجار الأندلس[(٥)] كما سمحت

---

(١) الفندق : كانت فنادق إفريقية والمغرب عامة تقام للتجار الغرباء وهى بناء كبير يشبه السوق وتتكون من عده طوابق يستخدم الجزء السفلى منها كمخازن للسلع والبضائع أما الدور العلوى فيستخدمه التجار مكانا للنوم فى غرف متجاورة على كل منها أحد الأقفال الرومية والفندق كلمه مشتقة من اليونانية Pandokeion متز الحضارة الإسلامية جـ ٢ ص ٣٨٧ وانظر جمال الدين سرور : تاريخ الحضارة الإسلامية فى الشرق ، دار الفكر العربى ، القاهرة ، ١٩٧٣م ص ١٦٠.

(٢) لم يكن الفندق مجرد بناء قائم يقتصر فقط على وجود التجار الغرباء لمجرد المبيت وخزن البضائع والسلع بل كان أشبه بمدينة قائمه بذاتها فالفندق سقيفه بها شهود عدول لتحرير عقود البيع والإيجار وعامه الاحالات كما يقومون بالشهادة على التعاقد بين التجار كما يوجد بالفندق سمسار يتوسط بين البائع والمشترى ومنادى للمناداة على السلع فى المزادات التى تقام بشكل علنى وشخص يسمى أمين التسعير لوضع أسعار السلع ويتأكد من صلاحها وسلامتها وعدم غشها كما يوجد شخص مترجم يقوم بالترجمه بين الأطراف المختلفة وهناك شخص يقوم بإصلاح الاسرجه والأدوات الخاصة بالدواب وهناك طبيب بيطرى لعلاج تلك الدواب ويوجد بالفنادق أيضا مستودعات توضع بها العربات والدواب والأعلاف الخاصة بالدواب والبضائع ويخصص الدور الأول من الفندق للتجار إذ لكل تاجر غرفة يقيم بها . عثمان الكعاك : الحضارة العربية ص ٦٤ – ٦٥ .

(٣) البكرى : المغرب ، ص ١٧ ، ٢٠ ، ٢٧ ، ٢٩.

(٤) نفس المصدر ، ص ٣٧.

(٥) ابن عذارى : البيان ، جـ ١ ص ١٦٩.

الحكومة الفاطمية أيضا للتجار الأوربيين بإقامة فنادق خاصة لهم يقيمون فيهـا ويمارسـون طقوسهم وعاداتهم بها بعيدا عن المسلمين حيث كانت من عاداتهم شـرب الخمـر وتربيـة الخنازير وهى محرمه على المسلمين وكانت هذه الفنادق تغلق ليلا خوفا من تعدى المسلمين على هؤلاء التجار (١) وكانوا عادة ما يختارون أحدهم كى يكون رئيساً لهم وممثلا لهم أمـام الحكومة ويطلق على هذا الشخص اسم الفندقى (٢) كما أنشأ بعض الفقهاء فنادق لهـم مثـل فندق الحرائرية الذى يرجع فضل بنائه إلى سيدى محرز أمام زاوية بالقرب من أحد أبـواب المدينة (٣) .

ولم يقتصر الأمر فى المنشآت التجارية على الفنادق فقط بل كان هناك نوع آخر من تلك المنشآت أطلق عليها اسم القيسريات .

القيسـريات .

انتشرت هذه القيسريات فى الأسواق الإسلامية شرقا وغربا على حد سواء وهى من النظم الإنشائية البيزنطية نسبة إلى الإمبراطور البيزنطى قيصر . وقد اقتبس المسلمون هـذا النظام فى أسواقهم وعمموه بها . والقيسرية عبارة عن مجموعه من الدكاكين تقيمها الدولـة فى مكان خاص بها مربع الشكل ويحيط به سور من جميع الجهات ويدخل إليها مـن بـاب واحد ، وهذه الدكاكين يتم تأجيرها من قبل الحكومة لمن يريد من التجار مقابل أجر معلـوم يدفع شهريا أو سنويا (٤) .

---

(١) عطيه القوصى : الحضارة الإسلامية ص ١٣٣.

(٢) مسرور : تاريخ الحضارة الإسلامية فى الشرق ص ١٦٠.

(٣) برونشفيك : دائرة المعارف الإسلامية ، مادة تونس ، حـ ١٠ ص ١٧١.
وبصفة عامه يمكننا القول أن الأسواق بإفريقية تتكون من ثلاث أصناف :
أ – الأسواق المقامة على الأبواب التى تؤدى إلى داخل البلاد ويطلق عليها أسماء المدن المقامة بها مثل بنزرت والقيروان وسوسه بتوس وبها قرانق يسمى الحمار يتولى نقل البريد والبضـائع وبها مطاعم للأكل .
ب – فنادق الأسواق .
جـ – فنادق القنصليات الأجنبية ويوجد بها قنصلهم ومحكمتهم ودفـاتر ترسـيم – كتابـه – أسمائهم وأحوالهم المدنية .– الكعاك : الحضارة العربية ص ٦٥ .

(٤) حسن عبدالوهاب : ورقات الحضارة ، ج ٢ ، ص ٧٢ ، محمد عبدالعزيـز مـرزوق : الفـن الإسلامى ص ٣٩.

وكان فى بعض هذه القياسر تبنى مساجد لتجار المسلمين [١] ويعتبر الخليفة الأموى عبدالملك بن مروان (١٠٥ - ١٢٥هـ ٧١٧- ٧٣٧م) أول من قام بإدخال هذا النظام فى المدن الإسلامية خاصة إفريقية بمدينة القيروان [٢] كما سار على نفس المنهج ولاة إفريقيـــة فى زمن العباسيين مثل يزيد بن حاتم [٣] وكانت الرغبة فى مراقبه الصناعة ومنع تســـرب الغش إليها إلى جانب الرغبة فى جمع الأموال لخزينة الدولة هى التى دفعت الحكومة لبنــــاء مثل هذه القيسريات فلم يكن مسموحا للأشخاص ببنـــاء هذه المنشآت الضخمة [٤] وكان من العادات الشائعة أيضا قيام الحكومة بإبقاء عدد من هذه الدكاكين خاصة بالاحباس [٥]

سار الفاطميون على هذا النهج أثناء حكمهم لإفريقية وتوسعوا فيه توسعاً كبيراً ففى عهد الخليفة الأول عبيدالله المهدى (٢٩٧- ٣٢٢هـ / ٩٠٩- ٩٣٤م) أمر ببناء ربـــض زويلة وجمع فيه جميع التجار وكان مقاما بجوار مدينة المهدية العاصمة [٦] كما تبعها وفـــى سنه ٣٠٥ هـ ٩٢٦م بناء مدينة القاسمية التى انتقل إليها جميع التجار وأهـــل الصناعـــات أيضا[٧] وبعد ذلـــك بنحـــو إحـــدى وثلاثـــون عامـــا قـــام الخليفـــة الفـــاطمى المنصـــور (٣٣٤٣٤١هـ/٩٥٥- ٩٦٢م) ببناء مدينة المنصورية ســـنة (٣٣٦ هـــ ٩٥٧م) وســـماها صبره [٨] ونقل إليها أسواق القيروان [٩] وهكذا نرى أن حكام إفريقية لـــم يبخلـــوا بعنـــايتهم

---

(١) سرور : تاريخ الحضارة الإسلامية ، ص ١٦١.

(٢) البكرى : المغرب ، ص ٢٦ . وانظر حسن عبدالوهاب : ورقات الحضارة ، ص ٧٢.

(٣) ابن أدبى دينار : المؤنس ، ص ٤٥.

(٤) حسن عبدالوهاب : ورقات الحضارة ، ص ٧٢ - ٧٣ .

(٥) ابن عذارى : البيان ، حـ ١ ، ص ٢٦١.

(٦) البكرى : المغرب ، ص ٢٩ . وانظر : مجهول : الاستبصار ، ص ٧.

(٧) ابن عذارى : البيان ،حـ ١ ، ص ١٨٠.

(٨) مدينه صبره (المنصورية) إحدى مدن إفريقية ، متصلة بالقيروان بناها الخليفـــة الفـــاطمى المنصور أبـــو الطـــاهر إســـماعيل (٣٣٤هـــ - ٣٤١هـــ ٩٤٦- ٩٥٣م) وذلـــك ســـنه (٣٣٦هـ/٩٤٨م) وقيل (٣٣٧ هـ /٩٤٩م) بعد عامين من توليه الخلافة تيمنا بانتصاره على أبى يزيد . وهى تبعد عن مدينه القيروان بنحو نصف ميل ، واتخذها عاصمة له بدلا من مدينة المهدية ونقل إليها الخليفة المعز لدين الله أسواق القيروان كلها وجميع الصناعات ، ولها خمسة أبواب الباب القبلى والباب الشرقى وباب زويلة وباب كتامة وهو جوفى وباب الفتوح الذى كانت تخرج منه الجيوش وأصبحت المنصورية (صبرة) أحد المراكز التجارية الهامة بإقليم إفريقية وأكثرها دخلا حيث كان يدخل أحد أبوابها كل يوم ستة وعشرون ألف درهم ، وهى مدورة مثل الكأس ، ودار السلطان وسطها ، مثل بناء بغداد والماء يجرى وسطها ، شديدة العمارة حســـنة

واهتمامهم بالمنشآت التجارية بل لاقت من الاهتمام والرعاية ما لاقته بقيه النظم الأخرى بل أن نظام القيسريه وجد منهم عناية فائقة فلم تكن القيسرية تقام فى مكان صغير داخل المدينة كما كان يفعل من قبلهم بل جعلوها أوسع وأكبر وكأنها مدينة قائمة بذاتها . ولاشك أن هذه المؤسسات قد لعبت دوراً هاماً فى مجال التجارة الداخلية والخارجية حيث كانت تشبه المعارض وكانت تتم بها الصفقات التجارية إلى جانب كونها أماكن استقبال وراحه للتجار الأجانب .

نظام الأسواق فى المدن .

اختلف نظام بناء السوق فى المدينة ، عنه فى القرية فإن كلمة السوق فى المدينة تعنى مجموعه الحوانيت والمصانع التى تتركز فيها الحياة الصناعية والتجارية ، أما فى القرية فلم تكن تعنى سوى الأسواق البسيطة التى تقام أسبوعيا [1] وكان التجار والصناع فى المدينة يقضون اليوم داخل السوق من الصباح ولا يعودون إلى منازلهم إلا فى المساء .

وإذا نظرنا إلى نظام بناء الأسواق داخل مدن إفريقية نجد أنه لم يكن نظاما واحدا بل كان لكل مدينة سمة مميزة لسوقها فمثلا نجد أن مدينة القيروان تختلف عن غيرها من المدن فسوقها يقع فى وسطها وهو بناء متصل مسافة كبيرة ويقع بجوار مسجدها الجامع [2] وإذا قلنا أن بناء السوق كان فى اغلب المدن يقع وسطها وبجوار مسجدها نجد أن بعض المدن الأخرى لم تكن لترتكز على هذه القاعدة بل لم تأخذ بها فمثلا كان لبعض المدن الساحلية مثل سرت نظام خاص فى بناء سوقها فكان يقع على ساحل البحر المتوسط وكان أول شئ يراه التجار هو سوقها التى اصطفت دكاكينه بأبوابها المفتوحة على البحر حيث كان التجار يرون

الأسواق ، بها جامع السلطان ، وعرض سورها اثنى عشر ذراعا ، وهى منفصلة عن العمارة ، بينها وبين المصر عرض الطريق ، وتجارها يستخدمون فى تنقلاتهم حمير مصرية ولها باب القصارين وباب الفتوح وباب زويلة ، مبانيها كلها محدده الحيطان أجر مكحل بالجيل . - المقدسى : أحسن التقاسيم ،ص ٢٢٦ .- البكرى : المغرب ، ص ٢٥ . - مجهول : الاستبصار ص ٦ .- ابن عذارى : البيان ، حـ ١ ص ٢١٩.- ابن أبى دينار : المؤنس ص ٥٩ .

(٩) ابن عذارى : البيان ، حـ ١ ص ٢١٩ وانظر جورج مارسيه : بلاد المغرب ، ص ٢٠٨ ، ٢٠٩.

(١) عطيه القوصى : الحضارة الإسلامية ، ص ١٢٥.

(٢) المقدسى : أحسن التقاسيم ، ص ٢٢٥ . وانظر البكرى : المغرب ، ص ٢٥ ، ٢٦.

ما بداخلها من سلع [١] كما كان لبعض المدن الأخرى مثل قفصه رأى آخر فى بناء سوقها فكانت المتاجر بها تبنى فوق صهاريج المياه المقامة على عيون الماء بها وكان نظام بنائها بالحجارة [٢] . وهذا النظام الفريد اختصت به قفصه دون غيرها من مدن إفريقية الأخرى فلم يخبرنا المؤرخون أن هناك مدينة أخرى غيرها تقيم دكاكينها على صهاريج المياه .

كما تميزت بعض المدن بوجود سوق مركزى بها إلى جانب عدد آخر من الأسواق التى كانت دون شك أقل منه مساحة وكان هذا فى مدينة طبنة [٣] فكان بها سماط يشق المدينة من الباب إلى الباب وأيضا بها أسواق كثيرة غيره [٤] وكان نظام بناء السوق باستخدام الحجارة الضخمة أمرا متبعا فى أسواق إفريقية مثل مدينة المهدية فكان سوقها مبنى من الصخر الجليل [٥] .

---

(١) البكرى : المغرب ، ص ٦.

(٢) مجهول : الاستبصار ص ٣٨.

(٣) **مدينة طبنة** : من مدن إفريقية ، قديمة البناء ، مسوره بسور من الطوب ، وهى حصينة فلها حصن قديم يحيط به سور مبنى من الصخر الجليل وهو متقن البناء ، ولها أرباض واسعه ، وهى من المدن التى افتتحها موسى بن نصير حين غزا إفريقية والمغرب والأندلس ، وسبى منها عددا كبيرا بلغ عشرين ألف ، كثيرة المياه العذبة إذ تشقها جداول المياه ، كما تكثر بها البساتين المليئة بأشجار النخيل والثمار . ولها غابة يشقها نهر – بيطام – وقد بنى له صهريج كبير تصب فيه مياه هذا النهر ، وتعتمد بساتينها وأرضها الزراعية على مياه هذا النهر ، وهى من اكبر المدن بين مدينه القيروان ومدينه سجلماسه ، واهلها من العرب والعجم وتكثر بينهم الحروب ويسكن حولها من البربر بنو زنداج ، ولها قصر قديم البناء جليل ينزله العمال وهو ملاصق لسور المدينة من الناحية القبلية عليه باب حديد ، ولمدينه طبنه عددا من الأبواب منها باب خاقان وهو مبنى بالحجر عليه باب حديد وهو سرى وباب الفتح غربى عليه باب حديد أيضا وبينهما وبين البابين سماط (سوق) المدينة ولها باب تهوذا قبلى عليه باب حديد وهو سرى أيضا والباب الجديد حديدا أيضا ، وباب كتامه جوفى ، ولها فحص فسيح يمثل ثلثى مساحتها بازاء باب الفتح وعليه سور ، ولها مقبرة فى الجزء الشرقى من المدينة ويقربها غدير يسمى غدير فرغان وهو يجرى فى مصلى العيد . – البكرى : المغرب ص ٥٠ – ٥١ . – **مجهول : الاستبصار ، ص ٦٠ ٦١ .**

(٤) **البكرى : المغرب ، ص ٥٠ ، ٥١ .**

(٥) **مجهول : الاستبصار ، ص ٧ ، ٨ .**

ومن السمات المميزة لنظم الأسواق فى إفريقية هو قيام الأسواق فى أيام معينه من كل أسبوع فكان هناك سوق الخميس وسوق الأحد وذلك بمدينة القيروان [١] كما كان من النظم المتبعة فى إفريقية إنشاء الأسواق خارج نطاق المدينة فى أماكن خاصة بها [٢] والتى لم تكن بدورها ثابتة على مدار الأعوام فكان يتم نقل السوق إلى داخل أسوار المدينة خاصة عند حدوث القلاقل والاضطرابات والحروب مثلما حدث لأسواق مدينة[٣] باغايه [٤] ومن نظم الأسواق أيضا قيامها بما يشبه المعارض اليوم ففى مدينة منزل باشو عاصمة إقليم الجزيرة كانت تقام الأسواق فى أيام محدده من الشهر معروفه للبائعين والمشترين [٥] ومن المناطق أيضا ما كانت أسواقها تقام على مدار أيام الأسبوع وهذا ما تميزت به منطقة غافق[٦].

وفى كل هذه الأسواق كان على التجار القيام بدفع الضرائب المفروضة عليهم للحكومة [٧] ومن نظم الأسواق المميزة لها فى ذلك الوقت من العصور الوسطى إنشاء الأبواب الحديدية الضخمة عليها والتى كانت تغلق فى المساء بعد خلوها من روادها وذلك زيادة فى الأمن ولايزال هذا شأنها فى إفريقية حتى اليوم [٨] وبصفه عامه لم تذكر مدينة إلا وذكر بها اسم السوق .

---

(١) المقدسى : أحسن التقاسيم ، ص ٢٢٥ ، ٢٢٦ متز : الحضارة الإسلامية ، حـ ٢ ص ٣٢٦.

(٢) مجهول : الاستبصار ، ص ٧، ٨ .

(٣) **مدينة باغايه** : إحدى مدن إفريقية ، قديمه البناء عظيمة جليلة ، بها آثار للأول ، كثيره الأنهار ، من المدن العامرة ، تكثر بها عيون الماء والمزارع والمسارح ، وهى مدينه من جبل الاوراس والقرب منها يقع قبر مادعرس (مادغوس) وهو قبر عظيم مثل الجبل مبنى من الآجر الرقيق طبقات معقودة بالرصاص ، وبنيت بجانبه طبقات صغار وصورت فيه جميع الصور من الإنس والطير والوحش وهو مدرج النواحى ، ولم يقدر على هدمه من سلف من الناس ، وفى الشرق منه بحيرة مادغوس وهى بحيرة يجتمع عندها أنواع كثيره من الطيور – استباحها حماد بن مناد صاحب القلعة وابن عم المعز ابن باديس ودخلها عنوه . – البكرى : المغرب ص ٥٠ . – مجهول : الاستبصار ص ٥٠ : ٥١ ، ص ٥.

(٤) الحميرى : الروض المعطاء ، ص ٧٦.

(٥) ابن حوقل : صورة الأرض ، ص ٧٥ .

(٦) المقدسى : احسن التقاسيم ، ص ٢٢٤.

(٧) المقدسى : أحسن التقاسيم ، ص ٢٢٥.

(٨) موجز دائرة المعارف الإسلامية ، مركز الشارقة ، الطبعة الأولى ١٩٩٨ حـ ٣ ص ٢٤٤٢.

أما بالنسبة لنظام الأسواق فى القرى فما هى إلا عبارة عن أسواق بسيطة تقام أسبوعيا ولا يمكن بحال من الأحوال أن يكون نظام السوق فى القرية يشبه مثيله فى المدينة بالرغم من أن كثيرا من القرى ذكرت فى وصفها الأسواق مثل قرى الفهمين ومنستير عثمان [١] إلا أن أغلبها لم تكن بها دكاكين (حوانيت) وإن تصادف وجودها فى إحداها فلا تتعدى هذه الحوانيت العدد القليل [٢] وبرغم ذلك لايمكن إنكار دور هذه الأسواق فى التقدم الاقتصادى والتجارى لإفريقية .

نظم البيع .

إن مساحة إفريقية الكبيرة وكثرة أسواقها وتعدد مناطقها مابين الحضر والبدو أدت إلى تنوع نظم البيع [٣] فى إفريقية ولم تقف عند نظام واحد بل كان هناك أكثر من نظام للبيع ، وإذا نظرنا إلى الإطار الذى يحدد تلك الأنظمة نجد أن العرف السائد فى منطقة ماهو الذى يحدد نظام البيع سواء كان عن طريق الوزن أو عن طريق الكيل أو غير ذلك[٤] ومن النظم المستخدمة خلال هذه الفترة كان نظام المقايضة وهو الذى يعد اقدم نظم البيع التى عرفها الإنسان ومارسها داخل الأسواق وهو نظام يعتمد على تبادل السلع والبضائع ببعضها البعض ، ورغم صعوبة التعامل بهذا النظام وعدم قدرته على مواكبه تطورات الأسواق

---

(١) البكرى : المغرب ، ص ٥٤ ، ٥٥.

(٢) ابن حوقل : صورة الأرض ، ص ٨٧.

(٣) البيع شرعا هو مبادلة مال بمال على سبيل التراضى أو نقل ملك بعوض على الوجه المأذون فيه : السيد سابق : فقه السنة حـ ٣ ص ١٤٧.
البيع لغة هو مقابله الشيء بالشيء فمقابله السلعة تسمى بيعا لغة كمقابلتها بالنقد ويقال لاحد المتقابلين مبيع والآخر ثمن ولا فرق فى اللغة بين أن يكون المبيع والثمن طاهرين أو نجسين يباح الانتفاع بهما شرعا أولا كالخمر فانه يصح أن يكون مبيعا وثمنا . عبدالرحمن الجزيرى : الفقه على المذاهب الأربعة ، دار الفكر ودار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٩٨٦م ، حـ ٢ ص١٤٧.

(٤) وقد أمر الرسول صلى الله عليه وسلم بأن لايتم ابتياع الطعام إلا بعد أن يتم كيله وروى عنه أحاديث فى ذلك منها – روى البخارى رضى الله عنه عن المقداد ابن معدى كرب عن النبى صلى الله عليه وسلم ، قال :" كيلوا طعامكم يبارك لكم فيه " وروى عن مسلم عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :" من ابتاع طعاما فلا يبتعه حتى يكتاله " وعن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال " من اشترى طعاماً فلا يبتعه حتى يكتاله " – الطهطاوى : الدولة الإسلامية ، ص ٢٤٧.

والتقدم الاقتصادى إلا أنه اعتبر فى بعض المناطق من أحسن الطرق وأسلمها عاقبــه عــن غيرها [١] .

وشاع هذا النظام شيوعاً كبيراً فى بعض مناطق وأسواق إفريقية ففى أقصى الشرق منها حيث أسواق طلميثا كان العرب فى هذه المنطقة يتبادلون السلع مقايضــة مــع التجــار اليهود [٢] وفى أقصى الغرب جنوبا[٣] وجد هذا النظام أيضا فكان البيع يتم مقايضـــة عــن طريق تبادل السلع بمعدن الذهب من غير أن يشاهد المتبادلين بعضهما البعض [٤] وكــانت الأبقار والأغنام والإبل من وسائل نظم البيع فى أسواق إفريقية بكثرة خاصة منطقــة مدينــة أشير[٥]

وبجانب هذا النظام وجدت أنواعا كثيرة من النظم مثل نظام البيع بالوسق[٦] وبالوقر أو الحمل خاصة عند بيع التمر والفاكهة والبقول والورود [٧] كما وجد نظام البيع بالقطعــة

---

(١) ابن مماتى : قوانين الدواوين ، ص ٣٦٠.

(٢) أبو الفدا : تقويم البلدان ، ص ١٤٩ ، الحافظ نور الدين محمد محمود السيد أحمد : عقد الجمان فى تاريخ أهل الزمان ، حـ ١ ، ورقة ٢٣٨ ، مخطوط .

(٣) وكان ذلك فيما يطلق عليها بلاد التبر ، وهى بلاد السودان . وتقع جنوب المغرب وهى شــديدة الحرارة ، حيث يتحاشاها أهلها عن طريق بقائهم فى سراديب تحت الأرض ويكثر عندهم معدن الذهب . وهو من كثرته يشبهونه بنبات الجزر فى بلاد المسلمين ، ويقوم أهل تلك البلد بجمــع معدن الذهب آخر النهار عند غروب الشمس ، ويتكون طعام أهل تلك البلاد من الذرة واللوبيا ، ويتخذون جلود الحيوانات البرية ثيابا لهم . وهى من البلاد الهامة تجاريا حيث يقصدها التجــار من مختلف الأنحاء بسلعهم وبضائعهم من الملح وخشب الصنوبر والخرز والاسورة ، والخواتم ، وهى من المناطق البعيدة صعبة المسلك شديدة العناء على التجار . ويتبادل أهالى تلك البــلاد البيع والشراء عن طريق قيام التجار بضرب الدفوف ويقوم كل تاجر بوضع بضاعته فى مكان محدد ثم يرجعون مسافة مرحلة للوراء ، فيأتى أهل تلك المناطق (السودان) بما معهــم مــن التبر – الذهب – فيضعون تحت كل متاع شيئا من التبر تعبر عن قيمتــه وينصرفــون فيــأتى التجار فيأخذون التبر ويتركون البضاعة . ثم يقومون بضرب الدفوف وينصرفوا فيأتى أهــالى السودان ويأخذوا البضاعة وهكذا يتم البيع والشراء دون أن يرى البائع المشترى .– القرمانى : آثار البلاد ، حـ ٣ ص ٣٣٤ – ٣٣٥.

(٤) آدم متز : الحضارة الإسلامية ، حـ ٢ ، ص ٣٢٩ ، ص ٣٩٠.

(٥) الهادى إدريس : الدولة الصنهاجيه ، حـ ١ ، ص ٤٤.

(٦) البكرى : المغرب ص ٣٢ ، ص ٤٨.

(٧) مجهول : الاستبصار ص٩

خاصة فى أسواق مدينة سوسه عند بيع العمائم [١] وبصفة عامة يمكن تقسيم البيع إلى بيع عن طريق الوزن وبيع عن طريق الكيل بالإضافة إلى أشياء أخرى تباع بغير هذين النظامين أى أن البيع بالكيل والوزن هما النظامان الأكثر شيوعا واستخداما فى الأسواق .كما كانت الأشياء الموزونة يختلف حسب نوع الميزان المستخدم فى الوزن فهناك أشياء توزن بما يعرف بالميزان الجروى : مثل الفستق ، والجوز ، واللوز ، والبندق ، والسكر ، والثوم ، والبصل ، والحديد ، والنحاس الأصفر . وهناك أشياء توزن بالميزان المصرى مثل ، النحاس الأصفر ، والنيل الهندى ، والقطن المحلوج ، والكبريت الأصفر ، والزيبق ، وهناك ما يوزن بالمن مثل : الزعفران ، وزهر البنفسج ، والازورد ... الخ وهناك ما يطرح [بوضع] فى الظروف والشكاير وأشباه ذلك مثل الحصر ، والخيش ، والتبن ، والحبال[٢]

وهناك بعض نظم البيع التى حرمها الإسلام مثل بيع الملامسة [٣] وبيع المنابذة [٤] قال أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى عن الملامسة والمنابذة [٥] فعن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى عن الملامسة والمنابذة [٦] وبيع النجش[٧] والغرر وحبل الحبلة وغيرها [٨] .

الأسعار.

تميزت مدن إفريقية على اختلافها برخص أسعارها وذلك لوفرة الحاصلات الزراعية والمنتجات الصناعية كما أوضحنا من قبل وكان اهتمام الحكام بما أدى إلى نوع من الانتعاش والرواج الاقتصادى وحدوث نوع من التناسب بين العرض والطلب مما ساهم

---

(١) الجزيرى : الفقه على المذاهب الأربعة ، حـ ٢ ، ص ٢٥٨.

(٢) ابن مماتى : قوانين الدواوين ،ص ٣٦١ ومابعدها .

(٣) الملامسة هو عملية بيع أو شراء الثوب اكتفاء بمجرد لمسة دونما تقليب أو معرفة ميزاته وعيوبه أو النظر إليه .

(٤) المنابذه : هى عملية بيع أو شراء الثوب بمجرد إلقاء الثوب من شخص لآخر فقط دونما نظر أو تقليب ومعرفة عيوبه أو ميزاته .

(٥) المنابذه : هى عملية بيع أو شراء الثوب بمجرد إلقاء الثوب من شخص لآخر فقط دونما نظرا أو تقليب ومعرفة عيوبه أو ميزاته .

(٦) محمد فؤاد عبدالباقى : اللؤلؤ والمرجان ، حـ ٢ ص ٣.

(٧) النجش : قيام الشخص بزيادة سعر السلعة من غير أن تكون لديه النية فى الشراء .

(٨) ابن تيمية : الحسبة فى الإسلام ، ص ٣٢ – ٣٧.

مساهمات فاعله فى انخفاض الأسعار داخل مدن إقليم إفريقية بالرغم من تنائى مدنهم وديارهم خاصة الأطعمة والأغذية والأشربة واللحوم والادهان والفاكهة وسائر الأغذية (١)

وكانت الأسعار تشهد تغيراً أثناء فصول السنة المختلفة وكان السعر ينخفض بشكل ملحوظ داخل إقليم إفريقية فى فصل الربيع (٢) ومن المدن التى اشتهرت بالرخص قسنطينه (٣) واشتهرت سوسه خاصة بانخفاض أسعار المواد الغذائية واللحوم(٤) عكس الملابس والأقمشة التى كانت مرتفعه الأسعار لدخول خام الذهب فى تزيينها لاسيما العمائم التى كان يصل سعر الواحدة منها إلى أكثر من مائه دينار (٥) .

وكان متوسط الأسعار بإفريقية فى غالب الأوقات أن يكون كل قفيز(٦) من القمح بخمسين درهما أما الشعير فكان يقل عن ذلك كما كانت أسعار اللحوم تتفاوت حسب النوع فكان أعلاها ثمنا الضأن وكان الرطل الأفريقى منه يباع بدرهم قديم أما باقى أنواع اللحوم فكانت تقل عنه فى الثمن أما أسعار الدجاج فكل دجاجه جيده عندهم بدرهمين جديدين (٧) وهكذا فإن الأسعار كانت تختلف من مدينة إلى أخرى وكان ذلك سمة مميزه لمدن إفريقية فمدينة المهدية كانت رفهة الفواكه والغلات (٨) واشتهرت مدينة قسنطينه بأنها رخيصة الأسعار (٩) وفى مدينة سوسه كانت الأسعار تتفاوت بها ففى المجال الغذائى واللحوم رخيصة

---

(١) ابن حوقل : صورة الأرض ص ٩٥ .

(٢) القلقشندى : صبح الأعشى جـ ٥ ص ١١٥.

(٣) الحميرى : الروض المعطاء ص ٤٨٠.

(٤) البكرى : المغرب ص ٣٤.

(٥) البكرى : المغرب ص ٣٦ مجهول الاستبصار ص ٩ حسن عبدالوهاب ورقات الحضارة ، جـ٢ ، ص ٧٤ .

(٦) **القفيز** : القفيز أحد المكاييل وهو يساوى ثمانية مكاكيك وجمعه أقفزة وقفزان . وقيل أن القفيز يساوى مقدار من مساحة الأرض ، قدر مائه واربع واربعين ذراعاً . - ابن منظور : لسان العرب جـ ٧ ص ٢٦٢ .- الرازى : مختار الصحاح ص ٥٤٦ . كما يطلق اسم القفيز على مساحة معلومة من الأرض وهو : عشر قصبات فى قصبة ... والقفيز يساوى ثلاثمائة وستين ذراعاً مكسرة ، وهو عشر الجريب . - أبو يعلى : الأحكام السلطانية ص ١٩٥ .

(٧) القلقشندى : صبح الأعشى ، جـ ٢ ، ص ١١٥.

(٨) ابن حوقل : صورة الأرض ، ص ٧٣ .

(٩) الحميرى : الروض المعطاء ، ص ٤٨٠.

الأسعار [١] أما فى مجال الملابس والأقمشة فهى مرتفعه الأسعار فكان مقدار الغـزل بهـا المثقال يباع بمثقالين من الغزل وقيل من الذهب ، بالإضافة إلى أسعار العمائم الـذى كـان يصل سعر الواحدة من نوع المعصور إلى اكثر من مائة دينار [٢] .

وتأتى مدينة باجه كأكثر المدن رخصا فى أسعار المواد الغذائية خاصـة القمـح[٣] وبالمثل كانت مدينة قلعه بنى حماد [٤] وكانت أسعار النمور بأنواعها المختلفة من اكثر السلع رخصا خاصة فى المدن التى اشتهرت بغزارة إنتاجها منها مثل قسطيليه وتوزر ويسكره [٥] وكانت قسطيلية توصف باعتدال أسعارها لاسيما الفاكهـة [٦] واشـتهرت مدينـة مليانـه[٧] برخص أسعارها أيضا [٨] .

وتتميز أسعار الأقمشة والملابس والعمائم بارتفاع أسعارها خاصة إذا استعمل معدن الذهب فى تزيينها فكانت تصنع بمدينة قلعه حماد عمائم مذهبة يبلغ ثمن الواحدة منها أكـثر من ستمائة دينار [٩] أما فى مدينة صفاقس فاختلفت الأسعار مابين الارتفـاع والانخفـاض وكان الزيت اكثر السلع بها رخصا .

---

(١) البكرى : المغرب ، ص ٣٤.

(٢) البكرى : المغرب ، ص ٣٦ . مجهول : الاستبصار ، ص ٩ . حسن عبدالوهاب : ورقـات الحضارة ، ص ٧٤ .

(٣) ابن حوقل : صورة الأرض ، ص ٧٦ . مجهول : الاستبصار ، ص ٤٧.

(٤) الحميرى : الروض المعطار ، ص ٤٦٩.

(٥) البكرى : المغرب ، ص ٤٨ ،الحميرى : الروض المعطار ، ص ١١٣ – ١١٤.

(٦) المقدسى : احسن التقاسيم ، ص ٢٣٠ .ابن حوقل : صورة الأرض ، ص ٩٢.

(٧) **مدينة مليانة** : تعد مدينة مليانة إحدى مدن إفريقية ، قديمة البناء ، قريبه من مدينـة أشـير ، وهى من بناء الروم وقام بتجديد عمارتها زيرى بن مناد . وبها آثار قديمه ، وهى من أحصـن المدن بإفريقية ، وتقع فى سفح جبل زكار المشتهر أمره بنبات الريحان . وينبعث من هذا الجبل عين ماء قويه عليها الأرجاء التى تستخدم فى الطحن . كما تشتهر مليانه بكثره مياهها وأنهارها . وهى من أخصب مدن إفريقية وتكثر بها البساتين المليئة بجميع الفواكه . وهى من اكثر بلاد إفريقية رخصا فى الأسعار . كما تشرف تلك المدينة على فحوص كثيره وقرى ومزارع واسعه . ويقيم حولها قبائل من البربر كثيره العدد . ويشق فحوصها نهر شلف وهو أحد انهار إفريقية المشهورة وبالقرب منها توجد حمامات ماء تستخدم فقط للاستحمام بها وماؤها عذبـه حـارة . مجهول : الاستبصار ، ص ٥٦ . – القزوينى : آثار البلاد ، ص ٢٧٣.

(٨) مجهول : الاستبصار ، ص ٥٩.

(٩) نفس المصدر ، ص ٢٠..

أما الفاكهة فكانت تتميز بارتفاع أسعارها وذلك لاعتمادهـا علـى الاسـتيراد ممـا جاورها من مدن خاصة مدينة فايس [١] التى تميزت برخص أسعارها فى الـواد الزراعيـة والفاكهة والزيت [٢]

ومن المدن التى اشتهر أمرها برخص الأسعار القيروان خاصة اللحـوم والفاكهـة والتمور والزيت [٣] وتأتى مدينة بونه كإحدى المدن الموصوفة برخص أسعارها فـى كافـة منتجاتها من الفاكهة والزروع والثروة الحيوانية بأنواعها إلى جانب العسل [٤]

ولم تكن الأسعار تأخذ فى الارتفاع إلا فى أوقات الأزمات والشدائد خاصة حينمـا يقل أو ينعدم هطـول الأمطار مثلما حدث فـى سـنوات ٣١٧ هـ ٩٣٨م / ٣٩٥ هـ ١٠١٦م[٥] .

كما تميزت المواد الغذائية والماشية بالرخص فى مدينة مرسى الدجاج[٦] واشـتهرت برقة بالرخص الزائد فى جميع المواد الغذائية بها [٧] وبالمثل مدينة سرت فأسعار السلع بها فى متناول يد أهلها وصالحه على مر الأوقات [٨] أما فى بعض المدن فكانت السلع الغذائيـة تتميز بها بارتفاع الأسعار لقلة إنتاجها واعتمادها على الاستيراد من غيرها مثل مدينة مرسى الخرز [٩]

---

(١) ابن حوقل : صورة الأرض ، ص ٧٣ ، مجهول : الاستبصار ، ص ٧. الحميرى : الـروض المعطار ، ص ٣٦٥ – ٣٦٦.

(٢) ابن حوقل : صورة الأرض ، ص ٧٢ .

(٣) المقدسي : أحسن التقاسيم : ص ٢٢٢ – ٢٢٥.

(٤) ابن حوقل : صورة الأرض ، ص ٧٧.

(٥) ابن عذارى : البيان ، حـ ١ ، ص ١٩٤ ، ١٩٥ ، ص ٢٥٦ ، ٢٥٧.

(٦) مرسى الدجاج : مدينة قديمة مقامه على ساحل البحر المتوسط – لها سور يضرب الماء فيـه ، بها آثار قديمه عجيبة للأوائل ، وتشتهر بكثرة بساتينها وجناتها ، وبها نوع من الطيور السمانى وهو كثير بها ، وهى تقارب جزيرة ميورقه . ابن حوقل : صورة الأرض ، ص٧٧. مجهول : الاستبصار ، ص ٢٢.

(٧) ابن حوقل : صورة الأرض ، ص ٦٩ .

(٨) نفس المصدر ص ٧٠.

(٩) نفس المصدر ص ٧٧.

وتعد مدينة قفصه من المدن الموصوفة برخص أسعارها فى الفاكهة والتمر خاصة الفستق الذى يخرج منها إلى غيرها ليس فقط فى إفريقية بل إلى خارج حدودها أيضا[١] وكانت أسعار السلع المستوردة سواء من الخارج أم من داخل إفريقية يتميز بارتفاع أسعارها مثل التين الأخضر الذى كان يأتى إلى أسواق القيروان من مدينة قلشانه [٢]

واشتهرت مدن بنزرت وتونس وطرابلس برخص أسعارهما فى الإنتاج من الثروة السمكية لكثرة إنتاجهما منه[٣] ونافست جلولاء وغيرها من المدن من حيث رخص الأسعار بها خاصة الفاكهة والبقوليات وأنواع الورود [٤] .

وبصفة عامة كانت الأسعار بإقليم إفريقية تتشابه مع الأسعار السائدة بمصر نظراً لقرب المسافة بينهما [٥] وكما تتباين الأسعار فيما بين الدول بعضها البعض تباينت أيضا فيما بين مدن إفريقية مابين أسعار السلع الضرورية مثل الأقوات التى تتميز برخص أسعارها مقارنة بما هو كمالى والمتخذ للترف مثل الصناعات المختلفة والتى ترتفع أسعارها بسبب كثرة الترف فى المدن أو الإقليم نتيجة لعمرانه ، ونتيجة للدخل الاقتصادى المرتفع ، اعتزاز أهل الصنائع بصناعاتهم وكثرة الطلب عليها من جانب الأغنياء مما يدفعهم إلى رفع قيمه صناعاتهم المختلفة ، أيضا تدخل الضرائب المختلفة عامل مساعد فى زيادة الأسعار [٦] وكانت مدينة تونس تقارب مدينة بجايه من حيث أسعار السلع والمنتجات بهما [٧] .

طوائف التجار :

تعددت طوائف التجار بصورة واضحة داخل إقليم إفريقية لتوافر عناصر الجذب والتشجيع بها مثل كثرة أسواقها وغزارة السلع والمنتجات بها ولتفوقها الاقتصادى الواضح وعلاقاتها التجارية الضخمة مع العالم الخارجى . فمن الطوائف الهامة ذات النشاط الواضح والوجود المستمر تجار الأحجار الكريمة ممثلة فى معدن المرجان الذى اشتهرت

---

(١) البكرى : المغرب ، ص ٤٧ .

(٢) نفس المصدر ، ص ٢٩.

(٣) ابن حوقل : صورة الأرض ص ٧٥ ، ٧٦ مجهول الاستبصار ص ١٥-١٦ القزوينى : آثار البلاد ، ص ١٥٩ - ١٧٣.

(٤) البكرى : المغرب ، ص ٣٢.

(٥) القلقشندى : صبح الأعشى ، جـ ٥ ص ١١٥.

(٦) ابن خلدون : المقدمة ص ٢٥٥ - ٢٥٦ .

(٧) القلقشندى : صبح الأعشى ، جـ ٥ ص ١١٥.

إفريقية بإنتاجه بكثرة وكان مركز نشاطهم وتمركزهم بأسواق مدينة مرسى الخرز[١] ومن طوائف التجار الهامة أيضا تجار المعادن النفيسة كالفضة والذهب الذين كانوا يتركزون في الجنوب حيث مدينة سجلماسه المشتهرة بمناجم الذهب وقر بها منها فكانوا يتنقلون بينها وبين السودان وغانه[٢] حيث يستخرج افضل أنواع الذهب وأصفاها على الإطلاق [٣] ورغم طول المسافة والمشقة بين إفريقية وتلك المناطق فإن هذا لم يقف حائلا بين هذه الطائفة وبين تجارة الذهب والذين كانوا يحدوهم الأمل ويضعون نصب أعينهم تلك الأرباح الوفيرة إلى جانب الرغبة الكامنة لدى هؤلاء التجار في ارتقاء المكانة المتميزة الرفيعة سواء بين أقرانهم من الطوائف الأخرى أم داخل مجتمع إفريقية عامه إلى جانب ندره خام الذهب بمناطق إفريقية الأخرى وقد حصد أصحاب تلك الطائفة الأموال الضخمة من وراء تجارتهم في الذهب فكلما ندرت السلعة وزادت المشقة وبعد المكان كان الربح أوفر وأجذل [٤] كما صدر هؤلاء التجار المنتجات التى تشتهر بها إفريقية ووجدت قبولا لدى أهالى الجنوب سواء في السودان أم في غانا وغيرهما من البلدان مثل المنسوجات بأنواعها والصناعات الجلدية كالسروج واللبود وأقفال الحديد والمفاتيح وغيرها [٥] ومن طوائف التجار الأخرى تجار العاج وغيره من سلع الجنوب والذين كانوا يقومون ببيعها داخل أسواق إفريقية إلى جانب بيعها إلى التجار الأوربيين[٦] ومن طوائف التجار النشطة ذات الشهرة والحضور داخل الأسواق المختلفة لإقليم إفريقية في ذلك الوقت من العصور الوسطى طائفة تجار الرقيق

---

(١) ابن حوقل : صورة الأرض ، ص ٧٦ . مجهول : الاستبصار ، ص ١٦.

(٢) **غانة** : مدينة عظيمة سميت باسم إقليمها ، وهى أكبر بلاد السودان وأوسعها متجرا . وهى مدينة على شاطئ النيل " نهر النيجر " ويقصدها التجار من سائر البلاد وأرضها كلها ذهب ظاهر . وأهلها يستخرجون الذهب ويبيعونه للتجار ، ويحملون إليها التين والملح والنحاس ويأخذون عوضا عنها الذهب ولها ملك ضخم فى جنود كثيره وتكثر بها الحيوانات البرية من النمور التى يستخدم أهلها جلودها كثياب لهم ، ولها طريق يصلها بمدينه سجلماسة توجد به أشجار عظيمة مجوفة تتجمع بها مياه الأمطار كالأحواض ، وتكثر بها الأمطار لاسيما فى الشتاء ويلجأ إليها المسافرون فيتزودون من المياه الموجودة بالأشجار مما يسهل عليهم قطع الطريق إلى غانه . القزوينى : آثار البلاد ص ٥٧ .- القرمانى : أخبار الدول ، حـ ٣ ص ٤٢٧.

(٣) اليعقوبى : صفة المغرب ، ص ٢١ . المقدسى : أحسن التقاسيم ، ص ٢٣١.

(٤) ابن خلدون : المقدمة ، ص ٢٧٨ – ٢٧٩.

(٥) يسرى الجوهرى : شمال إفريقية ، ص١٨٢ .

(٦) نفس المرجع ص ١٨٢.

(النخاسين) الذين يأتون بأنواع العبيد من مناطق عده منها البلاد الواقعة على الشاطئ الشمالي للبحر المتوسط حيث أوربا (١) ومن أقصى بلاد المغرب (٢) ومن السودان حيث كانت مدينة زويلة (٣) إحدى مناطق تمركز وبيع العبيد القادم من الجنوب ومنها يدخلون إفريقية (٤) وصار لبعض هؤلاء التجار حضورا كبيرا داخل قصور الخلافة الفاطمية منذ البداية مثل احمد البلوى تاجر الرقيق الشهير فى عهد عبيدالله المهدى ٢٩٧- ٣٢٢هـ ٩٠٩- ٩٣٤م فكان يتودد للخليفة الفاطمى ويتقرب إليه تزلفا ولاشك كان هذا التاجر يقوم بإمداد قصور الخلفاء والأمراء والأغنياء بحاجتهم من الرقيق من مختلف الأنواع (٥) وكان الرقيق فى ذلك الوقت ينقسمون إلى ثلاثة أنواع فكان أفضلهم يذهب إلى مصر وأشرهم يجد طريقة إلى عدن والنوع الثالث من الحبشة وكان الرقيق الأبيض القادم من دول أوربا من الصقالبة وبلاد خوارزم (٦) والجنس السلافى أيضا وكان العبيد الأوربيين اكثر شهرة فى إفريقية من غيرهم وكان يطلق على هؤلاء العبيد اسم ساكاليبا " الصقالبه " وكانت هذه التجارة مربحة ذات عائد مادى مجزى حتى أن الأوربيين كانوا لا يتورعون عن بيع هؤلاء العبيد لتجار إفريقية (٧) .وملأ الرقيق قصور الخلفاء ومنازل الأغنياء فى إفريقية وكان يتم

---

(١) ابن عذارى : البيان ، حـ ١ ، ص ١٩٠ ، ص ١٩٤.

(٢) نفس المصدر ، ص ٢٣٧.

(٣) **زويلة** : من مدن إقليم إفريقية ، وهى غير مسورة ، تقع على بداية حدود السودان ، يمتاز أهلها بخاصية لاتوجد فى غيرهم فى حراسة مدينتهم فهم يعرفون اثر أقدام الغرباء أو الرجل أو المرأة . وهى من مدينة اطرابلس بين المغرب والقبله ، ويجلب منها الرقيق إلى إفريقية ومبايعتهم بثياب قصار حمر ، وبينها وبين بلد كانم أربعون مرحلة وأهل كانم سودان مشركون ويزعمون أن هناك قوم من بنى أمية استوطنوها عند تعرضهم للاضطهاد على يد العباسيين وهم على زى العرب وأحوالها . وبينها وبين مدينه سبهى خمسة أيام ، ولها طريق إلى جبل نقوسه ، وبين زويله ومدينه اجدابيه أربعة عشر مرحلة ، افتتحها عقبه بن نافع مع غيرها من المدن بينها وبين مدينة برقه فى أثناء فتح عمرو بن العاص لبرقه سنة ٢٣هـ كما ظل مقيما ببرقه وزويلة حتى استعمله معاوية بن أبى سفيان على إفريقية سنة ٥٥ هـ .- البكرى : المغرب ص ١٠-١٢ .- القزوينى : أثار البلاد : ص ٩٤ . - ابن أبى دينار : المؤنس ، ص٢٧ . حسين مؤنس : فتح العرب ص ١٣١ .

(٤) البكرى : المغرب ، ص ١١ . حسن عبدالوهاب : ورقات ، ص ٧٥ .

(٥) ابن عذارى : البيان ، جـ ١ ، ص ١٨٦ . جورج مارسيه : بلاد المغرب ، ص ١٦١.

(٦) المقدسى : أحسن التقاسيم ، ص ٢٤٢.

(7) Carins :The Muslim Discovery of Europe p.187-189.

تبادلهم كهدايا [١] ولم تكن الخدمة داخل القصور[٢] أو المنازل هى الحرفة الرئيسية لهؤلاء العبيد بل كانوا يقومون بأعمال أخرى هامة كالأعمال العسكرية ومارس هؤلاء العبيد حياتهم فى حرية تامة داخل مجتمع إفريقية ووصل البعض منهم إلى أعلى الوظائف كقيادة الجيوش مثل جوهر الصقلى [٣] وكان منهم أيضا أصحاب الحرف الصناعية والتى لاقت كل الترحيب والرضى ليس فقط من جانب الأهالى بل من جانب الخلفاء أيضا لقدرتهم الفائقة على إتقان صناعاتهم [٤] ووجهت طوائف التجار المختلفة وجهها صوب القسطنطينية عاصمة الدولة البيزنطية لينهلوا من سلعها وبضائعها وصناعاتها المتميزة مثل الأوانى الفضية والذهبية والملابس المطرزة والنباتات الطبية والأنسجة الحريرية والخيول والعبيد وصناعات النحاس الأحمر النادرة والأقفال والقيثارات..الخ [٥] .

ومن طوائف التجار الهامة طائفة تجار أدوات الزينة والتحف التى كانت تزين قصور الخلفاء والأمراء ومنازل الأغنياء وإن نظره فاحصه لما كتب عما جاء فى وصف حفل زفاف كلا من المعز بن باديس والأميرة أم العلو لهو خير شاهد وأحسن مثال [٦] ومن الطوائف الأخرى طائفة تجار القطن ومنهم موسى القطان

---

(١) ابن عذارى : البيان حـ ١ ص ٢٤٧ ، ص ٢٦١ ابن أبى دينار المؤنس ص ٨١ .

(٢) بلغت بعض الجوارى مكانة مرموقة داخل قصور بنى زيرى وكن حاضنات للأمراء ، ويحظين بالرعاية والاهتمام الكبير من جانب الحكام . مثل الحاضنة فاطمة وهى إحدى الجوارى من إحدى الدول الأوربية تم أسرها أثناء إحدى الغزوات وصفت بالجمال والأدب وسعة الإدراك وعلو الهمة . اشتراها الأمير الصنهاجى المنصور وجعلها حاضنة لابنه باديس ، وأعلنت إسلامها وتسمت باسم فاطمة ولاقت الرعاية والتكريم من جانب أميرات القصر ، ورفعها المعز ابن باديس مكاناً لائقاً بها ، كما اشتهرت بحبها للخير والبر ، وكانت تقوم بأعمال الوقف من الكتب النفيسة والمؤلفات النادرة التى لاتزال باقية حتى اليوم ، مثل المصحف الشريف الموجود بخزانه مسجد سيدى عقبه الذى أهدته للمسجد ٤١٠ هـ ١٠٢٢م ، وعاشت عزيزة الجانب مكرمة حتى توفيت سنة ٤٢٠ هـ/ ١٠٣٢م . – حسن عبدالوهاب : شهيرات التونسيات ، ص ٤٧ : ص ٤٩.

(3) Carins The Muslim Discovery of Europe p.187-189.

(٤) جوذر : سيرة جوذر ص ٥٢ .

(5) Carins : The Muslim Discovery of Europe p.187-189.

(٦) ابن عذارى : البيان حـ ١ ص ٢٧٠ ، ٢٧٢ ابن أبى دينار المؤنس ص ٨٢ حسن عبدالوهاب بساط ص ٣٦ ، الهادى إدريس : الدولة الصنهاجيه ، حـ ١ ص ١٧١ ، ص١٧٩.

ومحمد بن سلمون القطان [١] وطائفة الصوافيين الذين كـان لهـم سـوق خـاص بهـم [٢] وطائفة تجـار الكتـان [٣] ولا ننسـى طائفـة تجـار الملابـس والمنسـوجات بأنواعهـا المختلفة قطنية وحريرية والذين انتشروا بكـثرة داخـل أسـواق إفريقيـة لتمتـع إفريقيـة بصناعه متقدمة متميزة وشـهرة كثـيرا مـن مدنهـا مثـل سوسـه وقـابس والقـيروان وطراق .. الخ ولم يكتف تجار الأقطان بما يـزرع بإفريقيـة بـل ذهبـوا إلـى إيطاليـا حيث جزيرة صقليه ذات الشهرة الواسعة بزراعة القطن [٤] .وقـاموا بجلبـه منهـا.

ومن تلك الطوائـف طائفـة تجـار السـتائر والأبسـطة التـى توضـع داخـل القصور ومنازل الصفوة سواء على الحوائـط أو الأرضيـات ومنهـا الأبسـطة النفيسـة سواء القطنية أو الصوفية أو الحريريـة المزركشـة والمحـلاة بـالذهب [٥] إلـى جـانب تجار نفس الصناعات من الأنواع البسيطة التى يقبل علـى شـرائها عامـه الشـعب مثـل الأبسطة المصنعة من نبات الحلفاء[٦] وهناك طائفة تجـار الأخشـاب سـواء مـن داخـل إفريقية ومنها خشب الزان الذى يتم جلبه مـن مدينـة بونـه [٧] أو مـن خـارج إفريقيـة من إيطاليا[٨] حيث جزيرة صقلية [٩] أم من الشرق الأقصـى حيـث الهنـد التـى يجلـب

---

(١) الخشنى : قضاه قرطبة ، ص ٢١١ ، ص ٢٣٤ . ابن حوقل : صورة الأرض ، ص ٧٥ . ابن عذارى : البيان ، حـ ١ ص ١٨١ ، ص ١٩٢.

(٢) الخشنى : قضاه قرطبة ، ص ٢٥٣.

(٣) الخشنى : قضاه قرطبة ، ص ٢٣٥ . ابن عذارى : البيان ، حـ ١ ، ص ١٨٢ - ١٨٣ .

(٤) إحسان عباس : العرب فى صقليه ، ص ٧٣.

(٥) حسن عبدالوهاب : بساط العقيق ، ص ٣٤.

(٦) ابن عذارى : البيان ، حـ ١ ، ص ١٨٢ .

(٧) البكرى : المغرب ، ص ٥٤ .

(٨) **صقليه** : إحدى الجزر الهامة الكبيرة فى البحر المتوسط ، وهى تقابل إفريقية ، وهـى مثلثـة الشكل بين كل زاوية والأخرى مسيرة سبعة أيام ، وتتميز بالحصانه ، وتكثر بها المدن والقرى. كما تتميز بكثرة الماشية بها من الخيل والبغال والحمير والبقر والغنم والحيوانات البرية ، كمـا تتميز بكثرة المعادن المختلفة بها مثل الذهب والفضه والنحاس والرصاص والحديد إلى جـانب معدن الشب ، والكحل والزاج والنوشادر والزئبق . كمـا تتمـيز بكـثرة مياههـا وأشـجارها ومزارعها المليئة بأنواع الفاكهة المختلفة الأنواع الدائمة صيفاً وشتاً ، وبها الزعفران ، وقد بدأ نجمها يعلوا بعد أن أفتتحها المسلمون وقام بتعميرها أهل إفريقية ، وبها جبال شامخة وعيـون ماء وانهار جاريه ، ودورها تبلغ مسيرة ستة عشر يوما وقطرها مسـيره خمسـه أيـام بـدأ المسلمون فى غزو صقلية سنة ٣٦ هـ ٦٥٦م وكان أول من غزاها عبدالله بن قيس الفـزارى

منها افضل أنواع الأخشاب وهو خشب الساج " العـــود" الهنـدى ذو الشـهرة العالميـة(١) ولم تكن طائفة تجار الأخشاب هى الوحيدة التى تقوم بالاســتيراد مــن الهنـد بـل كـانت هناك طوائف أخرى خاصة وأن الهند كانت تتمـيز بمنتجاتهـا المتنوعـة المتمـيزة التـى تقوم بتصديرها إلى أسواق العالم المختلفة مثل جـوز الهنـد واليـاقوت الأحمـر وجلـود الحيوانات البرية كـالنمور والفهـود والأفيـال وخشـب الابـانوس (٢) ومـن الطوائـف الهامة تجار الملح الذى يستخرج بكثرة مـن ملاحـات إفريقيـة فـى تونـس والمنسـتير وكان تجار هذه الطائفة يتوجهون إلى بلاد الجنوب التى تعـانى نقصـا شـديداً فـى هـذا النوع من السلع ويقبلون عليه إقبالا شديدا ويشترونه بأموال كثـيرة مثـل بـلاد السـودان وغيرها (٣) إلى جـانب طائفـة تجـار الحبـوب الذيـن يقومـون بجلبهـا مـن منـاطق زراعتها الشهيرة من قلشانه وباجـه ومدينـة الأنصـاريين (٤) .

= فى عهد معاوية ابن أبى سفيان وأصاب منها أصناما وتماثيل من الذهب والفضه وتم بيعها فـى بلاد الهند ، واستمر الغزو الإسلامى لها فى عهد الولاة مثل عباس بن أخيل فى غهد موسى بن نصير ومحمد ابن يزيد والى إفريقية ٩٧ – ٩٩ هـ ٧١٥ – ٧١٧م وعلى ١٣٠ هـ ٧٤٧ م وغزاها والى إفريقية عبدالرحمن ابن حبيب ١٣٥ هـ ٧٥٢ م و ١٦ هـ ٧٦٣م وفتحها أسـد ابن الفرات فى عهد بنى الأغلب ٢١٢هـ ٨٢٧م وافتتح عدد من المدن وتوفى وخلفه محمد ابن أبى الجوارى الذى افتتح بالرمو العاصمة . وتكرر الغزو ٢٢٥ هـ ٨٣٩م فى عهد أبو الأغلب ، وخضعت لحكم الخلافة الفاطمية وعقد البيزنطيون معاهدة مع المعز لدين اللـه ٣٤١– ٣٦٥ هـ ٩٥٣ – ٩٧٤م واضطربت أحوالها فى القرن الخامس الهجـرى حتـى اسـتولى عليهـا النورمانديين على عهد روجر بن تنكرد ٤٨٤ هـ ١٠٩١م..– ياقوت الحموى : معجم البلـدان جـ ٣ ص ٤٧٣ – ٤٧٥ .– القزوينى : آثار البلاد ، ص ٢١٥ : إبراهيم علـى طرخـان : المسلمون فى أوربا فى العصور الوسطى ، سجل العرب ، المؤسسة العامـة للثقافـة بـوزارة التعليم ، ١٩٦٦ ص ٨٨ – ٩٧. محمد جمال الدين سرور : تاريخ الحضـارة الإسلامية فـى الشرق من عهد نفوذ الأتراك إلى منتصف القرن الخامس الهجرى ، ط٣ ، دار الفكر العربى ، القاهرة ١٩٧٣م ، ص ١٥٤.

(٩) جوذر : سيرة جوذر ، ص ١١٦.

(١) ابن أبى دينار : المؤنس ، ص ٨١ .

(2) Bernard Lewis: the Arabs. p.87-88., the Muslim. p.85.

(٣) ابن حوقل : صورة الأرض ، ص ٩٨ ، البكرى : المغرب ، ص ٣٦ ، ص ٤٠.

(٤) البكرى : المغرب ، ص ٤٧ ، ٥٦ ، ٦٧.

ومن الطوائف التجارية الهامة ، طائفة تجار المعادن التى لاقت رواجا كثـيرا فـى إفريقية لتقدم الصناعات الثقيلة ، والخفيفة بها ، وكان التجار يحضرونها من صقليـة حيـث معادن الكبريت والشب والقطران والزفت [١] إلى جانب إحضارهما من مناطق استخراجهما بمدن إفريقية مثل بونه حيث الحديد ومدينة سرت حيث الشب [٢] السـرتى [٣] إلـى جـانب معادن النحاس وحجر اللازورد من جبال كتامة وعمود الخرط من جبال الرحمـن المقابلـة لجزيرة سردينيه ومعدن الذهب من جزيرة جربة ومن مدينة مجانة حيـث معـادن الحديـد والفضة والرصاص [٤] ووجدت طائفة تجار العطور الذين امتدحهم الرسول صلى الله عليه وسلم فقال " مثل الجليس الصالح مثل الدارى – العطار – إن لم يجزك (أى يعطيك) مـن عطره علقك من ريحه " كما كان الخليفة الثانى عمر بن الخطاب من المعجبين بهذه التجارة فقال " لو كنت تاجرا لما اخترت على العطر شيئا إن فاتنى ربحه لم يفتنى ريحه [٥] وكـان لهذه الطائفة سماط خاص بهم بمدينة القيروان يسمى سماط العطـارين [٦] ومـن العطـور الشهيرة التى كان يحملها التجار ويقبل على شرائها الخلفاء والحكام هى المسك والكافور [٧] وعطر الورد[٨] ومن الطوائف الهامة أيضا طائفة تجار الجلود والمصنوعات الجلديـة إلـى جانب تجار ورق الكتابة والرقاق الجلدية وذلك لحاجة الناس لها وهى من أهم التجارات التى أدرت دخلا وفيرا لتجارها. [٩] وطائفة تجار مواد الصباغة المستخدمة فـى صبـغ الثيـاب

---

(١) إحسان عباس : العرب فى صقلية ، ص ٧٤ .

(٢) الشب : حجر معروف يستخدمه الإنسان فى أشياء كثيره أهمها عمل الصياغة الحمراء اللون ، وهو من المعادن التى يقبل على شرائها الروم ولهم رغبة شديدة فيه لعظيم فائدتـه ... وليـس لأحد أن يشتريه أو يبيعه سوى الديوان ، ومتى وجد من صنفه مع أحد ، استهلك تغليظـا فـى عقوبة المتعدى عليه " . ابن مماتى : قوانين الدواوين ، ص ٣٢٨ – ٣٢.

(٣) ابن حوقل : صورة الأرض ص ٧١ – ٧٢ .

(٤) البكرى : المغرب ، ص ٤٦ ، ٥٣ ، جورج مارسيه : بلاد المغرب ، ص ٩٠.

(٥) الطهطاوى : الدولة الإسلامية ، ص ٢٧٩.

(٦) الخشنى : قضاة قرطبة ، ص ٢٢٩ ، ٢٨٩.

(٧) البكرى : المغرب ، ص ٢٤٦ ، ص ٥٧ . ابن أبى دينار : المؤنس ، ص ٨١.

(٨) مجهول : الاستبصار ، ص ٤٠.

(٩) حسن عبدالوهاب : بساط العقيق ، ص ٣٦ .

والأقمشة مثل تجار مدينة برقة (١) وتجار أهل سباب حيث كثر عندهم النبات الذى يستخرج منه صبغة النيل – النيلى – (٢) .

وطائفة تجار البلح (التمر) الذين كان لهم حضوراً واسعاً لشهرة إفريقية بإنتاجها الضخم المتميز من التمور ذات الأجناس المتعددة لاسيما منطقة الجريد بها. (٣) والتى يطلق على تجارها اسم التمار (٤) .

ويمكننا القول أنه فى إقليم هام ونشط مثل إفريقية كانت لكل سلعة أو صناعه طائفة تجار خاصة بهم . ولقد أدر الدخل الضخم من التجارة على هؤلاء التجار باختلاف طوائفهم أموالا كثيرة مما مكنهم من تكوين الثروات الكبيرة ، وتملك المنازل ، والقصور، والمراكب التجارية ، وغير ذلك مما تدعوا إليه علامات الترف والغنى . كما تعتبر التجارة من أحسن واجل الحرف التى يمتهنها الإنسان فقد كان الرسول (ص) يتاجر قبل البعثة واتخذ كثيرا من الصحابة الرسول (ص) قدوة لهم فكانوا يتاجرون فى أنواع التجارات المختلفة مما جعل الكثير منهم أصحاب ثروة ضخمه وأموال جمة (٥)

وقام تجار إفريقية بإنشاء نقابات خاصة بهم مسئولة عن شئونهم وتراقب تعاملاتهم وتمنع الغش ولها رئيس –يطلق عليه شاهبندر التجار – وللنقابة أعضاء يسمون الأمناء (٦) وتعد التجارة من الحرف التى يتخلق أغلب أهلها بأخلاق المكايسة والمماحكة والغش والأيمان الكاذبة وهى صفات تبعد بالشخص عن المروءة (٧) ولما كانت التجارة من الحرف التى تستدعى كثرة السفر والانشغال بأمورها ، لذا فمن المستحب، إلا يقوم بمزاولتها الخلفاء والحكام حتى لا تشغلهم عن أمور الحكم ، ومصالح الرعية ،وتعطيل أمور التجار ، وقطع رزق غالب المسترزقين من أرباب كل آلة ، فانهم لابد يستعملون فى المهمات الشريفة

---

(١) ابن حوقل : صورة الأرض ، ص ٦٩.

(٢) البكرى : المغرب ص ١٠. وسباب بلدة على الطريق من نقوسه إلى زويله كثيرة النخل ويزرعون هذا النبات بكثرة وهى بلده صحراوية .

(٣) البكرى : المغرب ، ص ٢٤٨ ، ص ٥٢. مجهول : الاستبصار ، ص ٣٦.

(٤) الخشنى : قضاه قرطبة ، ص ٢٥٥ ، ٣٠١ . الطهطاوى : الدولة الإسلامية ، ص ٢٨٠.

(٥) الخشنى : قضاه قرطبة ، ص ٢٨٤ . ابن عذارى : البيان ، حـ ١ ص ١٦٩ ، التيجانى : رحلة التيجانى ، ص ٢٩ . الطهطاوى : الدولة الإسلامية ، ص ٢٧٥ – ٢٨٣.

(٦) عطيه القوصى : الحضارة الإسلامية ، ص ١٣٣.

(٧) ابن خلدون : المقدمة ، ص ٢٧٨ – ٢٨٠.

بالأجرة الناقصة [١] . ويعتبر تجار البز والعطارون اقرب طوائف التجار إلى الترف والنعيم [٢] وهما من التجارات الخصوصية بجانب الصيرفه [٣]

وأدت التجارة إلى فتح أبواب الرزق على مصراعيها لهؤلاء التجار، مما مكنهم من جمع ثروات ضخمة من الأموال ، تقدر فى بعض الأحيان بالملايين من الدينارات ، والدراهم ، فكانوا أول الفئات تعرضاً للسلب والنهب ، خاصة أثناء الحروب ، وتصفية أموالهم ، مثلما حدث لتجار مدينة برقه فى سنة ٣٠١ هـ ٩٢١م وسنة ٣٠٤ هـ ٩٢٥م[٤]

كما كان التجار من الفئات المطالبة بدفع تعويضات بعض الأشخاص المطالبين من جانب الحكومة وليس معهم مال أو ليس لهم أقرباء يتولون عنهم دفع هذه المبالغ ، مثلما حدث فى سنة ٣٠٣ هـ ٩٢٤م عند وفاه قاضى القيروان محمد بن عمر المروذى [٥] .

أما الأموال التى كان يتركها التجار عقب وفاتهم دون أن يكون لهم عقب أو وريث يرثهم كانت تئول إلى حكام إفريقية سواء كانت أموالاً عينيه أم عقارات [٦] ومن الطوائف الأخرى التى كانت تمثل حضورا كبيرا داخل أسواق إفريقية تجار الأندلس الذين تواجدوا بكثرة وكانت أعدادهم كثيرة .

وكان لهم حضوراً واسعا فى بعض مدن إفريقية مثل مدينة تنس والتى يرجع فضل إنشائها إلى تجار الأندلس لذا فقد كانت إحدى مناطق التمركز لهم فى إفريقية [٧] كما كان وجودهم يكثر فى مدينتى طبرقه وباجه أيضا [٨] إضافة إلى مدينة بونه [٩] ولقد لعب هؤلاء التجار دوراً حيويا بالغاً فى إمداد وإثراء أسواق تلك المدن خاصة ، وإفريقية عامه بالمنتجات

---

(١) غرس الدين خليل بن شاهين الظاهرى : زبده كشف الممالك وبيان الطرق والمسالك ، تحقيق بولس راويس ، الطبعة الثانية ، القاهرة ١٩٨٨ ص ٦٠.

(٢) أدم متز : الحضارة الإسلامية ، جـ ٢ ص ٣٢٧

(٣) الطهطاوى : الدولة الإسلامية ، ص ٢٧٨.

(٤) ابن عذارى : البيان ، جـ ١ ص ١٧٠ ، ص ١٧٥.

(٥) ابن عذارى : البيان ، جـ ١ ، ص ١٧٣ . من أهل القيروان الشيعة كان قاضيا على القيروان قبل حضور المهدى سجلماسه الذى أقره على منصبه وكان يوصف بأخذ الأموال على سبيل الرشوة ، ولم يلبث أن عزل وعذب ثم قتل ، الخشنى : قضاه قرطبة ، ص ٣٠٩.

(٦) ابن عذارى : البيان ، جـ ١ ، ص ١٩٠.

(٧) ابن حوقل : صورة الأرض ، ص ٧٨ . البكرى : المغرب ، ص ٦١ .

(٨) ابن حوقل : صورة الأرض ، ص ٧٦ . البكرى : المغرب ، ص ٥٧ .

(٩) الحميرى : الروض المعطار ، ص ١١٥.

والصناعات والسلع الاندلسية [١] مثل القسط الطيب والسنبل الطيـب والجنطيانـه – وهـى نباتات طبية – والمر الطيب بقلعة أيوب وكهرباء الأرض بشزونه والقرمـز الطيـب مـن نواحى أشبيليه وشرونه وبلنسيه ، إلى جانب حجر المرقشينا الذهبية فى جبال أبه ولا نظـير لها فى الدنيا ، كما يتم جلب معدن الزئبق من جبال الـبرانس ، ومعـدن الكحـل بمدينـة طرطوشه وغيرها من المعادن والفضه والزئبق ولكنه ليس معدن جيد كما يجلب من الأندلس الزعفران وعروق الزنجبيل ، ونشأت لدى البعض منهم مشـاعر الحـب والحنيـن لأرض إفريقية فقرروا أن يتخذوها وطنا لهم وأقاموا بها إقامة دائمة لاسيما المدن الهامة ومنهم أبـو جعفر بن خيرون [٢] ولم تقتصر طوائف التجار من البلاد الواقعة فى شمال البحر المتوسـط على تجار الأندلس بل وجدت طوائف من مختلف جمهوريات المدن الإيطالية الذين كان لهم دورا نشيطا فى مجال التجارة فى إفريقية مثل امالقى والبندقية وفينيسيا[٣] حيـث اعتمـدت إفريقية على هؤلاء التجار فى إمدادهم لها بأنواع هامة من التجارات كانت تفتقر إليها بشـده مثل الأخشاب ، إلى جانب الأسلحة [٤] ومن الطوائف ذات التأثير الفعال والدور النشط داخل أسواق إفريقية برز أهل الذمة لاسيما اليهود الذين كانوا يفضلون الإقامة فى المدن الحضرية ويتبادلون التجارة فى مختلف أسواق إفريقية سواء فى الشرق حيث طلميثا [٥] كما كان اليهود يتركزون فى أقصى الجنوب حيث مدينة سجلماسه المدينة التجارية العملاقة فهنـاك يوجـد معدن الذهب ، ونشأت فى تلك المنطقة شبكة متداخلة ضمت بجانب إفريقية دولاً مثل أسبانيا وغرب أوربا ومصر والشرق الأدنى وظلت على أهميتها التجارية الثابتة لعهود طويلـة [٦] ولم يكن هؤلاء التجار من اليهود الذين اتخذوا التجارة حرفة لهم يتركزون فى جنوب إفريقية يزاولون التجارية مع السودان وغانه فقط بل كانوا يقومون برحلات تجاريه أطول من ذلـك عن طريق البحر المتوسط إلى الشرق الأقصى حيث الهند والصين واللتان تشتهران بتصدير عدد هام من السلع والبضائع والصناعات مثل الحديد والتوابل والعطور والأخشاب والنحاس

---

(١) الأمير شكيب ارسلان : الحلل السندسية فى الأخبار والآثار الاندلسية : مكتبه الحياة ، بيروت ، بدون سنه ، جـ ١ ، ص ١٧٩ ، ١٨١.

(٢) ابن عذارى : البيان ، جـ ١ ص ١٦٩.

(3) Bernard Lewis: the Arabs p.88.

(٤) ف . هايد : تاريخ التجارة فى الشرق الأدنى فى العصور الوسطى ، ترجمه احمد محمد رضا ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، جـ ١ ، ص ١٩٨٥ ص ١٢٨ – ١٢٩.

(٥) أبو الفدا : تقويم البلدان ، ص ١٤٩ وانظر Bernard, Lewis, The Muslim p.189.

(٦) . أرشيبالد لويس : القوى البحرية ، ص ٢٦٠.

والعطور والحرير والأوانى الفخارية والورق والحبر والسروج واللباد والكثير مـــن الســلع الأخرى (١) وكان التجار اليهود فى جميع البلاد على صلة متصلة ببعضهم البعــض حيــث يقومون بتبادل المعلومات الهامة عن الطرق التجارية والمراكز التجارية والفرص المتاحــة للتجارة (٢) كما لم يكتفى اليهود بتجارة الجنوب والشرق الأقصى بل مثلوا وسيطا تجاريا هاما بين إفريقية وغرب أوربا(٣) ولشهرة اليهود فى المسائل المالية وحنكتهم التجارية فقد استعان بالبعض منهم الخلفاء الفاطميــن وقامــوا بتقليدهــم الوظائــف المرموقة فى الدولة ومــن أشهرهم يعقوب بن كلس (٤) وتمركز اليهود بصفة أساسية بمنطقة سجلماسة فتجار الذهب فى هذه المنطقة من اغنى الطوائف لكثرة خام الذهب المستخرج بكميات اقتصادية حتى قيل من

---

(1) Bernard Lewis : The Arabs p.75-76.

- عطيه القوصى : الحضارة الإسلامية ، ص ١٣٢. سرور : تاريخ الحضارة ، ص ١٤٨.

(٢) ف . هايد : تاريخ التجارة فى الشرق الأدنى جـــ ١ ص ١٤٠ - ١٤٢.

(3) Bernard Lewis: The Arabs.p.88.

(٤) **يعقوب بن كلس** : أبو الفرج يعقوب بن يوسف ابن إبراهيم بن هارون بن داود بــن كلــس ، وزير الخليفة الفاطمى العزيز بالله ، كان ابن كلس يهوديا يزعم أنه من ســلاله هــارون بــن عمران عليه السلام . وقيل أنه كان يزعم أنه من ولد السموأل بن عاديــا اليهــودى صــاحب الحصن المعروف بالأبلق ، ولد فى بغداد ونشأ بها عند باب القز ، وتعلم الكتابــة والحســاب . وسافر إلى الشام ومنها إلى مصر سنة ٣٣١هـــ /٦٤٣م ودخل فى خدمة بعض خواص كــافور الإخشيد حاكم مصر وأعجب كافور بذكائه ونجابته وشهامته وصيانته وحسن إدراكه ، فألحقــه بديوانه الخاص ، وبرزت مكانتــه عند كافور ولم يكن يتم عمل شئ مــن الدواويــن إلا بعــد توقيعه ، واسلم سنه ٣٥٦هـــ /٩٦٨م ، وقــرأ القرآن وأخذ يتعلم علـــى يــد أحــد الشــيوخ المسلمين ، وظل فى مكانته حتى توفى كافور الإخشيد وقبض الوزير بن الفرات بعد وفاة كافور على جميع الكتاب واصحاب الدواوين بما فيهم ابن كلس الذى افتدى نفسه بالمال ، ثم سار إلـــى المغرب والتحق بخدمة الخليفة المعز لدين اله حتى حضر إلى مصر وقيل انه عاد إلى مصر مع جيش جوهر الصقلى ، واخذ يترقى فى المناصب حتى وصل إلى درجة وزير فى عهد الخليفــة العزيز بالله الفاطمى وكان أول وزير للفاطميين بمصر ، وكان محباً للعلــم والعلمــاء ويقيــم المجالس للاستماع ، وكان ينصب الموائد لخاصته ولغيرهم ، وكان يقوم بكشف مظالم النــاس كل يوم عقب صلاة الصبح ، وكان ذا هيبة ووقار وتميز بالجود ومدحه الشعراء ، وتغير عليه الخليفة العزيز وقبض عليه سنة ٣٧٣ هـــ ٩٨٥م ثم أطلق سراحه ٣٧٤هـــ ٩٨٦م وتوفى سنة ٣٨٠ هـــ ٩٩٢م وكفن فى خمسين ثوباً وحزن عليه العزيز بالله وصلى عليه .- ابن خلكــان : وفيات الأعيان جـــ ٧ ص ٢٧ : ص ٣٤.

- Bernard Lewis: the Arabs.p.112.

كثرته أن الرياح تسفيه [١] وكان للتجار اليهود بالقيروان حى خاص بهم يسكنون فيه تجـــاه مسجدها الجامع[٢] .

ومثل التجار من أهل الذمة المسيحيين حضورا واسعاً أيضاً فـــى أســواق إفريقيـــة وكانت مناطق انتشارهم تشمل شرق إفريقية حيث الحدود المشتركة مع مصر فكان الأقبـــاط أغلبية بمدينة اجدابية وانتشروا بكثرة حول مدينة طرابلس فى الغرب والشرق منهـــا . إلـــى جانب اليهود الذين كان لهم وجودا بمدينة جادوا عاصمة جبل نفوسه وفى كل هذه المنـــاطق مارس هؤلاء التجار التجارة بحرية تامة وتنقلوا بسلعهم وبضائعهم فى كـــل مكـــان دونمـــا عوائق تعترض طريقهم [٣] وكان المسيحيون ينتشرون أيضا بمدينة القـــيروان والمهديـــة وبونه ،ومدينة القلعة ، وبجاية. [٤] وانطلقت طرق التجارة من الجنـــوب حيـــث سجلماســـه بتجارها المختلفون إلى السنغال وهو الطريق الغربى والطريق الثانى فى الوسط حيث يمتـــد عبر واحة وارقلان Ouargla واركلان حتى نهر النيجر . والطريق الثالث فى الشرق ويبدأ من طرابلس أو الجريد مارا بغدامس إلى قلب السودان ولقد أولى الفاطميون عناية هامة بتلك الطرق فقاموا بتوطيد الأمن عليها عن طريق نشر الأمن بين قبائل البربر المقيمة على هـــذه الطرق وعدم تعرضهم للقوافل التجارية المارة بهم [٥]

واستمرت هذه الطرق على حالتها المزدهرة إلى أن بدأ الغزو الهلالى لإفريقية ممـــا أدى إلى انتشار الفوضى والاضطرابات التى عمت كل نواحى الحيـــاة فـــى إقليـــم إفريقيـــة وهددت الأمن الاجتماعي ، والاقتصادى ، وكانت ضربة قاصمة لحركة التجارة المزدهـــرة وأدى إلى تدهورها بالمدن الساحلية وحرمانها من أحد الموارد الهامة من الناحية المالية[٦]

ويرجع الفضل فى قيام تلك الطرق التجارية إلى التجار الاباضيـــة الذيـــن اهتمـــوا بإنشائها وأقاموا عليها الزوايا والمساجد التى كانت تتحول إلى فنادق يتخذها التجار كأمـــاكن إقامة لهم ومخازن لحفظ بضائعهم وأمتعتهم[٧] فيها.

---

(١) اليعقوبى : صفة المغرب ، ص ٢١.

(٢) برونشفيك : دائرة المعارف الإسلامية ، مادة تونس ، جـ ٣ ، ص ١٧١.

(٣) البكرى : المغرب ، ص ٥، ٧ ، ٩ . ذنون : حوليات الجامعة التونسية ، عدد ١٨ ، ص ٢٨٦.

(٤) جورج مارسيه : بلاد المغرب ، ص ٢٠٠- ٢٠١.

(٥) آرشيبالد لويس : القوى البحرية ، ص ٢٥٥ ، ص ٢٦٠.

(6) Anthey Sillary : Africa social geography. page 47.

(٧) حسين مؤنس : معالم تاريخ المغرب ، ص ١٢٠-١٢١.

كما تميز مجتمع الجنوب " قسطيلية " بوجود طوائف التجار من بقايا الروم والذين ظلت جذورهم العائلية بمدن الجنوب المختلفة يمارسون التجارة فى حرية تامة واثروا ثراء كبيرا منها وتميزت منهم بعض العائلات مثل بنى بهلول فى مدينة الحامة(١)

كما انتشرت طوائف التجار من خارج إفريقية ومارسوا التجارة على نطاق واسع بها وكان لهم دورهم الهام فى الحياة التجارية داخل الأسواق المختلفة منهم تجار من أهل سيراف(٢) ولا عجب فى ذلك حيث أضحت إفريقية تحت الحكم الفاطمى وبنى زيرى قبلة للتجار من كل مكان وصارت مدنها موطنا ومأوى للعديد منهم وأحد المراكز التجارية العالمية (٣)

---

(١) مجهول : الاستبصار ، ص ٤٣ . **مدينة الحامة** : من بلاد قسطيلية . وتعرف بحامة بنى بهلول الذين يمثلون سادات قسطيليه ، وهم من بقايا الروم الذين اسلموا على أموالهم . يشتهرون بالكرم الكثير وبر الاضياف مما من رفع شأنهم وذكرهم فى تلك البلاد .ولمدينة الحامة حصن يسمونه القصر وهو ملك بنى بهلول وحاشيتهم . ويسكن الناس فى أرباضها الواسعة . وتشتهر مدينة الحامه بكثرة إنتاجها الزراعى من التمر والزيتون وأنواع الفاكهة ، ومياهها حامه حارة . وهى أكثر بلاد الجريد إنتاجا للعنب الذى يشتهر بالطيب . وأهلها يقومون بعصره لعمل الشراب الطيب كما يزعمون أنه يستخدم فى إنارة المصابيح كالزيت تماماً .– مجهول : الاستبصار ص ٤٣ – ٤٤.

(٢) الخشنى : قضاه قرطبة ، ص ٢٢٧. **سيراف** : أحد أهم الموانئ الإسلامية فى الخليج العربى ، تقع على شاطئ مجدب ، تمر بها صادرات واردات فارس ، وهى ميناء للتجار ومرسى للسفن التى تنقل التجارة بين موانئ العرب والفرس والصين ، نافست فى تجارتها مدينة البصرة ، وكانت تنقل إليها البضائع من البصرة فى سفن صغيره ومنها إلى السفن الكبيرة التى تبحر إلى الصين والشرق الأقصى بالمنسوجات المتنوعة والمصنوعات المعدنية والحديد والذهب والفضه ، وكان تجارها اغنى تجار فارس ، ويقيمون بمساكن عالية مكونة من عدة طوابق مبنية من خشب الساج الهندى وغيره ، وكان لتجارها متاجر خاصة لهم بالبصره ، وكان تجارها يقضون معظم حياتهم فى البحر ، وكانوا كثيرو الإنفاق على مبانيهم وزينتها قليلو الاهتمام بثيابهم . سرور : تاريخ الحضارة ، ص ١٥٢ – ١٥٣.

(٣) ابن حوقل : صورة الأرض ، ص ٦٠– ٧٣ ، ص ٦٧–٧٨ . البكرى ، المغرب ، ص ١٧ ، ٢٠ ، ص ٣٦ ، ص ٤٩ ، ص ٥٧ . مجهول : الاستبصار ، ص ٧٢٢ ، ص ١٠–١٦ ، ص ٢١ ، ص ٤١ ، الحميرى : الروض المعطار ، ص ١١٥ ، ص ٣٦٦ ، ص ٤٦٩.

الفصل الرابع

الفصل الرابع

نظم المعاملات المالية والتجارية

- المعاملات المالية .
- نظم المعاملات المالية .
- دور المحتسب فى ضبط العملة والأسواق .
- النشاط التجارى وأثره على نواحى الحياة بإفريقية.
- المكوس .

المعاملات المالية والتجارية :

أ – السكة [(١)]

مثلت السكة إحدى أهم الوظائف فى إطار الخلافة الفاطمية . وهى تعنى فى جوهرها النظر فى النقود التى يتعامل بها الناس والعمل على حفظها مما يدخل إليها من الغش والنقص فى عيارها أو وزنها من أى وجه من الوجوه . وذلك عن طريق ختمها بخاتم منقوش عليه نقوش خاصة والطرق عليها حتى تظهر تلك النقوش على النقود بما يشير إلى جودتها وخلوصها [(٢)] .

بدأ تاريخ السكة الفاطمية قبل أن يتم الإعلان رسمياً عن قيام الخلافة الفاطمية بإفريقية بنحو خمس سنوات وذلك على يد القائد الفاطمى أبى عبد الله الشيعى[(٣)] وقبل

---

(١) السكة هى الحديدة التى يطبع عليها الدراهم لذلك سميت الدراهم المضروبة سكة ، أبو الحسن على بن محمد بن حبيب البصرى البغدادى الماوردى : الأحكام السلطانية والولايات الدينية ، دار بن خلدون : الإسكندرية ، بدون ، ص ١٦٠.

(٢) ابن خلدون : المقدمة ، ص ١٥٨ . وانظر عبدالمنعم ماجد : نظم الفاطميين ورسومهم فى مصر ، الطبعة الثالثة ، مكتبة الانجلو المصرية ١٩٨٥ ، جـ ١ ، ص ١٢٦ . جورجى زيدان : تاريخ التمدن ، جـ ١ ، ص ١٤٦.

(٣) أبو عبدالله الشيعى : هو الحسين ابن احمد بن محمد بن زكريا من أهل صنعاء وقيل من أهل الكوفه أخذ أسرار الدعوة عن ابن حوشب ذهب إلى إفريقية بعد وفاه دعاة الفاطمين ابى سفيان والحلوانى وقام بالذهاب إلى مكه أثناء الحج وأخذ يتعرف على حجاج إفريقية من قبيلة كتامة وتبادل معهم الحديث عن آل البيت وفضائلهم وكان مقنعا فى حديثه فتملك قلوبهم وسروا به واخذوا فى تبادل الزيارات معه أثناء الحج وابلغهم أنه يريد مصر ليقوم بالتدريس بها فصحبوه إليها ثم طلبوا منه الذهاب معهم إلى إفريقية وذهب معهم ٢٨٠هـ/٨٩٢م ، ونزل فى فج الاخيار ثم أخذ يبث دعوته فيهم وأنهم من انصار آل البيت الذين سيقاتلون فى سبيل الدعوه واظهارها واخذ أمره ينتشر بين البربر وأطلقوا عليه أبا عبدالله المشرقى ، واستطاع هزيمة جيوش الأغالبة فى ذلك الوقت واستطاع امتلاك العديد من المدن لضعف الأغالبة وانشغال زيادة الله عن أمور الدوله وأخذ يستولى على المدن الواحده تلو الأخرى حتى دخل رقادة العاصمه سنة ٢٩٦هـ /٩٠٨م ، وصارت له الكلمه المسموعة واطاعه البربر طاعه عمياء فكانوا لايرفضون له امر وتغير الامر بعد دخول الخليفة الفاطمى عبيد الله المهدى ٢٩٧هـ/٩١٠م فأخذ نجم أبى عبدالله فى الاختفاء ووقعت بينه وبين المهدى الوحشه بعد أن اخذ يقلب عليه القبائل ويشكك فى امره وأنه ليس المهدى الذى كان يدعو له حتى قتل هو وأخيه أبو العباس سنة ٢٩٨هـ/٩١٠م على يد عروبه بن يوسف وجير بن نماسب .- ابن الأثير : الكامل ،

وصول عبيدالله المهدى الخليفة الأول إلى رقادة سنة ٢٩٧هـ ٩١٨م ففى سنة ٢٩٢هـ أرسل أبو عبد الله أموالاً كثيرة إلى عبيدالله المهدى بسجلماسة فأهدى منها لبعض أتباعه ويدعى أحمد بن محمد بن عبيدالله من بنى هاشم فقال " وصلنى عبيدالله بمال كثير من دنانير لاتوجد فى ذلك البلد ، فكثر تعجبى منها [١] ولم تكن تلك النقود تشير صراحة إلى عبيدالله خوفا عليه من العباسيين وأتباعهم ونقشت عليها الآية الكريمة " الحمد لله رب العالمين [٢] وأطلق عليها اسم السيديه [٣] ولما دخل عبيد الله المهدى مدينة رقاده سنة ٢٩٧هـ [٤] ٩١٨م ظلت العملة لا تشير إلى الفاطميين صراحة وأمر بنقش عبارة بلغت حجة الله " وعلى الوجه الآخر " تفرقت أعداء الله " [٥] .

ولقد ضرب الخليفة عبيد الله المهدى ٢٩٧- ٣٢٢هـ ٩٠٩- ٩٣٤م ، مثلاً على قدرته السياسية ، وحنكته ، وذكائه ، حيث ترك العملة العباسية التى . كان يصدرها الأغالبة شائعة الاستعمال داخل إفريقية ، ولم يأمر بسحبها من الأسواق ، أو تغييرها بمجرد استيلائه على عاصمة الأغالبة ، مما أدى إلى عدم حدوث أزمة اقتصادية أو أزمة فى تبديل العملة العباسية بالفاطمية أو حدوث غلاء فى أسعار السلع [٦] مثلما حدث بعد ذلك فى عهد المعز بن باديس الصنهاجى حين أمر بتبديل السكة الفاطمية المتداولة فى إفريقية بالسكة العباسية مما أحدث أزمة اقتصادية وغلاء الأسعار والإضرار بالشعب [٧] ولقد مثلت السكة إحدى التحديات الكبرى لدى الفاطميين فى مواجهتهم مع العباسيين وذلك أن السكة من الوظائف

جـ٨ ، ص ٣١ ومابعدها . الدرجينى : طبقات المشائخ ، جـ ١ ، ص ١٣٢ - ١٣٧ . اليمانى : سيرة جعفر ، مخطوط ، وقه ٢١ ومابعدها . ابن عذارى : البيان ، جـ ١ ، ص١٢٤ ابن خلدون : العبر ، جـ ٤ ، ص ٣١ - ٣٧ . المقريزى : الخطط ، جـ ٢ ، ص ١٦٠ - ١٦٢. ابن ابى دينار : المؤنس ، ص ٥١ - ٥٣ . الباجى : الخلاصة النقية : ص ٣٥ - ٣٧ . الحبيب الجنجانى : القيروان ، ص ٨٤ - ٨٥ .

(١) ابن عذارى : البيان ، جـ ١ ، ص ١٣٩.

(٢) سورة الفاتحه : أيه رقم ٢.

(٣) ابن عذارى : البيان ، جـ ١ ، ص ١٥١.

(٤) المالكى : رياض النفوس ، مخطوط رقم ٦٣٥٠ت ، ميكرفيلم ٣٨٦٢١ ، ورقة ٦٥.

(٥) المقريزى : الخطط ، جـ ٢ ، ص ١٦١. ابن أبى الضياف :اتحاف أهل الزمان ، ص ١١٨ ابن أبى دينار : المؤنس ، ص ٥٢ .

(٦) أحمد عبدالرازق : الحضارة الإسلامية فى العصور الوسطى ، دار الفكر العربى ، القاهرة ١٩٩٠ ، ص ٦٤.

(٧) ابن عذارى : البيان ، جـ ١ ص ٢٧٩.

الدينية وإحدى شارات الخلافة [١] كما تمثل السكة إحدى الوسائل الدعائية الهامة والتى يصل تأثيرها إلى أبعد مدى [٢] وأن إصدارها يمثل إحدى الأعمال السيادية للدولة [٣] لذلك فقد أبدى الفاطميون منذ قيام دولتهم اهتماما بالغا بالسكة فكانوا ينتقون المشرفون عليها من خاصتهم وكانوا يولونها قاضى قضاتهم لجلالة قدرها عندهم [٤] وكانت تكتب فى سجل توليته إلى جانب الوظائف الأخرى التى يقوم بها ، وكان من اختصاص صاحب هذه الوظيفة القيام بعملية التفتيش على الدنانير والحضور إلى دار الضرب عند الفتح والإغلاق [٥] وكانت دور الضرب تحوى بداخلها أماكن لحفظ وخزن الآلات المستخدمة فى عمليات السبك تسمى جواليق العهدة ويتعهدها شخصان يحتفظ كل منهما بمفتاح لها لديه [٦] واعتبر الفاطميون أن ضربهم للسكة واستقلالهم بها مظهرا من مظاهرً أحقيتهم الدينية فى الخلافة على المسلمين[٧] وأحد مظاهر التعبير عن مذهبهم الدينى وتأكيدا للصراع المذهبى الذى كان بينهم وبين العباسيين [٨] .

---

(١) ابن خلدون : المقدمة ، ص ١٥٨ ، جرجى زيدان : تاريخ التمدن ، جـ ١ ، ص ١٤٠.

(٢) أرنولد توينبى : مختصر دراسة للتاريخ ، ترجمة فؤاد شبل ، تقديم محمد شفيق غربال ، أحمد عزت عبدالكريم ، الادارة الثقافية بجامعة الدول العربية ، القاهرة ١٩٦٤م ، جـ ٣ ص ١١٦-١١٧.

(٣) نفس المصدر ، ص ١١٤.

(٤) المقريزى : الخطط ، جـ ٢ ، ص ١٩٤ ، ص ٢٤٦.

(٥) عبدالمنعم ماجد : نظم الفاطميين ، جـ ١ ، ص ١٢٦.

(٦) ابى الحسن على يوسف الحكيم : الدوحة المشتبكه فى ضوابط دار السكة ، مطبعة معهد الدراسات الإسلامية بمدريد ، ص ٥٥-٥٦ .

(٧) مايسة محمود داود : المسكوكات الفاطمية بمجموعة متحف الفن الإسلامى ، دارسة أثرية ونقدية ، دار الفكر العربى ، القاهرة ١٩٩١ ، ص ١٩.

(٨) عبدالمنعم ماجد : نظم الفاطميين ، جـ ١ ، ص ١٢٧ ، وفى سبيل الصراع بين العباسيين والفاطميين قبل قيام دولتهم ارسل الخليفة العباسى المكتفى بالله كتابا لأهالى إفريقية يحثهم فيه على نصرة زيادة الله بن الاغلب والحرب معه ضد القائد الشيعى أبى عبد الله وكان ذلك سنة ٢٩٢ هـ /٩٠٤م ابن عذارى : البيان ، جـ ١ ، ص ١٤٠ . كما قام الفاطميون بعد ذلك بمنع تصدير الاقمشة الراقية التى تنتجها دور الطراز الفاطمية إلى بغداد كنوع من الحرب الاقتصادية التى أثاروها ضد العباسيين . لويس : القوى البحرية ، ص ٣٢٨ .

ولما كانت الحاجة القوية والماسة إلى تحرير كل ما يتعامل به الناس من الدنانير والدراهم وذلك حفظاً لأموالهم ومصالحهم [١] فقد اهتم الفاطميون بدور الضرب التى كانت قائمة من قبل بل زادوا فى أعدادها خاصة فى المدن الجديدة التى قاموا بإنشائها كالمهدية والمنصورية وانتشرت دور الضرب فى جميع المناطق التى بسط عليها الفاطميون نفوذهم من إفريقية غربا وصقليه حتى الشام شرقا واليمن جنوبا [٢] ولأهمية تلك الدور فقد خضعت خضوعا تاما ومباشرا للدولة إذ لم يكن مسموحا لأى فرد مهما بلغت درجته داخل الدولة أن يقوم بإنشاء دارا للسك خاصة به . بل وجدت عقوبات رادعة لكل من تسول له نفسه بغش العملة وأدى ذلك إلى قيام الدولة بضمان قيمة العملة ووزنها ونوعها والنص على وجهيها بالنقوش الدالة على أنها من إنتاج دار السك الحكومية وتسجيل قيمتها [٣] وكان الشخص الذى يقوم بالنقش على النقود من الذين يجيدون إتقان الحظ وذلك من اجل إضفاء الجودة على السكة وليس من حقه أن يقوم بتغيير نص السكة أو زيادته إلا بأمر ويقوم بحفظ أدواته فى جوالق الازدواج ويكون معه بعض الثقاة عندما يريد فتحها [٤] وكان يسمح فى نفس الوقت لمن يريد من الأفراد أن يقوم بضرب نقوداً خاصة له داخل دور الضرب فى مقابل ضريبة يقوم يدفعها سواء كانت دنانير أم دراهم [٥] وقد اختلفت قيمة تلك الضرائب من مكان لآخر وكانت نسبتها تمثل واحد بالمئة ويطلق على تلك النسبة من الضرائب اسم أجرة الضراب وثمن الحطب وهى أحد الدخول الهامة لخزانة الدولة [٦] .

ويتميز المشرفون على أعمال السكة بالمهارة والخبرة فى إذابة المعادن والنقش والوزن والطبع وينقسم السكاكون إلى ثلاثة أقسام عمال ومتعلمون ومعلمون [٧] ولم يكن يسمح بتداول النقود إلا بعد القيام بالتأكد من عدة عمليات خاصة مثل خلوص السبك وتحديد

---

(١) شرف الدين الاسعد مهزب بن ابى المليح : كتاب قوانين الدواوين ، طبع على نفقة الجمعية الزراعية الملكية بأمر الامير عمر طوسون ، تحقيق عزيز سوريال ، الطبعة الاولى ، مكتبه مدبولى ، القاهرة ١٩٩١م ، ص ٣٣٢ . جورجى زيدان : تاريخ التمدن ، حـ ١ ، ص ١٤٠.

(٢) عبدالمنعم ماجد : نظم الفاطميين ، حـ ١ ، ص ١٢٦ .

(٣) توينبى : مختصر دراسة التاريخ ، حـ ٣ ، ص ١١٢.

(٤) ابى الحسن : الدوحة ، ص ٥٥-٥٦.

(٥) ابن مماتى : قوانين الدواوين ، ص ٣٣٢.

(٦) جرجى زيدان : تاريخ التمدن ، ص ١ ص ١٤٥ . عبدالمنعم ماجد : نظم الفاطميين ، حـ ١ ص ١٢٠ . ناصر النقشبندى : الدينار الإسلامى ، حـ ١ ، ص ١٦.

(٧) أبى الحسن : الدوحة ، ص ٤٧.

العيار والنقش (١) وكان قيام الدولة بالاختصاص فى عملية احتكار الضرب الخاصة بـــالنقود طبقا لما أشار به بعض الفقهاء من أن ضرب النقود لا تصلح إلا فى دار الضــــرب وبـــإذن السلطان (٢) ولقد عنى الفاطميون عناية بالغة بنقودهم لاسيما العيــــار فكــان وزن الدينـــار الفاطمى يساوى ٢٣,٥ قيراطا (٣) ومارس الفاطميون سياسة خاصة محكمـــة تجـاه العملـــة العباسية وعملوا على انهيارها -على الأقل- داخل المناطق التى خضعت لسيطرتهم فما إن حضر الخليفة الفاطمى المعز لدين الله (٣٤١ - ٣٦٥هـــ ٩٥٣- ٩٧٧م) إلى مصر ســـنة ٣٦٢ هــ ٩٧٤م حتى قام بإصدار أوامره المباشرة بان يؤخذ الخراج بالدينار المعزى ممـــا أدى إلى انهيار قيمة العملة العباسية الممثلة فى الدينار الراضى (٤) ومنذ ذلك الوقت صارت العملة الفاطمية من أقوى العملات كما يجب أن تتوافر فى السكاك العلم والمعرفة فى تميـــيز النقود الرديئة والصالحة وأن يكون له علم بأوصاف المعادن وما يصلحها أو يفسدها وأسباب غشها والأشياء المستخدمة فى إزالته مع علم ودراية تامة بالخطوط والطوابع وأشكال الفتـــح وتصنيفه والخط وهمزته (٥) وقد استمدت العملة الفاطمية قوتها بين نظيراتها من العمــــلات بفضل انتشارها فى مساحة شاسعة ضمت إفريقية وصقلية ومصر والشام واليمن وذلـــك لأن قوه النقود تزداد كلما زادت مساحة الأرض التى تتداول فيها قانونا(٦) وكان الدينار والدرهـــم العنصران الأساسيان للسكة الفاطمية مثل بقية العالم الإسلامى (٧) .

---

(١) ابن خلدون : المقدمة ، ص ١٥٨ ، ص ١٨٢ - ١٨٣.

(٢) أبى يعلى : الأحكام السلطانية ، ص ٣٣٧.

(٣) مايسه محمود : المسكوكات الفاطمية ، ص ٢٠.

(٤) نفس المصدر والصفحة .

(٥) ابى الحسن : الدوحة ، ص ٥٢ .

(٦) توينبى : مختصر دراسة للتاريخ ، حـــ ٣ ، ص ١١٢ . عبدالمنعم مـــاجد : نظـــم الفـــاطميين حـــ١، ص ١٢٦ .

(٧) عبدالمنعم ماجد : نظم الفاطميين ، حـــ ١ ، ص ١٢٧ . وكان الخليفة الاموى عبدالملـــك بـــن مروان (٦٥ - ٨٦ هـــ) اول من قام بسك عمله إسلامية خالصه سنة ٧٦هـــ . انظر جـــلال الدين السيوطى : تاريخ الخلفاء ، الطبعه الاولى ، دار الكتب العلمية ، بـــيروت ١٩٨٨هـــ ، ص١٧٣ - ١٧٤ . وانظر الكرملى : تاريخ النقود ، ص ٤٠ . وانظر سيده الكاشف : الوليد بن عبدالملك ، وزارة الثقافة والارشاد القومى ، المؤسسة المصريـــة العامـــه للتـــأليف والترجمـــه والطباعة والنشر ، ص ١٧ . وانظر احمد عبدالـــرازق : الحضـــارة الإســـلامية ، ص ١٦٠ ومابعدها ، ابن عذارى : البيان ، حـــ ١ ، ص ٣٤.

وكان الدينار الفاطمى ينقص عن المثقال بمقدار حبة شعير ، وكانت سكتهم مـدورة الكتابة كما كان للدينار ربع صغير ويتم التعامل بهما عدداً ، كذلك الدرهم زال لـه نصـف يسمونه القيراط وربع وثمن ونصف ثمن يسمونه الخرنوبه يؤخذ الجميع بـالعدد (١) فكـان درهم مدينة تلمسان يساوى ثمانية خراريب والخروبه تساوى أربعة حبات (٢) أما درهم مدينة تنس فكان يساوى اثنا عشر صقليه عدداً(٣) ولم يقتصر أمر تداول السكة الفاطمية وانتشارها على إقليم إفريقية فحسب بل شاع استخدامها فى جميع المناطق التى وقعت تحت نفوذهم مثل صقليه وغيرها (٤)

وعند دخول الخليفة الفاطمى الأول عبيد الله المهـدى ٢٩٧ - ٣٢٢هـ ٩١٨-٩٣٣م مدينة رقادة أخذ يعيد ترتيب نظم وقوانين الدولة من جديد فقام بتدوين الدواوين على أساس المذهب الشيعى وقام بتوزيع الوظائف الهامة على أنصاره وخاصة وآل أمر السـكة إلى أبى بكر الفيلسوف المعروف بابن القمودى الذى كان أول مـن تولـى هـذه الوظيفـة للفاطميين فى إفريقية (٥) .

إلا أن السكة الفاطمية لم تكن مغايرة تماما لنمط السكة العباسية التى كانت سائدة فى ذلك الوقت بإقليم إفريقية وكانت تصدرها الدولة الأغلبية فجاءت أنماطها كامتداد لها وكـان وجه الاختلاف بينهما هو تغيير اسم الخليفة العباسى ووضع بدلا منه اسم الخليفة الفـاطمى فحسب (٦) وذلك بعد أن قام الفاطميون بتثبيت أقدامهم فى إفريقية .

ومرت السكة الفاطمية فى تاريخها بعدة أنمط مختلفة حتى أخذت شخصيتها المستقلة المتميزة بها ، فالنمط الأولى للسكة الفاطمية أثناء الحرب مع الأغالبة وقبل دخول المهـدى لمدينة رقاده عاصمة الأغالبة سنة ٢٩٧هـ/٩١٨م لم يكن يشير مطلقاً إلى الفاطميين فلم تكن تحمل سوى عبارتان مبهمتان وضعتا على وجهى العملة وهما فى الوجه الأول وبلغت حجة

---

(١) المقدسى : أحسن التقاسيم ، ص ٢٤٠.

(٢) البكرى : المغرب ، ص ٧٨.

(٣) نفس المصدر ص ٦٣.

(4) Lane Pool - M.A - Acotologe Arabic Coins. Jondon 1897 Page 170-173.

- فتحية محمود على : الحياة الاقتصادية والاجتماعية فى مدن المغرب الساحلية ، رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية الآداب – جامعة المنيا ، ١٩٩٣ ، ص١٧١

(٥) ابن عذارى : البيان المغرب ، جـ ١ ، ص ١٥١ ، ص ١٥٩.

(٦) مايسه محمود : المسكوكات الفاطمية ، ص ٢٤.

الله " والوجه الثانى " تفرق أعداء الله [١] وهكذا فلم تكن للسكة الفاطمية فى تلك المرحلة شخصية مستقلة تميزها داخل إقليم إفريقية ولا تشير إلى الخليفة الفاطمى المنتظر كنوع من سياسة السرية التى تميز بها الفاطميون – الشيعة – منذ بداية مطالبتهم بالحكم حتى قيام الخلافة الفاطمية [٢] .

أما النمط الثانى من أنمط السكة الفاطمية فقد جاء مغايرا للنمط الأول حيث وضح فيه الفكر السياسى للفاطميين وذلك بهدف العمل على انتزاع الزعامة السياسية والدينية من الخلافة العباسية فى العالم الإسلامى وبدأت تضاف إلى السكة ألقاب دينيه لم توجد فى النمط الأول مثل لقب إمام وعبيدالله وأمير المؤمنين [٣] والمهدى [٤] .

ولم يكتف الفاطميون بتلك الألقاب والعبارات تمييزا لسكتهم عن سكة العباسيين بل وضعوا لها علامة خاصة بهم تميزهم عن غيرهم وفى نفس الوقت تشير إلى مدى شرعية تلك السكة وأنها ضربت طبقا للمعايير الرسمية للخلافة الفاطمية وتحت أشرافها وهى كلمة " عال " أو " عال غاية "[٥] .

ومع ذلك لم تكن السكة الفاطمية تختلف اختلافا جذريا عن السكة العباسية إذ ظل التشابه قائما بين السكتين مع اختلاف اسم الخليفة فقط إلى جانب العبارات الدينية الخاصة بالفاطميين التى تشير إلى اختلاف المذهب الدينى وذلك حتى ولى الخلافة الفاطمية الخليفة الرابع المعز لدين الله ٣٤١- ٣٦٥ هـ ٩٦٢ - ٩٨٦م فطرأ على العملة الفاطمية تغيير

---

(١) ابن خلدون : العبر ، جـ ٤ ، ص ٣٦.

(٢) محمد محمود إدريس : تاريخ الدوله الفاطميه ، ص ١١.

(٣) لم تكن تلك الالقاب موحدة داخل الدولة الإسلامية ، بل اختلفت باختلاف المناطق بها ، فهناك بعض الالقاب الى لنم تضاف إلى اسم ، وهناك ألقاب تضاف إلى الاسماء التى تدل على الرفعة . ومنها مايضاف إلى لفظ الجلاله الله . كما كان ينقش على النقود الفاظاً أخرى دالة على الرتب والوظائف ، وكان ينقش على بعض النقود أيضا أدعية بعد ذكر اسماء الملوك أو العمال وكناهم والقابهم ونعوتهم مثل دعاء " العز الدائم والعمر السالم ابداً " الذى وجد على دينار من دنانير الخليفة المعز لدين الله ، وكثر نقش الكنى على النقود مثل " أبو تميم " كنية الخليفة المعز لدين الله " أبو الفضل " كنية الخليفة الفاطمى القائم و " أبو الميمون " كنية الخليفة الفاطمى الحافظ لدين الله . الكرملى : النقود العربية ، ص ١٤٧ – ص ١٥٤.

(٤) مايسة محمود : المسكوكات الفاطمية ، ص ٢٤-٢٥ ، عبدالمنعم ماجد : نظم الفاطميين ، جـ١ ص ١٢٧.

(٥) عبدالمنعم ماجد : نظم الفاطميين ، جـ ١ ص ١٢٨.

جذريا عما كانت عليه من حيث التصميم والنقوش التى صارت تكتب فى ثلاث دوائر متحدة المركز وتسير عكس عقارب الساعة (١) .

وفى سبيل تأكيد السيادة الفاطمية على إقليم إفريقية - وغيرها من المناطق - عقب تركهم لإفريقية سنة ٣٦١ هـ ٩٨٢م فى عهد المعز لدين الله واتخاذهم للقاهرة عاصمة للخلافة الفاطمية بدلا من المهدية وبرغم وجود دورا لسك النقود فى مختلف مدن إفريقية مطابقة للنقود التى تسكها دور السك بالقاهرة إلا أنهم حرصوا على إرسال السكة المضروبة بمصر إلى إقليم إفريقية حتى يتداولها الناس هناك وتذكرهم بولائهم للفاطميين بمصر . وذلك مثلما حدث فى عهد العزيز بالله الخليفة الخامس ٣٦٥- ٣٨٦هـ ٩٨٦- ١٠٠٧م حيث قام بإرسال نقودا تحمل اسمه إلى خليفته بإفريقية بلكين ابن زيرى (٢) .

وكنوع من الترابط بين الخلافة الفاطمية بالقاهرة وبين خلفائهم من بنى زيرى بإفريقية هذا الترابط الذى ينتج عن إصدار العملة (٣) .

أما السكة الفاطمية التى تم ضربها أثناء حكم الخليفة الفاطمى الثانى القائم بأمر الله ٣٢٢-٣٣٤هـ ٩٤٢- ٩٥٥م التى تمثل النمط الثالث فلم تكن بها اختلافات كثيرة تميزها عن تلك التى قام بضربها والده المهدى فسارت على نهجها مع بعض الاختلافات مثل وضع اسمه وهو أبو القاسم محمد قبل عبارات التوحيد على وجه العملة مسبوقة بعبارة " المهدى بالله " أما الظهر فقام بوضع لقبه " الإمام القائم بالله " اسفل الرسالة المحمدية ، وكان استخدام أبو القاسم "للقب المهدى" بالله له أكثر من معنى مقصود منها أولاً تأكيد لزعامته الدينية فى العالم الإسلامى ثانيا بث نوع من التأثير النفسى فى محاولة منه لجذب مزيداً من الأنصار للفاطميين ثالثا تخليد ذكر أبيه المهدى (٤) .الذى كان يكن له حبا صادقاً ومودة خاصة ظهرت آثارها عقب وفاته فى تصرفاته الخاصة وظلت مصاحبة له حتى وفاته (٥)

وبرغم تولى الخليفة الثالث المنصور بالله للحكم ٣٣٤- ٣٤١ هـ ٩٥٥ - ٩٦٢م إلا أن السكة الفاطمية لم يطرأ عليها كبير تغيير فاستمرت على نهج سكة أبيه وجده تمثل مرحلة انتقالية بين السكة الفاطمية المتميزة وبين التأثيرات العباسية ، وحملت السكة فى عهد

---

(١) أحمد عبدالرازق : الحضارة الإسلامية ، ص ١٦٤ - ١٦٥ .

(٢) ابن ابى دينار : المؤنس ، ص ٧٥ .

(٣) توينبى : مختصر دراسة للتاريخ ، جـ ٣ ص ١١٤.

(٤) مايسه محمود : المسكوكات الفاطمية ، ص ٢٧-٢٨.

(٥) ابن عذارى : البيان ، جـ ١ ، ص ٢٠٨.

المنصور اسم مدينة المنصورية وتميزت بثلاث طرز خاصة بها الطراز الأولى بــه أربعــة سطور بالوجه واربعة بالظهر أما الطراز الثانى فكان به خمسة أسطر والطراز الثالث ثلاثة اسطر بالوجه وأربعة أسطر بالظهر مع وجود خطان دائريان يفصلان بين الهامش والمركز وتاريخ الضرب فى هامش الوجه (١) وأطلق عليها الدنانير الرباعية (٢)

وحين ارتقى الخليفة المعز لدين الله الفاطمى كرسى الخلافة سنة ٣٤١ - ٣٦٥ هـ ٩٦٢ - ٩٨٦م نجد أن الخلافة الفاطمية قد طرأ عليها تغييراً كبيراً فى كافــة أوجــه حيــاة الخلافة عامة بما فى ذلك مجال السكة ففى تلك المرحلة تحررت السكة الفاطمية من التــأثير العباسى السنى واختلفت عما سبقها من سكة الخلفاء الثلاثة الأول فجاءت مختلفــة الطــراز والوزن والعيار (٣) .

ونقش فى وجه الدينار المعزى كما ذكر المقريزى (٤) فى النقود الإســلامية "دعــى الإمام المعز لتوحيد الأحد الصمد " وتحته سطر فيه " ضرب هذا الدينار بمصر سنة ثمــان وخمسين وثلاثمائة " وفى الوجه الآخر " لا إله إلا الله " محمد رسول الله أرســله بــالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون . على افضل الوصيين ، وزير خير المرسلين " وكثر ضرب هذا النوع من الدنانير .

وكان المعز لدين الله من الخلفاء الذين اهتموا كثيراً بأمر السكة ويعنى بها فكثيراً ما كان يأمر بالعناية بالعيار الخاص بالسكة والوزن أيضا (٥) فصار سعر صرف هــذا الدينــار خمسة عشر درهماً ونصف (٦) كما ضرب دينار أيضا فى سنة ٣٥٣ هـ ٩٦٤م وكان وزنه يبلغ ٤,٢٠جرام (٧)

وسار الخليفة الفاطمى العزيز بالله ٣٦٥ - ٣٨٦هـ ٩٧٥ - ٩٩٦ على النهج الذى اتبعه والده المعز من العناية بالسكة فجاءت مشابهة لها وإن اختلفت عنها فى عدد الهوامش ،

---

(١) مايسه محمود : المسكوكات الفاطمية ، ص ٣١- ٣٢.

(٢) جوذر : سيرة الاستاذ جوذر ، ص ٦٠.

(٣) مايسه محمود : المسكوكات ، ص ٣٦ - ٣٨ .

(٤) الكرملى : النقود العربية ، ص ٦٥.

(٥) جوذر : سيرة جوذر ، ص ٩١ .

(٦) الكرملى : النقود العربية ، ص ٦٥ .

(7) Lane Pool, Arabic Coins. P 154 - 155.

- فتحية محمود على : الحياة الاقتصادية ، ص ١٦٩

فكان بسكة العزيز هامشين فقط وتم دمج الهامش الأوسط والداخلى فـــى هـــامش واحـــد [١] وكانت صورة الدينار التى تم ضربها فى عهد الخليفة العزيز بالله كما يلى :-

الوجه الأول :

الدائر الأول : محمد رسول الله أرسله " بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون [٢] .

الدائر الثانى : لا إله إلا الله محمد رسول الله على خير صفوة الله .

الوجه الثانى (الظهر)

الدائر الأول : بسم الله ضرب هذا الدينار بمصر سنة ست وستين وثلثمائه .

الدائر الثانى : عبيدالله وليه نذار الإمام العزيز بالله أمير المؤمنين .

وعم ضرب هذا الدينار بصورة متتابعة فى دور الضرب الخاضعة للفاطميين فـــى مصر سنة ٣٦٦ هـ وفى المنصورية ٣٦٧هـــ ومدينـــة المهديـــة ٣٧٤ هـــ وجزيـــرة صقليه٣٧٧هـــ [٣] .

ووجد نوع من التشابه فى السكة التى ضربت فى عهد الخليفة العزيز باللـــه مـــابين الدينار والدرهم فى الطراز إلا أن الهامشين الذين يفصلان بين المركز والهـــامش الداخلـــى والخارجى قل اتساعهما فى الدراهم فأصبح خط دائرى مزدوج حتى أن تاريخ الضرب كان يكتب بالهامش الخارجى عكس غيرها من الدراهم [٤] .

وباعتلاء الخليفة الفاطمى الحاكم بأمر الله ٣٨٦ - ٤١١ هـ ٩٩٦ - ١٠٤٠ م [٥] تبدأ المرحلة الثانية من مراحل تطور السكة الفاطمية التى بدأت أولى مراحلها فى عهد المعز لدين الله وابنه العزيز بالله فكانت مرحلة ابتكار ومولد للشخصية الفاطمية ، وانقسمت ســكة الحاكم بأمر اللهٓ إلى ثلاثة طرز متميزة عن بعضها البعض ، فالطراز الأول يشبه دنانير أبيه أما الطراز الثانى فتشابه فى الشكل مع دنانير جده .

---

(١) مايسه محمود : المسكوكات الفاطمية ، ص ٥٣- ٥٤..

(٢) ليست نظم آية كما يظهر للبعض .

(3) Lane Pool, Arabic Coins. P. 169.

- فتحية محمود على : الحياة الاقتصادية ، ص ١٦٩

(٤) مايسه محمود : المسكوكات الفاطمية ، ص ٥٥-٥٦.

(5) Lane Pool, Arabic Coins. P.169.

- فتحية محمود على : الحياة الاقتصادية ، ص ١٦٩

الشكل الأول

الوجـــه	**الظهر**
مركز: ١- لا إله إلا الله	١- عبيدالله
٢- وحده لاشريك له	٢- ووليه المنصور أبو على
٣- محمد رسول الله	٣- الإمام الحاكم بأمر الله
٤- على ولى الله	أمير المؤمنين أو
هامش خارجى محمد رســول اللـــه أرســله	١- عبيدالله ووليه
...المشركون .	٢- الحاكم بأمر
هامش داخلـــى بســم اللـــه ضــرب هــذا	٣- الله أمير المؤمنين وعبد
الدينـــ(أ)رد رد .. سنه ...	٤- الرحيم ولى عهد المسلمين

الشكل الثانى

الوجـــه	الظهـــر
مركز ١- على	**مركز** : ١- عبيدالله ووليه
٢- لا إله إلا الله وحده	٢- الإمام الحاكم بأمر الله أمير
٣- لاشريك له محمد رسول الله	٣- المؤمنين وعبدالرحيم [(١)]
٤- ولى الله	٤- ولى عهد المسلمين أو
هامش خارجى	١- عبيدالله
محمد رسول الله أرسله ... المشركون	٢- ووليه المنصور أبو على
	٣- الإمام الحاكم بأمر الله
	٤- أمير المؤمنين

هامش خارجى

بسم الله ضرب هذا الدينـــ (أ) ربـــ ... سنة ...

---

(١) **عبدالرحيم** :ابن عم الخليفة الفاطمى الحاكم بأمر الله وهو أبا القاسم عبدالرحيم ابن الياس ابـــن ابى على ابن المهدى بالله أبى محمد عبيد الله . تولى منصب ولاية العهد فـــى حيـــاة الخليفـــة الحاكم بأمر الله فى صفر سنة ٤٠٤ هـــ ١٠٢٥ م وتم وضع اسمه على السكة والبنود جنبا إلى جنب مع الخليفة الحاكم الذى أمر بقراءة السجلات الخاصة بذلك فى نفس الوقت الذى ارسل فيه سجلاً إلى واليه على إفريقية نصير الدولة باديس يعلمه بذلك ويأمره بقراءة السجل على النـــاس بالاقليم فتمت قراءة السجل بجامعى القيروان والمنصورية وذلك على مضض من نصير الدوله الذى أبدى اعتراضا – لم يبعث به إلى الخليفة وإنما أبداه لمن حوله قائلا " لـــولا أن الامـــام لا لايعترض على تدبير لكاتبته – الخليفة الحاكم – الا يصرف هذا الأمر من ولده إلى ابن عمـــه " غير أن عبدالرحيم لم يستمر طويلا فقد تغير عليه الخليفه الحاكم وأمر بقتله .
ابن عذارى : البيان ، حـــ ١ ، ص ٢٦٠ ، المقريزى : اتعاظ الحنفا ، حـــــ ٢ ، ص ١٠٠ – ص١٠١ ، الخطط ، حـــ ٢ ، ص ٧٣ – ٧٤ .

الشكل الثالث

الوجــه	الظهــر
مركز ١- لا إله إلا الله	مركز: ١- المنصور
٢- محمد رسول الله	٢- أبو على الإمام
٣- على ولى الله	٣- الحاكم بأمر الله
هامش خارجى	٤- أمير المؤمنين أو
محمد رسول الله أرسله ... المشركون	١- عبيدالله وو
	٢- ليه الإمام المنصور
	٣- أمير المؤمنين أو
	١- الإمام الحاكم
	٢- بأمر الله أبو على
	٣- أمير المؤمنين
	هامش خارجى
	بسم الله ضرب هذا الدينـ(أ) ر بـ ... سنه ...(١) .

ويتضح من هذا الطراز خلوه من اسم ابن عمه وولى عهده عبدالرحيم والذى ظهـر على الطراز الأول والثانى فقط مما يدل على أن هذا الطراز تم ضربه بعد تخلصه من ولى العهد .

ولم يقتصر ضرب الدنانير فى عهد الحاكم بأمر الله على دور الضرب بمصر فقـط بل ضربت بدور ضرب المهدية دنانير حملت اسمه مثل الدينار الذى يحمل تـاريخ ضـرب سنه ٣٨٨ هـ ١٠٣٧م.

الوجه الأول : محمد رسول الله أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كلـه ولو كره المشركون لا إله إلا الله محمد رسول الله . على ولى الله .

الوجه الثانى : بسم الله ضرب هذا الدينار بالمهدية سنه ثمـان وثمـانين وثلثمائـه الإمام الحاكم بأمر الله أمير المؤمنين .

وتم ضرب هذا الدينار فى سنة ٣٩٠ هـ ١٠٤٠م بنفس النقـوش واختلـف نـص الكتابة على الدنانير التى ضربت سنة ٤٠٤هـ ١٠٤٨ م (٢) فأصبحت عبد الله الإمام الحاكم

---

(١) مايسة محمود : المسكوكات الفاطمية ، ص ٥٧ - ٦٠ .

(2) Lane Pool . Arabic Coins. P163.

بأمر الله أمير المؤمنين كما اختلفت النقوش مرة أخرى فى الدنانير التى تم ضربهـــا ســنة ٤١٢هـ ١٠٥٦م [١] وهى فى عز الإمام المنصور الحاكم بأمر الله أمير المؤمنين[٢] .

وبجانب تلك الدنانير تم ضرب الدراهم [٣] أيضا والتى تم التوسع فى ضربهـــا فـــى عهد الخليفة الحاكم بأمر الله وبدأت مصر تتحـــول إلـــى نظـــام المعدنيـــن[٤] Bimetollic System وصار للدرهم قوه قانونيه فى المعاملات وتم تحديد قيمه الدرهم بالنســـبة للدينـــار فكان الدينار يساوى ثمانية عشر درهماً [٥] إلا أن هذه القاعدة لم تكن ثابتة ولم يـــدم الأمـــر طويلا إذ سرعان ما تغير سعر الصرف بين الدينار والدرهم ففى ٣٩٥هـــ ١٠٠٧م زادت نسبة الصرف زيادة كبيرة فكان الدينار يساوى ستة وعشرون درهما [٦] وظلت هذه النســـبة فى ازدياد مطرد حتى وصل سعر الصرف بين الدينار والدرهم إلى أن الدينار يساوى أربعة وثلاثون درهما وذلك فى سنة ٣٩٩هـ ١٠١١م ، ونتيجة لذلك سرعان ما تدخـــل الخليفـــة الحاكم بأمر الله فى عملية ضبط سعر الصرف وأمر بإنزال دراهم جديدة إلى السوق ومنـــع التعامل بالدراهم القديمة وإرسالها إلى دار الضرب ووضعت قاعدة جديدة للصرف تمثلت فى أن كل درهم جديد يساوى أربعة دراهم قديمه وكل دينار يساوى ثمانية عشر درهماً جديداً[٧]

وتميزت أيضا السكة التى تم ضربها فى عهد الخليفة الفاطمى الظاهر لإعزاز ديـــن الله ٤١١ – ٤٢٧ هـ ١٠٢٠ – ١٠٣٥ م بالتنوع وحوت أربعة طرز مقلداً دنانير من سبقه من الخلفاء أمثال المعز والحاكم [٨] وقام بضرب ديناره الذهبى فى دائرتين .

---

(1) Lane Pool . Arabic Coins. P165.

(2) Ibid. P167.

- فتحية محمود على : الحياة الاقتصادية ، ص ١٧٠ .

(٣) الدينار والدرهم ذكر البلاذرى أنهما من الأوزان التى كانت تستعملها قريش قبل الإسلام واقرت بعد الإسلام فكانوا يزنون الذهب بوزن تسميه دينارا وتزن الفضة بوزن تسميه درهـــم انظـــر الكرملى : النقود العربية ص ١٧.

(٤) ذكر المقريزى عن نقود مصر : أن مصر من الاقطار التى كان النقد التى تتعامل به سواء فـــى الجاهلية أم الإسلام فى سائر دولها هو الذهب . كما ذكر ذلك الرسول صلى الله عليه وسلم فى المدينة فقال " ومنعت مصر اردبها وديناراها انظر الكرملى : النقود العربية ص ٥٩.

(٥) مايسه محمود : المسكوكات الفاطمية ص ٦٢ .

(٦) المقريزى : اتعاظ الحنفا حـــ ٢ ص ٥٨.

(٧) الكرملى : النقود العربية ص ٦٦.

(٨) مايسه محمود : المسكوكات الفاطمية ص ٦٦ – ٦٧.

الوجه

دائر أول : محمد رسول الله أرسله ... المشركون

دائر ثانى : لا إله إلا الله وحده لاشريك له .

دائر الوسط محمد رسول الله - على ولى الله

الظهـــر

دائر أول بسم الله ضرب هذا الدينار بمصر سنة اثنى عشرة وأربعمائة

دائر ثانى عبيدالله ووليه على أبو الحسن الإمام

دائر وسط الظاهر لإعزاز دين الله

وعم ضرب هذا الدينار (١) فى العواصم التى خضعت للخلافة الفاطمية فى المشرق والمغرب (٢)

أما المسكوكات الخاصة بالخليفة الفاطمى المستنصر بالله ٤٢٧- ٤٨٧هـ ١٠٤٨- ١٠٩٩م فقد مثلت نهاية المرحلة الثانية للسكة الفاطمية التى اتسمت بالابتكار والتنـــوع فـــى طرزها ووضوح كيان السكة الفاطمية كما أتت متشابهة مع سكة من سبقه من الخلفاء أجداده وأبيه المعز والعزيز والحاكم والظاهر (٣) وتم فى عهده ضرب العملات الصغيرة التى تقوم بتسهيل عمليات التبادل التجارى داخل الأسواق فضربت فى عهده أرباع الدنـــانير(٤) ومـــن طرز نقود الخليفة المستنصر بالله

الوجه

مركز : ١- معد أو كلمة عال

٢- **لا إله إلا الله**

٣-وحده لاشريك له

٤- محمد رسول الله

٥- على ولى الله

٦- كلمه (عال) أحياناً

الظهر

مركز ١- الإمام

٢- معد أبوتميم

٣- المستنصر بالله

٤- أمير المؤمنين

هامش

يبدأ بعبارة بسم الله الرحمن الرحيم ضـــرب هذا الدينـــ(أ) ر بـــ ... سنة .. وأحيانا بدون به محمد رسول الله ... المشركون

---

(١) الدينار : الدينار الشرعى هو المثقال وهو يساوى ٢٤ قيراط وكل سبعة مثـــاقيل تـــزن عشـــرة دراهم : محمود ادريس تاريخ العراق : ص ٢٢٥.

(2) Lane Pool. Arabic Coins. P170-173.

(٣) مايسه محمود : المسكوكات الفاطمية ص ٧٠ - ٧٤ .

(٤) نفس المصدر والصفحة .

هامش

محمد رسول الله أرسله ..المشركون وأحيانا

يدون تاريخ الضرب

وكان الطراز الثالث يختلف الظهر فيه من حيث عدد الأسطر فكان إما أربعة أسطر غالبا وستة أسطر أحياناً .

الوجـــه

مركز ١- على

٢- لا اله إلا الله

٣- وحده لاشريك له

٤- محمد رسول الله

٥- ولى الله

هامش

محمد رسول الله أرسله ... المشركون

الظهر

الشكل الأول

مركز ١- معــد

٢- الإمام أبو

٣- تميم المستنصر

٤- بالله أمير المؤمنين

هامش

بسم الله الرحمن الرحيم ضرب هذا الدينـــ(أ) ر بـــ ... سنة ....

الشكل الثانى : مركز ١- الإمام

٢- معد أبو تميم

٣- المستنصر بالله

٤- أمير المؤمنين

هامش : بسم الله الرحمن الرحيم ضرب هذا الدينـــ(أ) ر بـــ ... سنة ...

الشكل الثانى

مركز ١- مسعد

٢- عبيدالله ووليه

٣- الإمام أبو تميم

٤- المستنصر بالله

٥- تظهر أحياناً كلمة عال

هامش بسم الله الرحمن الرحيم ضرب هـــذا الدينـــ(أ) ر بـــ ... سنة ...

يمثل عهد الخليفة الفاطمى المستنصر بالله أخر العهود التى ضربت فيهـــا الســـكة الفاطمية داخل إقليم إفريقية حيث دب النزاع والخلاف مابين المعز بن باديس حاكم إفريقيـــة

والخليفة المستنصر بمصر مما أدى إلى قيام المعز ابن باديس بتغيير نمط السكة الفاطمية الشيعية إلى طراز السكة العباسية السنية وإبدال الدعوة عامه للفاطميين داخل إقليم إفريقية وذلك سنة ٤٤٠هـ ٤٤١هـ ١٠٦١- ١٠٦٢م(١)

فأمر بحذف اسم المستنصر بالله من الخطبة وإقامتها على منابر المساجد بإفريقية وبرقة وطرابلس للخليفة العباسى القائم بأمر الله ٤٢٢- ٤٦٧هـ ١٠٤٣- ١٠٨٨م طبقا لرسوم الخلافة العباسية (٢)

وكانت جميع النقود المتعامل بها داخل إفريقية فى عهد المعز حتى ٤٣٨ هـ ١٠٤٦ - ١٠٤٧م من الطراز الشيعى ويتم ضربها داخل دور الضرب سواء المنصورية أو المهدية وغيرهما من المدن وتحمل اسم الخليفة الفاطمى المستنصر بالله ومنذ عام ٤٣٩ هـ ١٠٤٧ - ١٠٤٨م إلى ٤٤٠هـ ١٠٤٨- ١٠٤٩ م أصبحت الدنانير تحمل اسم مدينة صبرة بدلا من المنصورية وبدءً من ٤٤١هـ ١٠٤٩ - ١٠٥٠م حتى سنه ٤٤٩ هـ ١٠٥٧- ١٠٥٨م أصبحت الدنانير على الطراز السنى وتميزت بحذف العبارات الشيعية وألقاب الخليفة الفاطمى وأثبتت بها الآية الكريمة " ومن يبتغ غير الإسلام دينا فلن يقبل منه وهو فى الآخرة من الخاسرين (٣) وفى سنة ٤٤٦ هـ ١٠٥٤ - ١٠٥٥م وسنة ٤٤٧ هـ ١٠٥٥- ١٠٥٦م ضرب بالمهدية ديناران وكانت اغلب الدنانير تنقش عليها عبارة " ضرب فى مدينة عز الإسلام القيروان (٤) .

وأطلق على الدينار الذى ضرب فى عهد المعز ابن باديس ٤٤١ هـ ١٠٦٢ م اسم التجارى ونقش على الوجه الآية الكريمة " ومن يبتغ غير الإسلام دينا فلن يقبل منه وهو فى الآخرة من الخاسرين (٥) وعلى الظهر لا إله إلا الله محمد رسول الله (٦) وقام بضرب عددٍ

---

(١) ابن عذارى : البيان ، جـ ١ ، ص ٢٧٧ - ٢٧٨.

(٢) محمد محمود ادريس : تاريخ الدوله الفاطمية ، ص ١٣٢.

(٣) سورة آل : عمران آيه ٨٥ .

(٤) الهادى إدريس : الدوله الصنهاجية ، جـ ١ ص ٢٣٠ - ٢٣١.

(٥) سورة آل : عمران آية ٨٥ .

(٦) كان رسم دينار المعز بن باديس

الوجه الأول . حول دائره . باسم الله ضرب بمدينة المنصورية سنة ... وبوسطها : ومن يبتغ غير الإسلام دينا فلن يقبل منه .

الوجه الأخر : حول دائره : يا ايها النبى إنا أرسلناك شاهداً ومبشراً ونذيراً . وبوسطها : لا إله إلا الله وحده لاشريك له ، محمد رسول الله .

أحمد بن عامر : الدوله الصنهاجية ص ٣٢ .

كثيراً من هذه الدنانير فى نفس الوقت الذى أمر فيه أن يتم جمع جميع النقود الموجود عليها أسماء الخلفاء الفاطميين داخل إفريقية وأمر بسبكها وبث هذا الأمر إلى الناس والى سائر عماله ، وكان ذلك فى شهر شعبان ، ويبدوا أن الناس لم يأخذوا الأمر بجديه فكانوا لايزالون يتعاملون بالنقود الفاطمية فما كان منه إلا أن شدد العقوبة فى شهر شوال وأمر مناديا أن يعلم الناس بذلك وان من تصرف بسكة الفاطميين سوف تناله عقوبة شديدة ، فأدى ذلك إلى غلاء الأسعار وضاق الحال بالفقراء ووضعت قواعد جديدة للصرف فكان الدينار الجديد " التجارى " يساوى أربعة دنانير قديمه بنسبه ١: ٤ ودرهمين والدينار الجديد يساوى خمسة وثلاثون درهماً[١] ولم يكتب اسمه على الدينار واستمر فى ضربه مدة حكمه [٢] .

وهناك أنواع أخرى من النقود شاع استعمالها فى بعض مناطق إفريقية خاصة بالثائرين أمثال أبى الفهم الخرسانى [٣] وأبى ركوة بمدينة برقه حيث ضرب السكة باسمه وألقابه [٤] والشاكر لله حيث ضرب نقودا ذهبية وفضيه مغايرة للسكة الفاطمية وتنتسب إلى التقاليد السنية فكان الدينار الذى قام بضربه منقوشا عليه كتابه دائرية بسم الله ضرب هذا الدينر سنة ستة وثلثين وثلثمائه

الوجه الأول الإمام – محمد – رسول الله – الشاكر لله

كما نقش على الدينار أيضا لقب أمير المؤمنين

الوجه : عبيدالله – لا إله إلا – الله وحدة لاشريك له – أمير المؤمنين (فراغ غامض)

الوجه الآخر : الإمام – محمد رسول الله – الشاكر لله

بسم الله ضرب هذا الدينار سنة خمس وأربعين وثلثمائه [٥]

ومن سكة الثائرين أيضا تلك التى قام بضربها أبا يزيد مخلد بن كيداد[٦]

---

(١) ابن عذارى : البيان جـ ١ ص ٢٧٨ – ٢٧٩ .

(٢) احمد ابن عامر : الدولة الصنهاجية ص ٣٢.

(٣) نفس المرجع ، ص ٢٤١.

(٤) ابن الجوزى : المنتظم جـ ٧ ص ٢٣٣ ، محمود ادريس تاريخ الدوله الفاطمية ص ١٣٢.

(٥) محمود اسماعيل : الخوارج حاشية رقم ١٠٠ ص ٢٢٤.

(٦) أبو يزيد : هو أبو يزيد مخلد ابن كيداد ولد بالسودان وكان أبوه تاجراً من أهالى قسطيليه ونشأ أبو يزيد بمدينة توزر وتعلم القرآن ومال إلى مذهب الخوارج النكارية الصفرية وصار منهم ، ذهب إلى مدينة تاهرت واقام بها واخذ فى تعليم الصبيان بها ثم انتقل منها إلى مدينة تقيوس كمعلم أيضا ثم أخذ يحتسب على الناس أعمالهم وأمر بتغيير المنكر فكثر لذلك اتباعة ، تلقب

فى الوجه: ربنا الله – لاحكم إلا الله – وحده لاشريك له – الحق المبين

فى الدائرة بسم الله الرحمن الرحيم – ضرب هذا الدينار بالقيروان سنة ثلاث وثلاثين وثلاثمائة

الظهر :

الوجه الآخر العزة لله – محمد رسول الله – خاتم النبيين

الدائرة الأولى الذين آمنوا به وعذروه ونصروه واتبعوا النور الذى أنزل معه أولئك هم المفلحون (١) .

الدائرة الثانية : محمد رسول الله – أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله (٢) .

بلقب شيخ المؤمنين بجيل الاوراس وأخذ يدعوا للناصر صاحب الاندلس ، أخذ يستولى على مدن إفريقية فى أثناء الثورة التى قام بها فى عهد الخليفة الفاطمى القائم بأمر الله وارتكب فيها اشياء كثيرة محرمه لايقرها الدين الإسلامى كقتل النساء والاطفال ، وقيل أنه قتل فى جامع مدينة سوسه فى يوم واحد ثلاثين الفا من أهلها ، قام باحتلال مدينة القيروان ٣٣٣هـ وضرب فيها السكة التى تنسب إليه وأمن أهلها ، واستطاع هزيمه الجيوش الفاطمية تباعا واخذ فى احتلال المدن الواحده تلو الاخرى حتى استطاع الوصول إلى مدينة المهدية عاصمة الخلافة وضرب عليها الحصار حتى أكل أهلها الدواب والميته ، ومات الخليفة الفاطمى القائم بأمر الله وأبو يزيد محاصرا لمدينة سوسه ثم تولى بعده ابنه المنصور وكانت الحرب بينهما سجالا حتى استطاع المنصور سنة ٣٣٥ هـ هزيمة أبو يزيد فتحصن أبو يزيد وفلول جيشه بجبال كتامه وعجيسه ولقى هزيمة نكراء وأسلم عسكره وأولاده ومات من اثر جرح الم به سنة ٣٣٦هـ/٩٤٨م ، وصلب وسلخ جلده ووضع بأحد الا قفاص مع قردين حتى نسفته الرياح ثم قاد الحرب بعده ابنه فضل الذى قتل على يد والى مدينة باغايه باحطيط الذى قام بارسال رأسة إلى الخليفة المنصور وهكذا تم القضاء على ثورة أبى يزيد التى كادت أن تنهى حكم الفاطميين فى إفريقية وتقضى على خلافتهم انظر جوذر : سيرة جوذر ص ٤٨ – ٥١ : الدرجينى طبقات المشائخ حـ ١ ص ٩٦ – ١٠٤ ابن عذارى : البيان حـ ١ ص ٢١٦ . أبى الفدا : المختصر ص ٩٢– ٩٣ ، ابن خلدون : العبر حـ ٤ ص ٤٠–٤٥ . ابن ابى دينار المؤنس ص ٥٤ – ٥٩ ابن أبى الضياف : اتحاف أهل الزمان ص ١٢٤ – ١٢٥. محمد محمود ادريس تاريخ الدولة الفاطمية ص ٢٦ – ٢٧ ، محمد اليعلاوى شعراء افريقيون : حوليات الجامعه التونسية عدد ١٧ سنة ٣١٧٩ ص ٤٩ ، ٥٥ ، ص ٧٠.

(١) سورة المائدة :آية رقم ١٥٧ .

(٢) ليس نظم آية كما يظهر للبعض

أما الفلوس : فتطلق على أسماء قطع النقود الصغيرة ، التى يتم اللجوء إليها فى حالــة بيع وشراء الأشياء زهيدة الثمن .والتى تقل قيمتها عن الدينار ، والدرهم ، ولا يرجع تــاريخ تلك العملة إلى تلك الفترة من العصور الوسطى، بل هى قديمة ، لكنها لم تطلق عليها اســم السكة أو النقد ، إذ لم تكن قيمتها ترقى أبداً فى أى عصر من العصور لتقــف فــى صــف الدينار أو الدرهم، خاصة لدى الدول ذات المكانة والقوة السياسية والاقتصادية (١) .

وكانت الفلوس تتدرج على أساس القاعدة السداسية ، فكان الدرهم يساوى ستة دوانق، والدانق يساوى أثنى عشر قيراطا، والقيراط يساوى أربعة وعشرين طســوجا، والطســوج يساوى ثمانية وأربعين حبة (٢) .

وكانت الفلوس تصنع من النحاس الأحمر ويتم سكها بالسكة السلطانية فكان يكتب على أحد وجهيها اسم السلطان ولقبه ، ونسبه وعلى الوجه الآخر اسم البلد الــذى ضربــت بــه، وتاريخ وسنة الضرب (٣) ولقوة الاقتصاد الفاطمى فى إفريقيــة ، لــم يلجــأ الفــاطميون ، والزيريون ، إلى ضرب تلك العملات الصغيرة المساعدة على نطاق واسع ، وذلــك خوفــاً منهم من قيام تلك العملات الصغيرة بطرد العملات الأقوى ، كالدينار والدرهم من التعــامل داخل الأسواق (٤) .

واستعملت العملات الفضية المكسرة. (٥) فى المعاملات التجارية اليسيرة رغــم أنهــا كانت تواجه الاعتراض من جانب المتعاملين. (٦) الذين اعتبروها كأنها غــير قانونيــة. (٧)

---

(١) الكرملى : النقود العربية ، ص ٧٤ .

(٢) آدم متز : الحضارة الإسلامية ، جـ٢ ، ص ٣١٩ .

(٣) ابن مماتى : قوانين الدواوين ، ص ٤٦٤ .

(٤) مايسه محمود : المسكوكات الفاطمية ، ص ٢٠ .

(٥) تعتــبر التجارة السبب الأول فى ظهور تلك العملات التى يتم اللجوء إليها فى حالة دفع الثمن عن طريق وزن العملة ، وليس عدها ، فكانت العملات أو القطع المكسرة تمثل تكملة للوزن ، وأيضــا يتم اللجوء إليها عندما يكون الشىء المباع من السلع زهيدا تافه القيمه ولا تساوى إلا ربع أو نصف درهم، ولم تكن العملات المكسرة شائعة الاستعمال فى إفريقية فقط بل فى شرق العالم الإســلامى أيضا أنظر ف . هايد : تاريخ التجارة فى الشرق الأدنى فى العصور الوسطى ط ترجمة : محمــد رضا : الهيئة المصرية العامة لكتاب : ١٩٨٥،ص٧٧. واختلف الفقهاء فى كراهية كسر النقــود. فقد اعتبر الامام مالك وأكثر فقهاء المدينة أن كسر السكة مكروة ، وهو من جملــة الفســاد فــى الإرض وينكر على من يفعل ذلك ، فقد روى عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه نهى عن كســر سكة المسلين . وكان عبدالملك بن مراوان قد قطع يد رجل قام بقطع درهم من دراهــم فــارس ،

واستعملت تلك العملات كنفقات للمنازل التى لا غنى عنها فى الحياة اليومية ، حيـــت كـــان العدد القليل من تلك العملات يكفى نفقات أى منزل خاصة مع رخص الأسعار. (١) وبـــدأت دور الضرب تتوسع فى إصدار الفلوس بداية من حكم الخليفة الفاطمى الحـــاكم بـــأمر اللـــه (٣٨٦-٤١١هـ/٩٩٨ -١٠٢٣م) وذلك لمواجهة الزيادة التى طرأت على التعاملات التجارية البسيطة :مثل أجور العمال وأثمان بعض الأقمشة التى كانت تقدر بأجزاء من الدرهم (٢) أو بالقراريط (٣) التى تقدر بالفلوس (٤) .

وعاقب إيان بن عثمان على قطع الدراهم بالضرب ثلاثين سوطاً والطواف بفاعله أمام أبو حنيفـــة وفقهاء العراق فقد ذهبوا إلى عدم كراهة كسر النقود . وقال الشافعى إن كسر السكة لحاجة غـــير مكروه اما كسرها لغير حاجة فمكروه لأن إدخال النقص على المال من نجد حاجة سفة . أما بـــن حنبل فكره أن تكسر السكة الموجود عليها اسم الله عز وجل ، وإن لم يكن عليها إسم الله عز وجل فغير مكروه . كما كان بعض القضاه مثل محمد بن عبدالله الانصارى قاضى البصره ينهى عـــن كسر السكة لتعاد تبراً على حالها مرصده للنفقة وكره البعض أيضاً كسرها لكى يتخذ منها أوانـــى وخزف . كما نهى عن أخذ اطرافها لان ذلك يعد بخساً وتطفيفاً . وكان ابن مسعود يكسر الزيوف وهو على بيت المال ، كما روى المروذى بإسناده عن علقمه بن عبدالله عن أبيه :" أن النبى صلى الله عليه وسلم نهى عن كسر سكة المسلمين الجائزة بينهم إلا من بأس " وقيل البـــأس إذا كـــانت رديئة . وقيل أيضا أن قوم شعيب عليه السلام عزبوا فى قطعهم للدراهم . وكان عليه السلام قـــد نهاهم عن حزف الدراهم ، أو قطع الدراهم . وهذا مصداقاً لقوله تعالى " أو أن نفعل فى أموالنا ما نشاء " سورة هود الآيه ٨٧ . الماوردى : الأحكام السلطانية ، ص ١٦٠ . أبى يعلـــى : الأحكـــام السلطانية ، ص ٢٠٣-٢٠٥ .

(٦) آدم متز : الحضارة الإسلامية ، جـ٢ ، ص ٣١٩ .

(٧) عبد المنعم ماجد : نظم الفاطميين ، جـ١ ،ص١٢٧ .

(١) الكرملى : النقود العربية : ص٧٦ ، محمد أمين صالح : النظم الاقتصادية ، ص ٢٩٠ .

(٢) كان عبدالملك بن مروان أول من قام بضرب النقود الإسلامية مثل الدينـــار والدرهـــم ويعتـــبر الوزن الشرعى للدرهم أن كل عشرة دراهم = ٧ دنانير من قبل الدرهم الواحد يساوى خمسون حبه وخمساحبه من الشعير ومن الدرهم تركب الرطل والقدح والصاع ومافوقه انظر الكرملى : النقود العربية ، ص ٣٩-٤٤ .

(٣) يقال فيها القراط (أى بتشديد الراء) بكسرهما يختلف وزنه بحسب البلاد ، ويجمع على قراريـــط ووزنه عند الجوهريين : نصف دانق أى أربع حبات والكلمة تعريب اليونانية Keration الكرملى : النقود العربية ، ص ٣٣ .

(٤) مايسة محمود : المسكوكات الفاطمية ، ص ٤٩-٥٠ .

وبفضل العناية الكبيرة التى لاقتها السكة فى عهد الفاطميين فقد تبوأت مكانة عالية مرموقة بين مثيلاتها من العملات الأخرى ، إن لم تكن فاقها حيث احتفظت السكة الفاطمية بقوتها منذ بداية ضربها حتى القرن الحادى عشر الميلادى فى حوض البحر المتوسط [١] .

ولم يكتف الفاطميون بضرب سكتهم العادية فقاموا بضرب عملات نقدية فى المناسبات العامة والأعياد الشهيرة مثل خميس [٢] العدس فضربت فيه الخراريب وهى دراهم خفاف مدورة تساوى ١/٨ العملة العادية ، كما كان يتم ضرب عملات نقدية فى أول العام تسمى الغرة وهى من الدنانير والدراهم المدورة أيضاً [٣] .

وهى ما يطلق عليها العملات التذكارية ، كما تم ضرب عملات نحاسية لم يكن يشترط ذكر اسم الخليفة عليها ، إذ ترك السلاطين حرية التصرف فيها وكانت تضرب على أساس أنها نقود مساعده ، لتسهيل التعامل التجارى [٤] .

الصكوك:

وشاع بجانب النقود وسائل للتعامل التجارى تسمى الحوالات المالية ،مثل الصكوك [٥] وهو فى الأصل سند الدين فكان الشخص إذا قام بشراء عقاراً أو ضيعة مثلاً كتب صكاً بها[٦] ولم يكن الصك قاصراً على اسم شخص واحد فقط بل كان يمكن أن يضم فى بعض الأحيان أكثر من شخص وفى هذه الحالة يتم كتابة أعداد الأشخاص وأسمائهم وأمام كل منهم المبلغ الذى يستحقه ثم يقوم الخليفة – السلطان- باعتماد هذا الصك عن طريق التوقيع أسفل

---

(١) ارشيبالد لويس : القوى البحرية ، ٢٥٥-٢٥٦ .

(٢) **خميس العهد** : يسميه العامة من أهل مصر خميس العدس ، وهو عيد للنصارى بمصر قبل عيد الفصح بثلاثة أيام . وهم يتبادلون الهدايا فيه . وكان من رسوم الخلافة الفاطمية فى هذا العيد ضرب خمسمائة دينار ذهباً عشرة آلاف خروبه وتقوم بتفريقها على جميع أرباب الرسوم . المقريزى : الخطط ، جـ٢ ، ص ٣٩٢ .

(٣) المقريزى : الخطط ، جـ٢ ،ص ٣٢١ ، عبدالمنعم ماجد : نظم الفاطميين جـ١، ص ١٢٨-١٢٩.

(٤) محمد محمود إدريس : تاريخ العراق ، ص ٢٢٥ .

(٥) **الصك** : يعنى الكتاب وهى كلمة فارسية ، معربة واصله جك ، وجمعه صكوك، وأصلاً وصكاكاً . وقديما كان الأمراء يعطون الناس تلك الصكوك بدلاً من النقود . وكان يتم بيعها من أجل الحصول على المال العاجل وهو من الامور المنهى عنها لأنه بيع مالم يقبض ابن منظور : لسان العرب جـ١٢، ص ٣٤٤، الرازى : مختار الصحاح ، ص ٣٦٧ .

(٦) آدم متز : الحضارة الإسلامية ، جـ٢ ، ص ٣٧٩ .

الصك حتى يتم دفع الرواتب والأرزاق. (١) وشاع استخدام هذه الصكوك فى إقليم إفريقية خلال الحكم الفاطمى وبنى زيرى حيث لجأ إليها التجار أثناء قيامهم بإتمام عملياتهم التجارية التى كانت بمبالغ كبيرة(٢) .

وكان لبلوغ التجارة الإسلامية عامه فى ذلك الوقت درجة عظيمة من القوة حيث احتلت المكانة الأولى عالمياً (٣) كما تبوأت إفريقية فى ذلك العصر مكانة تجارية مميزة وصار لها الصدارة فى الحوض الغربى البحر المتوسط نتيجة للتقدم الحضارى لها فى جانب الزراعة والصناعة وكان تجارها هم سادة البحر المتوسط يقومون بعقد الصفقات التجارية الضخمة ورغبة منهم فى مواكبة هذا التطور فى المعاملات المالية إلى جانب رغبتهم فى إيجاد وسيلة للدفع أكثر أمنا وعاقبه من النقود وتكون مقبولة من باقى التجار وليست فى حاجة إلى بذل مجهود لحملها أو حراستها ،سهلة الإخفاء من اللصوص وقطاع الطرق لجأ التجار فى إفريقية إلى استخدام تلك الحوالات (٤) .

ولم يقتصر الأمر فى استخدام الصكوك على الخلفاء أو الأمراء بل شاعت أيضاً بين الأفراد فكان الشخص الذى يريد شراء سلعة ما أيا كانت قيمتها فى قدرته شرائها دون أن يكون مضطراً لدفع قيمتها نقداً فى نفس اللحظة بل كان عليه إرسال الصك باسم السلعة وثمنها مع توقيع الصك فيقوم التاجر بالاحتفاظ بهذا الصك كوثيقة لديه وبعث السلعة إلى من يريدها ثم يأخذ منه بعد ذلك قيمتها نقداً مما أدى إلى تيسير التعامل بين جميع الأفراد والتجار والحكومة.(٥) والصك بهذه الحالة يشبه الشيك فى الوقت الحالى ويشبه أيضاً ما يطلق عليه الفيزا كارد .

---

(١) محمد محمود إدريس : تاريخ العراق ، ص ٢٢٧ .

(٢) ابن حوقل : صورة الأرض ، ص ٩٦-٩٧ .

(٣) آدم متز : الحضارة الإسلامية ، جـ٢ ، ص ٣١٢ .

(٤) نفس المرجع : جـ٢ ، ص ٣١٩ . **حوالة** : كلمة عربية ، وهى اصطلاح فى الفقه الإسلامى معناه تحويل دين من شخص إلى آخر . والحوالة اتفاق يتخلص بمقتضاه مدين من دينه بحلول آخر محلة فيه ، وهكذا أخذت كلمة " حواله " تدل على الوثيقة التى يتم بها تحويل الدين ، ثم أخذت بعد ذلك معنى الصك (الشيك) أو الاذن بالدفع لمصرف عام. انظر أ . ديتريش A.Dietrich دائرة المعارف الإسلامية ، مادة حوالة جـ١٦ ، ص ١٣٤ .

(٥) محمد محمود إدريس : تاريخ العراق ، ص ٢٢٧ .

السفاتج :

ومن وسائل التعامل التجارى الأخرى السفاتج وهى إحدى النتائج التى تمخضت عن زيادة النشاط التجارى وزيادة المعاملات وهى رقاع يقوم بكتابتها الجهابذة أو الصرافون بقيمة المبالغ التى يأخذونها منهم وهى قابلة للصرف فى أى بلد من عملائهم [١] وكان للجهابذة فى ذلك الوقت شأن كبير فى التعامل بالسفاتج والصكوك [٢] وشاع استخدام هذه الوسائل فى مناطق عدة من العالم فى ذلك الوقت من العصور الوسطى [٣] .

ولم تكن السفتجة قابلة للصرف إذا كتب على ظهرها كلمة راجعة. [٤] وكما نشأت الصكوك والسفاتج نتيجة لازدياد النشاط التجارى والمعاملات نشأ أيضاً عن استخدام تلك الوسائل ظهور الصرافين والجهابذة الذين لم يكن لهم عمل غير المال واستطاعوا كسب ثقة الناس وقاموا مقام البنوك وكان لكل جهبذ صكوكه الخاصة به التى تحمل شارته وكانوا يقومون بعلميات التسليف وقبول الحوالات والصكوك لقاء عمولة محددة تبلغ درهم عن كل دينار كما كان الصيارفة يأخذون الذهب والفضة من الناس ويعطونهم بدلا منها نقوداً تعادل تلك القيمة أى أنهم قاموا بدور الوسيط بين الناس ودور الضرب فى سبيل الاستفادة من الفرق بين المتعاملين ، وهكذا كان تعدد الوسائل المالية والتجارية من أهم وسائل تيسير التعامل بين طوائف الدولة المختلفة وراجت بفضلها الأعمال التجارية والمالية بين أقطار العالم الإسلامى من جهة وبين مراكز التجارة فى إفريقية من ناحية أخرى [٥] وكانت أسعار الفائدة على صرف الحوالات والشيكات فى العالم الإسلامى بقيمة ١٠٪ وكان لرجال المال اليهود دور هام فى عمليات الصرافة فى ذلك الوقت وكان كبار رجال الحركة المصرفية إما من أهل فارس أو من أهل البصرة وقد انتشروا فى كل مركز من مراكز التجارة .[٦] وكان للصرافين بإفريقية مكانة هامة داخل الأسواق فمكانهم معروفا للجميع داخل السوق ففى مدينة

---

(١) محمد محمود إدريس : تاريخ العراق ، ص ٢٢٧ .

(٢) متز : الحضارة الإسلامية ، جـ٢ ، ص٣٨٠ .

(٣) ناصر خسرو : سفرنامه ، ص ١٣٥ : منز الحضارة الإسلامية : جـ٢ ،ص٣٧٩ ، أحمد أمين : ظهر الإسلام ، جـ٢ الطبعة الرابعة : مكتبة النهضة المصرية ١٩٦٦م ، ص ٢٤١ .

(٤) التنوخى : الفرج بعد الشده ، جـ٣ حاشيه ٥ ، ١٨٦ .

(٥) محمد محمود إدريس : تاريخ العراق ، ص٢٢٨ -٢٢٩ .

(٦) متز : الحضارة الإسلامية جـ٢ ، ص٢٦٣ .

القيروان كان سوقهم بجوار المسجد الجامع لها ويفتح عليه أحد أبواب المسجد الذى سمى بباب الصرافين [١] .

نظم المعاملات التجارية :

تمثل الموازين والمكاييل بالإضافة إلى المثاقيل والدراهم أصول المعاملات والمبيعات داخل الأسواق ، وهى تختلف من إقليم إلى آخر. [٢] ولقد مثل الرطل بالنسبة للموازين الوحدة الأساسية للأوزان المستعملة داخل إقليم إفريقية خلال عصرى الفاطميين وبنى زيرى وكانت بغدادية. [٣] فى كل الإقليم إلا ما يوزن به القلفل الذى يشف على البغدادى بعشره دراهم وهو الغالب فى إقليم إفريقية كله [٤] .

ولقد تباين الرطل فى إفريقية من مدينة إلى أخرى ففى مدينة تنس كان رطل اللحم بها يبلغ سبع وستون أوقية ورطل سائر الأشياء اثنتان وعشرون أوقيه [٥] كما استخدم نوع من الأرطال وهو الأفريقى فى وزن اللحوم [٦] وكان الرطل بمدينة ارشقول اثنتان وعشرون أوقيه[٧] .

ولقد أبدى الخلفاء الفاطميون اهتماما كبيرا بالعناية بالموازين داخل الأسواق فكانت الأرطال تتخذ من الرصاص ويتم وضع اسم الخليفة الحاكم على كل رطل منها كعلامة مميزة لها وإعطائها صفة الشرعية لاستخدامها داخل السوق . وكلما مر الزمن على تلك الأرطال وظهرت عليها علامات الاستهلاك والنقص تمت لها إعادة صب مره أخرى كالمرة الأولى حتى وإن كانت أكثر من رطل [٨] .

ولا يتم اتخاذ تلك الأرطال من الحجارة لتعرضها للتلف بصوره أسرع من الحديد والرصاص ، أما إن لم يجد البائع غير الحجارة لضيق ذات اليد كان يتم تجليد الأرطال بأحد المعادن حتى يتم الحفاظ عليها ولا يعرضها للتلف أو النقص وتختم بخاتم المحتسب ليحق

---

(١) المقدسى : أحسن التقاسيم ، ص ٢٣١ .

(٢) الشيزرى : نهاية الرتبة ، ص١٥ ، عطية القوصى : الحضارة الإسلامية ، ص١٢٦ .

(٣) يساوى الرطل البغدادى ، ٤٠٨ جرام ، محمد أمين صالح ، النظم الاقتصادية ، ص٢٨٠ .

(٤) المقدسى : أحسن التقاسيم ، ص ٢٤٠ .

(٥) البكرى : المغرب ، ص ٦٢ .

(٦) القلقشندى : صبح الأعشى ، جـ٥،ص١١٥ .

(٧) البكرى : المغرب ، ص ٧٨ .

(٨) المقدسى : أحسن التقاسيم ، ص ٢٤٠ .

لصاحبها استخدامها فى الأوزان . [١] وعلى المحتسب أن يتفقدها من آن لآخر للتـأكد مـن سلامتها[٢] .

أما أسواق القيروان فكان رطل اللحم والتين وسائر المأكولات فيهـا يسـاوى عشـرة أرطال فلفليه. [٣] وكانت المعاملات داخل أسواق بجايه وتونس يقار بان بعضهما البعض. [٤] فكان رطل مدينة تونس يساوى اثنتا عشرة أوقيه [٥] أما رطل مدينة تلمسـان فكـان يزيـد بمقدار عشرة أوقيات [٦] عن رطل تونس حيث ساوى رطل تلمسان اثنتان وعشرون أوقيه[٧] وكان رطل اللحم بمدينة تيهرت يساوى خمسة أرطال [٨] .

المكاييل :

استخدم إقليم إفريقية المكاييل المختلفة كغيره من الأقاليم الإسـلامية والتـى اتخـذت الأسماء التى كانت سائدة فى زمن النبى صلى الله عليه وسلم بالإضافة إلى مقاديرها أيضـا عملا بقول النبى صلى الله عليه وسلم "المكيال مكيال أهل المدينة والوزن وزن أهل مكة"[٩].

واختلفت أسماء المكاييل داخل أسواق إفريقية ففى القيروان وما جاورها من مدن وقرى كان القفيز [١٠] هو وخده الكيل الأساسية وهو يساوى ثمانى [١١] ويبات والويبة تساوى أربعة

---

(١) الشيزرى : نهاية الرتبة ، ص١٩ .

(٢) أبو يعلى : الأحكام السلطانية ، ص٣٣٧ . الرطل : هو الذى يوزن أو يكال به ويزن مائه درهم أو يساوى اثنتا عشره أوقيه ، ومنه المراطله وهو بيع الذهب بالذهب والورق بـالورق انظـر المطرزى : كتاب المغرب ، ص ١٩٠ ، عطية القوصى : الحضارة الإسلامية ، ص ١٢٧ .

(٣) البكرى : المغرب ، ص ٢٧ .

(٤) القلقشندى : صبح الأعشى ، جـ٥ ، ص ١١٥ .

(٥) المقدسى : احسن التقاسيم ، ص ٢٤٠ .

(٦) كلمـة يونانية وهى تختلف فى وزنها بين منطقة وأخـرى ، عطيـة القوصـى : الحضـارة الإسلامية ، ص١٢٧ .

(٧) البكرى : المغرب ، ص ٧٨ .

(٨) نفس المصدر ، ص ٦٩ .

(٩) الطهطاوى : الدولة الإسلامية : جـ٢٤٨ ، محمد أمين : صالح النظم الاقتصادية ، ص ٢٧٩ .

(١٠) مكيال يساوى ثمانيه مكاكيك وجمعه قفزان واقفزه ، الرازى : مختار الصحاح : مادة قفر ، ص ٥٤٦.

(١١) قيل يساى ست عشرة ويبه : القلقشندى : صبح الأعشى ، جـ٥ ، ص ١١٤ .

أثمان والثمنة تساوى ستة أمداد [١] بمدا أو فى من مد النبى صلى الله عليه وسلم ومقدار تلك الزيادة فى القفيز كله أثنا عشر مداً فصار القفيز القروى ما بين مد وأربعة أمداد بمد النبـــى صلى الله عليه وسلم . ويستخدم القفيز فى معايرة الزيت وهو يساوى ثلاثة أرطال فلفليه [٢].

ومن المكايل الشائعة الاستخدام فى أسواق إفريقية "الربع" وهو وحده لكيل الزيت بمدينة صفاقس [٣] ومن المكاييل التى وجدت بإفريقية على عهد الفاطميين الدوار وهى التى تشـــف على ويبة مصر بشىء يسير قد ألجم رأسها بعارضة من حديد وأقيم عمود من قاعهـــا إلـــى العارضة ، فوقه حديد يدور على رأس الويبة فإذا أترعها أدار الحديدة فمسحت فـــم الويبـــة وصح الكيل [٤] .

ومن المكاييل أيضاً "المطر" وهو كيل يسع خمسة أقفزه من الزيت وكان يستخدمه أهل القيروان. [٥] وهناك كيل أخر يسمى "عموره" وهو يساوى ستون مدا بمد النبى صلـــى اللـــه عليه وسلم وكان يستخدمه أهل مدينة أرشقول وهو نفس الكيل الذى كان يستخدم فى أســـواق مدينة تلمسان. [٦] ويعتبر أصح الموازين وضعاً هو ما استوى جانباه واعتدلت كفتاه وكـــان ثقب علاقته فى جانبى وسط القصبة فى ثلث سمكها فيكون تحت مرود العلاقة الثلث ومـــن فوقه الثلثان. [٧] ومن أنواع المكاييل التى استخدمت بصفة أساســـية فـــى أســـواق إفريقيـــة "الصفحة" [٨] وهى مكيال مدينة تنس وتساوى الصفحة ثمانية وأربعون قادوســـاً والقـــادوس يساوى ثلاثة أمداد بمد النبى صلى الله عليه وسلم [٩] ومن المكاييل أيضـــاً "الوســـق" وهـــو خمسة أقفزه ويعادل ستون صاعا وهو فى الأصل ما يعادل حمل حمار [١٠] أو خمسة أساتير

---

(١) يساوى رطل وثلث ، وتختلف كميته وهو كلمة يونانية الاصل . الطهطاوى : الدولة الإسلامية ، ص ٢٥٠ ، عطيه القوصى : الحضارة الإسلامية ، ص ١٢٧ .

(٢) البكرى : المغرب ، ص ٢٦-٢٧ .

(٣) الحميرى : الروض ، ص ٣٦٦ .

(٤) المقدسى : أحسن التقاسيم ، ص ٢٤٠ .

(٥) البكرى : المغرب ، ص ٢٧ .

(٦) نفس المصدر ، ص ٧٨ .

(٧) الشيزرى : نهاية الرتبة ، ص ١٨ .

(٨) القلقشندى : صبح الاعشى ، جـ٥ ص ١١٤ .

(٩) البكرى : المغرب ، ص ٦٢ .

(١٠) عطية القوصى : الحضارة الإسلامية ، ص ١٢٨ .

وثلث [١] وتمت صناعة الصنج من الزجاج المطبوع [٢] وزيادة فى الاهتمـــام مـــن جـــانب الخلفاء الفاطميين بالسوق وما يجرى بها وما يستخدم فيها ولأهمية الموازين والمكاييل فـــى المعاملات فقد بادر الفاطميون بإنشاء داراً خاصة أطلقوا عليها اسم "دار العيار" مهمتها القيام بصنع الموازين والمكاييل والصنج وإجازة ما يصلح منها ، وكـــانت تقـــع تحـــت إشـــراف المحتسب الذى يقوم بالذهاب إليها هو أو نائبه لمباشرة عملية العيار بنفسه ليجيز مـــا يجـــده صالحاً ويأمر بإعادة صنع ما فسد منها، وقامت هذه الدار بصنع أمثله للموازين والمكـــاييل والصنج اتخذن إماما وأمثلة يقاس عليها ما يتم عمله من الأوزان والصنج والمكـــاييل التـــى يستخدمها الناس داخل السوق ، كما كان على باعة السوق الذهاب إلى تلك الدار بناءً علـــى أمر المحتسب ليقوموا بعملية المعايرة لما معهم فيقوم المشرفون على هذه الدار بسحب مـــا فسد أو استهلك منها ، ويقوم الباعة بشراء غيرها من نفس الدار ، ثم قامت الدولة بعد ذلـــك بإضفاء نوع من التخفيف على الباعة فأصبح فى مقدورهم إصلاح ما فسد نظير دفـــع أجـــر على ذلك ، وخضعت هذه الدار خضوعاً تاماً للحكومة لذا نجد أنهـــا تقـــوم بجميـــع أنـــواع الصرف عليها وعلى القائمين بها من توفير المعادن كالنحاس والحديد إلى جـــانب الزجـــاج والأخشاب وآلات التصنيع وأجور العمال والمشرفين [٣] وظلت هذه الدار بإفريقية فى عهـــد بنى زيرى وكانت تصنع بها نوعا من الصنج أحدهما فى شكل قطعة مدورة من الرصـــاص تزن رطلاً أى ١٦ أوقيه أو ٥٠٠جرام تقريباً والنوع الثانى فى شكل قطعـــة مـــدورة مـــن الزجاج مرسوم عليها مثقالها : إما ثلاث جرامات وهو الوزن الرسمى للدرهم تقريبـــا وامـــا خمس جرامات وهو الوزن الرسمى للدينار تقريبا [٤] .

دور المحتسب فى ضبط العملة والأسواق :

قام المحتسب بدور كبير فى ضبط الموازين والمكاييل داخل الأسواق فى إقليم إفريقية فى عهد الفاطميين وبنى زيرى ، فالحسبة من الناحية الشرعية تدور حول الأمر بـــالمعروف

---

(١) المعدانى : كتاب المغرب ، ص ٤٨٤ : الطهطاوى : الدولة الإسلامية ، ص ٢٥٠ .

(٢) المقدسى : أحسن التقاسيم ، ص ٢٢٨ .

(٣) ابن مماتى : قوانين الدواوين ، ص ٣٣٣-٣٣٤ ، القلقشندى : صبح الأعشى جـ٢ ، ص ٢٤٣ ، مصطفى مشرفه : نظم الحكم بمصر ، ص ٣٢٠-٣٢١.

(٤) أحمد ابن عامر : الدول الصنهاجية ، ص ٧٠ .

إذا ظهر تركه بين الناس والنهى عن المنكر إذا ظهر فعله بينهم[١] مما ليس من خصـــائص الولاة والقضاة وأهل الديوان ونحوهم [٢] كما تقوم بعلمية الإصلاح بين الناس. [٣] وإذا نظرنا إلى موقع الحسبة بين الوظائف الدينية الأخرى نجد أنها تمثل الواسطة بين وظيفتى القضـــاء والمظالم [٤] فالحسبة تتفق مع القضاء فى وجهين هما :-

أ- جواز الاستعداء على المستعدى عليه فى حقوق الآدميين وذلك فى ثلاثة أنواع فقط من الدعاوى هى ما يتعلق بعمليات البخس أو التطفيف فى الكيل والميزان [٥] أو ما يتعلـــق بعمليات الغش والتدليس فى الأشياء المباعة أو أثمانها [٦] أو ما يتعلق بتأخير الديون وعـــدم دفع المدينين لما عليهم من ديون لمستحقيها مع قدرتهم على ذلك [٧] وجاز للمحتسب النظـــر فى تلك الدعاوى لتعلقها بمعروف بين مندوب لإقامته وتعلقها بمنكر ظاهر مندوب لإزالته .

ب- إلزام المدعى عليه الخروج من الحق الذى عليه وذلك فى الحقوق التى يجوز فيها للمحتسب سماع الدعوى إذا وجبت باعتراف مع القدرة وذلك لكون تأخيرها من المنكـــرات التى يختص بإزالتها . كما تختلف الحسبة والقضاء فى أمرين هما :-

---

(١) الماوردى : الأحكام السلطانية ، ص ٢٤٧ . أبى عبدالله محمد بن أبى بكر الزرعى الدمشـــقى ابن قيم الجوزية : الطرق الحكمية فى السياسة الشرعية أو الفراسة المرضية فى أحكام السياسة الشرعية : تحقيق محمد حامد الفقى : دار الكتب العلمية بيروت ، ص ٢٣٧ . النويرى : نهاية الأرب فى فنون الادب ، جـ٧ ، ص ٢٩١

(٢) تقى الدين ابن تيميه : الحسبة فى الإسلام : تحقيق محمد زهرى النجار : منشورات المؤسســة السعيدية بالرياض لصاحبها فهد بن عبدالعزيز السعيد ،١٩٧٤ ، ص ٢٦ .

(٣) الشيزرى : نهاية الرتبة ، ص ٦ .

(٤) النويرى : نهاية الأرب ،جـ٦ ، ص ٢٩١ .

(٥) "ويل للمطففين الذين إذا اكتالوا على الناس يستوفون وإذا كالوهم أو وزنوهم يخسرون " قـــرآن كريم سورة المطففين آيه رقم ١-٢ وقال تعالى . " اوفوا الكيل ولاتكونـــوا مـــن المخســـرين . وزنوا بالقسطاس المستقيم " سورة الشعراء ١٨١ -١٨٢ .

(٦) قال تعالى " ولا تبخسوا الناس أشياءهم " سورة الشعراء آية ١٨٣ .

(٧) قال تعالى "أن الله يأمركم أن تؤدوا الامانات إلى أهلها . سورة النساء آيه ٤ " ولاتخونوا اللـــه وتخونوا اماناتكم . سورة الانفال آيه ٨ " والذين هـــم لأماناتهم وعهدهـــم راعـــون . ســـورة المؤمنون آيه ٢٣ ، سورة المعارج آيه ٧.

أ- قصورها عن سماع عموم الدعاوى الخارجية عن ظواهر المنكرات كدعاوى العقود والمعاملات إلا أن يرد للمحتسب نص صريح بذلك وهنا يكون قد جمع بين وظيفتى القضاء والحسبة .

ب- أن الحسبة مقصورة على الحقوق المعترف بها فأما ما يدخله التجاحد والتناكر فلا يجوز له النظر فيها فلا يجوز للمحتسب سماع البينة على إثبات الحقوق أو أن يقوم بتحليف الشخص لنفى الحق . وهناك أمران تزيد فيهما الحسبة عن القضاء هما :-

أ- يجوز للمحتسب التأكد (التصفح) مما يأمر به من المعروف وما ينهى عنه من منكر حتى وإن لم يحضر أحد للاستعداء ب- أن للمحتسب استخدام كل ما من شأنه أن يؤدى إلى إتقان عمله من قوة السلطة والغلظه وذلك فيما يتعلق بالأمور المنكرة [١] فالحسبة إذا خادمه لمنصب القضاء [٢] . وهى أيضا واسطة بين أحكام القضاء وأحكام المظالم [٣] .

أما ما يتعلق بالاتفاق والاختلاف فيما بين الحسبة والمظالم فهما يتفقان فى أمرين همـا أن الحسبة والمظالم موضوعها مستقر على الرهبة المختصة بسلاطة السلطنة وقوة الصرامة كما يتفقان فى جواز التعرض فيهما لأسباب التصالح والتطلع إلى إنكار العدوان الظاهر . إلا أنهما يختلفان فى أمرين هما أن ولاية المظالم أعلى رتبة من الحسبة ويجوز لوالى المظـالم أن يوقع إلى والى الحسبة والقاضى أيضاً ، ولا يجوز ذلك للمحتسب ، وأن النظر فى الحسبة موضوع لما رفه عنه القضاة ، أما النظر فى المظالم فهو موضوع لما عجز عنـه القضـاة ثانيا أنه يجوز لوالى المظالم أن يحكم ولا يجوز ذلك لوالى الحسـبة [٤] ويمكـن القـول أن الفرق بين واجبات المحتسب وواجبات القاضى ورئيس الشرطة (المظالم) لم يكـن محـدداً تحديداً دقيقاً والفارق بينها فى بعض الأمور لا يرتبط بطبيعتها الجوهرية بمقدار ما يرتبـط

---

(١) أبو يعلـى : الأحكـام السـلطانية ، ص٣٢٢-٣٢٣ ، النويـرى : نهايـة الأرب ، جـ٦ ، ص٢٩٣-٢٩٥.

(٢) ابن خلدون المقدمة ، ص ١٥٨ ، بذمى انصارى ، دائرة المعارف : مادة حسـبه ، ص ١٤ ، ص ٢٨٧.

(٣) ابن خلدون : المقدمة ، ص ٣٢٢ .

(٤) الماوردى : الأحكام السلطانية ، ص٢٤٩-٢٥٠ ، النويرى : نهاية الأرب ، جـ٦ ، ص ٢٩٥.

بالأسلوب الذى يمارسونه [١] فكثير من الأمور الدينية تكون مشتركة بين ولاة الأمر فمن قام منهم بأداء ما أشار إليه الدين وجب على الناس طاعته [٢] .

وكما اهتم الفقهاء بتعريف الحسبة اهتم اللغويون بتعريفها أيضاً فقيل إن الحسبة من مصدر احتسابك الأجر على الله تعالى ، وهى اسم من الاحتساب كالعدة من الاعتداد ، والاحتساب هو طلب الأجر، ويكون فى الأعمال الصالحة وعند المكروهات ، وهو يعنى البدار أو الإسراع إلى طلب الأجر وتحصيله ، كما تعنى التجسس والإنكار [٣] ولها معان أخرى مثل الانتقام والرضى والانتهاء وحسن التدبير والكفاية [٤] واختلفت الآراء حول أول من أحدث الحسبة ، فالبعض يرجعها إلى عهد النبى صلى الله عليه وسلم وإلى الخلفاء الراشدين استناداً إلى ما جاء فى القرآن [٥] والسنة النبوية وأن الرسول صلى الله عليه وسلم جعل للسوق شخص قائم به [٦] ومن بعده الخلفاء الراشدين . وهناك البعض الذين يشيرون إلى أن الحسبة كاصطلاح لم توجد فى عهد الرسول (ص) ولا الخلفاء الراشدين من بعده، بل كانت أعمالها فقط أما الحسبة كاصطلاح إدارى فقد وجدت بعد ذلك فى أواخر الدولة الأموية أثناء خلافة هشام بن عبدالملك (١٠٥-١٢٥هـ ٧٢٤-٧٤٣م) بالتحديد [٧] ثم تلاهم الخلفاء العباسيون فى تعيين المحتسب بالأسواق فكان هناك محتسب مختص بالزنادقة وكان

---

(١) بذمى انصارى : دائرة المعارف الإسلامية : ماده حسبه ، جـ ١٤ ، ص٢٨٤-٢٨٥ .

(٢) ابن تيمية : الحسبة فى الإسلام : ص ٢٦ .

(٣) ابن منظور : لسان العرب مادة حسبة ، ص٨٦٧-٨٦٨، محمد مرتضى الزبيدى : تاج العروس من جواهر القاموس : مطبعة مكرمة : الكويت ، سنة١٩٦٦م جـ٢ ، ص ٢٧٥ .

(٤) مجد الدين محمد ابن يعقوب الفيروزيادى الشيرازى : القاموس المحيط : بيروت للطباعة والنشر بيروت ١٩٧٩م مادة حسبه ، ص ٥٤:٥٥ الرازى : مختار الصحاح : ١٣٤-١٣٥ .

(٥) "وإن يريدوا أن يخدعوك فإن حسبك الله "سورة الانفال آيه ٨ " يا أيها النبى حسبك الله ومن اتبعك من المؤمنين " نفس السورة والآية ، وانظر محمد فؤاد عبد الباقى : المعجم المفهرسى لالفاظ القرآن الكريم : دار الحديث: ١٩٨٧م ، ص٢٠٠، ٢٠١ .

(٦) قال أبوعمر بن عبدالبر: واستعمل رسول الله (ص) سعيد بن سعيد بن العاصى بن أميه -بعد الفتح- على سوق مكة " وكان السائب بن يزيد وعبدالله بن عنبه بن مسعود عاملين على سوق المدينة فى عهد الخليفة عمر بن الخطاب رضى الله عنه - الطهطاوى : الدولة الإسلامية ، ص ١٥٤، عبدالله محمد عبدالله - ولاية الحسبة فى الإسلام : الطبعة الأولى ، مكتبة الزهراء : القاهرة ، ١٩٩٦م ص١٠١ .

(٧) سهام مصطفى أبوزيد : الحسبة فى مصر الإسلامية ، القاهرة ، ١٩٩٩ ص٤١.

ذلك أول مره يظهر فيها موظف يطلق عليه اسم محتسب وذلك فى عهد الخليفـــة العباســـى المهدى ١٥٨-١٦٩هـــ ٧٧٨-٦٨٩م (١) وكان يسمى عمر الكلواذى (٢) .

وهناك من يرجع نظام الحسبة إلى عصر الدولة البيزنطية (٣) أو الإغريقيـــة (٤) ومـــن الأسباب التى أدت إلى إحداث الحسبة رغبة الولاة فى تفادى التضارب فيمـــا بيـــن الأقـــاليم المختلفة ، والعمل على توحيد نظام الدولة الإدارى لزيادة النشاط الاقتصـــادى فـــى الدولـــة الإسلامية بعد فتح بلاد فارس والروم ووفود كثيراً مـــن العمـــال، والصنـــاع ، وأصحـــاب الحرف، منها إلى المدن الإسلامية المختلفة (٥) ومنها مصلحة الناس فى الاجتماع والتعـــاون على جلب المنافع والتناصر على دفع المضار (٦) ولهذا فقد تعدت الحسبة أصلها الدينى إلـــى الواجبات العملية التى تتفق والمصالح العامة للمسلمين ، لكون معظم ســـكان المـــدن مـــن أصحاب الحرف والتجارة فلم تعد الحسبة تراقب الأخلاق فقط ، بل قامت بمراقبة الغش فى الصناعة المعاملة وصار ذلك الموضوع الأساسى للحسبة (٧) وتعد الحسبة مـــن الوظـــائف الدينية الهامة التى يتولاها القائم بأمور المسلمين ، ثم أفردت بعد ذلك كوظيفة قائمة بذاتهـــا عند انفصال وظيفة السلطان عن الخلافة ، ولقد تبوأت الحسبة لدى الفاطميين مكانة عظيمة ، فكانوا يسندونها إلى قضاتهم لجلالة قدرها عندهم (٨) وللحسبة خمسة مراتـــب هـــى :- ١- التعريف ٢- الوعظ بالكلام اللطيف ٣- السب والتعنيف بغير فحش ٤- المنع بالقهر بطريقة المباشرة ككسر الملاهى وإراقة الخمر واختطاف الثوب الحرير من لابسة ، واستلاب الثوب المسلوب منه ورده على صاحبه ٥- التخويف والتهديد بالضرب ومباشرة الضرب له حتـــى يمتنع عما هو عليه كالمواظب على الغيبة والقذف (٩) وكما حظيت الحسبة بالمكانة العاليـــة المرموقة داخل إطار الدولة الإسلامية انعكس ذلك بدوره على الشخص الذى تسند إليه هـــذه

---

(١) حسن إبراهيم : تاريخ الإسلام ، جـ٢ ، ص ٢٢٩ .

(٢) ابن كثير : البداية والنهاية ، جـ١٠، ص١٥٩ .

(٣) سهام مصطفى : الحسبة فى مصر الإسلامية ، ص٤٩ .

(٤) بذمى انصارى : دائرة المعرف : مادة حسبة ، جـ١٤، ص٢٨٤.

(٥) عبدالله محمد : ولاية الحسبة ، ص١٠١ .

(٦) أحمد مصطفى المراغى : الحسبة فى الإسلام ،ص٨ .

(٧) عبدالمنعم ماجد : نظم الفاطميين جـ١،ص ١٦٢ المراغى : الحسبة فى الإسلام ، ص٥،٦ .

(٨) ابـــن خلدون : المقدمة ، ص١٥٨ ، محمد حسنى عبدالحميد ، الحســـبه والمحاســـبه ، مكتبـــة ...... ، القاهرة ١٩٤٨ ، ص ٧ .

(٩) الغزالى : احياء علوم الدين جـ٢ ، ص ٤٦٩ .

الوظيفة حيث وضعت له كثيرا من الشروط والقواعد والآداب التى يجب أن تتوفر به حتى يكون جديراً بتولى هذا المنصب الدينى الخطير وهذه الشروط اللازمة فى كل من يتولى أمر الحسبة فى كل زمان ومكان فى مختلف المناطق فيجب على المحتسب أن يكون مكلفاً من أولى الأمر مسلماً قادراً. (١) خبيراً عدلاً ذا رأى وصرامة وخشونه فى الدين وعلم بالمنكرات الظاهرة. (٢) من وجوه العدول وأعيانهم. (٣) فقيهاً عارفاً بأحكام الشريعة وأن تكون أفعاله وأقواله خالصة لوجه الله تعالى وأن يقوم بكل السنن المأخوذة عن النبى (ص) ويتحلى بالرفق ولين القول وسماحة الوجه وسهولة الأخلاق وأن يعف يده عن أموال الناس برفض الهدايا والرشاوى (٤) من المتعيشين وأرباب الصناعات ، لقول رسول الله "ص" : كل لحم نبت من السحت فالنار أولى به قيل : وما السحت يا رسول الله ؟ قال الرشوة " فى الحكم.(٥)

وبلغت الحسبة فى العهد الفاطمى درجة مرموقة حتى أن بعض الخلفاء كالحاكم بأمر الله قد تولى هذه الوظيفة بنفسه لعموم صلاحها وجزيل ثوابها (٦) وهى من الوظائف التى يتم توليتها بالإرادة بعد عرضها من جانب ولى الأمر (٧) وكان أبوعبدالله الشيعى أول محتسب فى الدولة الفاطمية وكان يطلق عليه أبوعبدالله المحتسب، (٨) أما أول من تولى الحسبة فى إفريقية بعد دخول أبى عبدالله الشيعى هو الحسن بن أحمد المعروف بابن أبى خنزير وأمره أبوعبدالله بقتل من خرج ليلا، أو يشرب الخمر، أو يحملها أو من وجدت عنده (٩) ثم تولى

---

(١) الغزالى : إحياء علوم الدين ، جـ٢ ، ص ٤٦٥ .

(٢) أبو يعلى : الأحكام السلطانية ، ص٣٢٢، بزمى انصارى: دائرة المعارف : مادة حسبه ،جـ١٤ ، ص٢٨٦.

(٣) القلقشندى : صبح الأعشى ،جـ٣ ،ص٤٨٣ ، جرجى زيدان : تاريخ التمدن ، جـ١ ،ص٢٥٠.

(٤) الشيزرى : نهاية الرتبة ، ص٦ وما بعدها ، عطية مشرفة : نظم الحكم بمصر ، ص٣١٦-٣١٧.

(٥) الطهطاوى : الدولة الإسلامية ،ص١٥٠ .

(٦) مجهول : سيرة الحاكم وحمزه بن على مخطط ، ورقة ٧٧ . عطيه مشرفه : نظم الحكم بمصر ، ص٣١٧ .

(٧) ابن خلدون : المقدمة ، ص١٥٨ ، حسن ابراهيم : المعز لدين الله ، ص٢٠١ .

(٨) ابن خلدون : العبر ، جـ٤ ، ص٣١ ، ابن عذارى : البيان جـ١ ، ١٢٥ .

(٩) ابن عزارى : البيان ، جـ١ ، ص ١٥١ .

الحسبة فى عهد المهدى محمد بن أبى سعيد (١) وأنشأ الفاطميون دار المحاسبات بمدينة المهدية (٢)

دور المحتسب الأسواق :

استمد المحتسب قوة وسلطاناً كبيرين استناداً إلى قوة الحسبة المستمدة بدورها من القرآن الكريم " ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون " (٣) وقوله تعالى " وتعاونوا على البر والتقوى ولاتعاونوا على الإثم والعدوان"(٤) .

إلى جانب ماورد من الأحاديث النبوية الشريفة قال صلى الله عليه وسلم : " من رأى منكم منكراً فليغيره بيده ، فإن لم يستطع فبلسانه ، فإن لم يستطع فبقلبه ، وذلك أضعف الإيمان"

وينبغى للمحتسب ألا يقوم بمحاباة ولى الأمر فيما يراه من الأمور المنكرة، وعلى ولى الأمر أن يكون أول من يمتثل ولا يعارض حتى يكون قدوة حسنة لمن خلفه ، وأن يبادر بمعاضدة المحتسب فى قراراته (٥) .

وتعددت الأعمال التى يقوم بها المحتسب فى كافة نواحى الحياة ، مثل البحث عن المنكرات ، والتعذير ، والتأديب وحمل الناس على المصالح العامة كالمنع من المضايقة فى الطرقات ، ومنع الحمالين وأهل السفن من الإكثار فى الحمل ، والحكم على أهل المبانى المتداعية للسقوط يهدمها وإزالة ما يتوقع من ضررها على السابلة .. الخ (٦) ولهذا فإن الحسبة تقع على كل شىء منكر موجود فى الحال ظاهراً للمحتسب بغير تجسس معلوم كونه منكراً بغير اجتهاد (٧) ولقد حظى السوق باهتمام كبير من جانب المحتسب والذى كان يطلق

---

(١) ابن عزارى : البيان ، جـ١ ، ص ١٦٧.

(٢) البكرى : المغرب ، ص ٣٠ .

(٣) سورة آل عمران : أية ١٠٤ .

(٤) سورة المائدة آية ٢ .

(٥) الشيزرى : نهاية الرتبة ، ص ٨ .

(٦) محمد حسنى عبدالحميد : الحسبة والمحاسبة ، ص ٧ ، حسن ابراهيم : تاريخ الإسلام جـ٢ ، ص ٣٠٠ ، جرجى زيدان ، تاريخ التمدن جـ١ ، ص ٢٥٠ ، احمد عبدالرازق ، الحضارة الإسلامية ، ص١١٤ .

(٧) الغزالى : احياء علوم الدين ، جـ٢، ص ٤٨٢.

عليه فى إفريقية اسم صاحب السوق ،[١] فله المحافظة على السوق نظيفاً ، فلا يسمح لأحد من أصحاب المحلات بإلقاء القاذورات فى الطريق ، ولا أن يعمل مصطبة له أمام دكانه ينشأ عنها تضييق الطريق على رواد السوق ولا يعمل على إخراج مجارى الأوساخ إلى الطريق ، كما عليه أن يأمر أهل السوق بكنسها وتنظيفها [٢] ومن واجبه أيضاً منع الباعة بالبيع بأسعار مختلفة لرواد السوق [٣] القيام بزيارات مفاجئة من غير إعداد ، ولا ترتيب ، ولا إشعار للسوق ليتعرف على كل أحوال السوق بنفسه ويمنع التاجر من أن يبيع للشخص المماكس – الذى يقوم بالفصال ، ثم يقوم ببيع نفس السلعة للشخص المسترسل – الذى لا يعرف الثمن ولا يقوم بالفصال – بسعر آخر لنهى الرسول صلى الله عليه وسلم عن ذلك بقوله " غبن المسترسل ربا " وبعد ذلك فى منزلة تلقى السلع [٤] وله المنع من المعاملات المنكرة كالربا وما فى حكمها من أنواع البيوع الفاسدة وكل ما منع الشرع منه حتى وإن تراضى البائع والمشترى على ذلك[٥] واتخاذ الأعوان والمساعدين – العرفاء – من أصحاب الأمانة والخبرة فى الصناعات المختلفة للإشراف على الصناع ومنع الغش وإطلاع المحتسب على كل ما يدور داخل السوق وما هو فى حاجة إلى معرفته من فنون الصنعة وغيرها [٦] لعدم قدرة المحتسب بمفرده بالإطلاع على كل ما يدور داخل السوق من أمر، وفى نفس الوقت فإن العريف يقوم بنقل الأوامر والتعاليم التى تصدرها الحكومة إلى التجار كما يقوم العريف بالإنفاق على الأجور التى يتم دفعها لأهل الطوائف المختلفة قبل قيامهم بالعمل ، إلى جانب قيامه بفض النزاعات البسيطة التى قد تنشأ بين الأفراد وله فى مقابل ذلك نسبة من أجور العمال وإيراد أصحاب المصانع [٧] .

---

(١) ابن عزارى : البيان جـ١ ، ص١٦٧ .

(٢) الشيزرى : نهاية الرتبة ، ص ١٤ .

(٣) ابن تيميه : الحسبة فى الإسلام ، ص ٣٦ . ابن قيم الجوزية : الطرق الحكمية ، ٢٤٣ .

(٤) الطهطاوى : الدولة الإسلامية ، ص١٤٩ .

(٥) النويرى : نهاية الارب ، جـ٦ ، ص٣٠٧ .

(٦) الشيزرى : نهاية الرتبة ، ص١٢، بزمى انصارى ، دائرة المعارف ، مادة حسبة ، جـ٤،ص٢٨٧.

(٧) راشد البراوى : حالة مصر الاقتصادية فى عصر الفاطميين ، مكتبة ، القاهرة ، ص١٩٣-١٩٤ .

كما يقوم المحتسب بمنع أحمال الحطب ، والتبن ، وكل ذى رائحة كريهة من دخـــول السوق حتى لا تسبب ضرراً للناس (١) والعمل على منع من يقوم بالتعـــامل مـــع النســـاء إذ أظهرت عليه علامات الفسوق والفجور وتأديبه ومنعه من المعاملة. (٢) وعدم السماح للتجار باحتكار الطعام داخل الأسواق (٣) وإلزامهم ببيع ما لديهم لنهى النبى (ص) عن الاحتكار (٤) فقال: "لا يحتكر إلا خاطئ (٥) " وللمحتسب المنع من بيع الألعاب التى يلهـــو بهـــا الأطفـــال والمنع من بيع الأوانى الذهبية والفضية والملابس الحريرية للرجال أو الملابـــس القصـــيرة المبتذلة وغيرها (٦) ولابد للمحتسب من معرفة أصول المبيعات والمعاملات داخل السوق من قناطير وأرطال ومثاقيل ودراهم وأن يكون على معرفة تامة بها وكميتها وذلك حتـــى تتـــم المعاملة داخل السوق من غير غبن أو غش على الوجه الذى حققه الشرع (٧) ولـــه القيـــام باختبارها إن استراب بها ويمنع من تطفيف الميزان والمكيال أو البخـــس فيهـــا (٨) وكـــان للمحتسب مكاناً ظاهراً واضحاً وسط السوق يطلق عليه العتبة العلية (٩) .

وأخيراً . يمكن القول أن المحتسب كانت له اليد العليا والأمر النافذ والسلطان الـــذى لا يقهر فيما يختص بكل ما يتصل بالأسواق ودوره لا ينكر وقد أفاضت كتب الحســـبة وبينـــت دور المحتسب بصورة ممتازة لاتدع لشخص أن يأتى بأحسن منها (١٠).

---

(١) الشيزرى : نهاية الرتبة ، ص ١٣ ، احمد عبدالرازق : الحضارة الإسلامية ، ص ١١٤ .

(٢) أبو يعلى : الأحكام السلطانية ، ص ٣٤٥.

(٣) الشيزرى : نهاية الرتبة ، ص ١٢ .

(٤) عطيه مشرفه : نظم الحكم ، ص ٣٢٣ . الإحتكار : يعنى قيام التاجر بشراء السلع التى يحتـــاج إليها الناس ويقوم بتخزينها حتى يرتفع السعر، ثم يقوم ببيعها مما يمثل عبئا علـــى المشـــترين ولولى الأمر فى ذلك أن يجبر هذا التاجر على بيع هذه السلع بقيمة المثـــل وقـــد كـــره الفقهـــاء الاحتكار ورخصوا فى قيام الشخص يأخذ الطعام من التاجر المحتكر حتى وإن لم يـــرد بيعهـــا وذلك بثمن قيمة المثل لها. ابن تيميه: الحسبه فى الإسلام ص ٣٧-٣٨ .

(٥) ابن قيم الجوزيه : الطرق الحكيمة ، ص ٢٤٣ . ابن تيميه : الحسبه فى الإسلام ، ص ٣٧ .

(٦) الغزالى : أحياء علوم الدين ، جـ٢ ص٥٠٢ .

(٧) الشيزرى : نهاية الرتبة ، ص١٥ ، ابن تيميه : الحية فى الإسلام ، ص٢٨-٢٩ .

(٨) أبو يعلى : الأحكام السلطانية ، ص٣٣٧ .

(٩) عثمان الكعاك : الحضارة العربية ، ص٩٣-٩٤.

(١٠) بزمى أنصارى : دائرة المعارف : حسبه ، جـ١٤ ،ص٢٨١-٢٨٣.

وبصرف النظر عن واجب المحتسب نحو السوق ، فإن عمل المحتسب يمكن تقسيمها إلى ثلاث مجموعات هى أولا : أن المحتسب عليه مراقبة أداء الفرائض الدينية كحضور صلاة الجماعة ، والاستعمال الحسن واللائق للمساجد ، وصيانتها من كل ما من شأنه أن يحط من منزلتها وقدرها ثانيا : الاحتشام فى السلوك بين الرجل والمرأة فى الأماكن العامة كالشوارع والحمامات ثالثا : التمييز بين المسلمين وغير المسلمين داخل المجتمع (١) وكثيرا ما كان يجمع الشخص الواحد إما بين وظيفتى القاضى والمحتسب أو الشرطة والحسبة (٢) .

ومثل المحتسب الوسيلة التى بواسطتها تستطيع الحكومة السيطرة على الأسعار والتحكم فى مستوى الإنتاج الصناعى داخل الأسواق ، فالمحتسب هو العين الساهرة والمحافظة على كل ما يمت إلى السوق بصلة ، وعليه أيضا منع التجار من تلقى السلع قبل مجيئها إلى السوق حتى لا يقوموا بتغرير البائع لعدم معرفته بالسعر السائد فى السوق (٣) .

النشاط التجارى وأثره على نواحى الحياة فى إفريقية (٤) .

إن النشاط التجارى الضخم الذى تمتعت به إفريقية خلال فترة حكم الفاطميين حتى انتقالهم إلى مصر ٣٦٢هـ/٩٧٤م فى عهد المعز لدين الله ، وخلال فترة حكم بنى زيرى الذين حملوا الراية وأكملوا وأتموا ما بدأه أسلافهم من عناية واهتمام كبير بطرق التجارة ووسائلها حتى غدت إفريقية فى عهدهم تتبوأ أعلى درجات التقدم الحضارى وأوجها فبلغت منتهى العز الشامخ والبذخ الأقعس (٥) وجعلوا من إفريقية أهم المناطق التجارية التى يرنوا إليها التجار بأبصارهم ويقصدونها من كل فج وصوب (٦) هذا النشاط التجارى الذى جذب إليه أولى الأمر من الخلفاء وأقربائهم ورجال دولتهم (٧) مما كان له أكبر الأثر فى جميع

---

(١) بزمى أنصارى : دائرة المعارف : حسبه ، جـ١٤ ، ص ٢٨٥ .

(٢) نفس المرجع ، جـ ١٤ ، ص٢٨٧ .

(٣) ابن تيميه : الحسبة فى الإسلام ، ص ٣٦-٣٧.

(٤) أرشيبالد لويس : القوى البحرية : ص٢٥٤،٢٥٥-٢٧٠،٢٧١.

(٥) حسن عبدالوهاب : شهيرات التونسيات ، ص٣٧-٣٨ ، أرشيبالد لويس القوى البحرية ، ص٢٥٤-٢٥٥،٣٣٠ .

(٦) ابن حوقل : صورة الأرض ، ص٦٩،٧١،٩٦ ، مجهول الاستبصار ، ص٧،٩،١٥،١٦،٤٠ البكرى المغرب ، ص ٤٩ ، الحميرى : الروض المعطار ، ص٣٦٦،٣٦٩ ، ارشيبالد لويس : القوى البحرية : ص٢٥٣ .

(٧) جوذر : سيرة جوذر ، ص ١٢١-١٢٧ ، أرشيبالد لويس ، القوى البحرية ، ص٢٥٣ .

نواحى الحياة بإفريقية خاصة الحياة الاقتصادية والاجتماعية . فمن آثار النشاط التجارى على نواحى الحياة الاجتماعية بإفريقية هو قدرة الكثيرين من التجار على إقتناء السفن التجارية لنقل السلع والبضائع بين أسواق وموانئ إفريقية وخارجها خاصة تجار مدن سوسة ، (١) وطرابلس (٢) وغيرهما من تجار المدن الأخرى . (٣) كما انعكس أثر النشاط التجارى بشكل هام على الناحية العمرانية فى اتخاذ المبانى المنيفة المونقة ذات الزخارف الجميلة والقصور المزيفة كأحد المظاهر الاجتماعية الهامة المتولدة عن النشاط التجارى وظهر ذلك فى طول إفريقية وعرضها ففى مدينة تونس كانت مبانيها حسنة المنظر مونقة عجيبة ، حيث استخدم الأهالى الرخام فى تزينها وتنميقها من الخارج فكان لكل منزل بها لوحان من الرخام، قائمين بجانب الباب وآخر فوقهما مكان العتبة (٤) ولم يكن أثر النشاط التجارى بالعاصمة المهدية بأقل ظهوراً عنه فى المدن الأخرى فكثرت بالمهدية القصور والمنازل النظيفة (٥) كما ألقى النشاط التجارى بأثره الحسن على مدنية القيروان المدينة التجارية المركزية " فلم يهمل أهلها العناية بمنازلهم ودورهم فقاموا بزخفرتها ، وتزيينها ، وتنميقها ، ووجهوا عنايتهم إليها من كافة الوجوه ،حتى أصبحت أحسن منازل أهل إفريقية (٦) واتسع عمرانها وانتشرت بها حياة الدعة والبذخ والرخاء وتخللتها المبانى الحضرية والحمامات التى تفنن أهلها فى بنائها ونظافتها كما أحبطت المدينة بالبساتين وامتدت حولها الضواحى الزاهرة بها كالمنصورية ورقادة وحلولا والعباسية وقلشانه والتى لم تكن حياة التحضر والرقى بها بأقل من القيروان(٧) وبمدينة القلعة كان النشاط التجارى بها أفضل الأثر فى جعلها أحسن المدن قصوراً ومنازل(٨) .

ومن الآثار الحسنة للنشاط التجارى على الناحية الاجتماعية قيام كثيراً من النجار بإقامة وتملك الفنادق فى مدن إفريقية (٩).

---

(١) الهادى إدريس :الدولة الصنهاجية ، جـ١ ، ص ٢٦٤.

(٢) ابن عزارى : البيان ، جـ١ ، ص ١٦٩ .

(٣) الخشنى : قضاة قرطبة ، ص٢٨٤ ، مجهول الاستبصار ، ص ١٨ .

(٤) البكرى : المغرب ، ص٤٠ .

(٥) ابن حوقل : صورة الأرض ، ص ٩٦ .

(٦) نفس المصدر : ص ٩٤ .

(٧) احمد ابن عامر : الدولة الصهاجية ، ص ٥٧-٥٨ .

(٨) الحميرى : الروض المعطار ، ص ٤٦٩ .

(٩) ابن عزارى : البيان ، جـ١ ،ص١٦٩ .

وبمدينة سجلماسه كان أثر النشاط التجارى واضحاً جلياً فى جميع نواحيها الاجتماعية فأقيمت بها القصور العالية التى تشبه قصور مدينة الكوفة ذات أبواب رفيعة ، وجعل النشاط التجارى أهالى سجلماسة متميزون فى ملابسهم حتى فاقوا أهل المغرب فى هذه الناحية كما ساعدهم على طلب العلم وصارت لهم مروءة وسماحة ورجاحة وغير ذلك من الأمور [١] كما كان للنشاط التجارى آثاره الحسنة الملموسة على أهالى مدينة طرابلس فصاروا متميزون مرموقون بالنسبة لمن جاورهم من أهالى المدن الأخرى وتميزوا بنظافة الأعراض والثياب والأحوال يرتدون الملابس الجميلة ويقتصدون فى معاشهم وهم حسنوا العشرة ذوى سماحة كثيرة ويتميزون بمعاملتهم الحسنة ، وطاعة سلطانهم ، وقيامهم ببناء الأربطة وحبهم للغير من الغرباء [٢] .

ومن آثار النشاط التجارى على الحياة الاجتماعية بإفريقية هو كثرة جلب الرقيق بأعداد كثيرة سواء للاشتغال فى الزراعة ، أم داخل قصور الحكام والأمراء ، ومنازل الأهالى ، خاصة وأن كثيراً من هؤلاء الرقيق كان يتقن الحرف الصناعية [٣] ولا شك فقد أدى تنوع الرقيق إلى جلب عادات وتقاليد اجتماعية كثيرة إلى إفريقية . وكما كان للنشاط التجارى أثره الحسن على الحياة الاجتماعية فى كثير من المناطق إلا أنه فى البعض منها كان له الأثر السيئ على العادات الاجتماعية ففى مدينة مرسى الخرز كان شرب الخمر والمسكرات وظهور الخلاعة والمجون أحد هذه التأثيرات [٤] .

ومن الآثار الحسنة ذات القيمة للنشاط التجارى ربط مناطق إفريقية المختلفة ببعضها البعض ، وكذلك التقدم الصناعى والحرفى ، وجلب بعض المأكولات الأجنبية مثل الشعرية vermicelli المكرونه الرقيقة غير المثقوبة [٥] وبصفة عامة يمكن القول أن النشاط التجارى كان له أثره الخاص فى تطور الأبحاث العلمية بكافة صورها إلى جانب تغذية الفقهاء بالمسائل الفقهية المختلفة التى تنشأ بين التجار ، كما أحيت لدى البعض كثرة المغامرات وجعلت الكثير منهم يهتم بالنواحى الخاصة بالعلوم المختلفة كالجغرافيا والكيمياء [٦] .

---

(١) ابن حوقل : صورة الأرض ، ص٩٠،٩٦ .

(٢) نفس المصدر ، ص ٧٢ .

(٣) جوذر : سيرة جوذر ، ص ٥٢ .

(٤) ابن حوقل : صورة الأرض ، ص ٧٧ .

(٥) مارتينو ماريو : الملسمون فى صقلية ، ص٣٥ .

(٦) جمال الدين سرور : تاريخ الحضارة ، ص ١٦٥ .

كما أثر النشاط الاقتصادى على حياة أهالى إفريقية، فأدى إلى تنوع ملابسهم ،حيث كانت لهم عناية واهتمام بالغين بملابسهم ساعدهم على ذلك التنوع الكبير فى أنواعها من حيث الخامة أو من حيث الألوان والصباغة فكان التجار بمدينة برقه يتميزون عن باقى أهالى إفريقية بثيابهم الحمراء [١] .

وكان الكثير من أهالى إفريقية يرتدون الملابس الحسنة المونقة التى كانت تأخذ نصيباً كبيراً من أموالهم حتى وإن كان هذا على حساب قوتهم [٢] وظهر أثر النشاط التجارى على نوع وسائل الانتقال التى كانت تستخدمها طوائف الشعب بإفريقية ، فكان التجار يستخدمون الحمير المصرية فى تنقلاتهم من وإلى الأسواق [٣] ومن آثار النشاط التجارى على الناحية الاجتماعية والاقتصادية داخل إفريقية ما كان يظهر أثناء حفلات الزواج وما يقدم للعروس من المهر وما شابه ذلك فكان أبناء الخلفاء والحكام يقدم لهن كل غال ونفيس من الأوانى الذهبية والفضية وكل ما يلزم البيت [٤] .

أما الطبقات الأقل والتى تتساوى الدخول بها فلم يكن أهالى العروس يغالون فى طلب المهور لبناتهن وإذا قام أحد الأشخاص بمخالفة تلك العادة وهذا العرف فإنه كان يواجه باللوم والتوبيخ وربما أدى ذلك إلى انتقاص الناس له [٥] وساعد النشاط التجارى خاصة فى المدن الساحلية على انتشار حفلات اللهو ، والغناء ، وإقامة حفلات السمر ، ولكنها كانت تواجه بالإنكار من جانب الفقهاء. [٦] وكان للنشاط التجارى أثره الفعال فى تهذيب الطبائع لدى التجارى وأهالى المراكز التجارية فى إفريقية مثل أهالى مدينة طرابلس ، حيث عدوا من أحسن الناس معاملة للتجار [٧] وبصفة عامة فقد أثر النشاط التجارى على جميع السكان بجميع مدن إفريقية خاصة المرتبط منها بالطعام فكانوا يهتمون كثيرا به ويتفننون فى أصنافه وإعداده إلى جانب صناعة الحلوى [٨]

---

(١) ابن حوقل : صورة الأرض ، ٦٩ .

(٢) عياض اليحصبيى : ترتيب المدارك وتقريب المسالك : مخطوط ، جـ١ ،ص٣٠٤ .

(٣) المقدسى : أحسن التقاسيم ، ص٢٢٦ ، ٢٣٩ .

(٤) ابن أبى دينار : المؤنس ، ص ٨٢ .

(٥) عياض : ترتيب المدراك ، جـ١ : ص ٣١٩ مخطوط .

(٦) عياض : ترتيب المدراك ، جـ١ ، ص٣١٩ مخطوط .

(٧) ابن حوقل : صورة الأرض ، ص ٧٢ .

(٨) احمد بن عامر : الدولة الصنهاجية ، ص ٥٩ .

المكوس التجارية الشرعية : (العشور) .

تمثل العشور الضريبة التى يتم فرضها على تجار أهل الذمة من النصـــارى واليهـــود والذين يأتون ببضائعهم وسلعهم تجاراً إلى البلاد الإسلامية طبقاً لما صولحوا عليه من العهد والذمة[١] وهى إحدى الضرائب الشرعية المقررة عليهم [٢] ولم تكن تلك العشور التجاريـــة مفروضة فى عهد الرسول صلى الله عليه وسلم ، أو فى عهد خليفتيه أبـــو بكـــر الصديـــق وعمر بن الخطاب رضى الله عنهما كما جاء فى الحديث الشريف ، حدثنا أبو معاوية عـــن الأعمش عن شقيق عن مسروق أنه قال " والله ما علمت عملاً أخوف عنـــدى أن يدخلنـــى النار من عملكم هذا " وما بى أن أكون ظلمت فيه مسلماً ولا معاهداً دينـــاراً ولا درهمـــاً . ولكنى ما أدرى ما هذا الحبل الذى لم يسنه رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا أبو بكر ولا عمر . قالوا : فما حملك على أن دخلت فيه ؟ قال : لم يدعنى زياد ولا شريح ، ولا الشيطان حتى دخلت فيه " [٣] وأن هذه العشور كانت موجودة قبل الإسلام فى الجاهلية فكـــان ملـــوك العرب والعجم جميعاً يأخذون هذه العشور من التجار إذا مروا بها عليـــه ، وبطلـــت هـــذه العشور على تجار المسلمين بعد الإسلام . كما قال الرسول صلى الله عليه وسلم : " ليـــس على المسلمين عشور ، إنما العشور على اليهود والنصارى " وأيضاً حدثنا حجاج عن ابـــن حريد قال : " اخبرنى عمر بن دينار قال أخبرنى مسلم بن شكره قال وقال غير حجاج مسلم ابن مصبح أنه سأل بن عمر : أعلمت أن عمراً أخذ من المسلمين العشر ؟ قـــال . لا ، لـــم اعلمه . وفى حديث آخر . حدثنا عبدالرحمن عن سفيان عن إبراهيم بن مهاجر قال " سمعت زياد بن حريد يقول " أنا أول عاشر عشره فى الإسلام " قلت : من كنتم تعشرون ؟ قال : ما كنا نعشر مسلماً ولا معاهداً كنا نعشر نصارى بنى تغلب" عن عبدالرحمن عن سفيان عـــن عبدالله بن خالد العبسى عن عبدالرحمن بن معقل قال : " سألت زياد بن حريد : من كنتـــم تعشرون ؟ قال : ما كنا نعشر مسلماً ولا معاهداً ، قلت : فمن كنتم تعشرون ؟ قال : تجـــار الحرب كما كانوا يعشروننا إذا أتيناهم [٤] وجاء فى أكثر من حديث عن رسول الله صلـــى الله عليه وسلم أن صاحب العشور من أهل النار فعن عقبه بن عامر أنه سمع رســـول اللـــه

---

(١) الطهطاوى : الدولة الإسلامية ، ص ٢٢٤ .

(٢) ابن مماتى : قوانين الدواوين ، ص ٣٢٦ ، القلقشندى : صبح الاعشى ، جـ٣ ، ص ٤٥٩ .

(٣) أبو عبيد القاسم ابن سلام : كتاب الاموال ، تحقيق محمد خليل هـــراس ، دار الكتـــب العلميـــة ،بيروت ص٥٢٦ .

(٤) أبو عبيد : الأموال ، ص ٥٦٢ -٥٢٧ .

صلى الله عليه وسلم يقول : " لا يدخل الجنة صاحب مكس" وأيضا عن أبــى الخـير قــال سمعت رويفع ابن ثابت يقول : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : " أن صاحب المكس فى النار" قال : يعنى العاشر . وعن عبدالله بن عمر قال : أن صــاحب المكـس لا يسأل عن شيء ، يأخذ كما هو فيرمى به فى النار" وعن مالك ابن عتاهيه قال :" قال رسول الله صلى الله عليه وسلم " من لقى صاحب عشور فليضرب عنقه[١] وكان الخليفة عمر بــن الخطاب رضى الله عنه أول من أوجد العشور فى الإسلام فكان يأخذها مــن تجـار أهـل الحرب لأنهم كانوا يأخذونها من تجار المسلمين عنــد قيـامهم بالتجـارة فــى بلادهــم [٢] وتخضع ضريبة العشور فى تقديرها إلى رأى ولى الأمر وذلك فى جميــع المنــاطق التــى تخضع له، فإن رأى أن إحدى المناطق أو المدن فى حاجة إلى السلع أو بضائع بعينها إمــا لقلتها بها أو رغبة منه فى زيادتها بهذه المدينة فله الحــق فــى تخفيـض نسـبة العشـور المفروضة على تجار أهل الذمة القادمين إليها حتى النصف كحافز لهم وتشجيعاً لجلب السلع والبضائع إلى هذه المدينة أو تلك المنطقة [٣] كما له الحق أيضاً فى أن يــأمر برفــع قيمــة العشور كلية عن البضائع والسلع زيادة فى تشجيعهم على زيادة جلب السلع والبضائع إلـــى المناطق الإسلامية [٤] .

كما يجب إعطاء التجار من غير المسلمين الحرية فى جلب ما يروق لهم مــن الســلع والبضائع وفقاً لأمانهم وعهدهم حتى وإن كانت هذه السلع لا يقبل عليها المسلمون كــالخمر ولحم الخنزير وذلك فى المناطق التى تخضع لحكم المسلمين ويوجد بها أكثرية من أهل الذمة يقبلون على شرائها . أما ما يتصل بالعشور المأخوذة عليهم فهناك اختلاف قيل يتم تركهــم حتى يبيعوها بعد أن يقوم تاجرين عدلين من أهل الذمة بتقييمها [٥] ثم يؤخذ منهـــم نصــف العشر [٦] وقيل يؤخذ منهم العشر من ثمن البيع [٧] وتمثل العشور إحدى الضرائب الحولية أو السنوية إذ لا يتم أخذها من التاجر إلا مرة واحدة فقط فى العام فى المرة الأولى حتـــى وإن قام التاجر بالذهاب والإياب أكثر من مرة فى العام الواحد كما كان يفعل الخليفة عمر بن

---

(١) أبو عبيد : الأموال ، ص ٥٢٤ -٥٢٥ .

(٢) نفس المصدر ، ص٥٢٩ - ٥٣٢ .

(٣) نفس المصدر ، ص ٥٣١ . المقريزى : الخطط ، جـ٣ ، ص ١٩٧ .

(٤) القلقشندى : صبح الاعشى ، جـ٣ ، ص ٤٥٩ .

(٥) المقريزى : الخطط ، جـ٣ ، ص ١٩٩ ، الطهطاوى ، الدولة الإسلامية ، ص ٢٢٥ .

(٦) أبو يوسف يعقوب بن ابراهيم : الخراج : المطبعة السلفية : القاهرة ، ١٣٩٢هـ ، ص ١٨٤ .

(٧) الطهطاوى : الدولة الإسلامية ، ص٢٢٥ .

الخطاب رضى الله عنه حدثنا محمد ابن كثير عن حماد بن سلمه عن عطاء ابن السائب عن بن زياد بن حريد ." أن أباه كان يأخذ من نصرانى فى كل سنة مرتين ، فأتى عمر بن الخطاب ، وقال : يا أمير المؤمنين ، أن عاملك يأخذ منى العشر فى السنة مرتين ، فقال عمر ليس ذلك له ، إنما له فى كل سنة مرة ، ثم أتاه فقال : أنا الشيخ النصرانى ، فقال عمر : وأنا الشيخ الحنيف، قد كتبت لك فى حاجتك [١] وعلى التاجر أن يأخذ إيصالاً بما دفعه من عشور ، يثبت فيه قيامه بدفع قيمة العشر عن تجارته فلا يقوم بدفع العشر مرة أخرى . فيما يعرف بالازدواج الضريبى- كما حدد ذلك الخليفة عمر بن عبد العزيز : " ثم يكتب – العاشر – بما يأخذ منهم البراءة ولا يأخذ منهم ذلك المال ولا من ربحه زكاة سنة واحدة [٢] ولم تترك العشور فى تحديدها إلى عامل العشر إنما كان يقوم بتحديدها ولى الأمر – الخليفة – وعلى عامل العشر عدم تجاوز ذلك سواء بالزيادة أو بالنقص على جميع التجار سواء كانوا مسلمين أم من أهل الذمة أو من أهل الحرب ، فقد حدد الخليفة عمر بن الخطاب رضى الله عنه ذلك كما جاء فى الحديث : حدثنا معاذ عن بن عون عن أنس بن سيرين قال : " بعث إلى أنس بن مالك ، فأبطأت ثم بعث إلى فأتيته فقال : أن كنت لأرى أنى لو أمرتك أن تعض على حجر كذا وكذا ابتغاء مرضاتى لفعلت، اخترت لك عين عمل فكرهته أنى أكتب لك سنة عمر قلت :" اكتب لى سنة عمر ، فكتب : " يأخذ من المسلمين من كل ٤٠ درهماً درهم ، ومن أهل الذمة من كل عشرين درهماً درهم . وممن لا ذمة له من كل عشرة دراهم درهم . قلت ومن لا ذمة له؟ قال : الروم كانوا يقدرون الشام " وعن زياد بن حدير قال :" استعملنى عمر على العشر ، فأمرنى أن أخذ من تجار المسلمين ربع العشر . وعنه أيضاً قال " أمرنى عمر أن أخذ من تجار أهل الذمة مثل ما أخذ من تجار المسلمين ، وعنه قال " أمرنى عمر أن أخذ من نصارى بنى تغلب العشر ، ومن نصارى أهل الكتاب نصف العشر ، وعن السائب بن يزيد قال :" كنت عاملاً على سوق المدينة فى زمن عمر قال : فكنا نأخذ من النبط العشر " [٣] أما المقريزى [٤] فذكر أن الذمى يدفع ديناراً على كل عشرين دينار أما ما ينقص عن ذلك فبحسابه حتى تصل إلى عشرة دراهم ، فأن نقصت عن عشرة دراهم ولو بمقدار ثلث دينار فليس على التاجر شىء من العشور. وقال أبو يوسف [٥]

---

(١) أبو عبيد : كتاب الأموال ص ٥٣٦ . القلقشندى : صبح جـ٣ ، ص ٤٥٩ .

(٢) أبو عبيد : كتاب الأموال ص ٥٣٦ .

(٣) نفس المصدر ، ص ٥٣٠ ، ٥٣١ .

(٤) الخطط ، جـ٣ ، ص ١٩٨ .

(٥) الخراج ، ص ١٤٤ .

إما أن تكون مائتى درهم أو عشرين مثقالاً من الذهب ، وما قل عن ذلك لا يتم فرض العشر عليه وحتى وأن تم حساب عدد مرات عبور التاجر بتجارته فبلغت قيمتها ألف درهم فليس عليه شيء ولا يتم إضافة بعضه إلى بعض . وذكر أبو عبيد [١] أنا المال لا يأخذ عليه العشر حتى يبلغ مقداره مائة درهم وعند ذلك يأخذ منه نصف العشر وهذا رأى سفيان أما غير سفيان من أهل العراق فقالوا يأخذ العشر إذا بلغت التجارة مائتى درهم ولا يأخذ منه شيء أن قال أنه مدين أو أن هذا المال ليس ملكه وحلف على ذلك ، وذكروا أن الذى يأخذ عليه العشر من التجارة هو الصامت والمتاع والرقيق وما أشبه من الأموال التى تبقى فى أيدى الناس ، فأما إذا مر بفاكهة وما شابهها فلا يأخذ منه شيء ، وقد شبه أهل العراق ذلك بأنها صدقه وذهبوا إلى أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه لم يحدد الحد الأدنى من المال الذى يأخذ علية العشر أما الأمام مالك فقد حدد بأن يأخذ نصف العشر حتى وأن لم تبلغ التجارة مقدار مائتى درهم وعلى أى نوع من التجارة سواء ما كان يبقى فى أيدى الناس أم لا .

وتتميز العشور أنها ضريبة تجارية تفرض على جميع التجار أيا كانت ديانتهم غير أنها تختلف فى قيمة ما يؤخذ من التاجر حسب دينه فالتاجر المسلم يقوم بدفع ربع العشر والتاجر الذمى يقوم بدفع نصف العشر أما التاجر الحربى فيقوم بدفع العشر كاملا على كل ما يمر به التاجر من بضائع وسلع تكون مخصصه للتجارة وعلى عامل العشور أخذ العشر عن التجارة الظاهرة فقط وعدم تفتيش التاجر [٢] .

وعلى ولى الأمر السماح لمن يطلب من التجار من أهل الحرب الحضور لمزاولة التجارة فى البلاد الإسلامية إذا طلبوا ذلك منه على أن يقوموا بدفع ما يفرض عليهم من عشور على تجارتهم [٣] وأعطى نظام العشور التاجر المسلم ميزه أكبر مما يحصل عليه تجار أهل الذمة وأهل الحرب فلا يؤخذ منه عشر عما يمر به من مال أو متاع أدى زكاتها أما التاجر الذمى والمشرك فلا يقبل منه ذلك لعدم فرض الزكاة عليهم ، كما لا يتم فرض العشور على مال المضاربة أو البضاعة بعد أن يحلف صاحبها ولا يؤخذ العشر من مال العبد سواء كان ماله أو مال سيده حتى يحضر سيده [٤] وعلى عمال العشور أن يتحلوا ببعض الأمور الحسنة منها: أن يكونوا من أهل الصلاح والدين فلا يظلمون التجار سواء

---

(١) الأموال ، ص ٥٣٢ -٥٣٣ .

(٢) المقريزى : الخطط ، جـ٣ ،ص ١٩٨ .

(٣) نفس المصدر والصفحة .

(٤) أبو يوسف : الخراج ، ص ١٤٤ .

. . .

المسلمين أم غيرهم ولا يأخذوا منهم أكثر مما هو مفروض عليهم ولا يتجاوزوه ، وعلى ولى الأمر مراعاة ذلك ومكافأة المحسن منهم ومجازاة المسىء ومعاقبته على ظلمه وتعديه حتى يزداد المحسن منهم ويرتدع المسىء[١] ومن الأمور المستحبة أيضاً فى من يقوم بتعشير التجار، أن يكون على علم ودراية بإحدى اللغات الأجنبية أو أكثر وذلك لأنه يقوم بنقل الحقوق والواجبات التى تقوم بفرضها الحكومة الإسلامية على التجار الأجانب [٢] .

وكانت ضريبة العشور تؤخذ فى بعض الأحيان عيناً [٣] وعلى تجار أهل الذمة دفع العشور عما يديرونه من تجارة لهم فى البلاد الإسلامية أما إذا قام بالتجارة فى بلده ولم يخرج بتجارته منها فلا يقوم بدفع العشر عليها مثل تجار أهل الذمة فى مصر أو العراق أو الشام[٤].

ونتيجة لكثرة النشاط التجارى فقد زادت نسبة العشور التى يتم فرضها على التجار الأجانب فصار يؤخذ منهم الخمس [٥] وهو ضعف العشر بل أصبح من الممكن بعد الاتفاق أن يتم تحصيل الضريبة فى كل مره يأتى فيها التاجر ببضاعته وفى بعض الأحيان كان يتم فرض أكثر من ضريبة الخمس وكان يدفع ما بين عشرين إلى خمسة وثلاثين ديناراً عن كل مائة دينار [٦] ويجب التفريق بين ما يتم أخذه من عشور من تجار المسلمين وبين ما يتم أخذه

---

(١) أبو يوسف : الخراج ، ص ١٤٢-١٤٨ .

(٢) الطهطاوى : الدولة الإسلامية ، ص ٢٢٥ .

(٣) عبدالمنعم ماجد : نظم الفاطميين ، جـ١ ، ص١٣٩ .

(٤) المقريزى : الخطط ، جـ٣ ، ص١٩٩-٢٠٠ .

(٥) **الخمس**: عبارة عما يستأدى من تجار الروم الوارد بين على الثغر بمقتضى ما صو لحوا عليه ، وربما بلغ ما يستخرج منهم عما قيمته مايه دينار ما يناهز خمسة وثلاثين ديناراً ، وانما انحط عن العشرين ديناراً ويسمى كلاهما خمساً . ومن كنايس الروم من يستأدى منه المعشر ، إلا أنه لما كان الخمس أكثر . كانت النسبة إليه أشهر . ولذلك ضرايب مستقره وعوايد مستمره ، وأوضاع مألوفه ، طرايق فيما بين المباشرين له معروفه ، واستدفعت من المستخدمين فيه ضريبة مما إلى جارى عليه" وكان الخمس من الكثرة حيث ذكر ابن مماتى أنه لم يذكر سوى ما تمس الحاجة إليه وتغاضى عن اشياء أخرى كثيرة خوفاً من حشو الكتاب بما لا فائده منها . ابن مماتى : قوانين الدواوين ، ص ٣٢٦ .

(٦) القلقشندى : صبح الأعشى ، جـ٣ ، ص ٤٥٩ . وكان كيقباذ أحد ملوك الفرس أول من أخذ العشر ، وقيل أن أول من أخرج العشر من مواشيه وزروعه وجميع ماله هو نبى الله إبراهيم عليه السلام المقريزى : الخطط جـ٣ ، ص ١٩٩-٢٠٠ .

من عشور تجار أهل الذمة لاختلاف سبيل صرف هذه العشور فكل ما يتم أخذه من عشور المسلمين يتم صرفه فى مصرف الصدقة[١] أما ما يتم أخذه من أهل الذمة فسبيله سبيل الخراج[٢] .

وأستغل الفاطميون تلك الضريبة استغلالاً جيداً ومنظماً طوال فترة حكمهم على جميع المناطق التى خضعت لسيطرتهم إذ فرضت على جميع أنواع التجارات وفى جميع المدن التجارية سواء كانت ساحلية أم داخلية فمن المناطق الساحلية التى وجدت بها ضريبة العشور قرية طبرقة حيث كانت تعشر بها السفن التجارية خاصة ما كانت تأتى من الأندلس[٣] .

وبالمثل كانت مدينة أجدابيه فإلى جانب تعشير السفن بها كانت تعشر بها القوافل التجارية الآتية من الجنوب حيث بلاد السودان [٤] .كما كانت مدينة تنس أكثر المناطق التى تعشر بها سفن تجار الأندلس [٥] .

وفى أقصى الشرق من إفريقية وجدت منطقتان هامتان هما صبرة ولبدة بمدينة طرابلس حيث كانت تعشر بها أنواع التجارات الصادرة ، والواردة منها إلى خارج وداخل إفريقية وهما من المناطق التى استحدثتا فى عهد الفاطميين [٦] ولم يفرق الفاطميون فى المعاملة بين التاجر المسلم وغيره حيث أخذت منه العشور أيضاً فى مدينة عيذاب من التجار القادمين من اليمن وزنجبار والحبشة [٧] .

---

(١) حدد اللّه عز وجل الفئات التى يجب أن توزع عليهم أموال الصدقات بقوله تعالى " إنما الصدقات للفقراء والمساكين والعاملين عليها والمؤلفة قلوبهم وفى الرقاب والغارمين وفى سبيل الله وابن السبيل فريضة من الله والله عليم حكيم . سورة التوبة آيه ٦٠ . الماوردى : الأحكام السلطانية ، ص ١٢٥-١٢٧ . ابو يعلى : الأحكام السلطانية ، ص ١٤٧-١٤٩ . ابن مماتى : قوانين الدواوين ، ص ٣١٤-٣١٥ .

(٢) أبو يوسف : الخطط جـ ، ص ١٤٥ .

(٣) ابن حوقل : صورة الأرض ، ص٧٦ .

(٤) نفس المصدر ، ص ٧٠ .

(٥) نفس المصدر ، ص٧٨.

(٦) نفس المصدر ، ص٧١ .

(٧) ناصر خسرو علوى : سفرنامه : ترجمة يحى الخشاب : الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٩٣، ص ١٣٣ .

ولوطأة هذه الضريبة فقد استنكرها البعض ، مثل أبى يعلى [١] خاصة عندما تكون الأموال منتقلة من بلد لآخر فى حدود الدولة الإسلامية ، فهى فى رأيه محرمة ، ولا يبيحها الشرع ولا يسوغها الاجتهاد ، ولا تعبر عن سياسات العدل التى يجب أن تسود داخل إطار الدولة الإسلامية ووصف الدول التى تأخذها بأنها دول جائرة لقول النبى – صلى الله عليه وسلم " : إذا لقيتم عاشراً فاقتلوه " ومثلت مدينة سجلماسه إحدى المناطق الهامة التى تؤخذ على التجار بها العشر [٢] .

ولقد تمسك الفاطميون بهذه العشور بسبب الأموال الضخمة التى كانوا يحصلونها من التجار ، حيث كان التجار الأجانب الذين يفدون بتجارتهم إلى موانى إفريقية خلال حكم الفاطميين وبنى زيرى يقومون بدفع ما قيمته ١٠٪ للحكومة [٣] .

المكوس غير الشرعية (الضرائب) .

تتمثل المكوس غير الشرعية في مجموعة الضرائب والمكوس [٤] التى فرضها الفاطميون وبنى زيرى ، داخل إقليم إفريقية ، حيث اتسمت السياسة الضريبية [٥] للفاطميين منذ البدايات الأولى لحكمهم بالقسوة والجور وطبعوها بطابع الجشع المالى البالغ وقاموا باستخدام تلك الأموال فى خدمة أغراضهم الشخصية كالتجارة وشراء العبيد للحرب والغزو

---

(١) الأحكام السلطانية ، ص٢٧٦ .

(٢) ابن حوقل : صورة الأرض ، ص٩٧.

(٣) ارشيبالد لويس : القوى البحرية ، ص ٢٦٢ .

(٤) المكس – مكس فى البيع يمكس إذا جبى مالاً والمكس يعنى النقص والظلم وقيل أنها دراهم كانت تؤخذ من بائعى السلع فى الأسواق فى الجاهلية ، أو درهم كان يأخذه المصدق بعد فراغه من الصدقة، وتماكسا فى البيع تشاما . والمكس يعنى فى اللغة الجباية ، والمكس أيضاً انتقاص الثمن فى البياعة : انظر الفيروزبادى القاموس والمحيط ، جـ٢ ، ص ٢٥٢ وأنظر المقريزى : الخطط ، جـ٣، ص١٩٧ .

(٥) الضرائب : تعرض الضرائب والمكوس نظراً لقله العائد المتاح من المغارم الشرعية كالصدقات والخراج والجزية – الخ وتزداد الحاجة إلى الضرائب كلما زاد الترفى فى الدولة وتقليدها لغيرها من البلاد والدول السابقة عليها ، وكثرة نفقات الحاكم سواء بخاصته أم عطائه وما يتطلبه الانفاق على الجيوش والحاميات لذا يلجأ أولى الأمر إلى فرض الضرائب المتنوعة على السلع والبضائع وغيرها داخل الأسواق وهى تزداد فى نهاية عهد الدولة مما يؤدى إلى قلة العمران وكساد الأسواق: ابن خلدون : المقدمة ، ص ١٩٦، ١٩٧ .

وإحضار الغنائم[١] وتعددت طرق جباية الضرائب لدى الفاطميين حيث أحكم الفاطميون قبضتهم على مداخل ومخارج إفريقية وكان نظامهم الضريبى نافذاً فقاموا بإنشاء المنافذ الجمركية ومراصد التحصيل فى المدن التجارية الحدودية الهامة والتى كانت تمثل ملتقى للقوافل التجارية فأقيمت بمدينة طرابلس نقطتين هامتين لأخذ الضرائب فى منطقتى صبره وليده على كل ما هو خارج وداخل إليهما مثل الجمال والأحمال والمحامل والبغال والرقيق والغنم والحمير [٢] كما فرض الفاطميون الضرائب على الأهالى الذين يقومون بأداء فريضة الحج حيث أمر المهدى سنة ٣٠٩هـ ٩٢١م أن يكون طريق الحجاج ماراً بمدينة المهدية ولا يتعدونه لغيره [٣] كما فرضت الضرائب على كل ما هو داخل أو خارج من مدينة تنس[٤] وكان الولاة والقائمون على جمع هذه الضرائب لا يتركون منها شيئاً بسبب النسبة التى كانوا يحصلون عليها فكلما كانت الضرائب كثيرة كلما كانت نسبتهم زائدة [٥] وفرض الفاطميون الضرائب على تجار قابس من اليهود [٦] .

كما فرض الفاطميون المكوس والضرائب على جميع التجارات التى كانت تخرج أو تدخل إلى مدينة سجلماسه وعلى كل ما يباع ويشترى من الإبل ، والغنم ، والبقر ،إلى غير ذلك [٧] وكانت هذه الضرائب مثمرة للغاية حيث تعتبر سجلماسه الملتقى الرئيسى لقوافل عبور الصحراء [٨] ولم يتورع الفاطميون عن فرض الضرائب ، حتى فى أشد الأوقات محنة على أهالى إفريقية [٩] وكان عمال الجباية من أكثر الناس مهارة فى أخذ الضرائب فلا يدعون تاجراً أو قافلة تمر بهم دون تفتيشهم تفتيشاً دقيقاً خوفاً من حيلة البعض فى إخفاء ما معه ولا يدعونه يمر دون استيفاء تلك الضرائب [١٠] .

---

(١) حسين مؤنس : مدخل ، ص١٣٢ .

(٢) ابن حوقل : صورة الأرض ، ص ٧١ .

(٣) ابن عذارى : البيان جـ١ ، ص١٨٦ ، ابن خلدون : المقدمة ، ص ١٩٧ .

(٤) ابن حوقل : صورة الأرض ، ص٧٨ .

(٥) جورج مارسيه : بلاد المغرب ، ص ١٦٨ . ابن حوقل : صورة الأرض ،ص٧٠.

(٦) ابن حوقل : صورة الأرض ،ص٧٢.

(٧) نفس المصدر ، ص٩٦-٩٧ .

(٨) جورج مارسيه : بلاد المغرب ، ص ١٦٦ : لويس : القوى البحرية ، ص٣٣١.

(٩) ابن عذارى : البيان ، جـ١،ص١٨١.

(١٠) ابن حوقل : صورة الأرض ، ص ٧٠-٧١.

وظهرت سياسة الفاطميين المالية بصورة جليه منذ دخول عبيد الله المهدى مدينة رقاده ٢٩٧هـ-٩٠٩م حين طلب منه الأهالى الأمان لأحوالهم فأعرض عنهم فخافه أهل العقل منذ ذلك الوقت [١] وبهذا فقد خالف سياسة قائده أبى عبدالله الذى منع جنده من النهب وسلب الأسواق[٢] برغم وعده لهم بذلك قبل دخول القيروان .

ومثلت مدينة صبره أحد أهم المنافذ الجمركية والتى تتحصل فيها الضرائب يومياً فلم يكن هناك تاجرا أو غيره يستطيع دخول القيروان إلا بعد قيامه بدفع ما قرر عليه من ضرائب[٣] .

وكان مجموع الأموال المتحصلة من مدينة صبره يوميا نحو مائة وثلاثون ألف درهم فقد كان عدد أبوابها خمسة أبواب وكان دخل أحد أبوابها فى كل يوم ستة وعشرون ألف درهم[٤].

وتحت وطأة الضرائب وتشدد الجباة لجأ أهالى بعض المدن بجعل أبواب بيوتهم أقل ارتفاعاً عن غيرها من المدن : خوفاً من الجباة وحتى لا تستطيع الدواب دخولها وكان ذلك بمدينة قلشانه القريبة من القيروان. [٥] وكان على كل مدينة ساحلية تشتهر بالتجارة دفع الجبايا لبيت المال ، غير الجبايا الأخرى ، وكانت دخول المدن تختلف فيما بينها فجباية ساحل القيروان والذى يضم مدن سوسه ، والمهدية وصفاقس ، وتونس ، كان يمد بيت المال بثمانين ألف مثقال[٦].

وكانت جباية مدينة قفصة خمسون ألف دينار [٧] وكانت جباية مدينة القل التى تمثل مرسى مدينة القسنطينة عظيمة [٨] وسار بنو زيرى على نفس السياسة الضريبية للفاطميين ففى عهد

---

(١) ابن عزارى : البيان جـ١،ص١٥٨، محمود اسماعيل المالكيه والشيعة بإفريقية ، المجلة التارخية جـ٢٣، ١٩٧٦، ٨٤ .

(٢) ابن عزارى : البيان ، جـ١ ، ص ١٥٠-١٦٦. محمود إسماعيل : المالكية والشعية : المجلة التاريخية،جـ٢٣،٧٨ .

(٣) البكرى : المغرب ، ص٢٥ ، أرشيبالد لويس ، القوى البحرية ، ص ٣٣٠ .

(٤) مجهول : الأستبصار ، جـ٦ .

(٥) البكرى : المغرب ، ص ٢٩ .

(٦) نفس المصدر ، ص٣٦ .

(٧) مجهول : الاستبصار ، ص٤٠.

(٨) نفس المصدر ، ص١٨٠.

بلكين [١] بلجين (بلقين) ابن زيرى (٣٦١-٣٧٣هـ) وبمجرد توليه الملك قام بإرسال الحياة إلى سائر أنحاء إفريقية وكان مسئول الجباية بإفريقية فى ذلك الوقت أحد المساعدين لبلكين والذى قام الخليفة الفاطمى المعز بتعيينه قبل الرحيل للقاهرة لمساعدته وهو أبو مضر زيادة الله بن عبدالله بن القديم [٢] ومن أكبر أنواع الجبايا التى وقعت على أهالى إفريقية بسائر نواحيها ما يمكن أن نسميه غرم التعيين وذلك فى سنة ٣٦٦هـ / ٩٧٨م حيث جمع عبدالله الكاتب عامل إفريقية والقيروان الناس وأخذ من أعيانهم ستمائة رجل من الأغنياء ووقع عليهم هذا الغرم فكان يأخذ من أحدهم عشرة آلاف دينار ومن الأخر ديناراً وكان مجموع ما جمعه من القيروان فقط يزيد على أربعمائة ألف دينار ، ويبدوا أن الأهالى شعروا بالضيق وقاموا بالشكوى إلى الخليفة بمصر فأمر نائبه على إفريقية بالكف عن ذلك . وقام بإرجاع بعض صرر الأموال – التى كانت دون شك للشيعة– . إلى أصحابها وكان هذا الغرم عاما على جميع طبقات الناس بإفريقية ولم ينج منه سوى الفقهاء والصلحاء والأدعياء وأولياء السلطان [٣] وبلغت الأموال المتجمعة فى عهد عبدالله الكاتب مبلغاً عظيماً حتى بنى لها بيتان

---

(١) أبو الفتوح يوسف ابن زيرى بن مناد : تولى إفريقية سنة ٣٦١هـ ، ٩٨٢م عقب خروج الخليفة الفاطمى الرابع المعز لدين الله من إفريقية إلى مصر وأمر جميع عماله بالسمع والطاعة له وظل أبى الفتوح الخليفة المطيع لأمر الخلفاء الفاطميين وتبادل الهدايا معهم طمعا فى ودهم وإظهار الولاء لهم وقام باجتياح المغرب سنة ٣٦٣هـ ٩٧٥م واعاده إلى امرة الفاطميين وأضاف الخليفة العزيز بالله مدن طرابلس وسرت واجدابيه إلى ملك يوسف بعد أن طلبها منه ، ثم قام باجتياح المغرب مرة أخرى فى عهد العزيز وغذا برغواطه (بنى غواطه) وانتصر عليهم بعد حروب كثيره وفرت من امامه قبائل زناته ثم توفى سنة ٣٧٣هـ ٩٩٤م عقب عودته من هذه الحرب بمكان يقال له واركنفو وهو فى طريقه إلى مدينة سجلماسة لتخليصها من يد ابن خزرون الزناتى الذى استطاع دخولها وأخذ أموالها . وقام ببناء مدينة أشير بسفح جبل تيطرى كما تم بناء مدن مليانه والجزائر المنسوبة لبنى مزغنه والمديه فى عهده . ابن عزارى : البيان ، جـ١ ، ص ٢٢٨ – ٢٣٢ ، ص ٢٣٧ –٢٣٩ . الذهبى : العبر فى خبر من غبر ، جـ٢ ص ١٥٧ . ابن أبى دينار : المؤنس،ص٧٤-٧٥. الباجى : الخلاصة النقية ، ص ٤٣-٤٥ . ابن أبى الضياف : اتحاف أهل الزمان ، ص ١٣١ –١٣٢ . احمد ابن عامر : الدولة الصنهاجية ، ص ١٠-١٣ –١٩ . الجنجانى : القيروان، ص ٩٨ – ١٠٠ .

(٢) الهادى إدريس : الدولة الصنهاجية جـ١ ،ص٨٠، ٨١ ، أرشيبالد لويس : القوى البحرية ، ص٣٣٠-٣٣١.

(٣) ابن عزارى : البيان ، جـ١، ص ٢٣٠.

أحدهما من الجريد والآخر من الخشب ووضعها بهما [1] وأشار بن حوقل [2] إلى مجموع المبالغ المتجمعة من الضرائب على التجارة بإفريقية سنة ٣٣٦هـ وسنة ٣٦٠هـ بما قيمته سبعمائة إلى ثمانمائة ألف دينار . ولم يكن الفاطميون يسمحون بخفض أو إلغاء الضرائب المفروضة على الأهالى بأى صورة من الصور [3] وبرغم علمهم بما كان يعايشه الأهالى من صعوبات[4] .

واستمرت بعض أنواع الضرائب طوال مدة حكمهم بالمغرب ، ومصر ، مثل الضريبة التى فرضت سنة٣٠٩هـ / ٩٢١م على حجاج إفريقية الذين كانوا يلاقون ضغطا شديدا وعنتا بالغاً من جانب الجباة الموكولون بذلك وكانت تقدر هذه الضريبة بسبعة دنانير ونصف دينار مصرى على كل حاج ولم يكن ينج منها أحد من الحجاج حتى من ليس لديهم القدرة على النفقة أو من ليس لديه فائض من المال وكان الجباة يبتكرون أنواعاً من التعذيب لإجبار الحجاج على الدفع ، وكما كانت المهدية محطة الدفع الأولى بإفريقية كانت مدينة عيذاب المصرية على ساحل البحر الأحمر هى المحطة التالية لأخذ الضريبة حتى أطلق عليها البعض اسم عذاب. وكانت الضرائب تشمل كل شىء مما يباع أو يشترى مما دق أوجل حتى كان يؤدى على شرب الماء ضريبة فضلاً عما سواه [5] وكان على كل حاج أخذ إيصال براءة من الجباة بأنه قام بدفع ما عليه من المكوس حتى يتسنى له الذهاب إلى مدينة جدة فيقوم بدفع المكوس مرة أخرى لصاحب مكة . وفى ظل هذا النظام الشديد القبضة من الحياة لم يكن يسمح لأى شخص بالعبور دون دفع المكس وإن تم العثور على شخص ثبت عدم دفعه للمكس طولب به من سمح له بالمرور ، وكان بعض الحجاج يتعرضون للحبس وعدم التمكن من أداء فريضة الحج لقلة ما معه من مال وفى أحيان أخرى يقوم الحجاج بدفع المكس لبعضهم [6] .

---

(١) ابن عزارى : البيان ، جـ١ ، ص٢٣٨ .

(٢) صورة الأرض ، ص ٩٤ .

(٣) الخشنى : قضاة قرطبه وعلماء إفريقية ، ص٢٢٢-٢٢٣-٢٢٨.

(٤) نفس المصدر : ص٣٠١-٣٠٢.

(٥) ابن جبير : الرحلة ، ص٥٥.

(٦) الحميرى : الروض المعطار ، ص ٤٢٤ .

وفرضت الضرائب على جميع أنواع الصناعات بأسواق إفريقية المختلفة [١] وكانت الضرائب على مدينة بونه غير ما تمثله جباية بيت المال بها عشرون ألف دينار [٢] ومن أكثر المدن التى فرضت عليها الضرائب لأهميتها التجارية مدينة مرسى الخرز فكان للسلطان أمناء خاصين به على ما يخرج منها غير ما تتم جبايته على ما يخرج منها من معدن المرجان إلى جانب المناظر الذى يلى صلاتها ومعاونها [٣] .

وهناك أنواع عدة من الضرائب مثل ضريبة الأرتفاق [٤] التى يقوم بدفعها الأشخاص الساعون إلى تقلد الوظائف الهامة أو ضمان بقائهم فى مناصبهم دون تغيير . وعملت السياسة الضريبة للمهدى على وقوع عدد كبير من الأغنياء فى الفقر والفاقة حتى عجزوا عن الصرف على ما تبقى لهم من الأرض الزراعية [٥] .

وبالرغم من كثرة تلك الضرائب وفداحتها فقد ازدادت ثروة إفريقية ، فى أثناء حكم الفاطميين وبنى زيرى ، وعمها الرخاء فى جميع مجالات الحياة بها تجاريا وصناعيا وزراعياً بصورة لم تشهدها من قبل [٦]

---

(١) عبدالمنعم ماجد : نظم الفاطميين ، جـ١، ص١٨٨ .

(٢) الحميرى : الروض المعطار ، ص١١٥ . .

(٣) ابن حوقل صورة الأرض ، ص٧٦ .

(٤) جورج مارسيه : بلاد المغرب ، ص١٦٧.

(٥) محمود إسماعيل : المالكية والشيعة : المجلة التاريخية ، جـ٢٣، ٨٤-٨٥.

(٦) آدم متز : الحضارة الإسلامية ، جـ٢ ، ص٢٥٤-٢٥٥.

الخاتمة

الخاتـــــمة

الخاتمة

توصلت من خلال بحث " أسواق أفريقية خلال العصر الفاطمى وبنى زيرى ٢٩٦/٤٤٠هـ ٩١٨/١٠٥٢م" إلى نتائج هامة ومتعددة ،عما كانت عليه أسواق إفريقية خلال تلك الحقبة التاريخية الهامة من تاريخها الإسلامى ، وأظهرت العديد من النتائج منها: مدى التقدم الحضارى الذى تمتع به إقليم إفريقية فى كافة نواحى الحياة فى القرية والمدينة على السواء، وأن إفريقية فى مجال الزراعة مثلت إحدى المناطق الزراعية الهامة بما كانت تنتجه أرضها الخصبة من المحاصيل الزراعية الهامة ، والفاكهة ، والثمار ، والأشجار ، مما أدى إلى تمتعها بالاكتفاء الذاتى لها بل جعلتها منطقة هامة فى تصدير المحاصيل والمنتجات الزراعية كالزيتون والقطن والكتان والقمح والشعير لغيرها من البلدان الآخرى .

كما أثبتت الدراسة أيضا أن إقليم إفريقية تحت حكم الفاطميين ، وبنى زيرى ، إتبع فى المجال الزراعى به أساليب علمية هامة فى نظم الرى المتقدمة فى ذلك الوقت مثل نظام الرى عن طريق النضح إلى جانب الوسائل المعروفة الاخرى .

وأثبتت الدراسة أيضاً فى المجال الصناعى . مدى التقدم الذى كانت عليه إفريقية كإحدى أهم القلاع الصناعية واحتلت مكانة عالية مرموقة فى العالم الإسلامى وحظيت بها الصناعات المختلفة خفيفة كانت أو ثقيلة أو صناعات الزينة وصناعة الزيوت ، مرتبة عالية بين جارتها من الدول ونافست بجودتها وحسنها وتأنقها مثيلاتها من الدول المتقدمة فى ذلك الوقت ووجدت صناعتها المختلفة طريقها بيسر وسهوله وقوه إلى الخارج ، وتهافتت عليها الاسواق .

أما فى المجال التجارى فقد بينت الدراسة أن إفريقية لـم تكـن تقـل بـأى حال من الأحوال عن غيرها فصارت لها مكانـة مرموقـه وصـارت إفريقيـة سيدة الجزء الغربى للبحر المتوسط وقـامت بعقـد المعـاهدات التجاريـة مـع غيرها وصار تجارها سادة للبحار يجوبون بحريـه وأمـان بسـفنهم التجاريـة موانئ العالم شرقاً وغرباً شمالاً وجنوباً ، كمـا كـان لموقعهـا المتمـيز أحـد الاسباب الهامة التى عملت على جـذب التجـار مـن مختلـف انحـاء العـالم واكتظت موانئها على كثرتها بسـفن وتجـار العـالم ليـلاً ، ونهـاراً ، وعلـى مدار ساعات اليوم والعـام .

أما من ناحية استخدام وانشاء الطـرق التجاريـة. فبينـت الدراسـة تمتـع إقليم إفريقية بشبكه هامة مترامية مترابطـة للطـرق التجاريـة ، ربطـت بيـن جميع اجزائها مما سهل عمليات الانتقال السلس الأمـن للأفـراد والتجـار .

وأوضحت الدراسة فى مجال السكة تمتع إفريقيـة بسـكة قويـة وتمتعهـا بإستخدام موحد للصرف بها وكان الفاطميين قد شـرعوا فـى ضـرب سـكتهم قبل أن يتم الاعلان عن قيام الخلافة بنحـو خمـس سـنوات واتبـاعهم قـاعدة النقد الموحد ، أو قاعدة الذهب مثل غيرهـا مـن الـدول المتقدمـة فـى ذلـك الوقت . إلى جانب اسـتخدام وسـائل أخـرى كـالصكوك ، والسـفاتج ، ممـا جعل التبـادل التجـارى يتمـيز بالسـهولة واليسـر والتخفيـف عـن كـاهل المتعاملين داخل الاسـواق .

وأوضحت الدراسة المتوسط الذى كـانت عليـه الاسـعار، فـى مختلـف مدن إفريقية ، ودور الثوار فى ضرب سكة خاصة بهـم فـى المنـاطق التـى قاموا بالثورة فيها ، كما تبين مدى مـا أسـتفادت بـه إفريقيـة فـى النواحـى المختلفة نتيجة للنشاط التجارى الضخـم بهـا .

الملاحق

الملاحق

ملحق رقم ١

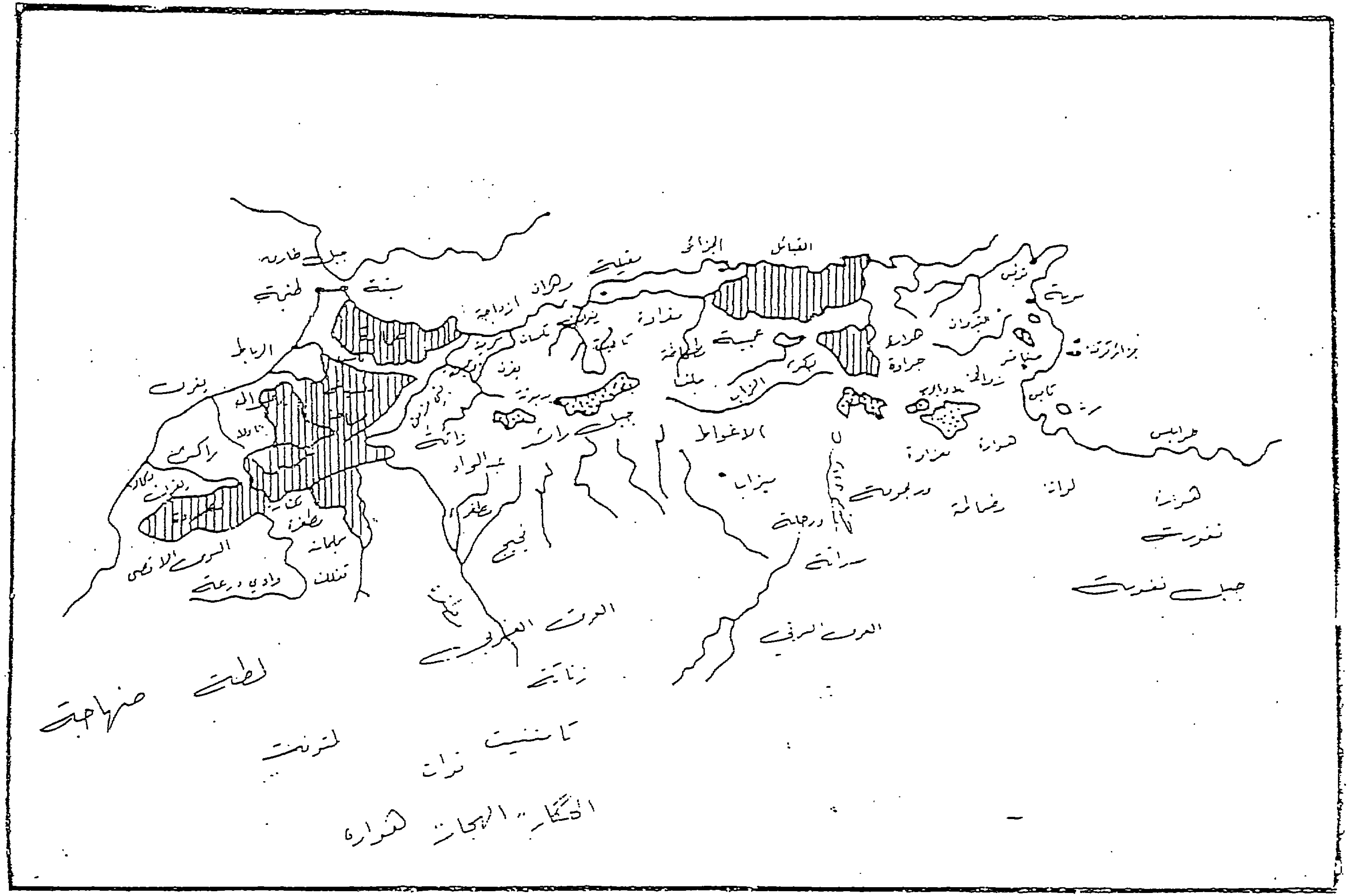
الخلفاء الفاطميين

١- المهدى أبو محمد عبيد الله بن الحسن بن على	٢٩٧هـ -٣٢٢هـ
٢- القائم بأمر الله أبو القاسم نزارة محمد بن المهدى	٣٢٢هـ -٣٣٤هـ
٣- المنصور بالله أبو الطاهر إسماعيل	٣٣٤هـ-٣٤١هـ
٤- المعز لدين الله أبو تميم معد بن المنصور	٣٤١هـ-٣٦٥هـ
٥- العزيز بالله أبو منصور نزار	٣٦٥هـ-٣٨٦هـ
٦- الحاكم بأمر الله أبو على منصور بن العزيز	٣٨٦هـ- ٤١٠هـ
٧- الظاهر لإعزاز دين الله أبو هاشم على بن الحاكم	٤١٠هـ-٤٢٧هـ
٨- المستنصر بالله أبو تميم معد بن الظاهر	٤٢٧هـ -٤٨٧هـ


ملحق رقم ٢

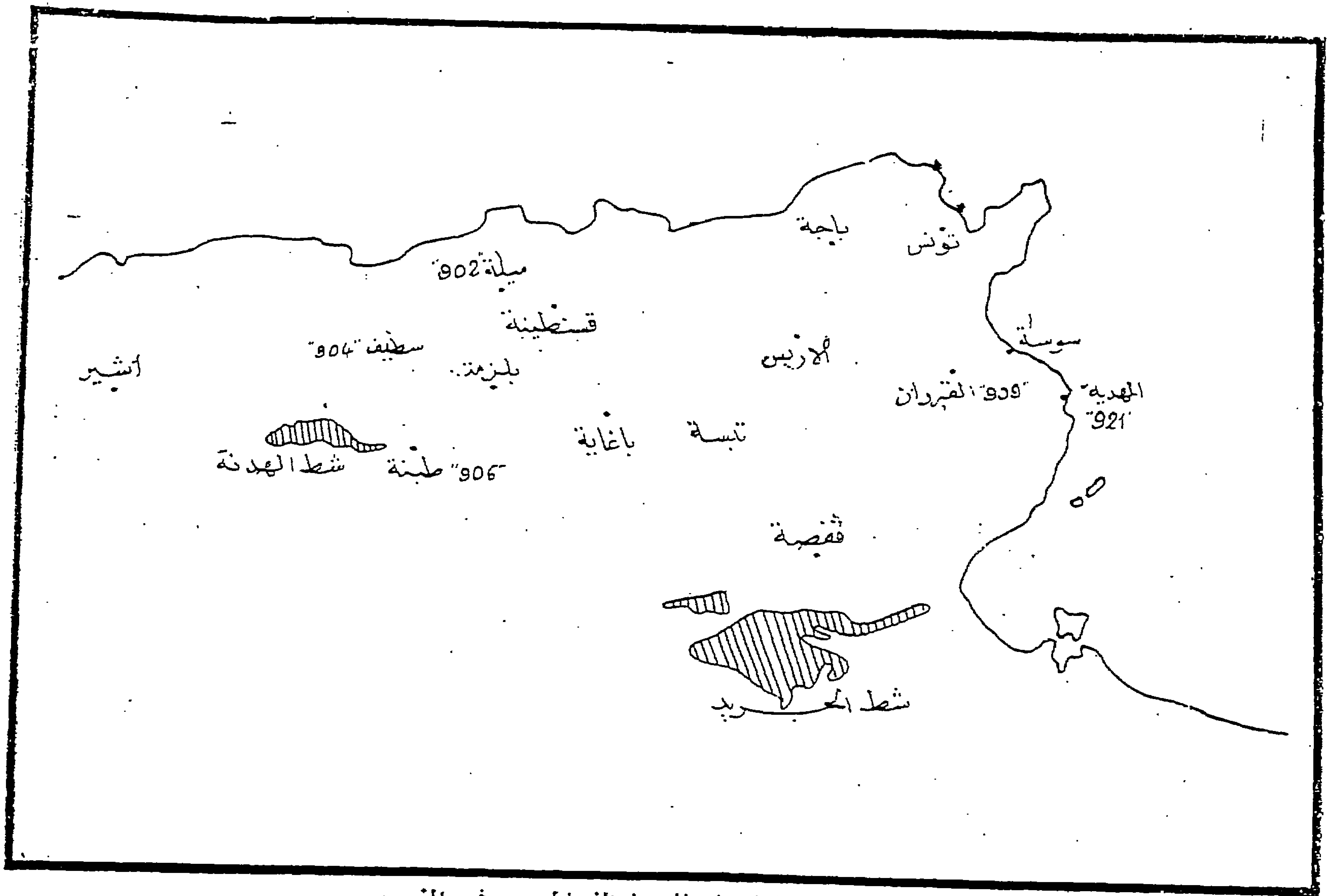
حكام إفريقية من أسرة بنى زيرى

١- أبو الفتوح يوسف بلكين بن زيرى	٣٦١هـ -٣٧٣هـ
٢- المنصور بن بلكين بن زيرى	٣٧٣هـ - ٣٨٦هـ
٣- باديس بن المنصور بن يوسف	٣٨٦هـ- ٤٠٦هـ
٤- المعز بن باديس	٤٠٦هـ-٤٥٣هـ
٥-تميم بن المعز بن باديس	٤٠٥هـ-٥٠١هـ
٦- يحيى بن تميم	٥٠١هـ-٥٠٩هـ
٧- على بن يحيى	٥٠٩هـ- ٥١٥هـ
٨- الحسن بن على	٥١٥هـ-٥٤٣هـ

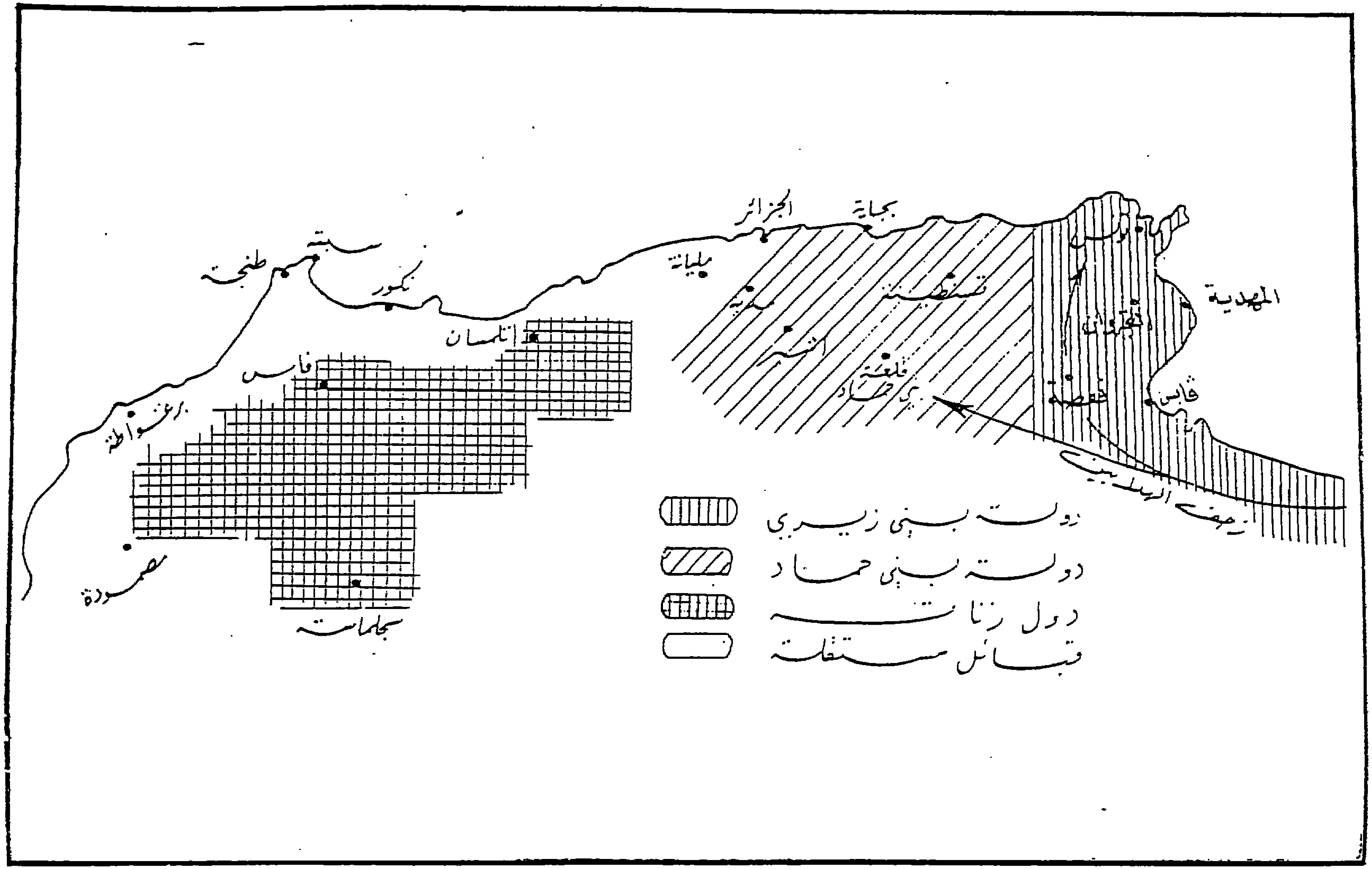


٥ — توزيع قبائل البربر في بلاد المغرب العربي (نقلا عن ابن خلدون)

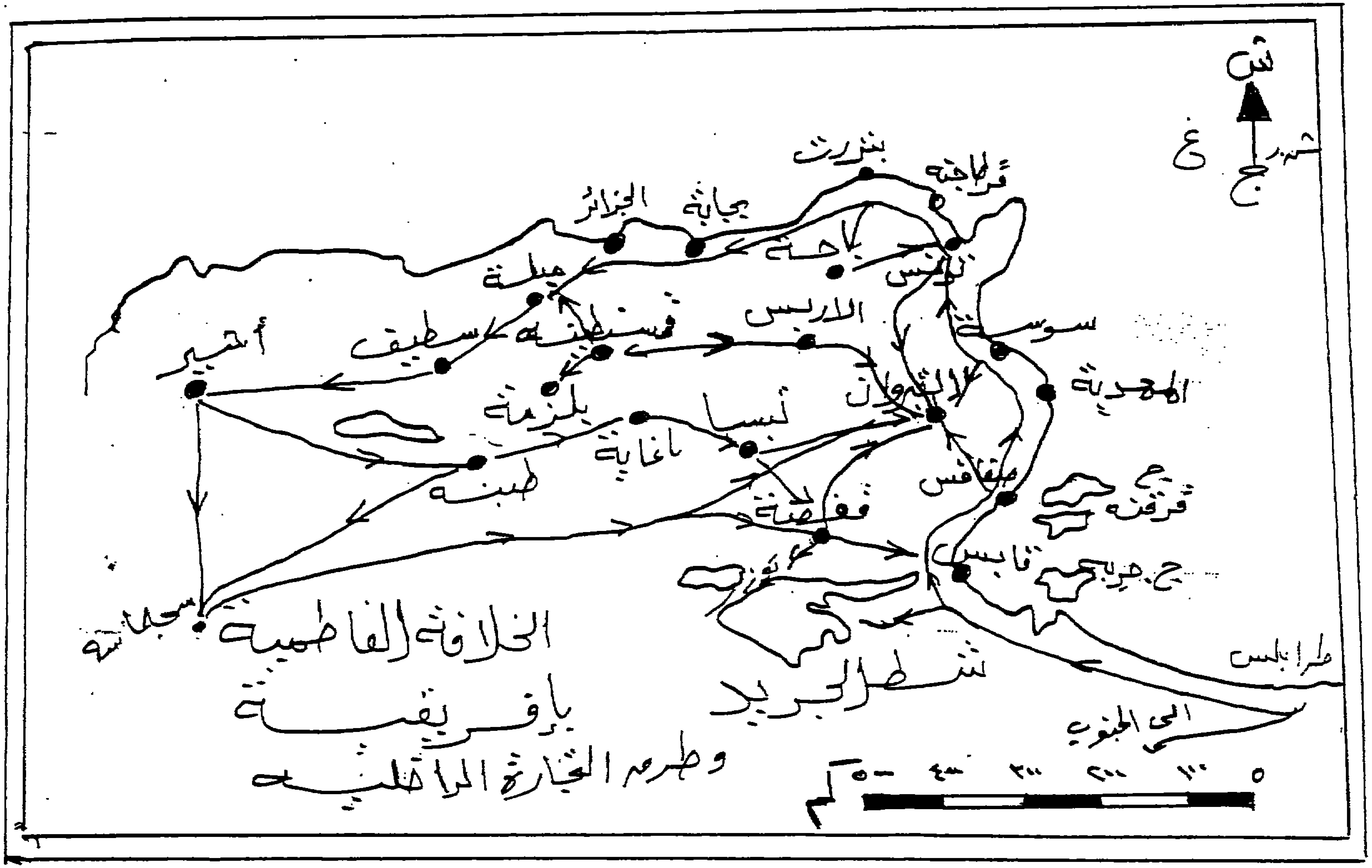

خريطة
مدن المغرب الإسلامي



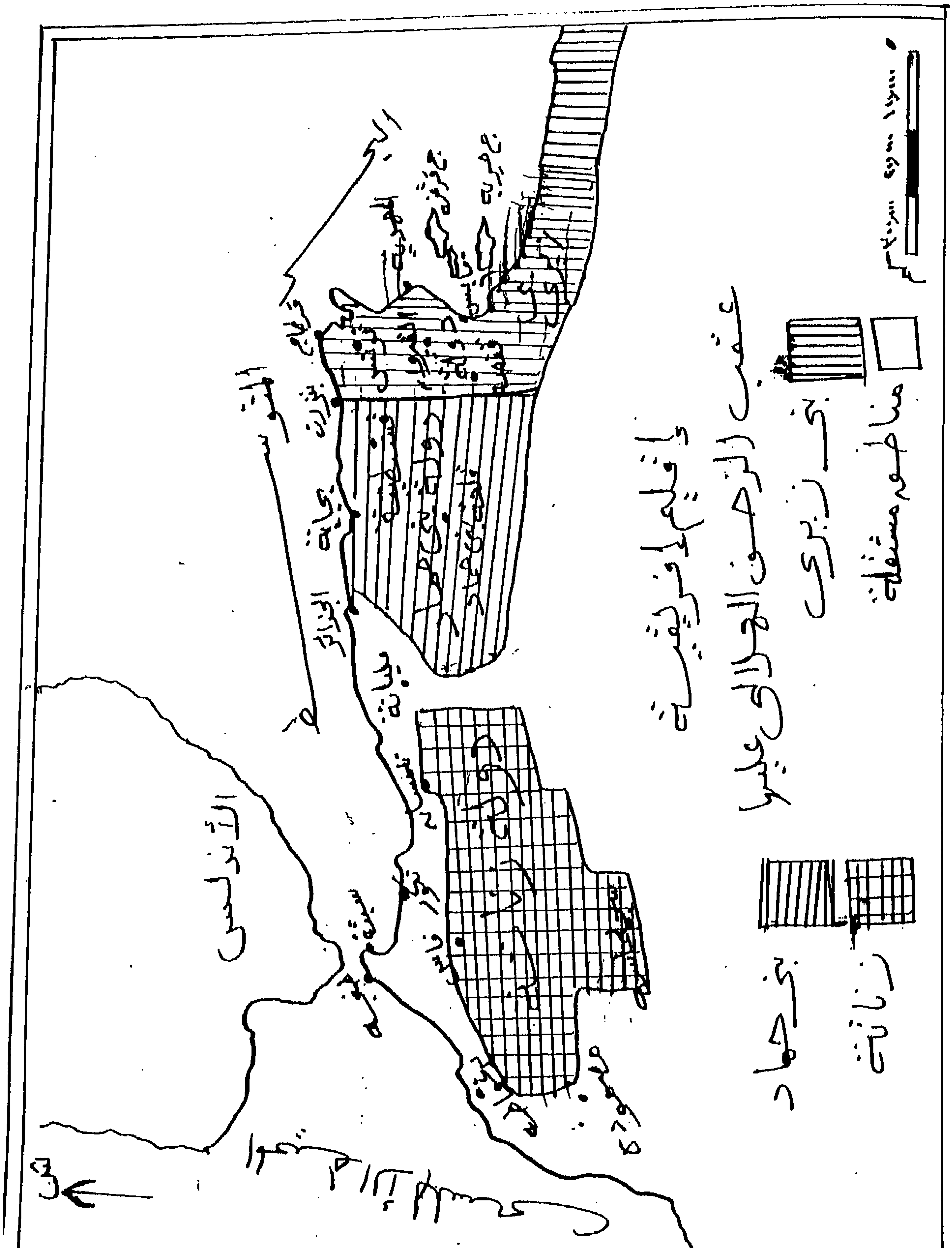
٧ ــ مراحل انتشار نفوذ الفاطميين فى المغرب
الحبيب الجنحاني - القيروان

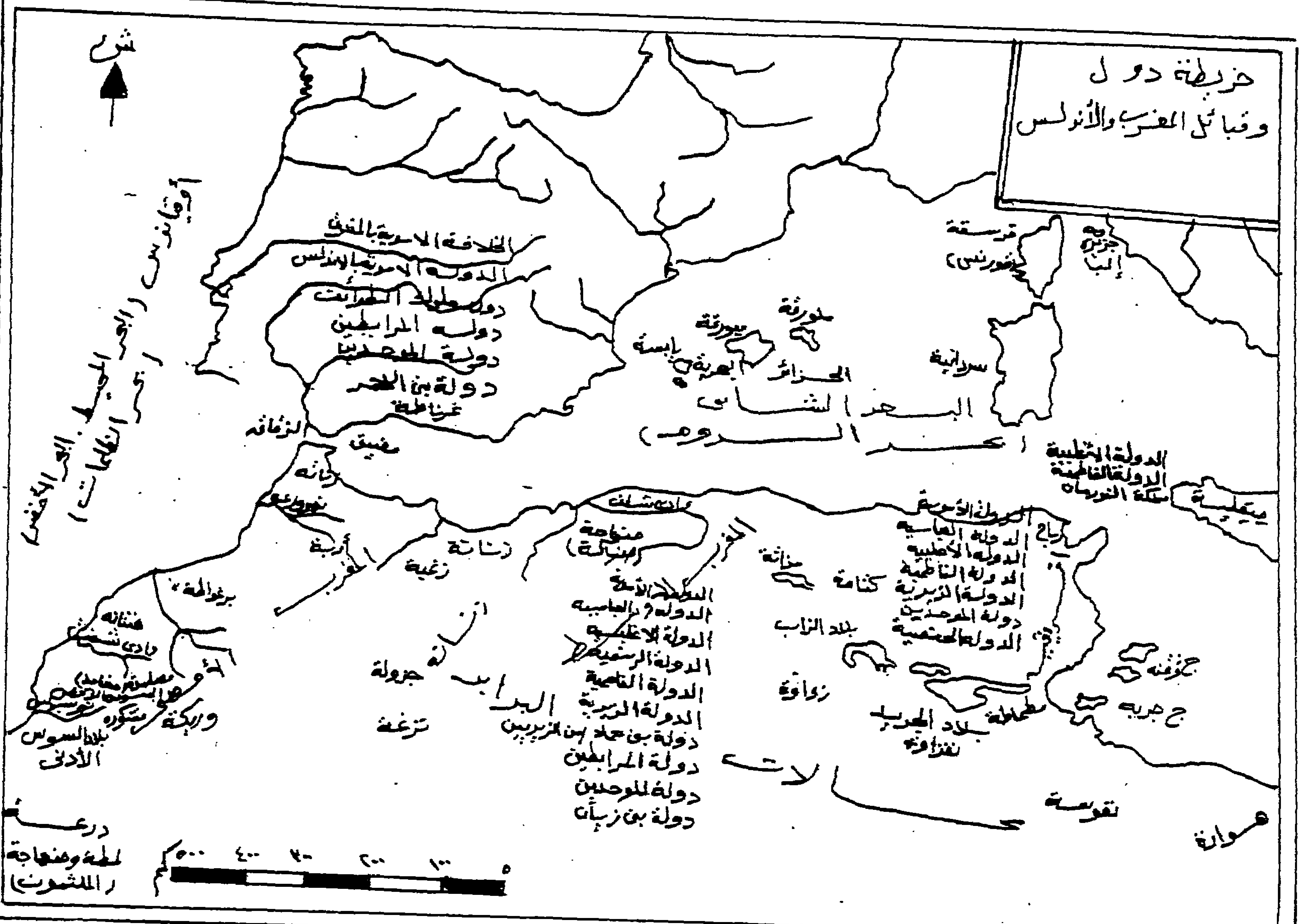


8 ـ المغرب العربي في منتصف القرن الحادي عشر الميلادي

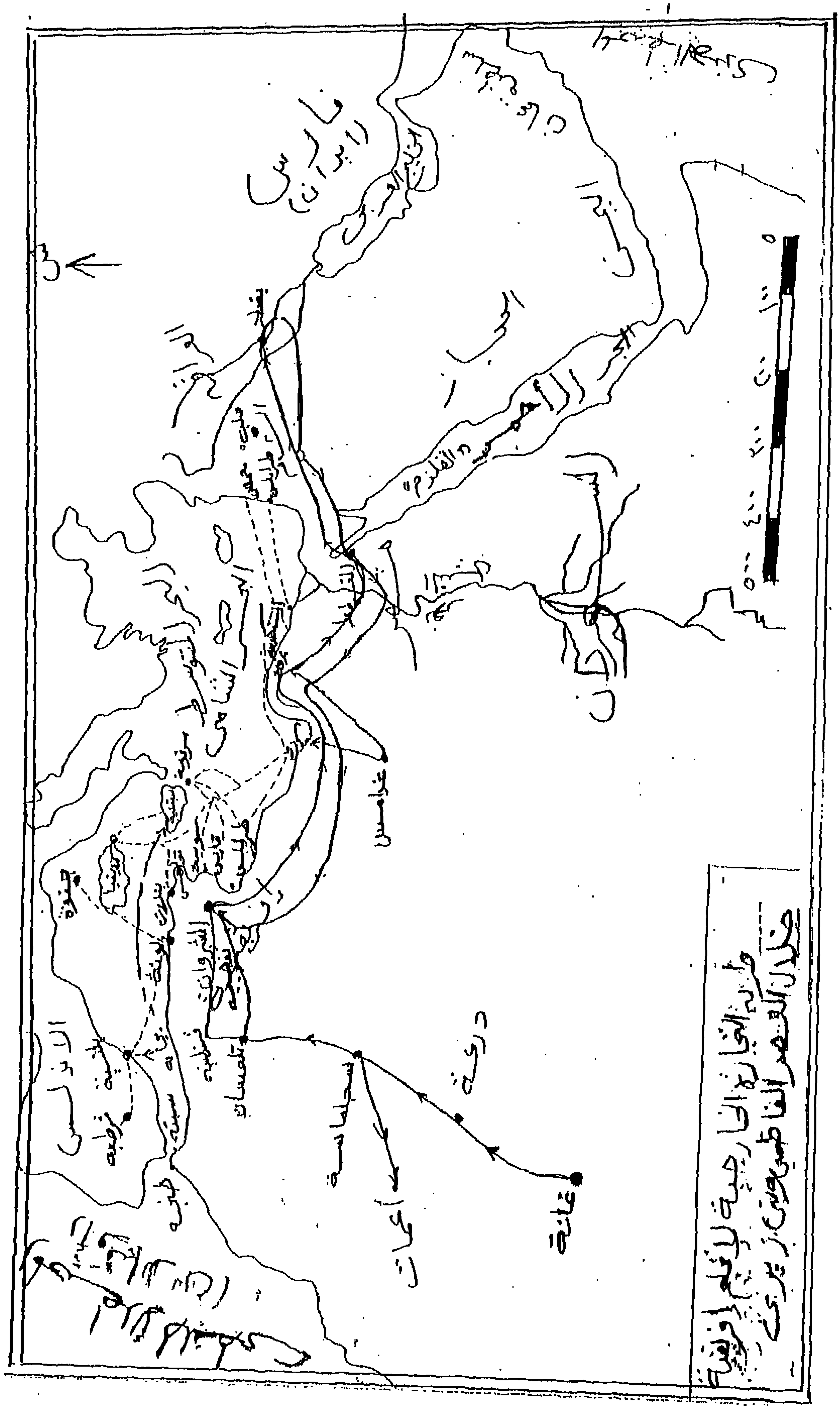


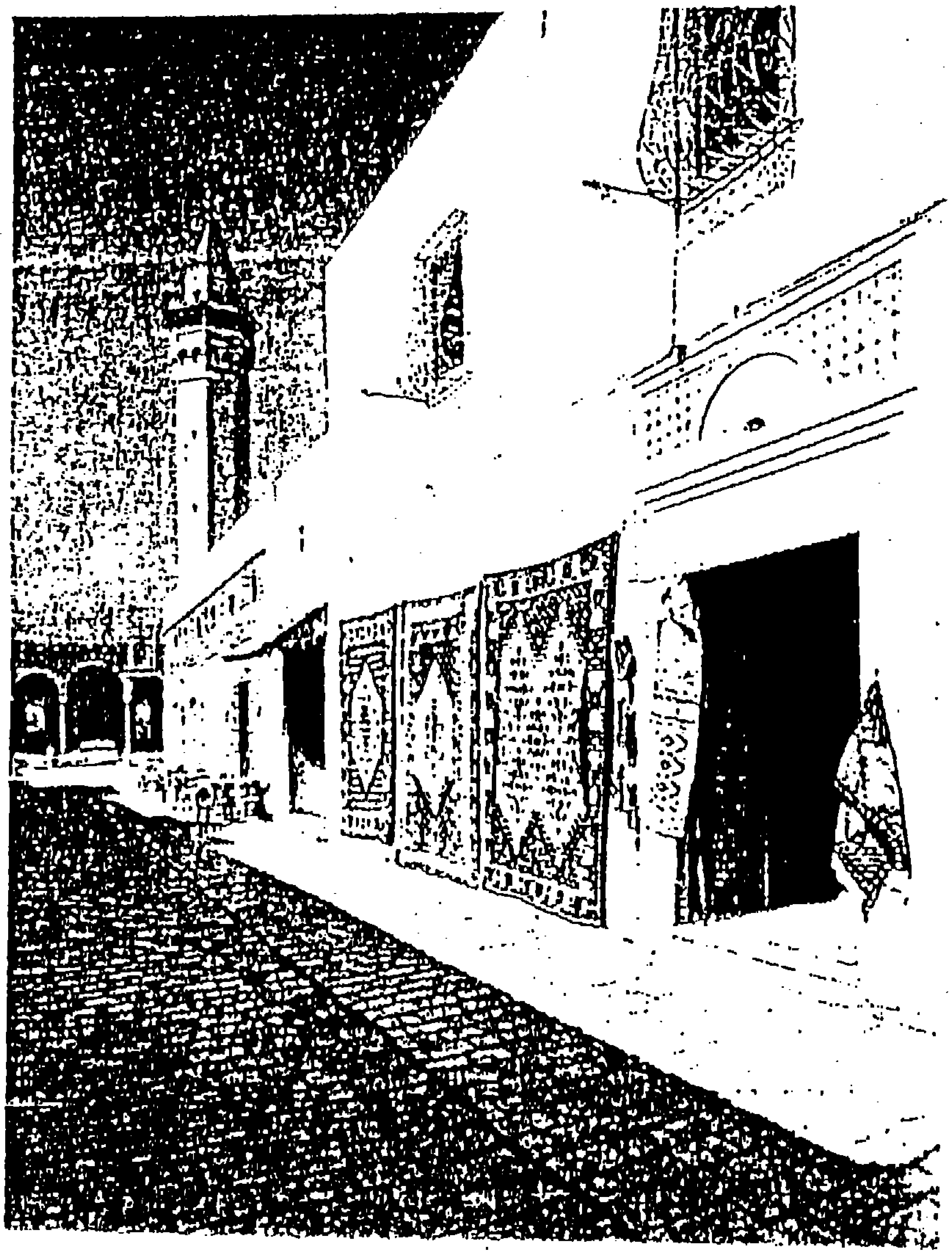
خريطة من عمل الباحث



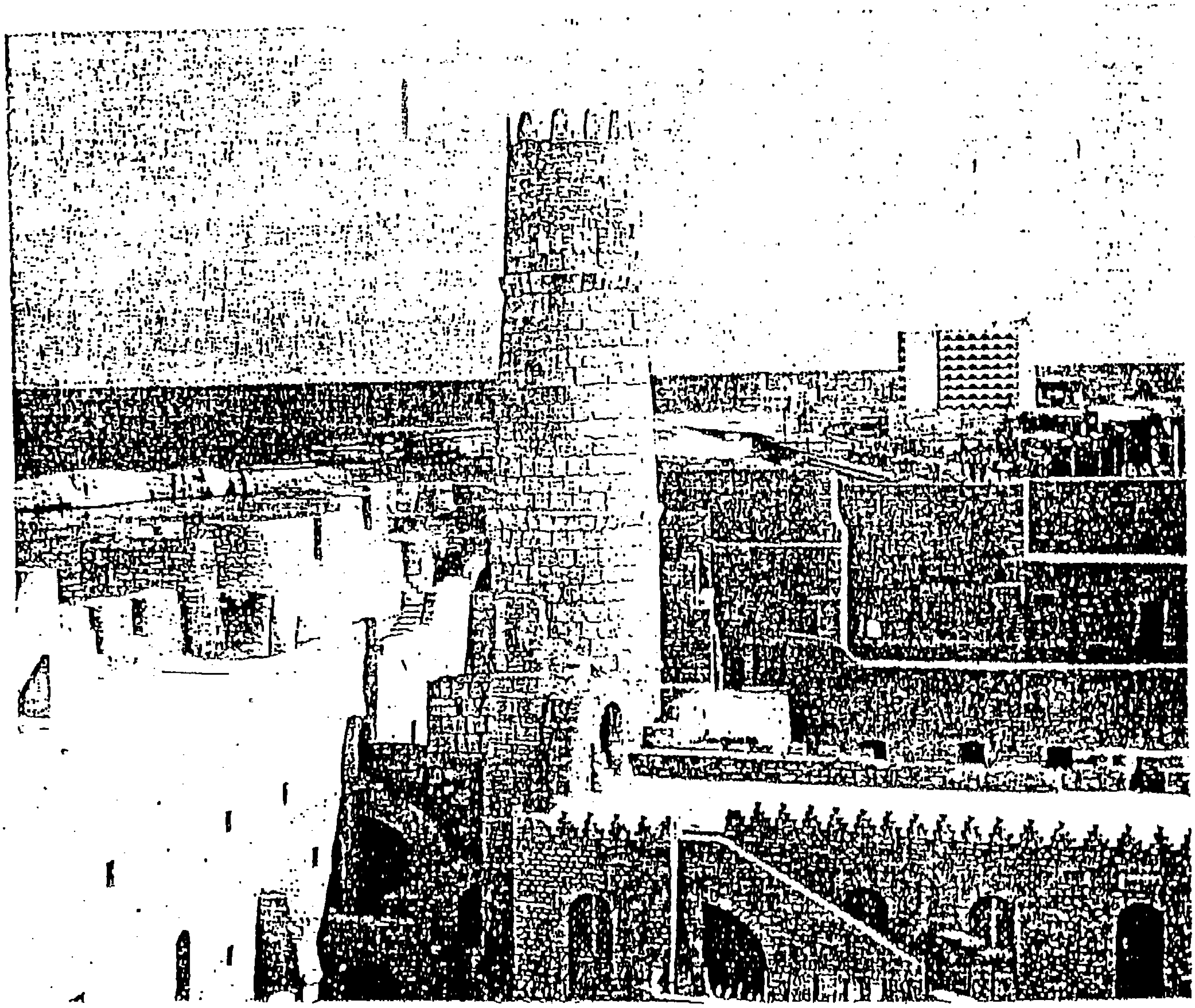


عبد المنعم ماجد: الأطلس التاريخي "١٣٠"


فارس
بغداد
البحر الأحمر
القلزم
القيروان
تلمسان
سجلماسة
درعة
غانة
أغمات
قرطبة



تمتاز اسواق تونس بطابعها الشرقى
الاصيل ونظافتها
أحمد طلبه - تونس



رباط منستير
أحمد طلحة - تونس



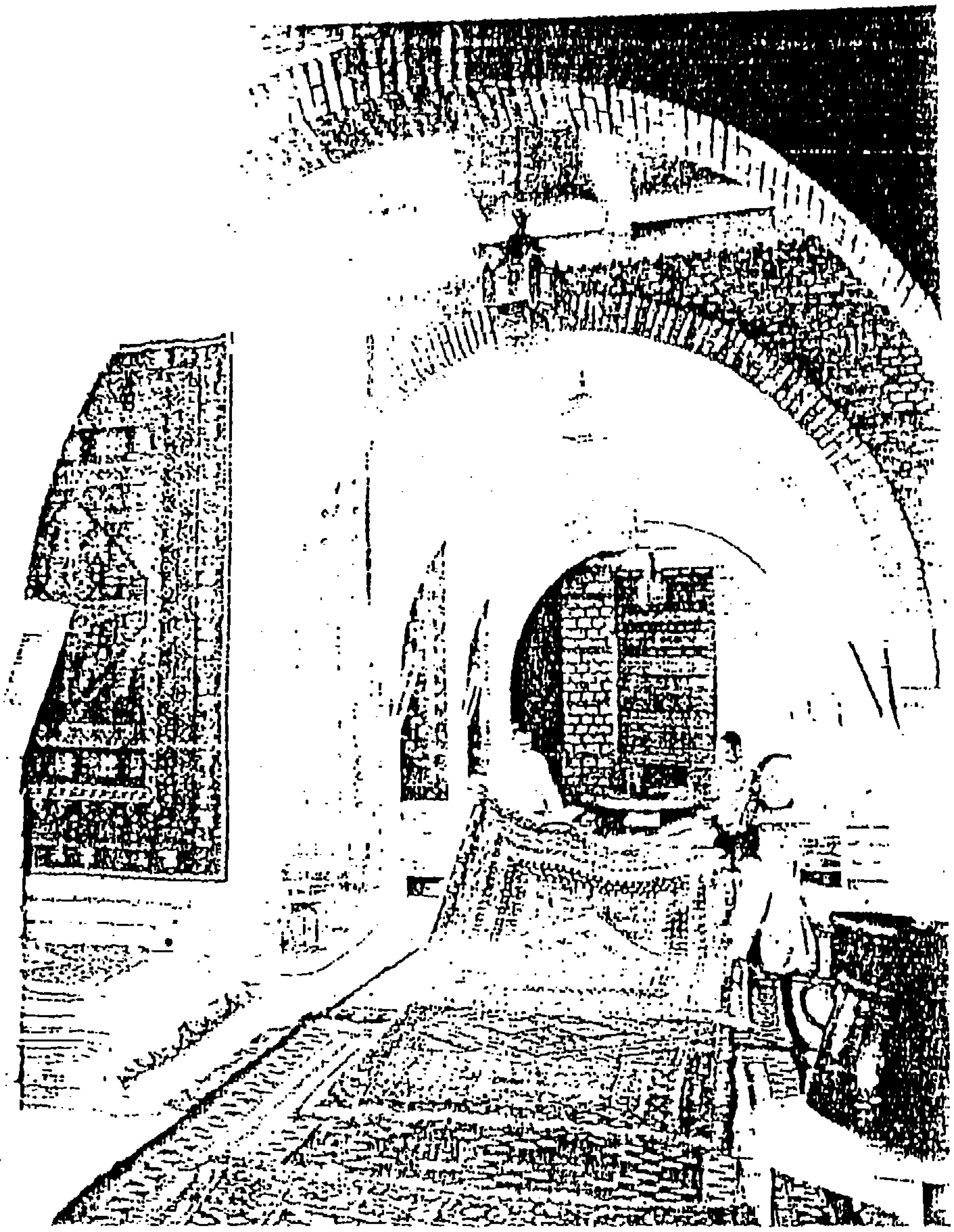
تطريز الملابس بخيوط الذهب والفضة حرفة فنية
برع التونسيون فيها وتتجلى فيها روعة الفن الإسلامي

أحمد هايجه - تونس

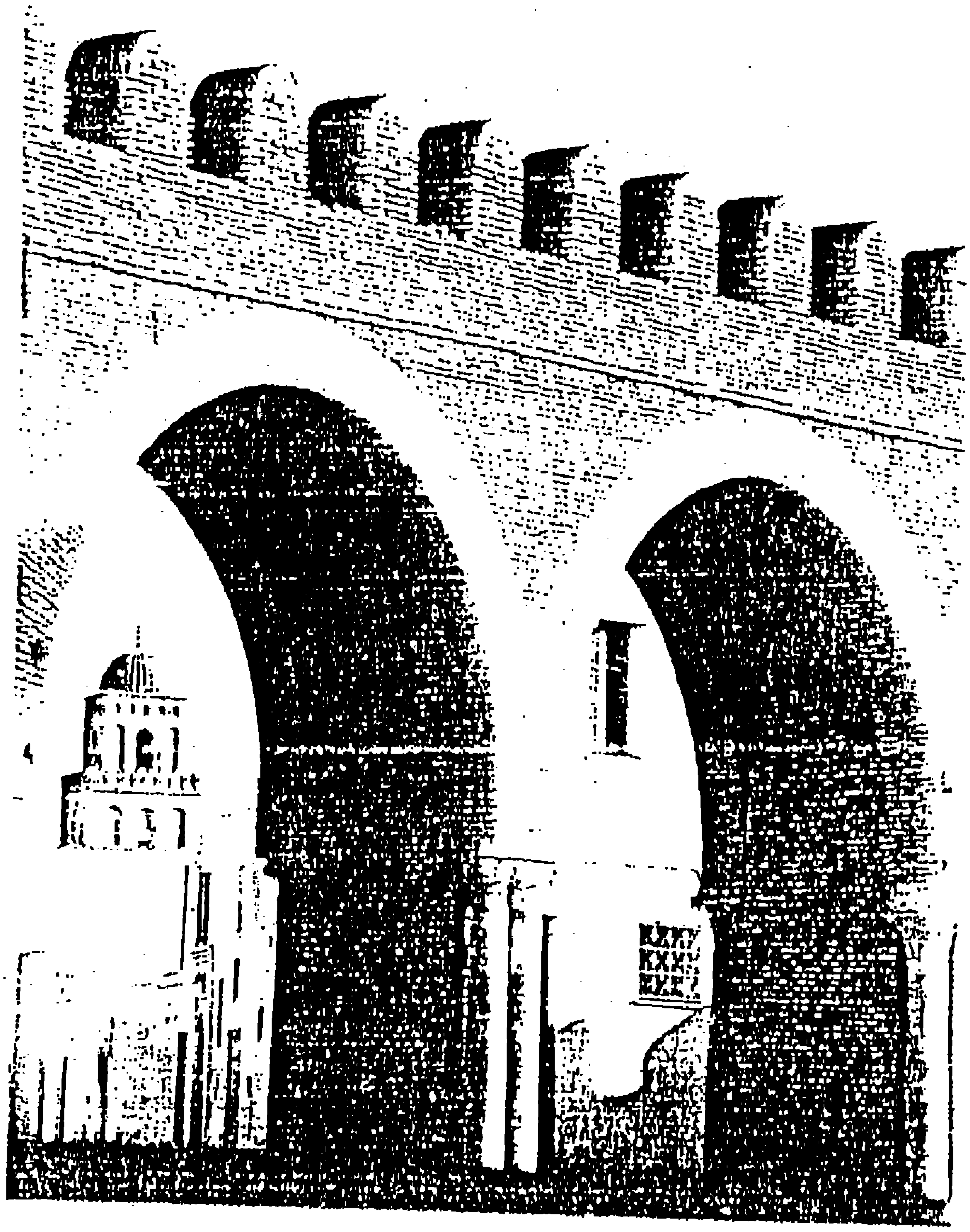


الشوارع القديمة في تونس بصورها العربية

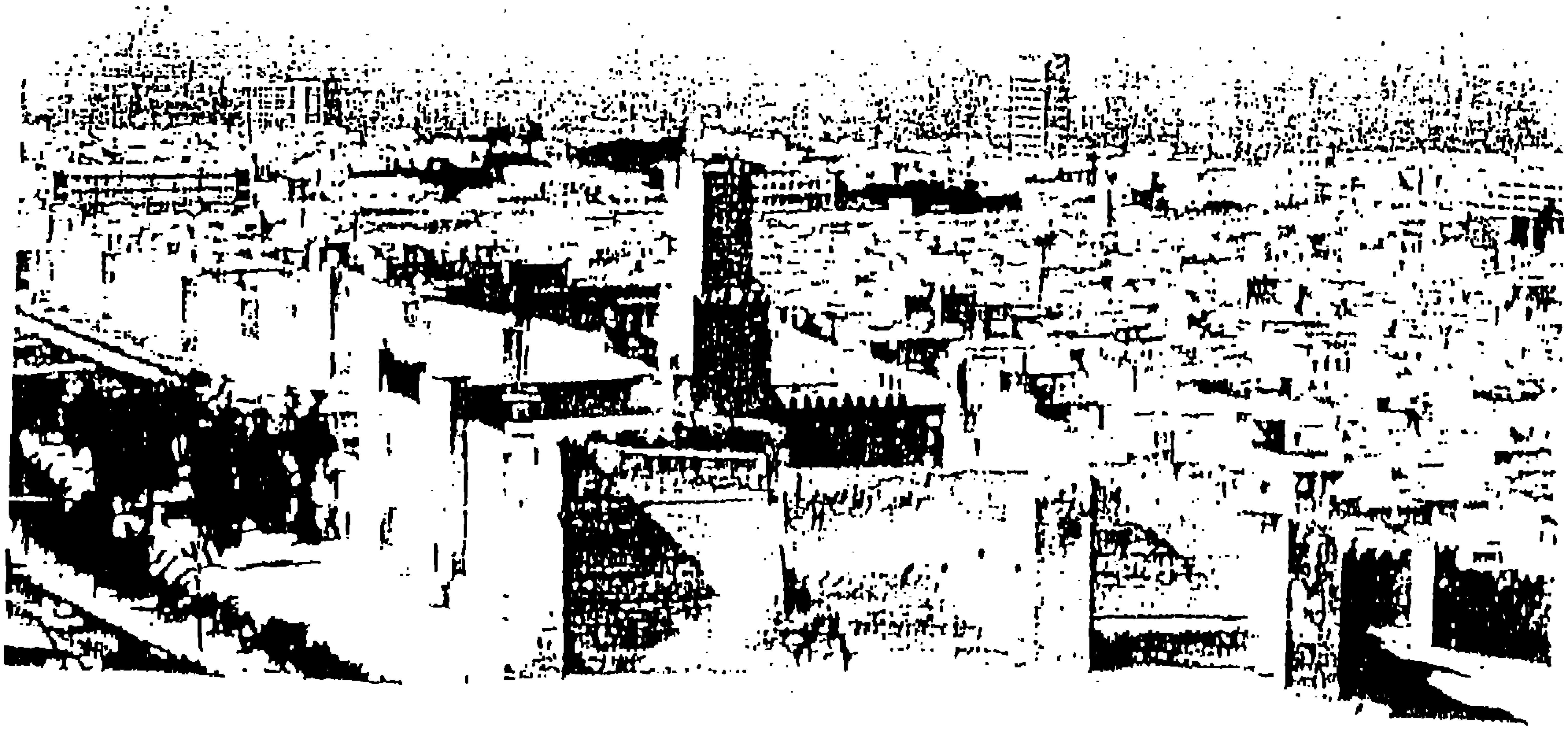
أحمد صلبي " تونس



صناعة السجاد اليدوي من الحرف الشهيرة
في مدينة تونس
أحمد صليحة - تونس



ابواب مدينة القيروان واسوارها
أحمد صابحه - تونس

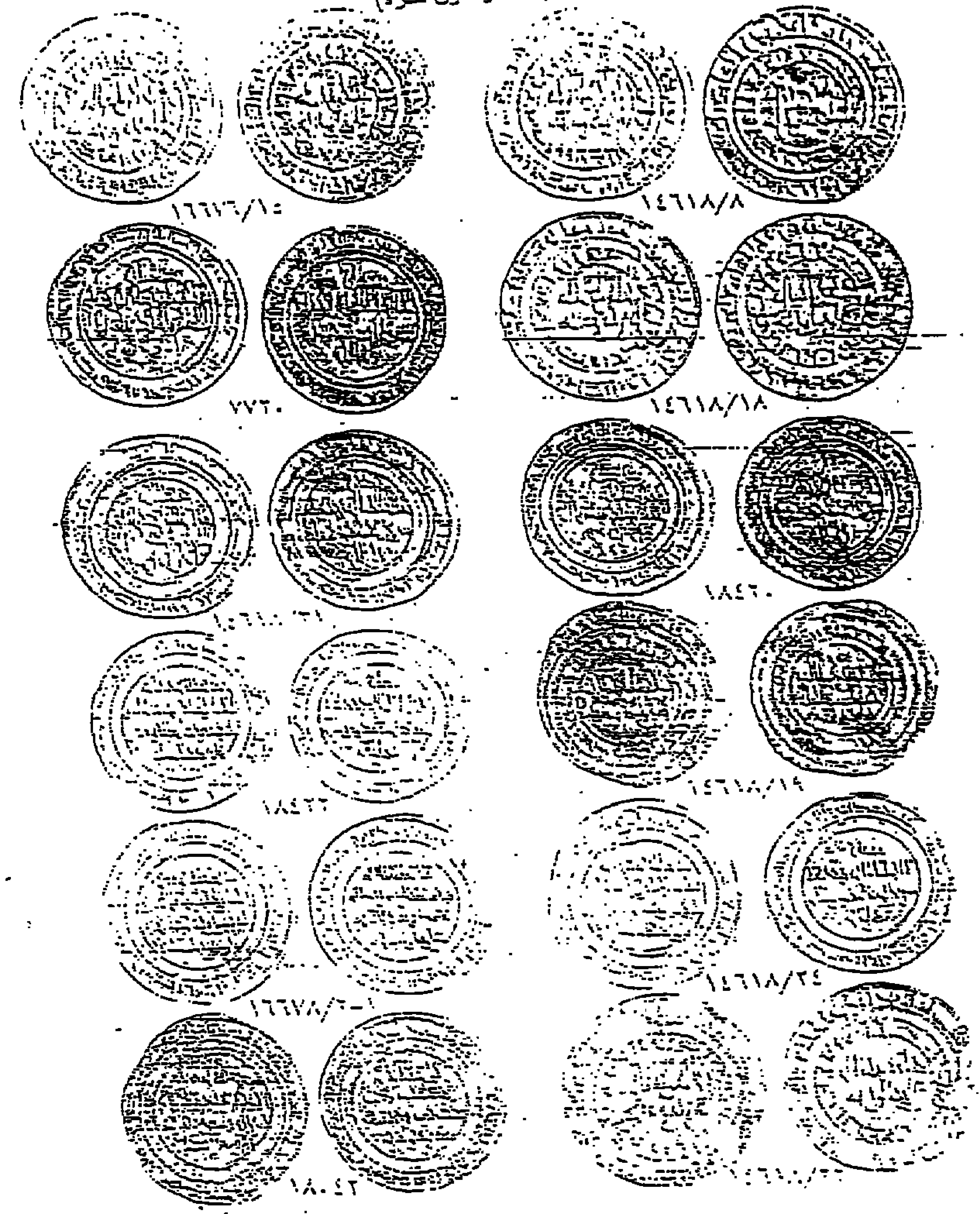


مدينة سوسة وأسوارها القديمة

أحمد صليحه - تونس

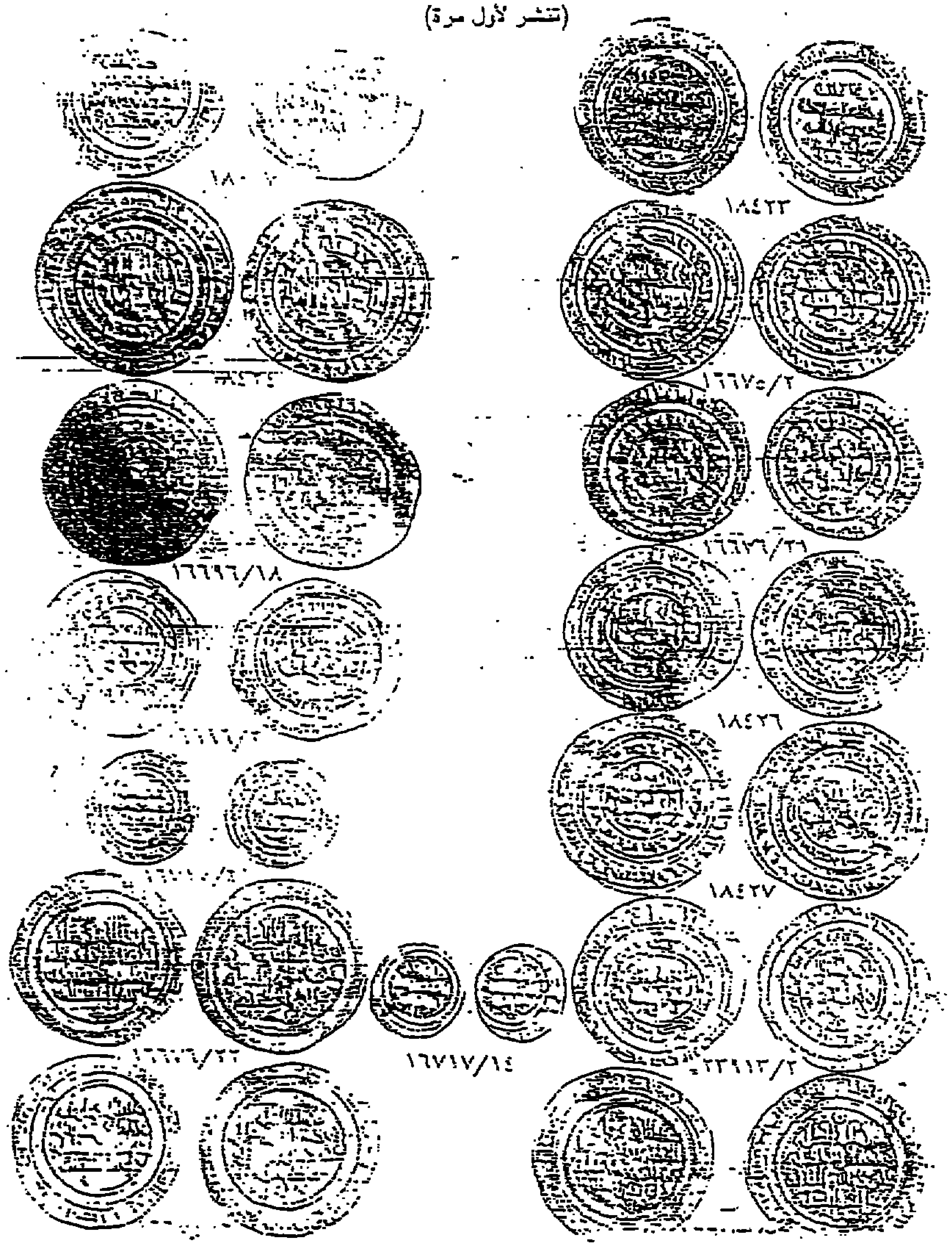
(لوحة ١٧) دنانير الخليفة الحاكم بأمر الله

(تنشر لأول مرة)

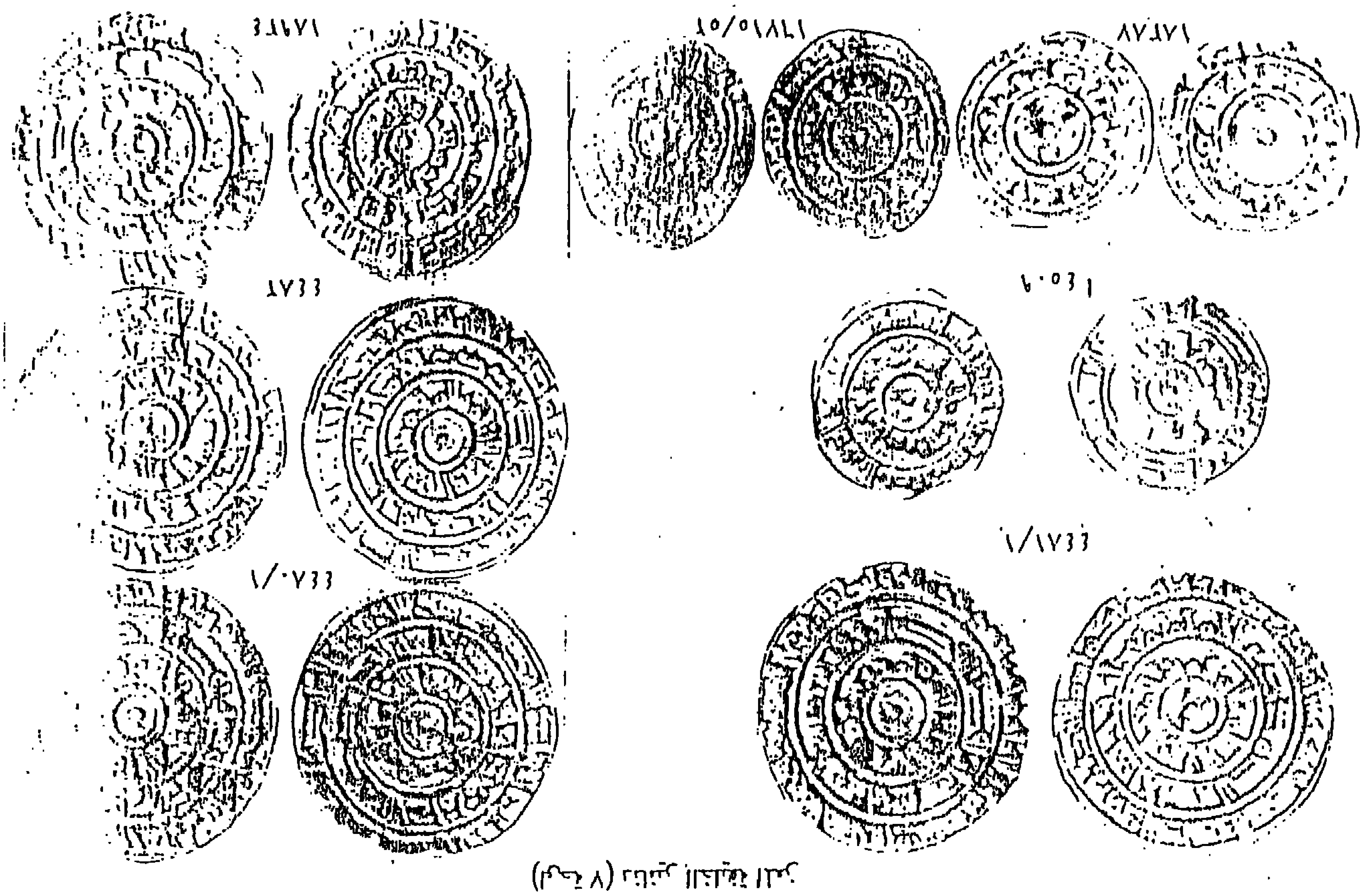


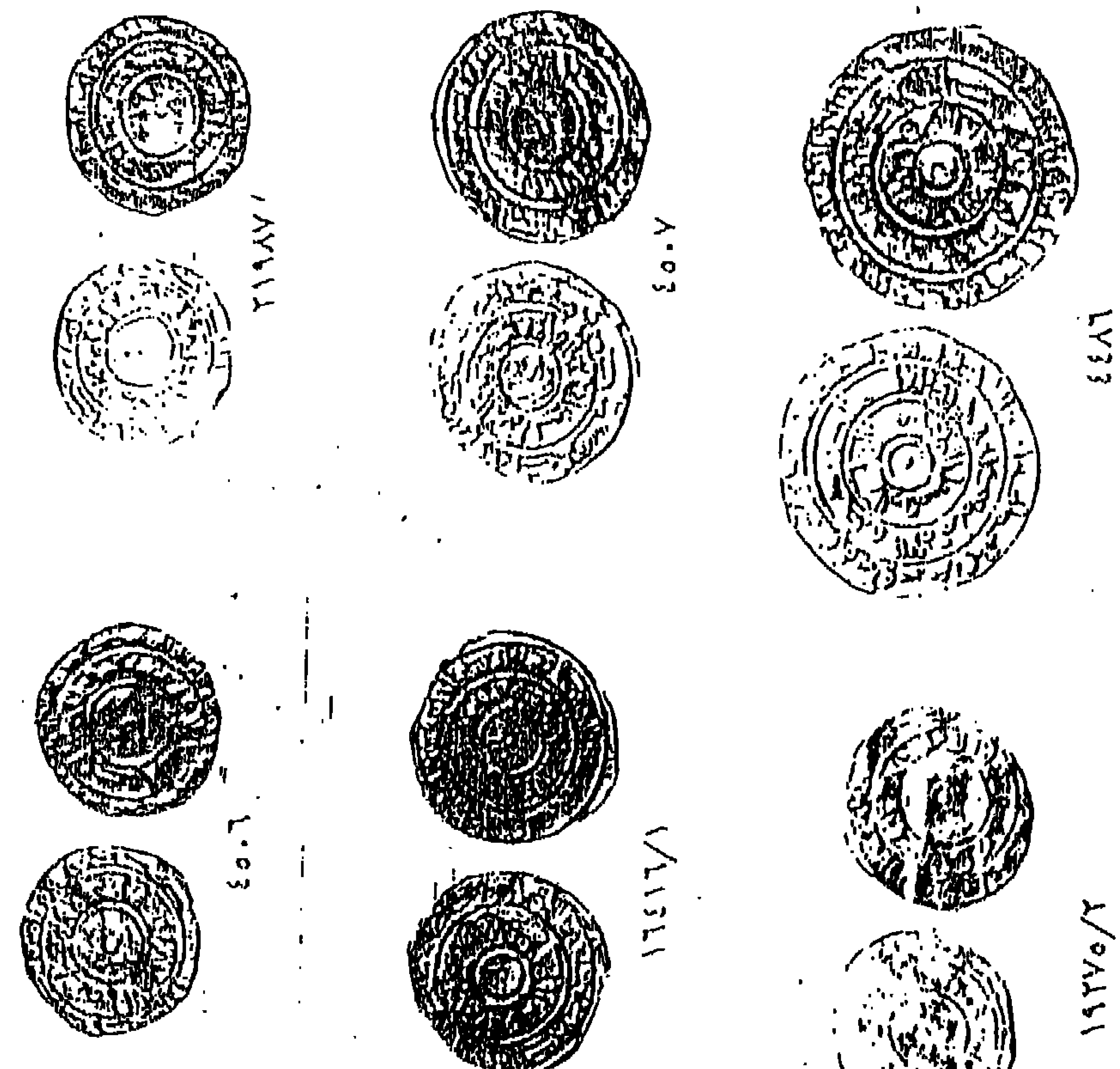
(لوحة ١٨) دنانير الخليفة الحاكم بأمر الله

(تنشر لأول مرة)



د/ مايسة محمود داود
المسكوكات الفاطمية



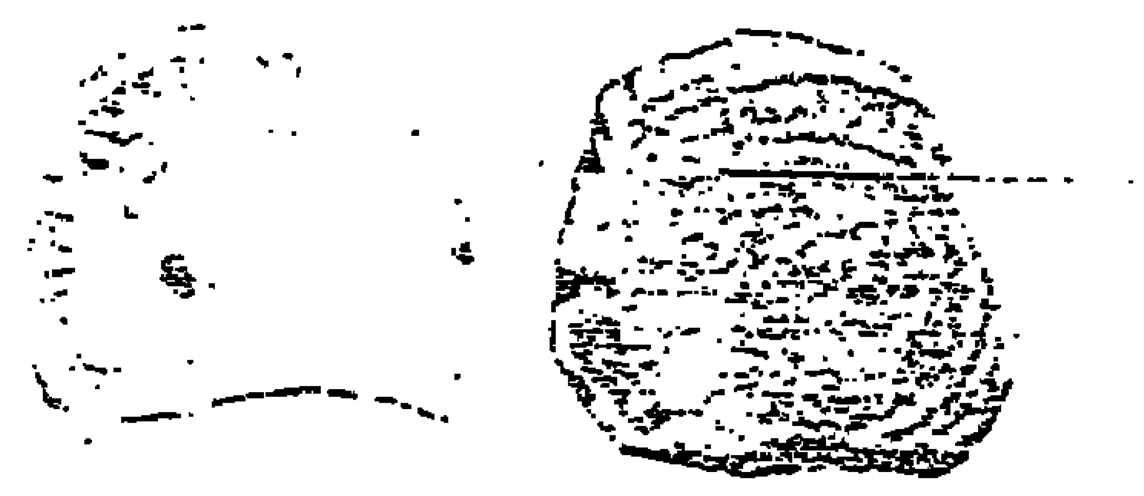


(لوحة ٨) دنانير الخليفة المعز

د/ مايسة محمود داود
المسكوكات الفاطمية

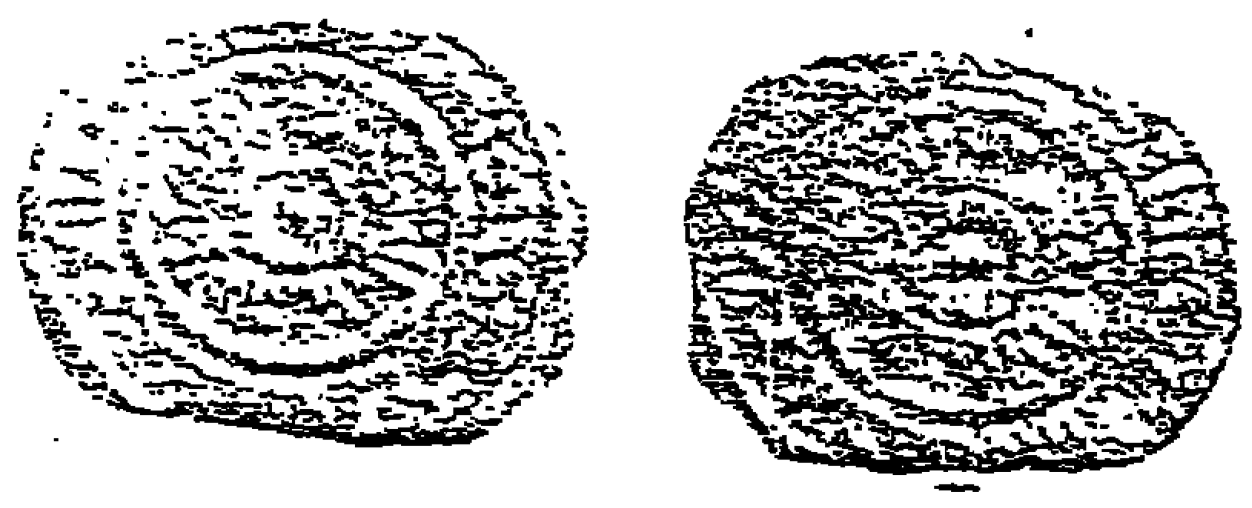
(لوحة ٩) دراهم وفلوس الخليفة المعز الدراهم

الدراهم



٢٠٩٦٠

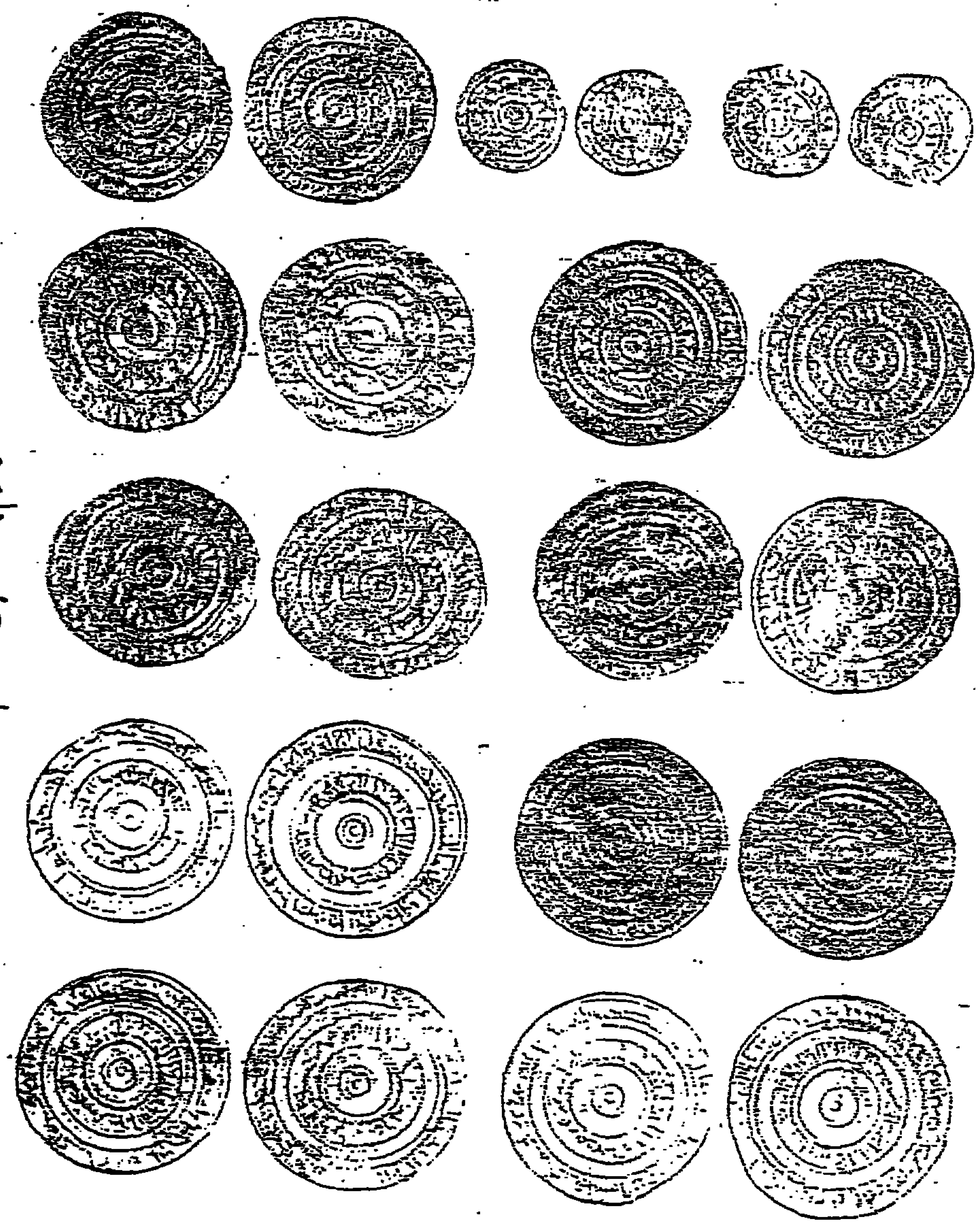
الفلوس

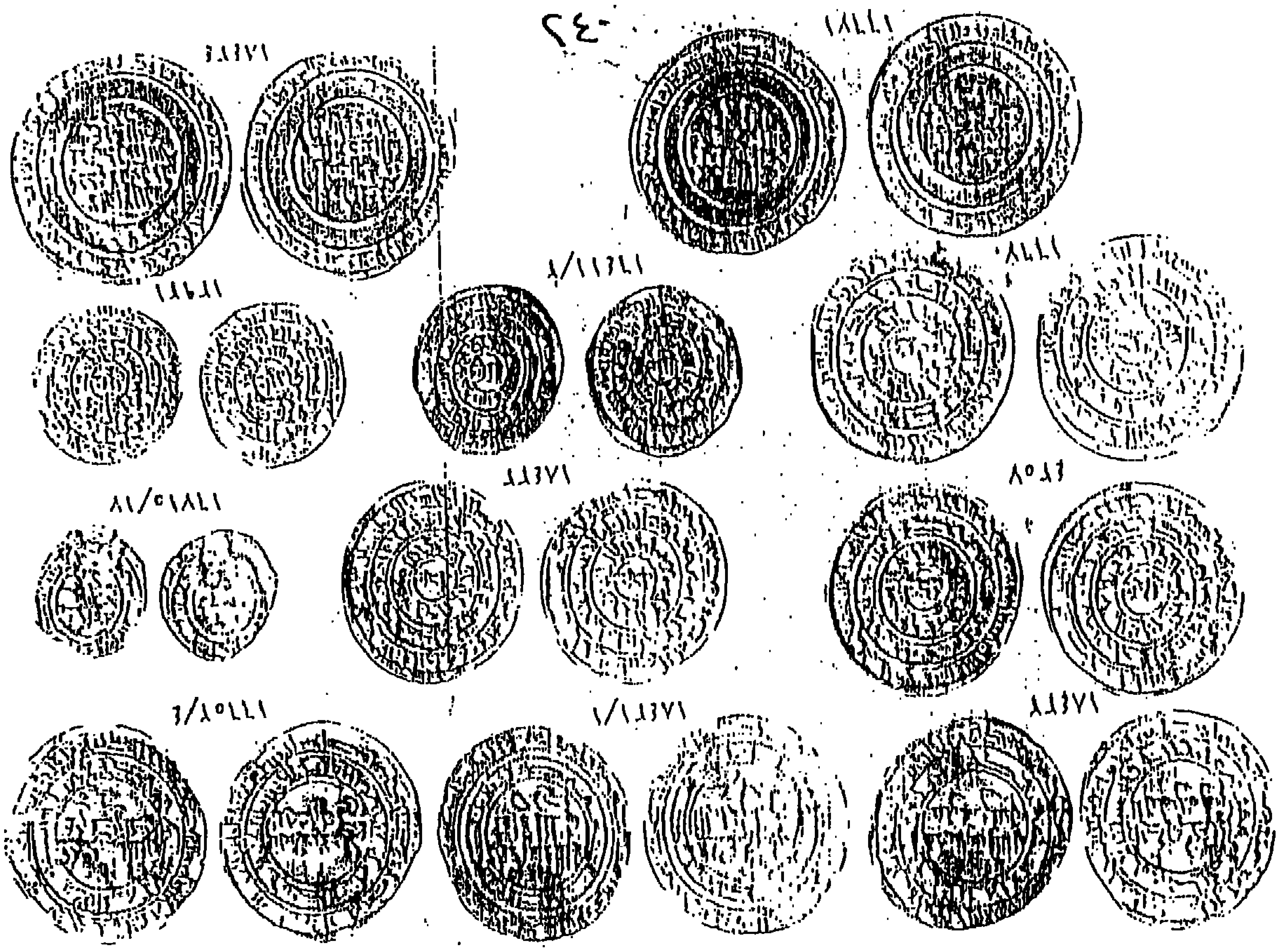


٦٧٢٤/٣

(لوحة ١٠) دنانير الخليفة العزيز

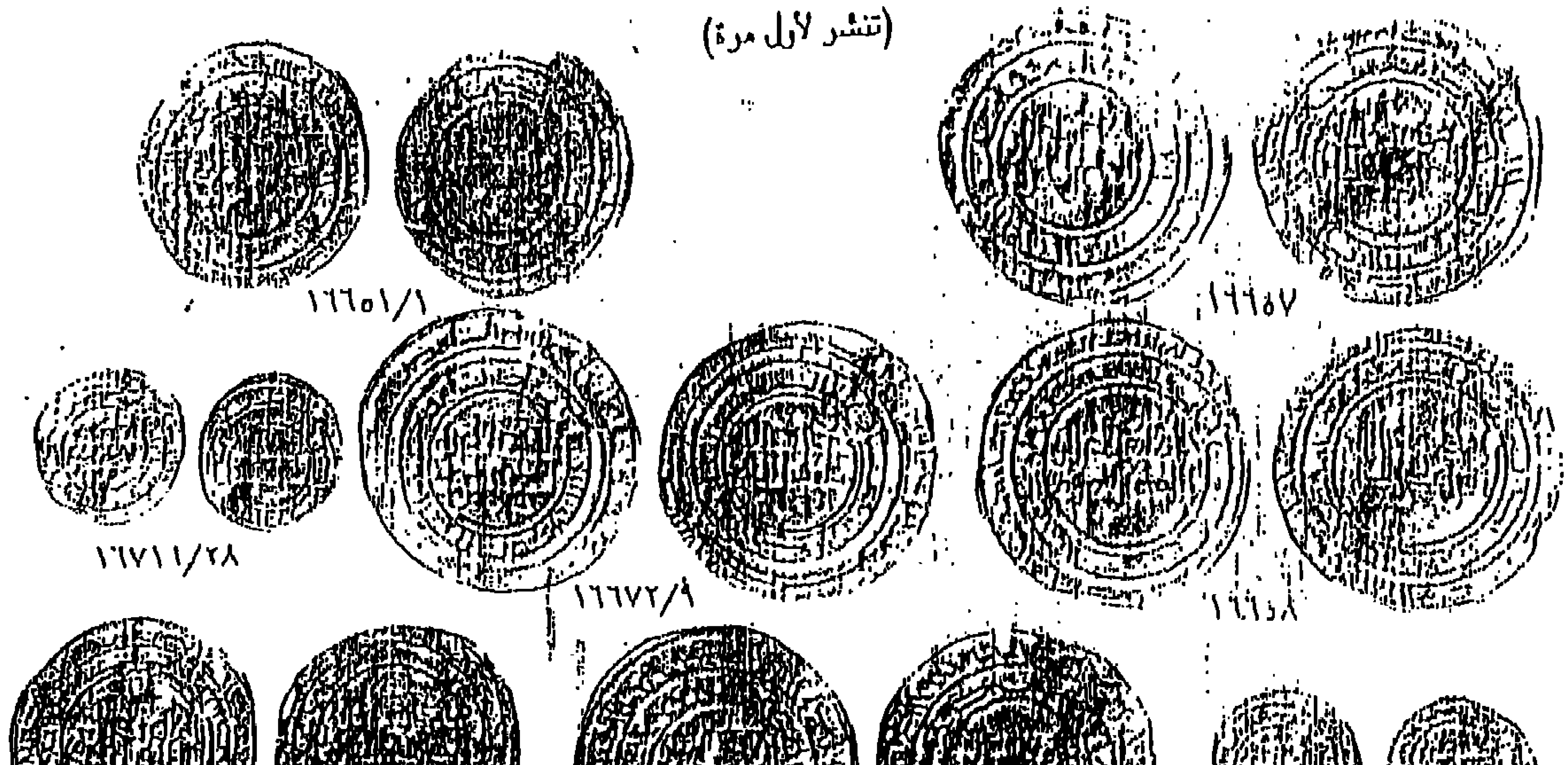
(تنشر لأول مرة)





(لوحة ٢٤) دنانير الخليفة الظاهر لإعزاز دين الله

(تنشر لأول مرة)

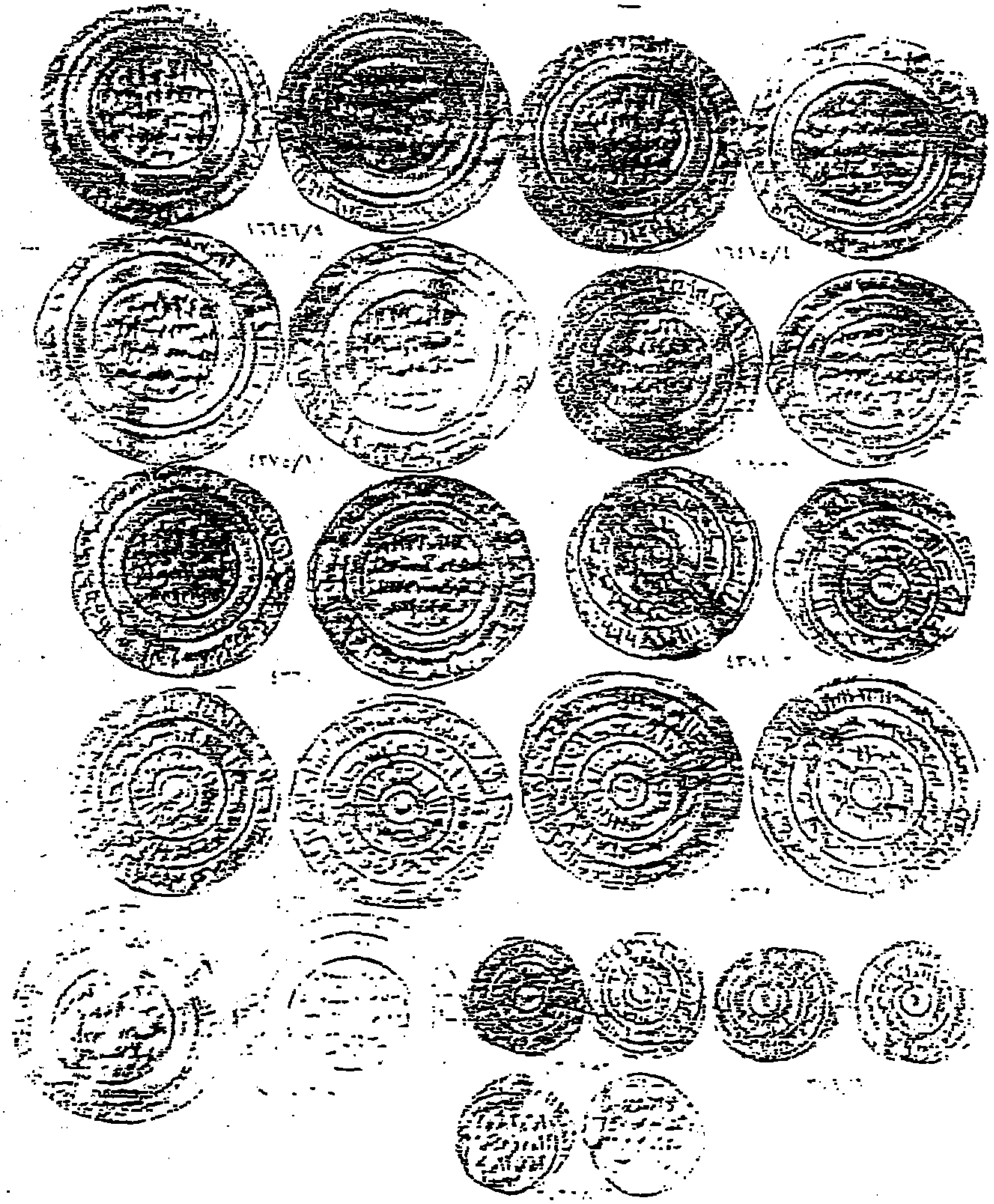


د/ مايسة محمود داود
المسكوكات الفاطمية

(لوحة ٣١) دنانير الخليفة المستنصر بالله
(تنشر لأول مرة)



(لوحة ٣٢) دنانير الخليفة المستنصر بالله
(تنشر لأول مرة)



د/ مايسة محمود داود
المسكوكات الفاطمية

المصادر
والمراجع

المصادر والمراجع

- المخطوطات
- المصادر المطبوعة
- المراجع العربية
- المراجع المترجمة
- الرسائل العلمية
- الدوريات.
- المعاجم
- المراجع الأجنبية

المخطوطات :

١- أبو زكريا : توفى فى النصف الثانى من القرن الرابع الهجرى / النصف الثانى من القرن العاشر الميلادى ، يحيى ابن أبى بكر الورجلانى (٤٧١هـ/١٠٨١م)

كتاب السيرة وأخبار الأئمة

مخطوط بدار الكتب مزج رقم ٩٠٣٠ ميكروفيلم ١٨٤٢٥.

٢- عياض : توفى "٥٤٤هـ / ١١٥٦م عبياض موسى اليحصبى

ترتيب المدراك وتقريب المسالك

مخطوط بدار الكتب رمز ح رقم ٩٦٧٣ ميكروفيلم ٣٨٥٩٦، ٣٨٦٠ ٤ أجزاء .

٣- المالكى : توفى فى نهاية القرن الرابع الهجرى / نهاية القرن العاشر الميلادى ، أبوبكر عبدالله بن محمد المالكى

رياض النفوس فى طبقات فقهاء مدينة القيروان وتونس

مخطوط بدار الكتب رمز ح رقم ٦٣٥٠ ميكروفيلم ٣٨٦٢١ .

٤- مجهول

سيرة الحاكم وحمزه ابن على

مخطوط بدار الكتب رمز جلال الحسينى رقم ٥٧٩ميكروفيلم ٣٠٧٣٨ .

٥- النيسابورى : ت أواخر القرن الرابع الهجرى / أواخر القرن العاشر الميلادى ، أحمد بن ابراهيم

استتار الامام .

مخطوط بدار الكتب رمز ح رقم ١١٤٩٧ ميكروفيلم ١٨٣٩٦ ، ١٦٤٥ .

٦- الوسيانى : ت ٤٧١هـ / ١٠٩٢م أبو الربيع عبدالسلام الوسيانى .

سير أبى الربيع

مخطوط بدار الكتب رمز ح رقم ٩١١٣ ميكروفيلم ٣٢٧١ .

٧- اليمانى : ت فى القرن الرابع الهجرى / العاشر الميلادى ، محمد ابن محمد اليمانى :

سيرة الحاجب جعفر ابن على وخروج المهدى بن سلميه ووصوله إلى سجلماسه

مخطوط بدار الكتب رمز ح رقم ١١٤٩٧ ميكروفيلم ٥٦٠٢ ، ١٦٤٦ .

قائمة المصادر المطبوعة

١- أبوزيد القيروانى : ت ٣٨٦هـ/ ٩٩٨م . أبى زيد القيروانى :

متن الرسالة

تحقيق الشيخ أحمد نصر ، مطبعة الاستقامه بمصر ، القاهرة ١٩٥٢.

٢- ابن الأثير : ت ٦٣٠هـ / ١٢٤٢م أبى الحسن على بن محمد الجزرى :

الكامل فى التاريخ

٨ أجزاء ، دار صادر ، بيروت ، بدون .

٣- ________________

أسد الغابة فى معرفة الصحابة

تحقيق محمد ابراهيم البنا، محمد أحمد عاشور ، محمود عبدالوهاب فايد ، جـ٢ ، جـ٤ ، دار الشعب ، القاهرة .

٤ - الاصطخرى : ت ٣٠٩هـ/ ٩٥١م أبو اسحق ابراهيم بن محمد الفارسى الاصطخرى :

المسالك والممالك

تحقيق محمد جابر ، محمد شفيق غربال ، الجمهورية العربية المتحدة ، وزارة الثقافة والارشاد القومى ، القاهرة ١٩٦١م.

٥- ابن أعثم : ٣١٤هـ / ٩٢٦م . أبى محمد أحمد بن أعثم الكوفى :

كتاب الفتوح

٨ أجزاء، الطبعة الأولى ، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية بحيدر اباد ، الدكن، الهند ، دار الندوة الجديدة، بيروت ، بدون .

٦- ابن إياس : ت ٩٣٠هـ/ ١٥٢٣م . محمد بن أحمد اياس الحنفى :

بدائع الزهور فى وقائع الدهور

تحقيق محمد مرتضى ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، ١٩٨٢م .

٧- الباجى المسعودى : ت ١٢٥٣هـ/ ١٨٦٥م . أبى عبدالله محمد الباجى المسعودى :

الخلاصة النقية فى أمراء إفريقية

نسخة بدار الكتب المصرية ، هدية من محرم بك بيرم فى رمضان ٢٦ يوليه ١٨٩٧م .

٨- البخارى : ت ٢٥٦هـ/ ٨٦٩م . أبى عبدالله اسماعيل بن ابراهيم الجعفى البخارى :

كتاب التاريخ الكبير

٨ أجزاء ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، بدون .

٩- البغدادى "ت ٧٣٩هـ /١٣٥١م " صفى الدين عبدالمؤمن بن عبدالحق :

مراصد الاطلاع على اسماء الامكنة والبقاع "مختصر معجم البلدان لياقوت"

٣ أجزاء ، تحقيق محمد البجاوى ، دار المعرفة ، بيروت ، ١٩٥٤م .

١٠- البكرى: ت٤٨٧هـ / ١٠٩٩م أبى عبيد الله بن عبدالعزيز البكرى :

المغرب فى ذكر بلاد إفريقية والمغرب

دار المثنى ، بغداد ، بدون .

١١- البلاذرى : ت ٢٨٤هـ/ ٨٩٦م . أحمد بن يحيى بن جابر

فتوح البلدان

القاهرة ١٩٥٩ .

١٢- البيرونى : ت ٤٣٠هـ/ ١٠٤٢م . أبى الريحان محمد بن أحمد البيرونى :

كتاب الجماهر فى معرفة الجواهر

مكتبة المتنبى ، القاهرة .

١٣- التيجانى : ت ٧١٩هـ /١٣٣١م . أبوعبدالله محمد بن أحمد :

رحلة التيجانى

تقديم حسن حسنى عبدالوهاب ، المطبعة الرسمية التونيسية ، تونس ، ١٩٥٨م.

١٤- التيفاشى : أحمد بن يوسف التيفاشى :

ازهار الافكار فى جواهر الاحجار

القاهرة ، ١٩٧٧م .

١٥- ابن تيميه : ت ٧٢٨هـ /١٣٢٧م . تقى الدين أبوالعباس أحمد بن عبد الحليم بن عبدالسلام :

الحسبة فى الإسلام " وظيفة الحكومة الإسلامية"

تحقيق محمد زهرى النجار، المؤسسة السعيدية ، الرياض ، ١٩٧٤م .

١٦- الجاحظ : ت ٢٥٥هـ / ٨٦٨م . عمرو بن بحر بن محبوب :

البيان والتبيين

جزآن ، تحقيق حسن السندوبى ، الطبعة الأولى ، المكتبة التجارية الكبرى ، القاهرة ١٩٢٦.

١٧- ابن جبير : ت ٦١٤هـ / ١٢٢٢م . أبو الحسن محمد بن أحمد بن جبير الكنانى الاندلسى

رحلة ابن جبير

تقديم محمد مصطفى زيادة ، دار الكتاب اللبنانى ، بيروت .

١٨- جوذر : ت فى القرن الرابع الهجرى ، العاشر الميلادى . أبى على منصور العزيزى الجوزى :

سيرة الاستاذ جوذر

تقديم د/ محمد كامل حسين ، د/ محمد عبدالهادى شعيرة ، دار الفكر العربى ، مطبعة الاعتماد ، القاهرة ، ١٩٥٤م .

١٩- ابن الجوزى: ت ٥٩٧هـ/ ١٤٠٥م ، أبى الفرج عبدالرحمن بن على بن محمد بن على بن الجوزى :

المنتظم فى تاريخ الامم والملوك

الطبعة الأولى ، مطبعة دائرة المعارف العثمانية، حيدراباد ، الدكن ١٣٥٨هـ .

٢٠- أبو الحسن على يوسف الحكيم :

الدوحة المشتبكة فى ضوابط دار السكة

مطبعة معهد الدراسات الاسلامية ، مدريد .

٢١- الحميرى : ت ٩٠٠ هـ / ١١١٢م. محمد بن عبدالمنعم الحميرى :

الروض المعطار فى خبر الأقطار

تحقيق د/ إحسان عباس ، مكتبة لبنان ، ١٩٧٤م.

٢٢- ابن حوقل : ت ٣٨٠ هـ / ٩٩٢م . أبو القاسم محمد بن حوقل النصيبى :

صورة الأرض

مكتبة الحياة ، بيروت ، ١٩٧٩م .

٢٣- الخشنى : ت ٣١٦هـ /٩٧٣م . أبى عبدالله محمد بن حارث الخشنى :

قضاة قرطبة وعلماء إفريقية

مكتبة الخانجى ، القاهرة ، ١٩٩٤م .

٢٤- ابن خلدون (ت ٨٠٨هـ/ ١٤٠٥-١٤٠٦م) عبدالرحمن بن محمد بن خلدون الحضرمى المغربى :

العبر وديوان المبتدأ والخبر " والمسمى بتاريخ ابن خلدون "

٧ أجزاء مؤسسة جمال للطباعة والنشر ، بيروت ، ١٩٧٩م .

٢٥- ـــــــــــــــــــــــ

مقدمة ابن خلدون

دار بن خلدون ، الاسكندرية ، بدون .

٢٦- ابن خلكان "ت ٦٨١هـ / ١٢٨١م " أبى العباس شمس الدين أحمد بن محمد أبى بكر :

وفيات الاعيان وأنباء أبناء الزمان

٨ أجزاء ، تحقيق د، احسان عباس ، دار صادر ، بيروت، ١٩٦٨م.

٢٧- الدباغ ت ٦٩٦هـ / ١٠٠٨م . أبوزيد عبدالرحمن محمد الانصارى الأسيدى:

معالم الايمان فى معرفة أهل القيروان

جزءان تحقيق ابراهيم شيوح ، مكتبة الخانجى جـ١ ، القاهرة ،١٩٦٨م .

٢٨- الدرجينى : ت ٦٧٠هـ / ١٢٨٢م أبو العباس أحمد بن سعيد الدرجينى :

كتاب طبقات المشائخ بالمغرب

جزءان تحقيق ابراهيم طلال ، القاهرة ١٩٧٤م .

٢٩- ابن أبى الدم : ت ٤٦٢هـ/ ١٢٥٤م . شهاب الدين ابراهيم بن أبى الدم الحموى:

التاريخ الإسلامى " التاريخ المظفرى"

جزءان ، تحقيق حامد زيان ، دار الثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة ١٩٨٥ م .

٣٠- ابن أبى دينار ت ١٠٩٢هـ/ ١٦٣١م . محمد بن أبى القاسم الرعينى القيروانى:

كتاب المؤنس فى اخبار إفريقية وتونس

مطبعة الدولة التونيسة بحاضرتها المحمية ، تونس ، ١٢٨٦هـ .

٣١- الذهبى : ت ٧٤٨هـ / ١٣٤٧م . الحافظ الذهبى :

العبر فى خبر من غبر

٣ أجزاء ، تحقيق أبوهاجر محمد السيعد – القاهرة .

٣٢- الرازى. محمد بن أبى بكر عبدالقادر الرازى :

مختار الصحاح

دار التنوير العربى ، بيروت ، ١٩٨٤م ، الطبعة الثانية ، وزارة المعارف العمومية ، المطبعة الاميرية ، بولاق ، القاهرة ، ١٩٣٧م .

٣٣- الزبيدى : ت ٨١٧هـ/ ١٤٢٩م . محمد مرتضى الحسينى الزبيدى :

تاج العروس فى جواهر القاموس

٢١ جزء ، تحقيق عبدالستار أحمد فراج ، مطبعة حكومة الكويت ، الكويت، ١٩٦٥م .

٣٤- السلاوى: ت ١٣١٩هـ / ١٩١١م . أحمد بن خالد الناصر السلاوي:

الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى

القاهرة ١٨٩٤م .

٣٥- ابن سيده "ت ٤٥٨هـ / ١٠٧٠م" أبى الحسن على بن اسماعيل الاندلسى

كتاب المخصص

٥ مجلدات ، المكتب التجارى للطباعة والتوزيع والنشر ، بيـروت ، بدون .

٣٦- السيوطى : ت ٩١١هـ / ١٥٠٥م عبدالرحمن بن أبى بكر جلال الدين السيوطى:

تاريخ الخلفاء

تحقيق محمود رياض الحلبى ، دار المعرفة ، بيروت ، ١٩٩٧م .

٣٧- ________________

مراصد الاطلاع فى أسماء الأمكنة والبقاع

القاهرة ١٩٣٩م .

٣٨- ابن شاهين . غرس الدين خليل بن شاهين الظاهرى

زبدة كشف الممالك وبيان الطرق والمسالك

تحقيق ، بولس راديس ، المطبعة الجمهورية ، باريس ١٨٩٤م . الطبعة الثانيـة ، القاهرة ١٩٨٨ .

٣٩- الشيزرى : ت ٥٨٩هـ / ١١٩٣م . عبدالرحمن بن نصر الشيزرى :

نهاية الرتبة فى طلب الحسبة

تحقيق السيد الباز العرينى ، دار الثقافة ، بيروت .

٤١- ابن أبى الضياف: أحمد بن أبى الضياف:

اتحاف أهل الزمان بأخبار ملوك تونس وعهد الأمان

تحقيق لجنة من كتابه الدولة للشئون الثقافية والأخبار ، نشر كتاب الدولـة للشـئون الثقافية والاخبار ، تونس ، ١٩٦٣م .

٤٢- الطبرى: ت٣١٠هـ / ٦٢٢م . أبوجعفر محمد بن جرير الطبرى:
تاريخ الأمم والملوك
١٢ جزء ، دار التراث العربى ، بيروت ، بدون .

٤٣- الطهطاوى : ت ١٢٩٠هـ / ١٨٧٣م . رفاعة رافع الطهطاوى:
الدولة الإسلامية نظامها وعمالاتها
تعليق عبدالرحمن حسن ، فاروق حامد ، مكتبة الآداب ، القاهرة .

٤٤- ابن عبدالحكم (ت ٢٥٧هـ /٨٧١م) عبدالرحمن بن عبدالله بن عبدالحكم بن أعين القرشى :
فتوح افريقيا والاندلس
تحقيق / عبدالله أنيس الطباع ، الشركة العالمية للكتاب ، بيروت ، ١٩٨٧م .

٤٥- ابن عبدالحكم :
فتوح مصر وأخبارها
الطبعة الأولى ، مطبعة مدبولى ، القاهرة ١٩٩١ .

٤٦- أبو عبيد: ت ٢٢٤هـ / ٨٣٦م. أبوعبيد القاسم بن سلام :
كتاب الأموال
تحقيق محمد خليل هراس ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، بدون .

٤٧- أبو العرب ت ٣٣٣هـ / ٩٤٥م . أبو العرب محمد بن أحمد بن تميم القيروانى :
طبقات علماء إفريقية وتونس
جزءان ، تحقيق على الشابى ، نعيم حسن ، الدار التونسية للنشر ، تونس .

٤٨- ابن عزارى " توفى فى نهاية القرن السابع الهجرى ، نهاية القرن الثالث عشر الميلادى " ابن عزارى المراكشى :
البيان المغرب فى أخبار الاندلس والمغرب
تحقيق ج.س. كولان ، أ.ليفى بروفنسال ، دار الثقافة ، بيروت ، بدون

٤٩- الغزالى ت ٥٠٥هـ / ١١١٧م أبو حامد بن محمد الغزالى :

إحياء علوم الدين

٤ أجزاء ، تحقيق محمد عبدالمالك الزغبى ، عامر النجار ، مكتبة فياض ، دار المنار ، الاصلاح الدين المنصورة ، بدون .

٥٠- غلبون : أبى عبدالله محمد بن خليل غليون الطرابلسى :

تاريخ طرابلس الغرب المسمى التذكار فيمن ملك طرابلس وما كان بها من الاخبار على قصيدة الشيخ أحمد بن عبدالدائم الانصارى الطرابلسى

تحقيق الطاهر أحمد الزاوى ، المطبعة السلفية ومكتبتها ، القاهرة ، ١٣٤٩م.

٥١- أبو الفدا ت ٧٣٢هـ / ١٣٤٤م . عماد الدين اسماعيل بن بن عمر المعروف بأبى الفدا :

تقويم البلدان

دار صادر ، بيروت ، بدون .

٥٢- ________________

المختصر فى أخبار البشر (تاريخ أبى الفدا)

٤ أجزاء دار المعرفة للطباعة والنشر ، بيروت ، بدون .

٥٣- الفيروزبادى " ت ٨١٧هـ / ١٤٢٩م مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزبادى:

القاموس المحيط

دار بيروت للطباعة والنشر ، بيروت ، ١٩٧٩م .

٥٤- ابن قتيبه " ت ٢٧٦هـ / ٨٨٨م " أبى محمد عبدالله ابن مسلم بن قتيبه الدينورى:

الامامة والسياسة (تاريخ الخلفاء)

جزءان ، تحقيق على شيرى ، الطبعة الأولى ، دار الاضواء ، بيروت ، ١٩٩٠م .

٥٥- القرمانى " ت ١٠١٩ هـ / ١٦٣١م ، أحمد بن يوسف القرمانى:

أخبار الدول وآثار الأول فى التاريخ

٣ أجزاء ، تحقيق أحمد حطيط ، فهمى سعد ، عالم الكتب ، بيروت ، ١٩٩٢م .

٥٦- القزوينى "ت٦٨٢هـ/ ١٢٩٠م . زكريا بن محمد محمود القزوينى :

آثار البلاد وأخبار العباد

دار بيروت للطباعة والنشر ، بيروت ، ١٩٧٩م .

٥٧- القلقشندى " ت٨٢١هـ / ١٤١٨م . شهاب الدين أحمد بن على بن أحمد القلقشندى:

صبح الاعشى فى صناعة الانشا

٨ أجزاء نسخة مصوره عن الطبعة الاميرية ، القاهرة ، بدون ٤١ جزء ، طبعة الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، ١٩٨٥م.

٥٨- ـــــــــــــــــــــــ

مآثر الأنافة فى معالم الخلافة

٣ أجـزاء ، تحقيق عبدالستار أحمد فراج ، عالم الكتب ، بيروت ، بدون .

٥٩- ابن قيم الجوزيه " ت ٧٥١هـ / ١٣٦٢م " أبى عبدالله محمد بن أبى بكر الزرعى الدمشقى :

الطرق الحكمية فى السياسة الشرعية أو الفراسة المرضية فى أحكـام السياسة الشرعية

تحقيق : محمد حامد الفقى ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، بدون .

٦٠- الكتبى : ت ٧٦٤هـ / ١٣٧٦م . محمد بن شاكر الكتبى:

فوات الوفيات والذيل عليها

تحقيق د/احسان عباس ، جـ٢،٤ دار الثقافة ، بيروت .

٦١- ابن كثير "ت٧٧٤هـ / ١٣٧٢م " عماد الدين أبـو الفـدا اسـماعيل بـن كثـير الدمشقى:

البداية والنهاية

١٢ جزء ، تحقيق مكتب التراث ، دار إحياء التراث العربـى ، مؤسسـة التـاريخ العربى ، بيروت .

٦٢- الماوردى "ت ٤٥٠هـ / ١٠٥٨م أبو الحسن على بن محمد بن حبيب البصرى البغدادى :

الأحكام السلطانية والولايات الدينية

دار ابن خلدون ، الاسكندرية ، بدون .

٦٣- مجهول :

الاستبصار فى عجائب الامصار

تحقيق ، دى جوى ، فيينا ١٨٥٢ ، سعد زغلول عبدالحميد ، الاسكندرية ١٩٥٨م .

٦٤- المراكشى "ت ٦٤٧هـ / ١٢٥٩م . عبدالواحد بن على التميمى

المعجب فى تلخيص أخبار المغرب

تحقيق محمد سعيد العريان ، محمد العربى العلمى ، مطبعة الاستقامه ، القاهرة ١٩٤٩م .

٦٥- المطرزى " ت ٥٣٨هـ /١١٥٠م أبى الفتح ناصر بن عبدالسيد المطرازى الحنفى:

كتاب المعرب فى ترتيب المغرب

دار الكتاب العربى ، بيروت ، بدون.

٦٦- المعدانى "ت ١١٤٠هـ / ١٧٢٨م . أبى على الحسن بن رحال المعدانى :

كشف القناع عن تضمين الصناع

تحقيق محمد أبو الاجفان ، الدار التونسية للنشر ، تونس ، ١٩٨٦م .

٦٧- المقدسى ت ٣٨٧هـ / ٩٩٧م. شمس الدين أبوعبدالله محمد بن أبى بكر البشارى :

أحسن التقاسيم فى معرفة الأقاليم

مكتبة مدبولى ، القاهرة ، بدون .

٦٨- المقريزى ت ٨٤٥هـ / ١٤٤١م . تقى الدين أحمد بن على بن عبدالقادر بن محمد :

المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار

٤ أجزاء ، مكتبة الآداب ، القاهرة ، بدون.

٦٩- المقريزى

اتعاظ الحنفا بذكر الأئمة الفاطميين الخلفا

٤ اجزاء تحقيق محمد حلمى ، القاهرة ١٩٩٦م

٧٠- ابن مماتى " ت٦٠٦هـ / ١٢٠٤م . شرف الدين الاسعد مهذب بن أبى المليح :

كتاب قوانين الدواوين

طبعة الجمعية الزراعية الملكية باشاره حضرة صاحب السمو الامير عمر طوسون تحقيق ، عزيز سوريال عطيه ، الطبعة الأولى ، مكتبة مدبولى ، القاهرة ١٩٩١ .

٧١- ناصر خسرو، ت ٤٨١هـ / ١١٠٨م . أبومعين الدين ناصر خسرو القاديانى المروزى:

سفرنامه

ترجمة وتحقيق يحيى الخشاب ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ١٩٣٠م .

٧٢- النويرى ، ٧٣٣هـ / ١٣٤٥م . شهاب الدين أحمد بن عبدالوهاب النويرى :

نهاية الأرب فى فنون الأدب

١٨ جزء نسخة مصوره عن طبعة دار الكتب المصرية ، وزارة الثقافة والارشاد القومى ، المؤسسة المصرية العامة للتاليف والترجمة والطباعة والنشر ، القاهرة ١٩٥٤م .

٧٣- ابن الوردى ت ٧٤٩هـ / ١٣٦١م سراج الدين أبى حفص بن عمر بن الوردى :

خريدة العجائب وفريدة الغرائب

مطبعة مصطفى البابى الحلبى وأولاده ، القاهرة ، ١٩٣٩م .

٧٤- اليعقوبى : ت ٢٨٢هـ / ٨٩٤م . أحمد بن أبى يعقوب بن واضح :

صفة المغرب المأخوذه من كتاب البلدان

طبعة ليدن (د.ت) .

٧٥- ________________

تاريخ اليعقوبى ،

جزءان دار صادر للطباعة والنشر ، دار بيروت للطباعة والنشر ، بيروت ١٩٦٠م

٧٦- أبو يعلى " ت ٤٥٨هـ / ١٠٧٠م." أبو يعلى محمد بن الحسين الفراء :

الاحكام السلطانية

تقديم محمود حسن ، دار الفكر ، بيروت ، ١٩٩٤م .

٧٧- أبو يوسف "ت ١١٣هـ / ٧٢٥م . يعقوب بن ابراهيم بن حبيب الانصارى الكوفى :

كتاب الخراج

المطبعة السلفية ، القاهرة ، ١٣٩٢هـ .

المراجع العربية :

١- أبوصالح الألفى : الفن الإسلامى (اصوله . فلسفته - مدارسه ، دار المعـــارف بمصـــر ، القاهرة .

٢- أحمد أمين : ظهر الأسلام ، الطبعة الرابعة ، مكتبة النهضة المصرية ، ١٩٦٦م .

٣- أحمد عبدالرازق : الحضارة الإسلامية فى العصور الوسطى ، دار الفكر العربى ، القاهرة ١٩٩٠م .

٤- أحمد مصطفى المراغى : الحسبة فى الإسلام ، مطبعة عيسى البابى الحلبـــى وشـــركاه ، القاهرة .

٥- أنستاس مارى الكرملى : رسائل فى النقود العربية والإسلامية وعلم النميـــات ، الطبعـــة الثالثة، مكتبة الثقافة الدينية ، القاهرة ، ١٩٨٧م .

٦- إبراهيم أحمد العدوى : الأمويون والبيزنطيون " البحر المتوسط بحـــيرة اســـلاميه مكتبـــة الانجلو المصرية ، القاهرة ١٩٥٣م .

٧- إبراهيم على طرخان : المسلمون فى أوربا فى العصور الوسطى مؤسسة سجل العـــرب ، باشراف الأدارة العامة للثقافة بوزارة التربية والتعليم ، ١٩٦٦م .

٨- إحسان عباس : العرب فى صقلية : دار المعارف بمصر ، القاهرة ١٩٥٩م .

٩- جرجى زيدان : تاريخ التمدن الإسلامى ، طبعة جديدة ، راجعها وعلق عليها د. حســـين مؤنس ، دار الهلال ، القاهرة ، ١٩٥٨م .

١٠- حسن إبراهيم حسن : تاريخ الإسلام السياسى والدينى والثقافى والاجتمـــاعى ، الطبعـــة العاشرة ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ، ١٩٦٥،١٩٧٢،١٩٨٣.

١١- حســـن إبراهيم حسن ، طه أحمد شرف : المعز لدين الله ، الطبعـــة الثانيـــة ، مكتبـــة النهضة المصرية ، القاهرة ، ١٩٦٤م .

١٢- حسن الباشا : دراسات فى الحضارة الإسلامية ، دار النهضة العربية ، مطبعة جامعـــة القاهرة والكتاب الجامعى ، القاهرة ، ١٩٩٢م .

١٣- حسن الباشا : فنون التصوير الإسلامى فى مصر ، الهيئة المصرية للكتاب ، القاهرة ١٩٩٤م .

١٤- حسن حسنى عبدالوهاب : بساط العقيق فى حضارة القيروان وشاعرها ابن رشيق ، الطبعة الثانية ، كتبة المنار ، تونس ١٩٧٠م .

١٥- ـــــــــــــ : شهيرات التونيسيات ، المطبعة التونسية ، تونس ١٣٥٣هـ .

١٦- ـــــــــــــ : ورقات عن الحضارة العربية بإفريقية العربية ، القسم الثانى ، مكتبة المنار ، تونس ، ١٩٧٠م .

١٧- حسين مؤنس : فتح العرب للمغرب ، مكتبة الثقافة الدينية ، القاهرة ، بدون .

١٨- ـــــــــــــ : معالم تاريخ المغرب والاندلس ، الطبعة الأولى دار مطابع المستقبل ، القاهرة ١٩٨٠ ، طبعة دار الرشاد ، ١٩٩٢م .

١٩- ذكى محمد حسن : فنون الإسلام ، دار الرائد العربى ، بيروت .

٢٠- ـــــــــــــ : كنوز الفاطميين ، دار الكتب المصرية ، القاهرة ، ١٩٣٧م.

٢١- سعاد ماهر محمد : النسيج الإسلامى : الجهاز المركزى للكتب الجامعية والمدرسية والوسائل التعليمية ، القاهرة ، ١٩٧٧م .

٢٢- سعد زغلول عبدالحميد : تاريخ المغرب العربى : منشأة المعارف ، الاسكندرية ، ١٩٩٠م .

٢٣- سعيد عبدالفتاح عاشور : المدينة الإسلامية واثرها فى الحضارة الأوربية ، الطبعة الأولى ، دار النهضة العربية ، القاهرة ١٩٦٣م .

٢٤- سهام مصطفى أبوزيد : الحسبة فى مصر الاسلامية ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، ١٩٨٦م .

٢٥- السيد سابق : فقه السنه ، دار الفتح للاعلام العربى ، القاهرة ، ١٩٩٤م .

٢٦- السيد طه السيد أبوسديره : الحرف والصناعات فى مصر الإسلامية منذ الفتح العربى حتى نهاية العصر الفاطمى "٢٠-٥٦٧هـ-٦٤١-١١٧١م" ، سلسلة الألف كتاب الثانى عدد ٩٥ ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ١٩٩١م.

٢٧- السيد عبدالعزيز سالم ، أحمد مختار العبادى : تاريخ البحرية الإسلامية فى حوض البحر الأبيض المتوسط " البحرية الإسلامية فى المغرب والاندلس ، مؤسسة شباب الجامعة ، ١٩٩٣م .

٢٨- سيده اسماعيل كاشف : الوليد بن عبدالملك ، وزارة الثقافة والارشاد القومى ، المؤسسة العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر ، القاهرة ، ١٩٦٢م .

٢٩- شكيب أرسلان : الحلل السندسية فى الأخبار والأثار الاندلسية ، مكتبة الحياة ، بيروت ، بدون .

٣٠- الطاهر أحمد الزاوى : تاريخ الفتح العربى فى ليبيا ، الطبعة الثانية ، دار المعارف ، ١٩٦٣م .

٣١- عبدالرحمن الجزيرى : الفقة على المذاهب الأربعة ، دار الفكر ودار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٩٨٦م .

٣٢- عبدالرحمن الرافعى : سعيد عبدالفتاح عاشور : مصر فى العصور الوسطى من الفتح العربى حتى الغزو والعثمانى الطبعة الأولى ، دار النهضة العربية ، القاهرة ، ١٩٧٠م .

٣٣- عبدالله محمد عبدالله : ولاية الحسبة فى الاسلام ، الطبعة الأولى ، مكتبة الزهراء ، القاهرة ، ١٩٩٦م .

٣٤- عبدالمنعم ماجد : الأطلس التاريخى للعالم الإسلامى فى العصور الوسطى ، الطبعة الثانية ، دار الفكر العربى ، ١٩٦٧م .

٣٥- ــــــــــــ : نظم الفاطميين ورسومهم فى مصر جزآن ، الطبعة الثالثة ، مكتبة الانجلو المصرية ، القاهرة جـ١ ١٩٨٥ جـ٢ ١٩٧٨م .

٣٦- عثمان الكعاك : الحضارة العربية فى حوض البحر المتوسط ، معهد الدراسات العربية ، ١٩٦٥م .

٣٧- عطيه القوصى : الحضارة الإسلامية ، دار الثقافة العربية ، القاهرة ، ١٩٨٥م .

٣٨- عطيه مصطفى مشرفه : نظم الحكم بمصر فى عصر الفاطميين الطبعة الأولى ، دار الفكر العربى ، القاهرة ، ١٩٤٨م .

٣٩- مايسه محمود داود . المسكوكات الفاطمية بمجموعة متحف الفن الإسلامى دراسة اثريه ونقديه ، دار الفكر العربى ، القاهرة ، ١٩٩١م .

٤٠- محمد أمين صالح : النظم الاقتصادية فى مصر والشام فى صدر الإسلام ، مكتبة سعيد رأفت ، جامعة عين شمس ، القاهرة ، ١١ .

٤١- محمد العروسى المطوى : سيرة القيروان ، الدار العربية للكتاب ، تونس ١٩٨١م .

٤٢- محمد جمال الدين سرور ، تاريخ الحضارة الإسلامية فى الشرق ، الطبعة الثالثة ، دار الفكر العربى ، القاهرة ، ١٩٧٣م .

٤٣- محمد حسنى عبدالحميد : الحسبة والحاسبة كيف تطور نظام المحتسب ، مطبعة مصر ، القاهرة ، ١٩٤٣م .

٤٤- محمد عبدالله عنان : الحاكم بأمر الله وأسرار الدعوة الفاطمية ، الطبعة الثالثة ، مكتبة الخانجى بالقاهرة ، دار الرفاعى بالرياض ، ١٩٨٣م .

٤٥- محمد فؤاد عبدالباقى : اللؤلؤ والمرجان ، جزآن ، القاهرة ، بدون .

٤٦- ــــــــــــ : المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم ، دار الحديث ، القاهرة ، ١٩٨٧ .

٤٧- محمد محمود إدريس : تاريخ الدولة الفاطمية منذ قيامها بالمغرب إلى سقوطها فى مصر ، دار النهضة العربية ، ١٩٩٧م .

٤٨- ــــــــــــ : تاريخ العراق والمشرق الإسلامى خلال العصر السلجوقى الأول ، مكتبة نهضة الشرق ، القاهرة ، ١٩٨٥م .

٤٩- ــــــــــــ : دراسات فى التاريخ والحضارة الإسلامية دار الثقافة للطباعة والنشر ، القاهرة ، ١٩٨٤م .

٥٠- يسرى عبدالرازق الجوهرى : دراسات فى جغرافية الموارد الاقتصادية ، منشأة المعارف ، الاسكندرية ، ١٩٧٣م .

٥١- ــــــــــــ : شمال إفريقيا دراسة فى الجغرافيا التاريخية ، دار الجامعات المصرية ، ١٩٧٠ .

المراجع الأجنبية المترجمة :

١- متز (آدم) : الحضارة الإسلامية فى القرن الرابع الهجرى ، ترجمة محمد عبدالهادى أبوريده ، القاهرة ، ١٩٥٧م .

٢- لويس (أرشيبالد) : القوى البحرية والتجارية فى حوض البحر المتوسط ، ترجمة أحمد محمد عيسى ، تقديم محمد شفيق غربال ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ١٩٦٠ .

٣- كونل (أرنست) : الفن الاسلامى : ترجمة ، أحمد موسى ، مطبعة أطلس ، القاهرة ، ١٩٦١م .

٤- توينبى (أرنولد) : مختصر دراسة للتاريخ ترجمة ، فؤاد محمد شبل ، مراضعة ، محمد شفيق غربال ، أحمد عزت عبدالكريم ٣ أجزاء ، الادارة الثقافية بجامعة الدول العربية ، ١٩٦٤م .

٥- ج.كرامب أ. جاكوب : تراث العصور الوسطى ، ترجمة ، محمد بدران ، محمد مصطفى زياده ، مؤسسة سجل العرب ، القاهرة ، ١٩٦٥م .

٦- مارسيه (جورج) : بلاد المغرب وعلاقتها بالمشرق الإسلامى ، ترجمة ، محمود عبدالصمد هيكل ، مراجعة وتقديم ، مصطفى أبوضيف ، منشأة المعارف ، الاسكندريه ، ١٩٩١م .

٧- ف.هايد : تاريخ التجارة فى الشرق الأدنى فى العصور الوسطى ، ترجمة ، أحمد محمد رضا ، تقديم ، عز الدين فوده ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٨٥م.

٨- مورانوا (مارتينو ماريو) : المسلمون فى صقليه ، بيروت ، ١٩٥٧م .

٩- إدريس (الهادى روجى) : الدولة الصنهاجية ، تاريخ إفريقية فى عهد بنى زيرى من القرن العاشر إلى القرن الثانى عشر الميلادى ، جـ١ ترجمة حمادى الساحلى ، الطبعة الأولى ، دار الغرب الإسلامى ، بيرون ، ١٩٩٢م .

١٠- ديرونت (ويل) : قصة الحضارة : ٢٦ جزء ترجمة ، محمد بدران ، الطبعة الثانية ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، القاهرة ، ١٩٦٤م .

الرسائل العلمية والدوريات

الرسائل العلمية:

١- فتحية محمود على ، الحياة الاقتصادية والاجتماعية فى مدن المغرب الساحلية رسالة ماجستير ١٩٩٣م ، مكتبة الرسائل ، كلية الآداب جامعة المنيا .

٢- نريمان عبدالكريم أحمد . مجتمع إفريقية خلال عصر الولاة ، رسالة دكتـــوراه ، مكتبـــة الرسائل ، جامعة عين شمس .

الدوريات

دائرة المعارف الإسلامية ٢٠ جزء إعداد وتحرير ، إبراهيم ذكى خورشيد ، أحمد الشنتناوى ، د، عبدالحميد يونس ، النسخة العربية ، مطبعة دار الشعب .

G.Yevr مادة إفريقية ،جـ٣ .

G.Yevr، مادة بونة ، جـ٨ .

A.S .Bazmee Ansarie، مادة حسبة ، جـ١٤.

A.Dietrich.مادة حوالة ، جـ١٦ .

W.J.Despois، مادة برقه ، جـ٨ .

Rabert Brunschvig . مادة تونس،جـ١٠ .

W.J.Fishel. مادة جهبذ ، جـ١٢.

Georges Marcais. مادة تاهرت ، جـ٩ .

أبواسحق اطفيش ، مادة بربر ، جـ٦ .

٢- المجلة التاريخية المصرية :

أ- صابر دياب ، دراسات فى عالم البحر المتوسط فى العصور الوسطى . المجلة التاريخيـــة المصرية ١٩٧٠ ، جـ٢٤ .

ب- محمود إسماعيل . المالكية والشيعة بإفريقية ابان قيام الدولة الفاطمية ١٩٧٦، جـ٢٣ .

٣- حوليات الجامعة التونيسية :

أ- عبدالواحد ذنون طه . استيطان القبائل البربرية فى شـــمال إفريقيـــة ، حوليـــات الجامعـــة التونيسية ، تونس ، ١٩٨٠جـ١٨ ..

ب- محمد اليعلاوى . شعراء إفريقيون معاصرون للدولة الفاطمية ، حوليات الجامعة التونسية، تونس ، ٩٧٩، جـ١٧ .

المعاجم:

١- الرازى : محمد ابن أبى بكر عبدالقادر الرازى ، مختار الصحاح دار التنوير العربى ، بيروت ، ١٩٨٤م .

٢- ابن منظور : ت ٧١١هـ / ١٣٢٣ ، جمال الدين محمد ابن مكرم الانصارى ، لسان العرب ٢٠ جزء، طبعة مصوره عن طبعة بولاق ، الدار المصرية للتأليف والترجمة ، مطابع توستار، القاهرة .

٣- ياقوت الحموى ت ٦٢٦هـ / ١٢٢م شهاب الدين أبوعبدالله ياقوت ابن عبدالله الحموى ، معجم البلدان ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٩٧٩م .

المراجع الأجنبية :

1- B.Davidson. Afficanin history London 1968.

2- Bernard Lewis, The Arabs. in History Hutchinson. Universty . library ، London.

3- Bernard lewis, & Others : The World of. Islam. faith, people, Culture Thames and Hudson.

4- Crane Brinton, & Others : A History, of, civili zation pre , history to 1715 fifith Edition. Prentice - Hall, Inc., Englewood cliffs, New jersey.

5- Lonepool. M.A cotalog Arabic coins London 1897.

6- Norman Daniel. The Arabs. and . Mediaval Europe.Longman. Librairieduliban. Beirut 1957.

7- Trevor Cairns. Barbarians. christians and muslims. cambridge, university, press. New Yourk. new, rochelle melbourn. sydney.

8-William, H. Enger : Africa south of the sohara 17 the dition Europa publication limited. 1988.

ملخص الرسالة

تناول هذا البحث " أسواق إفريقية خلال العصر الفاطمى وبنى زيرى " من سـنة ٢٩٦-٤٤٠هـ ٩٠٨-١٠٥٢م وهذا البحث يوضح حدود إفريقية ، ولماذا أطلق عليها هـذا الإسم والآراء المختلفة التى ساقها المؤرخون . وهو يوضح أيضاً ، أهمية إقليم إفريقية من الناحيـة الاقتصادية فى الزراعة ، والصناعة ، والتجارة ، والأهمية الحربية،أيضاً أوضح البحث أنواع الأراضى الزراعية من حيث الخصوبة والجودة ومناطق وجودها وبيان أهم المـوارد المائيـة التى حظى بها إقليم إفريقية سواء كانت أنهار أم بحيرات أم عيون ماء وأهم المناطق والمـدن التى وجدت بها تلك الموارد المائية إلى جانب مواجل الماء التى انتشرت بصوره كبـيرة فـى مدن إفريقيه والتى كانت بمثابة مخازن للماء يلجأ اليها أهالى المدن فى سد حاجـاتهم مـن مياهها عند فقدهم للماء . وأوضح البحث أيضا نظم الرى المتبعة فى إفريقية التى كانت كثـيرة ومتعددة داخل الاقليم ونظام كل منطقه فى إفريقية . كما تناول البحث أهم المنتجات الزراعيـة التى كان يتميز بها الاقليم وأنواع المحاصيل سواء كانت حبوب أم محاصيل صناعية إلى جانب أنواع الفاكهة المتعددة وأصناف الثمار والأشجار وأهم المدن والقرى وأنواع المحاصيل التـى اشتهرت بإنتاجها وكانت تمثل علامة بارذة لها ، ثم تناول البحث عنصر الصناعة فى إفريقيـة خلال العصر الفاطمى وبنى زيرى ومعنى الصناعة والأسباب التى أدت إلى قيامها ونهضتهـا داخل الاقليم وأهم الموارد المعدنية التى وجدت داخل إفريقيـة كـالحديد والنحـاس والفضـة والرصاص ومناطق تواجدها ، وأهم الحرف الصناعية التى برز فيها أهالى إفريقية بالأضافـة إلى أهم الصناعات التى قامت على الموارد الخام زراعية أم صناعية ؟ وعوامل قيامها وتقدمها وأهم المراكز الصناعية فى إفريقية والصناعات التى كان يتميز بها كل مركز. بالأضافة إلـى أهم المراكز التجارية وأهمية النشاط التجارى ، وعوامل ازدهار التجارة حتى أصبحت إفريقية أحد أهم المراكز التجارية العالمية وانشطها فى الحوض الغربى للبحر المتوسط ، وأهم مراكز التجارة الساحلية والداخلية موضحاً موقعها وتاريخ فتحها وأهم ما تميزت به هذه المراكز مـن موارد وصناعات وسلع ، وأشار البحث إلى أهم الطرق التجارية التى ربطت بين مختلف مدن وقرى إفريقية وأطوال هذه الطرق وأهم المراكز والمدن التى كانت تقع عليها . كمـا تنـاول البحث أسواق إفريقية معرفا معنى كلمة السوق وأهم الأسسس والمبادئ التـى تقـوم عليهـا الاسواق والتنظيمات والتقسيمات الداخلية ومناطق عمل الصناعـات ، ومنـاطق بيـع السـلع والمنتجات وموقع السوق داخل المدن ومزايا وعيوب تقسيم الاسواق واهم الوظائف الحيويـة التى وجدت داخل اسواق إفريقية والتى كان لها الأثر الفعال فى تنشيط عمليات التبادل التجارى داخل الاسواق وأهم الصفات التى يجب ان يتحلى بها أصحاب تلك الوظائف ،وهذه الوظـائف

هى السمسرة والدلالة ، والوكيل ، والشروط التى وضعت لاحكام الرقابة على هؤلاء الموظفين. وتناول البحث أهم المنشآت التى أقيمت داخل أسواق إفريقية ودور الخلفاء الفاطميين فى إقامة هذه المنشآت ، سواء كانت قيسريات أو فنادق ودورها الهام داخل الأسواق، وسبب إقامتها ، وما تميزت به أسواق إفريقية من نظم فى الأسواق حيث كان لكل مدينة نظام معين فى إقامة السوق من حيث البناء أو المكان ، وتناول البحث أيضا نظم البيع المختلفة التى وجدت داخل إقليم إفريقية بأسواقه المتعددة مثل نظام البيع النقدى أو المقايضة أو نظام البيع بالوقر والحمل وغيرها من النظم ، ثم يتناول البحث أسعار المدن والقرى فى إفريقية لجميع المنتجات والسلع داخل الاسواق وما تميزت به مدن إفريقية من رخص كثير لجميع أنواع السلع والبضائع على مر الايام . ثم تناول البحث طوائف التجار المختلفة التى كانت تملأ أسواق إفريقية فى طولها وعرضها فأشار البحث إلى تجار كل طائفة سواء كانوا من الأهالى أم من خارج الأقليم وأهم السلع والمنتجات التى كانوا يقومون بجلبها من وإلى الاسواق ودور تلك الطوائف الهام فى إمداد الاسواق بما يلزمها من البضائع بشكل مستمر غير منقطع رغم بعد المسافات وخطرها فى كثير من الاحيان ، وأهم الطوائف التجارية من خارج الاقليم سواء من مصر أم الاندلس أم ايطاليا بمدنها أم انجلترا والهند والصين والتجار اليهود والنصارى وأهم التجارات التى كانوا يقومون بها ومناطق تمركزهم والمخاطر التى كان التجار يتعرضون لها إلى جانب الغرامات المالية . وتناول البحث أيضا المعاملات المالية داخل إقليم إفريقية ممثلة فى السكة الفاطمية منذ بداية سكها وأنواعها وما كان عليها من كتابات ونقوش ودور كل خليفة فى عنايته بالنقود وماقام بسكة حكام بنى زيرى وسكة الثائرين والخارجين على الخلافة الفاطمية .

وأهمية النقود وسبب عناية الفاطميين بها ومقدار وزنها وأهمية دور سك النقود والقائم عليها وشروط اختياره وأوجه الصرف على هذه الدور وتغزيتها بما تحتاج اليه من مواد مثل الذهب والفضة والأخشاب ومقدار الضرائب التى تحصل عليها الحكومة على ما يتم ضربه من نقود خاصة بالافراد . إلى جانب العملات الصغيرة المساعدة وما كان يتم ضربه فى مناسبات خاصة كالأعياد والمناسبات. ومن المعاملات الاخرى التى شاع إستخدامها بصورة واسعة داخل إقليم إفريقيه فى سبيل تسهيل عمليات التعامل داخل الأسواق مثل السفاتج والصكوك وتعريف كلا منهما وكيفية استخدامها كصورة من صور التطور فى نظم المعاملات المالية فى إفريقية اثناء حكم الفاطميين وبنى زيرى ودور الصيارفة والجهابذه فى هذا الشأن إلى جانب أيضاح نظم المعاملات التجارية والممثلة فى الموازين والمكاييل والارطال والمواد التى تصنع منها والأختلافات فيما بين الأسواق فى إستخدام تلك النظم ودور دار العيار الخاصة فى صناعة هذه المعاملات أو إصلاح الفاسد منها،وتناولت الدراسة ايضاً دور المحتسب " عامل

السوق " البارز والهام فى الأسواق موضحاً أهم الشروط والآداب الواجب توافرهـا فـى مـن يتولى هذه الوظيفة الهامة وما يتخده من أعوان ومساعدين له لتسهيل عملية ضبـط الاسـواق والأشراف الدقيق عليها وتعريف معنى الحسبة شرعاً ولغة وأول من أحدثها فى الإسلام ولماذا أحدثت ؟ وأوجه الاتفاق والاختلاف بين الحسبة وكلاً من وظيفة القضاء والمظالم وما ينبغـى على المحتسب معرفته لكى يكون ملماً بواجبات وظيفته حتى يستطيع آدائها على أكمل وجـه وأتمه لما تمثله هذه الوظيفة من أهمية داخل الأسواق . واخيراً يتناول البحث الآثـار الحسـنة التى تولدت فى إفريقية نتيجة للنشاط التجارى الضخم الذى عم جميع أوجه الانشطة داخل إقليم إفريقية وما انتجه هذا النشاط من أثار حسنة أو آثار سيئة فى بعض المناطق من إفريقية خلال العصر الفاطمى وبنى زيرى .

Summary

This research deals with the African markets during the Fatimid and Beni Zerian age (296-440H , 908-1052 A.D.) It shows the boundaries of Africa and why it was called so, discussing all the opinions of the historians . The research sheds light on the economic importance of Africa (in terms of agriculture , industry , and trade) , as well as , its military importance , It also discusses the types of arable land of fertility , quality and water resources (rivers – lakes or springs) , in addition to water tanks which prevailed in the African cities and which were considered water stores for the population . The research also studies the various systems in Africa , as well as , the agriculture products for each region : cereal , crops . fruit and trees.

Moreover, the treats industry in Africa during the Fatimid Beni Zerian Age : the causes for its establishment , the mineral resources (iron , copper , silver -) their places , the outstanding crafts and the most important industrial centers ....etc . Trade centers , the factors of flourishing trade (as Africa became the most active worked center in the west part of the Mediterranean basin) are also dealt with . Besides , the research treats the trade ways that connected between different towns and villages of Africa , as well as the most prominent towns of those ways .

The meaning of the word " market " , the principles of markets , their internal organization , the industries areas , the places of the disadvantages inside the towns , the advantages and disadvantages of the market and the essential jobs of the African markets are also discussed . The research treats the personal qualities for those jobs (mediators- agents – broker ..etc) as well as the condition controlling those employees , It also sheds light on the buildings establishing by the Fatimid Caliphs inside the markets of Africa, the reasons behind erecting them and the characteristics of those markets .

The different selling systems (cash- barter .....etc) and the prices of different goods are also discussed.

It is worthy that the prices of different goods in African cities were very reasonable. Then, the research deals with the merchants categories. It differentiates between the motive and foreign merchants and the with role they played in supplying the markets with the required goods continuously, in spite of the long and after dangerous distances. The goods brought by those merchants , the categories of foreign merchants (from Egypt , Spain , Italy, England , India , China, Jewish and Christian) , their places , the dangers they faced and the financial fined are also discussed, Then, the research shows the financial dealing in the African region- represented by the Fatimid coining – and Beni Zeian coin as well as the coing of the rebellious against the Fatimid Caliph ship. The research also discussed why the Fatimid took care of coining, their weights, the coing houses, the condition for the workers, the expenditure on those houses and their supplying materials such as gold, silver and wood. Moreover, the research deals with the taxes imposed for coining , as well as the special occasions.

Furthermore , the research deals with other dealing which were widespread in Africa, such as , check and document. It shows their meanings and how they were used as a proof of the development of financial dealings in Africa during the age of the Fatimids and Beni Zeri . The study also discussed the role of both bankers and " Jahabizza" in this respect . In addition , measurements of weight and amount, the merchants . From which they were made, the differences between markets in using those measurements and the role of measurement houses in creating and correcting those dealings are discussed.

Then , the study treats the significant role of " Al – Mohtaseb" or the official of the market , the conditions required for jobs and the assistants he used to help him control the market, The research also deals with the definition of " Al

– Hesba " , when it was first used and the reason of calling it so , as well as the similarities and differences between " Hesba" and the job of the judge . Finally , the research discusses the advantages of the big commercial activity for Africa and minor disadvantages in some areas during the Fatimid and Beni Zerian Age .

Minia University
Faculty of Arts
Dpartment of History

The Efricia Markets During the Fatimid And Beni Zeri Age

(296-440 H. / 908-1052 A. D.)

An M.A. Thesis

Submitted by

Mohammad Abd El Zaher Ahmad

Supervised by

Prof. Mohammad Mahmoud Fdris
Head of History Dept.
Faculty of Arts – Minia University

(1420 H. / 2000 A. D.)